سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٢٩٤)

من كلام الصالحين

رقائق وحكم

من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١. ١-"فاستيقظ، قال: فوالله ما ذكرتها إلا ذهب عني النوم.

كان **بعض الصالحين** له ورد فنام عنه، فوقف عليه فتى في منامه فقال له بصوت محزون:

تيقظ لساعات من الليل يا فتى ... لعلك تحظى في الجنان بحورها

فتنعم في دار يدوم نعيمها ... محمد فيها والخليل يزورها

فقم فتيقظ ساعة بعد ساعة ... عساك توفي ما بقى من مهورها

كان بعض السلف الصالحين كثير التعبد، وبكى شوقا إلى الله ستين سنة، فرأى في منامه كأنه على ضفة نهر يجري بالمسك، حافتاه شجر لؤلؤ ونبت من قضبان الذهب، فإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد:

ذرانا إله الناس رب محمد ... لقوم على الأقدام بالليل قوم

يناجون رب العالمين إلهم ... وتسري هموم القوم والناس نوم

فقال: بخ بخ لهؤلاء! من هم؟! لقد أقر الله أعينهم بكن. فقلن: أوما تعرفهم؟! قال: لا. فقلن: بلا هؤلاء المتهجدون أصحاب القرآن والسهر.

وكان **بعض الصالحين** ربما نام في تهجده فتوقظه الحوراء في منامه فيستيقظ بإيقاظها، وروي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: ذهب بي النوم ذات ليلة في صلاتي، فإذا بها يعني: الحوراء تنبهني وتقول: يا أبا سليمان! أترقد وأنا أربي لك في الخدر منذ خمسمائة سنة؟!. وفي رواية عنه أنه نام ليلة في سجوده قال: فإذا بها ركضتني برجلها وقالت: حبيبي أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم؟ بؤسا لعين آثرت لذة نوم على مناجاة العزيز، قم فقد دنا الفراغ، ولقي المحبون بعضهم بعضا، فما هذا الرقاد يا حبيبي وقرة عيني؟". (١)

٢. ٢-"فكساه إياها، وقال: هذه لك بطول السهر. قالت: فوالله لقد كنت أراهتعني: محمد بن جحادة بعد ذلك فأتخايلها عليه. تعني تلك الحلة.

قال كرز بن وبرة: بلغني أن كعبا قال: إن الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يتهجدون بالليل كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء.

يا نفس فاز الصالحون بالتقى ... وأبصروا الحق وقلبي قد عمي

---

(١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ص/٨٩

يا حسنهم والليل قد جنهم ... ونورهم يفوق نور الأنجم

ترنموا بالذكر في ليلهم ... فعيشهم قد طاب بالترنم

قلوبهم للذكر قد تفرغت ... دموعهم كلؤلؤ منظم

أسحارهم بهم لهم قد أشرقت ... وخلع الغفران خير القسم

في بعض الآثار يقول الله عز وجل كل ليلة: يا جبريل أقم فلانا وأنم فلانا. قام **بعض الصالحين** في ليلة باردة، وكان عليه خلقان رثة فضربه البرد فبكى، فسمع هاتفا يقول: أقمناك وأنمناهم، ثم تبكي!.

تنبهوا يا أهل وادي المنحنى ... كم ذا الكرى، هب نسيم وجدي

كم بين خال وجو وساهر ... وراقد وكاتم ومبدي

قيل لابن مسعود: ما نستطيع قيام الليل. قال: أبعدتكم ذنوبكم.

وقيل للحسن: أعجزنا قيام الليل. قال: قيدتكم خطاياكم. إنما يؤهل الملوك للخلوة ومخاطبتهم من يخلص في ودادهم ومعاملتهم، فأما من كان من أهل مخالفتهم فلا يرضونه لذلك:

الليل لي ولأحبابي أحادثهم ... قد اصطفيتهم كي يسمعوا ويعوا

لهم قلوب بإسرار لها ملئت ... على ودادي وإرشادي لهم طبعوا

قد أثمرت شجرات الفهم عندهم ... فما جنوا إذ جنوا مما به ارتفعوا

سروا فما وهنوا عجزا وما ضعفوا ... وواصلوا حبل تقريبي فما انقطعوا". (١)

٣. ٣-"أحق بالبر منه، وهذا يدل على أنهم كانوا لا يعرفون من المساكين إلا من أظهر حاجته بالسؤال، وبهذا فرق طائفة من العلماء بين الفقير والمسكين، فقالوا: من أظهر حاجته فهو مسكين، ومن كتمها فهو فقير. وفي كلام الإمام أحمد إيماء إلى ذلك، وإن كان المشهور عنه أن التفريق بينهما بكثرة الحاجة وقلتها كقول كثير من الفقهاء، وهذا حيث جمع بين ذكر الفقير والمسكين كما في آية الصدقات، وأما إن أفرد أحد الاسمين دخل فيه الآخر عند الأكثرين.

وقد كان كثير من السلف يكتم حاجته ويظهر الغنى تعففا وتكرما، منهم: إبراهيم النخعي كان يلبس ثيابا حسناء، ويخرج إلى الناس وهم يرون أنه تحل له الميتة من الحاجة.

وكان **بعض الصالحين** يلبس الثياب الجميلة وفي كمه مفتاح دار كبيرة ولا مأوى له إلا المساجد، وكان

---

(١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ص/٩١

آخر لا يلبس جبة في الشتاء لفقره، ويقول: بي علة تمنعني من لبس المحشو. وإنما يعني به الفقر شعر:

أن الكريم ليخفي عنك عسرته ... حتى تراه غنيا وهو مجهود

وكان بعكس هؤلاء من يلبس ثياب المساكين مع الغنى تواضعا لله عز وجل، وبعدا من الكبر كما كان يفعله الخلفاء الراشدون الأربعة وبعدهم عمر بن عبد العزيز، وكذلك كان جماعة من الصحابة منهم: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما رضي الله عنهم، وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان ينشد:". (١)

٤. ٤-"فماتا. ودعي طائفة من السلف الصالح إلى ولاية القضاء، فاستمهلوا ثلاثة أيام فدعوا لأنفسهم بالموت فماتوا.

واطلع على حال **بعض الصالحين** ومعاملاته التي كانت سرا بينه وبين ربه، فدعا الله أن يقبضه إليه خوفا من فتنة الاشتهار فمات. فإن الشهرة بالخير فتنة كما جاء في الحديث: "كفى بالمرء فتنة أن يشار إليه بالأصابع، فإنها فتنة ".

وكان سفيان الثوري يتمنى الموت كثيرا فسئل عن ذلك، فقال: ما يدريني! لعلي أدخل في بدعة، لعلي أدخل فيما لا يحل لي، لعلي أدخل في فتنة، أكون قد مت فسبقت هذا.

واعلم أن الإنسان لا يخلو من فتنة، قال ابن مسعود: لا يقل أحدكم:". (٢)

٥. ٥-"وقد أجمع العلماء أن المغرب لا تشفع بركعة إذا نوى بها الفريضة وأن التطوع لا يكون وترا في غير الوتر وقد كان جماعة من العلماء ينكرون أشياء كثيرة من حديث قتادة عن سعيد بن المسيب منها هذا وأما ما جاء عن ابن عمر من رواية مالك في موطئه وما قد ذكرناه عنه ها هنا فإن الحديثين وإن تدافعا فإنه قد يحتمل أن يخرجا على غير (وجه) التدافع بأن يحملا على أن قوله ذلك إلى الله أنه أراد بذلك القبول أي أنه يتقبل أيتهما شاء فقد يتقبل الله النافلة التطوع ولا يتقبل الفريضة وقد يتقبل الله الفريضة دون التطوع وقد يتقبلهما بفضله جميعا وقد لا يقبل واحدة منهما وليس كل صلاة مقبولة وكان **بعض الصالحين** يقول طوبى لمن تقبلت منه صلاة واحدة قال ذلك على جهة الإشفاق وقد

---

(١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ص/١٠٧

(٢) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ص/١٢١

روينا عن ابن عمر مثل هذا ومعناه أخبرنا أحمد بن قاسم قال حدثنا محمد بن عيسى قال حدثنا علي بن عبد العزيز قال حدثنا أبوعبيد قال حدثنا". (١)

٦. ٦-"يقال: فرد برأيه، وأفرد وفرد، واستفرد، بمعنى: انفرد به.

وقيل: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل الناس، وخلا بمراعاة الأمر والنهي.

وقيل: هم الهرمى الذين هلك أقرانهم من الناس، وبقوا يذكرون الله.

قال الشارح: واللفظان وإن اختلفا في الصيغة، فإن كل واحد منهما في المعنى قريب من الثاني إذ المراد المستخلصون لعبادة الله المتخلون لذكره عن الناس، المعتزلون فيه، المتبتلون إليه.

[١٤٣٧] وعن جابر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله» . رواه الترمذي، وقال: (حديث حسن) .

لا إله إلا الله، هي أفضل ما قاله النبيون، وهي كلمة التوحيد والإخلاص. وقيل: هي اسم الله الأعظم.

[١٤٣٨] وعن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه - أن رجلا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به قال: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله تعالى» . رواه الترمذي، وقال: (حديث حسن) .

رطوبة اللسان بالذكر، عبارة عن مداومته، وهذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ [آل عمران (١٩٠، ١٩١)] .

قال الحسن: أحب عباد الله إلى الله أكثرهم له ذكرا، وأتقاهم قلبا.

وقيل لبعض الصالحين: ألا تستوحش وحدك؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: «أنا جليس من

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢٥٥/٤

ذكرني» .". (١)

٧. ٧-"عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره، فتوجب له حسن الخاتمة. قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلا عند الموت يلقن لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال فسألت عنه، فإذا هو مدمن خمر. فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب، فإنها هي التي أوقعته. وفي الجملة: فالخواتيم ميراث السوابق، فكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق. وقد قيل: إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يختم لنا؟ وقلوب المقربين معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سبق لنا. وبكى بعض الصحابة عند موته، فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " «إن الله تعالى قبض خلقه قبضتين، فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار» " ولا أدري في أي القبضتين كنت؟ . قال بعض السلف: ما أبكى العيون ما أبكاها الكتاب السابق. وقال سفيان **لبعض الصالحين**: هل أبكاك قط علم الله فيك؟ فقال له ذلك الرجل: تركني لا أفرح أبدا. وكان سفيان يشتد قلقه من السوابق والخواتيم، فكان يبكي ويقول: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيا، ويبكي، ويقول: أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت.". (٢)

٨. ٨-"وفي الجملة، فينبغي للمؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، فإن رأى في أخيه المسلم نقصا في دينه، اجتهد في إصلاحه.

قال **بعض الصالحين** من السلف: أهل المحبة لله نظروا بنور الله، وعطفوا على أهل معاصي الله، مقتوا أعمالهم، وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن فعالهم، وأشفقوا على أبدانهم من النار، ولا يكون المؤمن مؤمنا حقا حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه، وإن رأى في غيره فضيلة فاق بها عليه فتمنى لنفسه مثلها، فإن كانت تلك الفضيلة دينية، كان حسنا، وقد تمنى النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه منزلة

---

(١) تطريز رياض الصالحين ص/٧٨٥

(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ١/١٧٣

الشهادة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله القرآن، فهو يقرؤه آناء الليل وآناء النهار» .

«وقال في الذي رأى من ينفق ماله في طاعة الله، فقال: " لو أن لي مالا، لفعلت فيه كما فعل، فهما في الأجر سواء» " وإن كانت دنيوية، فلا خير في تمنيها، كما قال تعالى: ﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم - وقال الذين أوتوا العلم". (١)

٩. ٩-"ودخلوا على **بعض الصالحين**، فقلبوا بصرهم في بيته، فقالوا له: إنا نرى بيتك بيت رجل مرتحل، فقال: أمرتحل؟ لا أرتحل ولكن أطرد طردا. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل. قال بعض الحكماء: عجبت ممن الدنيا مولية عنه، والآخرة مقبلة إليه يشغل بالمدبرة، ويعرض عن المقبلة. وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: إن الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله عليها الفناء، وكتب الله على أهلها منها الظعن، فكم من عامر موثق عن قليل يخرب، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسنوا - رحمكم الله - منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. وإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة، ولا وطنا، فينبغي للمؤمن أن يكون حاله فيها على أحد حالين: إما أن يكون كأنه غريب مقيم في بلد غربة، همه التزود للرجوع إلى وطنه، أو يكون كأنه مسافر غير مقيم البتة، بل هو ليله ونهاره، يسير إلى بلد الإقامة، فلهذا وصى النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر أن يكون في الدنيا على أحد هذين الحالين. فأحدهما: أن يترك المؤمن نفسه كأنه غريب في الدنيا يتخيل الإقامة، لكن في بلد غربة، فهو غير متعلق القلب ببلد الغربة، بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه، وإنما هو مقيم في الدنيا ليقضي مرمة جهازه إلى الرجوع إلى وطنه، قال الفضيل بن عياض: المؤمن في الدنيا مهموم حزين، همه مرمة جهازه. ومن كان في الدنيا كذلك، فلا هم له إلا في التزود بما ينفعه عند عوده إلى".

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ١/٣٠٨

(١)

١٠. ١١-"حديثه: ((الكبر)) (١) بدل: ((البغي)) .

فنفى أن تكون كراهته؛ لأن يفوقه أحد في الجمال بغيا أو كبرا، وفسر الكبر والبغي ببطر الحق وغمط الناس (٢) ، وهو التكبر عليه، والامتناع من قبوله كبرا إذا خالف هواه. ومن هنا قال بعض السلف: التواضع أن تقبل الحق من كل من جاء به، وإن كان صغيرا، فمن قبل الحق ممن جاء به، سواء كان صغيرا أو كبيرا، وسواء كان يحبه أو لا يحبه، فهو متواضع، ومن أبى قبول الحق تعاظما عليه، فهو متكبر.

وغمط الناس: هو احتقارهم وازدراؤهم، وذلك يحصل من النظر إلى النفس بعين الكمال، وإلى غيره بعين النقص (٣) .

وفي الجملة: فينبغي للمؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، فإن رأى في أخيه المسلم نقصا في دينه اجتهد في إصلاحه. قال **بعض الصالحين** من السلف: أهل المحبة لله نظروا بنور الله، وعطفوا على أهل معاصي الله، مقتوا أعمالهم، وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن فعالهم، وأشفقوا على أبدانهم من النار،

---

(١) سقطت من (ص) .

(٢) عبارة ((وغمط الناس)) سقطت من (ج) .

(٣) انظر: النهاية ٣/١٠١٤-١٠١٥، ومجمل اللغة ٣/٦٨٦، وأساس البلاغة ١/٧١٣، ولسان العرب ١٠/١٢٥، ومختار الصحاح: ٤٨١-٤٨٢." (٢)

١١. ١٢-"كمثل راكب قال (١) في ظل شجرة ثم راح وتركها)) (٢) .

ومن وصايا المسيح - عليه السلام - لأصحابه أنه قال لهم: اعبروها ولا تعمروها (٣) ، وروي عنه أنه قال: من ذا الذي يبني على موج البحر دارا، تلكم الدنيا، فلا تتخذوها قرارا (٤) .

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ٢/٣٧٨

(٢) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ١/٣٣٢

ودخل رجل على أبي ذر، فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر، أين متاعكم؟ قال: إن لنا بيتا نوجه إليه، قال: إنه لابد لك من متاع مادمت هاهنا، قال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه (٥) .

ودخلوا على **بعض الصالحين**، فقلبوا بصرهم في بيته، فقالوا له: إنا نرى بيتك بيت رجل مرتحل، فقال: أمرتحل؟ لا، ولكن أطرد طردا.

وكان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل (٦) .

قال بعض الحكماء: عجبت ممن الدنيا مولية عنه، والآخرة مقبلة إليه يشغتل بالمدبرة، ويعرض عن المقبلة (٧) .

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: إن الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله

---

(١) قال: من القيلولة، وهي الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها، يقال: قال يقيل قيلولة فهو قائل.

(٢) أخرجه: الطيالسي (٢٧٧) ، وأحمد ١/٣٩١ و٤٤١، وابن ماجه (٤١٠٩) ، والترمذي (٢٣٧٧) من حديث ابن مسعود، وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه: أبو نعيم في " حلية الأولياء " ٨/١٤٥ عن وهيب المكي قال: ((بلغني أن عيسى - عليه السلام -، ...)) فذكره.

(٤) أخرجه: أحمد في " الزهد " (٣٢٥) عن مكحول، قال: ((وقال عيسى، ...)) فذكره.

(٥) أخرجه: البيهقي في " شعب الإيمان " (١٠٦٥١) .

(٦) أخرجه: ابن المبارك في " الزهد " (٢٥٥) ، وابن أبي شيبة (٣٤٤٩٥) .

(٧) أخرجه: البيهقي في " الزهد الكبير " (٥٠٤) ، ولم ينسبه.". (١)

١٢. ١٣-"يجعلها ذهبا بحجته.

وقال ابن المبارك: ما رأيت رجلا في الفقه مثله.

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ٣/١١٢٥

وقال الثوري: هو أفقه أهل الأرض.

وقال أبو نعيم: هو صاحب غوص في المسائل.

وقال الشافعي: الناس عيال علي أبي حنيفة في الفقه.

وقال أسد بن عمرو: صلى أبو حنيفة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة، وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى ترحمه الجيران.

وطلبه ابن هبيرة ليالي القضاء فأبى، فضربه مائه سوط وعشرة أسواط في كل يوم سبعين ألف مرة.

ومن مناقبة: أن امرأة جاءته وهو في الدرس فألقت له تفاحة نصفها أحمر ونصفها أصفر فأخذها وكسرها، وأعادها إليها ففهمت المرأة الجواب، فسئل عن ذلك فقال: قالت إنها ترى الحمرة والصفر فمتى اغتسل؟ فقلت لها: حتى ترى الطهر الأبيض كباطن التفاحة.

ونقل ابن جماعة في كتاب أنس المحاضرة عن علي بن ميمون قال: سمعنا الشافعي يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة، وأجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائرا، فإذا عرضت له صليت ركعتين، وجئت إلى قبره وسألت الله الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضي.

وكانت وفاته سنه إحدي وخمسين ومائة وهو ابن تسعين سنة وهو وأحمد بن حنبل مدفونان ببغداد فهؤلاء الأربعة الأعلام أئمة الإسلام، اتفاقهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة.

قال **بعض الصالحين** رأيت في المنام أني دخلت الجنة فرأيت في وسطها عمودا من نور، ورأيت أربعة يجرونه بأربعة سلاسل وهو ثابت لا يتغير من مكانه، فقلت: يا لله العجب، وهؤلاء من جهة واحدة لكان أسهل عليهم، فسألت بعض الملائكة عن ذلك فقال: هذا العمود هو دين الإسلام وهؤلاء الأربعة الذين يجرون هم أئمة الإسلام الشافعي وأحمد وأبو حنيفة ومالك رضي الله عنهم، فاتفاقهم حجة قاطعة وقولهم حق، واختلافهم رحمة للمسلمين.

هذه والله صفات العلماء الذين تبكي على فقدهم الأرض والسماء، فهم العلماء الزهاد، وأهل الإخلاص والسداد، حنت إليهم القلوب، وانقادت إليهم النفوس، وزلت لهم الصعاب، وخضعت لهم الرؤوس، فهم في الأقطار كالأقمار والشموس، لا جرم". (١)

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ١/١٥٦

١٣. ١٤-"وعن ابن مسعود: «لا تنثروه نثر الرمل، ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكون هم أحدكم آخر السورة» (١) .

قال النووي: وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراة جزئين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله» .

وعن مجاهد (٢) - رضي الله عنه -: أنه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران، والآخر البقرة وحدها وزمنها وركوعهما وسجودهما وجلوسهما سواء، قال: الذي قرأ البقرة وحدها أفضل قال: واستحباب الترتيل للتدبر ولأنه أقرب إلى الأجل والتوقير، وأشد تأثيرا في القلب، ولهذا استحب للأعجمي الذي لا يفهم معناه.

وقال بعضهم: وأحب أن ثواب قراءة الترتيل أجل قدرا، وثواب الكثرة أكثر عددا.

الخامسة: في الحديث دلالة على أن أحدا لا يحفظ القرآن العظيم إلا بعون الله وفضله وكرمه، قال تعالى: ؟ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟ [القمر: ١٧] بخلاف التوراة والإنجيل فإنه لم يكن متيسرا لحفظهما كتيسر حفظ القرآن العظيم الذي خصت به هذه الأمة المحمدية.

خاتمة غريبة: قال **بعض الصالحين** كان رجل يحفظ القرآن، وكان يحب الدنيا ويسعى لها، فلا تزداد منه إلا بعدا فجاء إلي وقال: قد أصابني أمر أريد أن تكتمه علي فقلت: ما هو؟ فقال: قد كنت ترى مني حب الدنيا وطلبها فرأيت الليلة في منامي قائلا يقول لي تبيعني أربع سور مما تحفظه من القرآن بهذه بعشرين دينارا، فقلت: نعم فطرح الدنانير في كفي، ثم انتبهت فلم أر شيئا فطلبت أن أقرأ شيئا من السور التي عينها فلم استطع، وقد جئتك لتلقينها في خلوة، قال: فخلوت به وجعلت أقرأ الآية من السور فيقرأها معي فإذا أمسكت عجز عن القراءة فبقينا على ذلك مدة فلم يحفظ منها آية، فقال لي بعد مدة: لا تتعب معي فإنها نزعت مني.

السادسة: ذكر الغزالي في أسرار القرآن فيمن يطرأ عليه نسيان القرآن بعد حفظه

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/٢٥٦، رقم ٨٧٣٣) من قول عبد الله بن مسعود.
وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/١٥٨) وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(٢) هو: مجاهد بن جبير، ويقال: ابن جبير المكي، كان فقيها عابدا ورعا، من أئمة التفسير، روى عن جمع من الصحابة، توفي رحمه الله بمكة وهو ساجد سنة (١٠٢هـ) ، وقيل (١٠٣هـ) .

انظر: مشاهير علماء الأمصار (ص ٨٢) ، وتهذيب التهذيب (٢٨٤/١٠) ، وحلية الأولياء (٢٧٩/٣) .". (١)

١٤. ١٥-"خرج أبو حفص النيسابوري يوما فرأى يهوديا مغشيا عليه فلما أفاق سئل عن ذلك فقال: رأيت رجلا عليه لباس العدل، ورأيت علي لباس الفضل، فخشيت أن يبدل الله لباسي بلباسه.

لطيفة: دخل يهودي على **بعض الصالحين**، وفي يديه قلم يبريه فقال الرجل الصالح لليهودي: أسلم وإلا أقطع رأس القلم فامتنع اليهودي من الإسلام، وقال للرجل الصالح: اقطع رأس القلم فقطعه فوقع رأس اليهودي عن جسده، قالها في روض الأفكار.

لطيفة أخرى: قال النسفي: مر بعض العباد على رجل يعبد بقرة من دون الله تعالى فقال: قل لا إله إلا الله، فقال: لا، فقال العابد: بحق لا إله إلا الله يا بقرة كوني جمرة نار فكانت بإذن الله تعالى، فقال له: قل لا إله إلا الله وإلا فتصير مثلها.

لطيفة غريبة: ذكر ابن جماعة في كتابه أنس المحاضرة: أن يهوديا كان له دين على شخص من الصالحين يقال له: إبراهيم الآجري كان يصنع «الكلس» (١) ، فجاء اليهودي إليه وطلب من دينه فقال له إبراهيم: أسلم، فقال له: أرني شيئا أعرف به شرف الإسلام وفضله على ديني قال له: وتفعل، قال: نعم، قال: هات رداءك، فأخذ رداء اليهودي فجعله في رداء نفسه ولف رداءه عليه ورمى الردائين في النار، نار الأتون، ثم دخل بعد أن ألقاه في الأتون وداس على جمر النار، واليهودي ينظر إليه فأخذ الردائين وخرج من النار ففتح رداء نفسه فإذا هو صحيح، وأخرج رداء اليهودي من وسط ردائه فإذا هو حراق أسود فلما رأى اليهودي ذلك أسلم.

حكاية في المعنى: نقل الإخباريون أنه كان ببلد الهند شيخ كبير يعبد صنما دهرا طويلا، ثم حصل له أمر مهم وشده يوما من الأيام فاستغاث به فلم يغثه فقال: أيها الصنم ارحم ضعفي، فقد عبدتك دهرا طويلا، فلم يجب فانقطع عند ذلك رجاؤه منه، ونظر الله بعين الرحمة فخطر بباله بأن يدعو الصمد، فرمق بطرفه نحو السماء، وقد وقع في الخجل وقال: يا صمد فسمع صوتا من الهواء يقول: لبيك يا عبدي أطلب ما تريد فأقر لله بالوحدانية فقالت الملائكة: ربنا دعى صنمه دهرا طويلا ولم يجبه، ودعاك مرة واحدة فأجبته، فقال يا ملائكتي: إذ دعى الصنم فلم يجبه، ودعى الصمد فلم يجبه

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ٢٤٣/١

فأي

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (١٩٧/٦) : «الكلس» : مثل الصاروج يبنى به، وقيل: الكلس الصاروج، وقيل: الكلس ما طلي به حائط أو باطن قصر شبه الجص من غير آجر.". (١)

١٥. ١٦-"ويوم موته وثب ذئب على شاه فقال: الرعاة كأن الرجل الصالح قد مات فنظروا فوجدوا عمر قد مات تلك الليلة - رضي الله عنه -، ولي الخلافة بعده ابن عمه سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين.

وكانت خلافته مثل خلافة أبي بكر الصديق سنتين وخمسة أشهر، وكانت وفاته يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وستة أشهر، ومات بدير سمعان قرية من قري حمص، وكان قد أرسل لصاحب الأرض الذي يساومه على موضع قبره فقال: يا أمير المؤمنين والله إني لأتبرك بقبرك وقد حاللتك منه فأبي أن يقبله إلا بثمن، وبايعهم على موضع قبره بدينارين، وقال لهم: إنما أريد بطن الأرض، فإذا دفنت فاحرثوا أرضكم وأزرعوا فيها وابنوا وانتفعوا فلا يضرني ذلك، ودفن هناك وكان عنده شيء من شعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأظفاره فأوصى أن تدفن معه.

لطيفة: قال يوسف بن ماهك: بينما نحن نسوي التراب على قبر عمر إذا سقط علينا من السماء رق مكتوب عليه: بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار.

وقال خالد الربعي: مكتوب في التوراة أن السماء تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحا.

لطيفة أخرى: قال الغزالي في منهاج الفائزين روي أن **بعض الصالحين** قال: كان لي ولدا استشهد فلم أره في المنام إلا ليلة توفي عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -، إذا تراءى إلي تلك الليلة فقلت: يا بني ألم تك ميتا فقال: لا ولكني استشهدت وأنا حي عند الله أرزق، فقلت ما جاء بك فقال: نودي في السماء أن لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد إلا وحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لأشهد الصلاة ثم جئتكم لأسلم عليكم.

قال البخاري «وكتب بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي» (١) هذا هو السيد

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ٢٨٦/١

(١) قال ابن حجر في الفتح (١١٣/١) : قوله: «وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي» أي: ابن عميرة الكندي، وهو تابعي من أولاد الصحابة، وكان عامل عمر بن عبد العزيز على الجزيرة فلذلك كتب إليه، والتعليق المذكور وصله أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة في كتاب الإيمان لهما من طريق عيس بن عاصم قال: حدثني عدي بن عدي قال: كتب إلى عمر بن عبد العزيز: «أما بعد فإن للإيمان فرائض وشرائع ... إلى آخره» .

وقوله: «إن للإيمان فرائض» كذا ثبت في معظم الروايات باللام، وفرائض بالنصب على أنها اسم إن. وفي رواية ابن عساكر: «فإن الإيمان فرائض» على أن الإيمان اسم إن وفرائض خبرها، وبالأول جاء الموصول الذي أشرنا إليه.

وقوله: «فرائض» أي: أعمالا مفروضة، «وشرائع» أي: عقائد دينية، «وحدودا» أي: منهيات ممنوعة، «وسننا» أي: مندوبات.". (١)

١٦. ١٧-"وإن لم يرد غيبة أخيه، أو كان من عادته عدم اعتنائه بالدين وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا وأمثاله قد وقعوا في شر عظيم، يوجب غضب الله تعالى وغضب رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

وذكر العلماء: أن الغيبة تباح بل تجب في صور منها الفاسق المجاهر بالفسق، والمبتدع المجاهر ببدعة كشارب الخمر المجاهر به، فيجوز غيبة تلك العصبة دون غيرها إلا كان لجواز ذكره بغيرها سبب آخر. قال في الإحياء: إلا أن يكون المجاهر بها عالما يقتدى به فتمتنع غيبته لأن الناس إذا اطلعوا على زلته تساهلوا في ارتكاب الذنب، وغيبة الكافر محرمة أيضا إن كان ذميا لأن فيها تنفير لهم عن قبول الجزية وتركا لوفاء الذمة، ومباحة إن كان حربيا لأنه - صلى الله عليه وسلم - أمر حسان أن يهجوا المشركين. ومنها: أن الإنسان إذا استشار في امرأة يريد أن يتزوجها أو امرأة في رجل تريد أن تتزوجه فيجب عليه ما ذكر فيها أو فيه من الغيبة، وليس ذكر هذا من باب الغيبة، بل من باب النصيحة، فيشترط للرجل إذا استشير في ذلك أن يذكر للخاطب أو للمخطوبة ما فيها أو فيه، على وجه النصيحة لا الوقيعة، فإن الدفع يمجرد قوله لا نفعل هذا أو لا تصلح لك فلانه، أو قال لها: لا يصلح لك فلان، أو خير

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ٣١٥/١

لك فيه أو نحوه، ولم تجز الزيادة بذكر باقي عيوبه، وإذا استشير في أمر نفسه بالنكاح فإن كان فيه ما ثبت الخيار فيه وجب ذكره للزوجة، وإن كان فيه ما يعدل الرغبة عنه ولا يثبت الخيار كسوء الخلق والشح استحب، وإن كان فيه شيء من المعاصي وجب عليه التوبة في الحال وستر نفسه.

وتجوز الغيبة في صور أخرى غير ما ذكر، وقال حجة الإسلام الغزالي: من لم يصن لسانه وأكثر الكلام يقع لا محال في غيبة الناس كما قيل: من كثر لغطه كثر سقطه.

والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعة على ما قيل: إن مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا لحسنات فهو يرمي بها شرقا وغربا ويمينا وشمالا.

وبلغنا عن الحسن – رضي الله عنه – أنه قيل: له يا أبا سعيد إن فلانا اغتابك فبعث إليه بطبق فيه رطب، وقال: بلغني أنك اهديت إلي حسناتك فأحببنا أن نكافئك.

وذكروا: فات **بعض الصالحين** قيام الليل فعزته زوجته فقال: إن أقواما صلوا الليل البارحة، فلما أصبحوا نالوا مني فتكون صلاتهم يوم القيامة في ميزاني.

قال سفيان الثوري: لا تتكلم بلسانك ما تكسر به أسنانك.". (١)

١٧. ١٨–"ومن فضائله ما قاله حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في كتابه منهاج العابدين عن **بعض الصالحين** أنه قال: رأيت سفيان الثوري في النوم بعد موته فقلت: ما حالك يا أبا عبد الله؟ فأعرض عني وقال: ليس هذا زمان الكنى فقلت: كيف حالك يا سفيان فأنشأ سفيان يقول:

نظرت إلى ربي عيانا فقال لي ... هنيأ رضائي عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قواما إذا الليل قد دجا ... بعبرة مشتاق وقلب عميد

فدونك فاختر أي قصر تريده ... وزرني فإني عنك غير بعيد

ومن فضائله ما ذكره في كتاب أنس المحاضرة عن بشر بن الحارث: أن سفيان الثوري كان عليلا، وكان بلبل يجيء ويصيح في داره، فلما أن مات وحملت جنازته طار فوق الجنازة فلما دفن تمرغ على القبر ومات.

وكانت وفاة الثوري بالبصرة سنة ستين ومائة.

«قال: حدثنا سفيان عن الأعمش» هذا هو سليمان بن مهران بكسر الميم الكوفي التابعي، وكان في

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ١/٣٨١

عينه ضعف.

قال يحيي القطان: كان الأعمش من النساك، وكان علامة الإسلام (١) .

وكانت الملوك والسلاطين عنده أحقر الناس مع فقره وحاجته، وكان كثيرا ما يلبس الفروة جلدها على جلده، وصوفها إلى خارج ويذهب إلى الصلاة وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين.

« ... عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» . تابعه شعبة عن الأعمش» .

استشكل جماعة من العلماء هذا الحديث وقالوا: إن هذه قد توجد في المسلم المصدق بقلبه ولسانه ولا يحكم بكفره بالإجماع، ولا بنفاق يجعله الله في الدرك الأسفل من النار، ثم أجابوا عن الاستشكال بأوجه:

أحدها: أن المراد بالنفاق هنا النفاق العملي الإيماني فإن النفاق على قسمين

---

(١) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٥/٥٠) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٦/٢٣٢) .". (١)

١٨. ١٩-"وصلى، والمجوسي ينظر ولا يتكلم حفظا للعهد، فلما فرغ من صلاته التقيا للقتال فلم يقدر أحدهما على الآخر إلى أن جاء وقت غروب الشمس، وعبادة المجوسي هي السجود للشمس وقت طلوعها وغروبها، فقال المجوسي لعبد الله بن المبارك: دخل وقت عبادتنا عاهدني أنت أيضا كما عاهدتك واصبر علي حتى أفرغ من عبادتي ولا تغدر. فعاهده عبد الله بن المبارك على ذلك، فلما سجد للشمس وثب عليه عبد الله بن المبارك بسيفه ليقتله وهو ساجد، فهتف به هاتف: وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، فرجع فلما فرغ المجوسي قال له: مالك هممت بي ثم رجعت؟ قال: سمعت هاتفا يقول كذا، فقال المجوسي: نعم الرب ربك يعاتب وليه لأجل عدوه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

لطيفة أخرى: عاهد **بعض الصالحين** ربه - عز وجل - أن لا يستغيث بأحد من الخلق إلا به سبحانه

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ٢/٥٧

وتعالى، فخرج إلى الحج فمر في طريقه على بئر والنوم في عينيه فسقط فيه، ولم يقدر على الخروج منه، فمر بالبئر رجلان فقال أحدهما للآخر: هذا البئر يضر بالمارين فلا نبرح حتى نطمه من طريق الناس، وهو يسمع ما قالاه من أسفل البئر، فأراد أن يستغيث بهما فذكر العهد فسكت فطماه وذهبا، فأرسل الله سبعا ففتح البئر وناوله يده فرفعه بها فسمع هاتفا يقول: من التجأ في مهماته إلينا، ولم يتكل على سوانا، وناجاني في الغيب فنجيناه من التلف.

وأنشد في المعنى:

إذا لم يكن بيني وبينك مرسل ... فريح الصبا مني إليك رسول

لطيفة ثالثة: طلب الحجاج رجلا ليقتله فقال: أيها الأمير عندي ودائع للناس فأمهلني حتى أردها، فأعرض عنه وقال: لا أطلقك إلا بكفيل، فخرج الرجل يطلب كفيلا يكفله ومعه جماعة الحجاج، فوجد رجلا جميل الوجه من أقارب الحجاج فقاله له: ما اسمك؟ فقال: عبد الكريم، فأخبره بقصته مع الحجاج، فقال: أنا أكفلك عنده. وكفله عند الحجاج، فقال له الحجاج: إن لم يأت أقتلك مكانه وإن بيني وبينك قرابة. قال: نعم، فذهب الرجل ورد ودائع الناس فلما أبطأ على الحجاج طلب الكفيل، وأمر بقتله فقال له: دعني أصلي ركعتين ثم أفعل ما أردت، فصلى ركعتين ثم قال: يا رب إن الرجل اطمأن إلي لأني عبد الكريم وأنت الكريم. ثم رفع السياف سيفه وأراد ضربه، وإذا بالرجل قد أقبل فقال له السياف: كيف رجعت". (١)

١٩. ٢٠-"يعمل هو به (١) .

فائدة مناسبة لهذا: حكى أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه روضة المشتاق إلى الملك الخلاق عن بعض السادة أنه قال: أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل ملك عبدا فعلمه شرائع الإسلام فأطاع وأحسن وعصى السيد، فإذا كان يوم القيامة أمر بالعبد إلى الجنة وأمر بسيده إلى النار، فيقول عند ذلك: واحسرتاه واغبناه، أما هذا عبدي، أما كنت مالكا لمهجته وماله، وقادرا على جميع ماله، فماله سعد، ومالي شقيت، فيناديه الملك الموكل: لأنه تأدب وما تأدبت، وأحسن وأسأت.

ورجل كسب مالا فعصى الله سبحانه وتعالى في جمعه ومنعه، ولم يقدمه بين يديه حتى صار المال إلى وراثه، فأحسن في أنفاقه وأطاع الله سبحانه في إخراجه، وقدمه بين يديه، فإذا كان يوم القيامة أمر

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ٦٥/٢

بالوارث إلى الجنة وبصاحب المال إلى النار، فيقول: واحسرتاه واغبناه أما هذا مالي، فمالي ما أحسنت به أحوالي، فيناديه الملك الموكل به: لأنه أطاع الله تعالى وما أطعت، وأنفق لوجهه وما أنفقت، فسعد وشقيت.

ورجل علم قوما فوعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل، فإذا كان يوم القيامة أمر بهم إلى الجنة وأمر به إلى النار، فيقول: واحسرتاه واغبناه أما هذا علمي فمالهم فازوا به وما فزت، وسلموا به وما سلمت، فيناديه الملك الموكل: لأنهم عملوا بما قلت وما عملت، فسعدوا وشقيت.

فائدة أخرى: تقدم **بعض الصالحين** ليصلي بالناس إماما فالتفت إلى المأمومين يعدل الصفوف، وقال لهم: استقيموا واستووا فغشي عليه، فسئل عن سبب ذلك فقال: لما قلت لهم استقيموا فكرت في نفسي فقلت لها: فأنت هل استقمت مع الله طرفة عين.

فائدة أخرى: ما ينبغي للإنسان ولو كان عاصيا أن يمتنع أن يعظ الناس بعد الرسول، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فإنه لو لم يعظ الناس ويعلمهم إلا معصوم من الزلل لم يعظ الناس بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أحد، لأنه لا عصمة لأحد بعده.

وقيل للحسن: إن فلانا لا يعظ ويقول: أخاف أن أقول مالا أفعل فقال الحسن: وأينا يفعل ما يقول، ود الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحدا بمعروف ولم ينه عن منكر، وقل من سلم من المعصية، من ذا الذي ما سآء قط، ومن له الحسنى قط فلا ينبغي لذلك سد باب الوعظ والتذكير. قال ذلك ابن رجب في أول اللطائف.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٦٣/١) .". (١)

٢٠. ٢١-"وجزعت.

كما قال فيها بعضهم:

كحمار السوء إن أقضمته ... رمح الناس وإن جاع نهق

ولقد صدق **بعض الصالحين** حيث قال: إن هذه النفس الخبيثة إذا همت بمعصيته أو انبعثت بشهوة، لو تشفعت إليها بالله سبحانه وتعالى، ثم برسوله - صلى الله عليه وسلم - وبجميع أنبيائه عليهم

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ٢/١٤٦

السلام، وبكتابة، وبجميع السلف الصالح من عباده، ويعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار، لا تعطي القياد ولا تترك الشهوة، نعم إذا استقبلتها بمنع رغيف تسكن وتترك شهوتها، وتعلم حسنتها وجهلها، فإياك أيها الرجل تغفل عنها، فإنها كما قال خالقها العالم بها جل جلاله الأمارة بالسوء، فكفى بقوله لمن غفل، ولقد صدق القائل:

توق نفسك لا تأمن غوائلها ... فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

فتنبه رحمك الله لهذه الخداعة الأمارة بالسوء، ووطن على مخالفتها بكل حال تصب وتسلم إن شاء الله تعالى، فإنه لا يقدر أحد على قهرها إلا بمخالفتها.

لطيفة: عن إبراهيم الخواص (١) - رضي الله عنه - قال: لقيت غلاما في التيه كأنه سبيكة فضة قلت: إلى أين يا غلام؟ قال: إلى مكة، قلت: بلا زاد ولا راحلة؟ فقال: يا ضعيف اليقين، الذي يقدر على حفظ السماوات والأرض يقدر أن يوصلني إلى مكة بلا زاد ولا راحلة، فلما دخلت مكة فإذا هو بالطواف يقول: يا نفس سبحي أبدا، ولا تحبي أحدا، إلا الخليل الصمدا، يا نفس موتى كمدا، فلما رآني قال: يا شيخ أنت بعد على ذلك الضعف من اليقين.

ولقد أحسن من قال:

يا نفس كم بخفي اللطف عاملني ... وقد رآني على ما ليس يرضاه

يا نفس كم ذلة ذلت بها قدمي ... وما أقال عثاري ثم إلا هو

يا نفس توبي إلى مولاك واجتهدي ... عسى تنالي رضاه عند لقياه

إخواني: إذا كان صفاء المواعظ لا يؤثر في قلوبكم الكدرة، ومعاول التخويف لا تقطع في نفوسكم المتجبرة، فهذا كلام ربكم يتلى عليكم في آياية المطهرة ؟فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره؟ [الزلزلة ٧، ٨] ويا غافلا عما نهاه وأمره، يا مضيعا في البطالة عمره، إلى متى تلهو وذنوبك مكتوبة

---

(١) إبراهيم الخواص هو: إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، أبو إسحاق الخواص، صوفي، وكان أوحد المشايخ في وقته، وهو من أقران الجنيد، مات في جامع الري سنة: ٢٩١ هـ، قال الخطيب البغدادي:

له كتب مصنفة والخواص: بائع الخوص.". (١)

٢١. ٢٢-"قد كثرت خطيئتك (١) .

وقد أشار إلى هذا بعضهم بقوله:

أراني بعيد الدار لا أقرب الحمى ... وقد نصبت الساهرين خيام

علامة طردي طول ليلي نائم ... وغيري يرى أن المنام حرام

وقيل: أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء أن لي عبادا يحبوني وأحبهم، ويشتاقون إلي وأشتاق لهم، ويذكروني وأذكرهم، وينظرون لي وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك، وإن عدلت عن ذلك مقتك، قال: يارب ما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى وكارها، فإذا جنهم الليل أي: سترهم، واختلط الظلام، وفرشت الفرش، وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلي أقدامهم، وافترشوا إلي وجوههم، وناجوني بكلامي وتلهفوا لي بإنعامي، فمنهم صارخ وباكي، ومنهم متأوه وشاكي، ومنهم قائم وقاعد، ومنهم راكع وساجد، فأول ما أعطيهم ثلاث خصال، الأولى: أن أقذف في قلوبهم من نوري، الثانية: أقبل بوجهي الكريم عليهم، أفترى من أقبلت عليه بوجهي أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه، الثالثة: لو كانت الأرض والسماوات في موازينهم لاستقللتها لهم (٢) .

ولله در القائل:

فإن لم يكن جفني ووجهي على الثرى ... بأبوابكم لا كان وجهي ولا جفني

ونقل عن **بعض الصالحين** أنه كان يقوم الليل فنام ليلة فقيل: قم فصل أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل فهم خزانها.

ونقل عن أبي سليمان الداراني أنه قال: نمت ليلة وإذا بجارية أيقظتني وقالت لى: تنام وأنا أراك في الجنة منذ خمسين عاما.

ومن كلامه - رضي الله عنه - كن نجما فإن لم تستطع فشمسا.

قيل: معناه إن قدرت أن تقوم الليل كله فافعل كالنجم فإنه يطلع في الليل كله، فإن لم تستطع فصل بعض الليل كالقمر يطلع بعض الليل، فإن لم تستطع فكن كالشمس تطلع نهارا أي: فلا تعص الله في

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ٢/٢٢٧

النهار.

ونقل اليافعي عن **بعض الصالحين** أنه كان يحيي الليل فنام ليلة عن ورده، فرأى في

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١/٣٥٥).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (١/٣٥٨)."(١)

٢٢. ٢٣-"والعجب» (١).

فائدة: قال في الروض الفائق: قال **بعض الصالحين**: كنت في البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامي شخصا، فسارعت حتى أدركته، فإذا هي امرأة بيدها عكاز، وهي تمشى على الهوينى، فظننت أنها أعييت، فأدخلت يدي في جيبي وأخرجت عشرين درهما، فقلت: خذيها وامكثى حتى تلحقك القافلة فتكترى بها. ثم أتيني الليلة حتى أصلح أمرك، فقالت: بيدها في الهواء هكذا فإذا في كفها دنانير من الغيب فقالت: أنت أخذت الدراهم من الجيب، وأنا أخذت الدنانير من الغيب، ثم أخذت تقول:

كم نعمة لك في العبادة ومنة ... موجودة في ذاتها لا تعدم

كم آية لك في الخلائق والنهى ... مشهورة أسرارها لا تفهم

كم حالة حولتها فتحولت ... فينا بنا عما تريد فترحم

فائدة أخرى في بيان عصا موسى وما فيها من المآرب وما اتفق له فيها من المعجزات والعجائب:

قال العلماء من المفسرين وغيرهم: لما تزوج موسى بابنة شعيب وصار يرعى له الأغنام، أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصا الأنبياء عنده فوقع في يدها عصا آدم، فأمرها بردها وأخذ غيرها، ففعلت ذلك سبع مرات وما يقع في يدها إلا هذه العصا، فعلم أن لها شأنا عظيما، وكانت من الجنة على قول أكثر العلماء، وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى، حملها آدم معه من آس الجنة إلى الأرض، فتوارثها صاغر عن كابر إلى أن وصلت إلى شعيب، فأعطاها موسى.

واختلف العلماء في اسمها، فقيل: ماسا، وقيل: نفعة، وقيل: غياث، وقيل: عليق.

وأما صفتها: فقيل: كانت لها شعبتان ومحجن في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها.

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ٢/٢٩٢

وأما المآرب التي كانت فيها فقد ذكر علماء التفسير وغيرهم:

أن موسى صلوات وسلامة عليه كان إذا دخل مغارة ليلا ومعه العصا ولم يكن قمر تضيئ شعبتاها كالشعلتين من نار تضيئان له مد البصر في رأسها.

وكان إذا أعوزه الماء دلاها في البئر، فتمتد على قدر البئر ويصير في رأسها شبه

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء (٣٨٣/١) وبين أنه موضوع.". (١)

٢٣. ٢٤-"رؤي **بعض الصالحين** في المنام بعد موته فقال نحن بحمد الله في برزخ محمود نفترش فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور

رؤي بعض الموتى في المنام فسئل عن حال الفضيل بن عياض فقال كسي حلة لا تقوم لها الدنيا بحواشيها

فأما عيش المتقين في الجنة فلا يحتاج أن يسأل عن طيبه ولذته ويكفي في ذلك قوله تعالى ﴿فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ ومعنى راضية أي عيشة يحصل بها الرضى وفسر ابن عباس هنيئا بأنه لا موت فيها يشير إلى أنه لم يهنهم العيش إلا بعد الموت والخلود فيها". (٢)

٢٤. ٢٥-"الآخرة إلا بعفوه ولا طابت الجنة إلا برؤيته ولو أن الله احتجب عن أهل الجنة لاستغاث أهل الجنة من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار

كان **بعض الصالحين** يقول ليت ربي جعل ثوابي من عملي نظرة إليه ثم يقول كن ترابا

كان علي بن الموفق يقول اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفا من نارك فعذبني بها وإن كنت تعلم أني أعبدك حبا لجنتك فاحرمنيها وإن كنت تعلم أنما عبدتك حبا مني لك وشوقا إلى وجهك الكريم

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ٣٣٣/٢

(٢) شرح حديث لبيك اللهم لبيك ص/٧٨

فأبحنيه واصنع بي ما شئت". (١)

٢٥. ٢٦-"[٢٧٨٠] ستفتح عليكم قال الشوكاني في هذا الحديث رواه بن ماجة في سننه عن أنس مرفوعا وفي إسناده داود بن المحبر وهو وضاع وفي إسناده ضعيف ومتروك اخر أيضا وقد أورده بن الجوزي في الموضوعات فأصاب ولعل هذا الحديث هو الذي يقال ان في سنن بن ماجة حديثا موضوعا (إنجاح)

قوله ستفتح عليكم الحديث أورده الرافعي في تاريخ قزوين وقال مشهور رواه عن داود جماعة منهم الحارث بن أبي أسامة وإسماعيل بن راشد وإبراهيم بن الوليد وسليمان بن خلال أبو خلاد المؤدب وأودعه الامام بن ماجة في سننه والحفاظ يقربون كتابه بالصحيحين وسنن أبي داود والنسائي ويحتجون بما فيه ورواه عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه عن إبراهيم بن الوليد عن داود لكن يحكي تضعيف داود عن أحمد وعلى بن المديني وأبي زرعة وأبي حاتم والربيع بن صبيح بفتح الضاد يروى عنه الثوري ووكيع وأبو نعيم وعبد الرحمن بن مهدي وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ان أحمد وأبا زرعة اثنيا عليه ويحيي بن معين ضعفه انتهى والحديث اورد بن الجوزي في الموضوعات من طريق بن ماجة وقال موضوع وداود وضاع والربيع ضعيف ويزيد متروك وقال المزي هو حديث منكر لا يعرف الا من رواية داود (زجاجة)

[٢٧٨١] قال أبو عبد الله بن ماجة الخ ظاهره ان المعاتب هو جاهمة لكن الصحيح ان المعاتب هو عباس بن مرداس السلمي وأبوه كما اخرج مسلم عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان منهم مائة من الإبل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع فما كان بدور لا حابس يفوقان مرداس في المجمع وما كنت دون امرأ منهما ومن يخفض اليوم لا يرفع قال فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة والعبيد اسم فرس عباس (إنجاح)

قوله

(١) شرح حديث لبيك اللهم لبيك ص/٩١

[٢٧٨٢] فارجع إليهما الخ قال في در المختار لا يفرض الجهاد على صبي وبالغ له ابوان أو أحدهما لأن طاعتهما فرض عين وقال صلى الله عليه وسلم للعباس بن مرداس لما أراد الجهاد الزم أمك فإن الجنة عند رجل أمك قلت الصواب ان السائل هو معاوية بن جاهمة السلمي أو أبوه جاهمة كما في الروايتين السابقتين والغالب على الظن ان السائل جاهمة لأن معاوية صحبته مختلف فيها وجاهمة صحابي والله أعلم (إنجاح)

قوله
[٢٧٨٤] وانا الغلام الفارسي قد علم من هذا ان الانتساب الى الجاهلية غير محمود فإن أهل فارس كانوا مشركين والأنصار شعار النبي صلى الله عليه وسلم فينبغي لكل مسلم ان لا يفتخر بأهل الجاهلية وعلم منه أيضا ان الأنصارية ليست مختصة بأوس وخزرج بل كل نصر الإسلام فهو أنصاري وإنما صارت الشهرة بهذا اللقب للأوس والخزرج للغلبة (إنجاح)

قوله
[٢٧٨٦] الخير معقود بنواصي الخيل وفي رواية المسلم معقوص ومعناهما ملوي مظفور فيها والمراد بالناصية ههنا الشعر المسترسل على الجبهة قال الخطابي وغيره قالوا وكنى بالناصية عن جميع ذات الفرس يقال فلان مبارك الناصية ومبارك الغرة أي الذات وفي هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل واقتنائها للغزو وقتال اعداد الله وان فضلها وخيرها والجهاد باق الى يوم القيامة وأما الحديث الآخر ان الشوم قد يكون في الفرس فالمراد به غير الخيل المعدة للغزو ونحوه أو ان الخير والشوم يجتمعان فيها فإنه فسر الخير بالأجر والمغنم لا يمتنع مع هذا ان يكون الفرس مما يتشاءم به (نووي)

قوله
[٢٧٨٨] في مرج هو بالتحريك الأرض الواسعة ذات نبات كثيرة قوله اسنت من الإستنان وهو العدو والشرف محركة العلو المكان العالي والشوط أو نحو ميل كذا في المجمع والقاموس قوله ولا ينسى حق ظهورها وبطونها وفي الرواية الصحيحة التي أخرجه مسلم وغيره لم ينسى حق الله في ظهورها ولا رقابها فحق الظهور إعادتها في نوائب المسلمين وحق الرقاب أداء زكاتها كما عليه أبو حنيفة وأما تأويل رعاية بطونها فلعل المل دبه تفقدها في شبعها وديها روى عن **بعض الصالحين** أنه كان يخدم فرسه بذاته

فسئل عنه فقال إني غزوت يوما عليه في سبيل الله فكان للمسلمين جولة فتقاعد الفرس فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون فقالت الفرس بلسان فصيح إنا لله وإنا إليه راجعون حين تتركني في بيتك عند جاريتك فمن يومئذ تحملت على أن أخدمها بنفسها والبذخ محركة الفخر (إنجاح)

قوله
[٢٧٨٩] خير الخيل الأدهم في المجمع الأدهم من الخيل ما يشتد سواده والأقرح هو الذي في جبهته قرحة بالضم وهو بياض يسير في وجه الفرس دون الغرة والمحجل هو الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين لأنها موضع الأحجال وهي الخلاخيل والقيود ولا يكون التحجيل باليد واليدين ما لم يكن معه رجل أو رجلان والأرثم هو ما في أنفه وشفته العليا بياض وطلق اليد هو بضم طاء ولام أي يطلقها ليس فيها تحجيل انتهى (إنجاح)

قوله فكميت وهو الفرس الذي بين السواد والحمرة وقيل الذي ذنبه وعرفه أسودان والباقي أحمر قوله على هذه الشية قال في النهاية الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره واصله من الوشي النقش والتلو عوض من الواو المحذوفة كالزنة والوزن وأصلها وشى أراد على هذه الصفة وهذا اللون من الخيل (زجاجة)

قوله
[٢٧٩٠] يكره الشكال بكسر الشين قال في القاموس الشكال ككتاب اسم للحبل الذي يشد به قوائم الدابة وفي الخيل أن يكون ثلاث قوائم منه محجلة والواحدة مطلقة وعكسه أيضا انتهى وقال في النهاية إنما سمى شكالا تشبيها بالشكال الذي يشكل به الخيل لأنه يكون في ثلاثة قوائم غالبا وقيل ان يكون إحدى يديه وإحدى رجليه من خلاف محجلتين وهو ظاهر عبارة الكتاب ويمكن حمله على المعنى الأول فافهم ووجه كراهة الشكال مفوض الى علم الشارع وقال في النهاية إنما كرهه لأنه كالمشكول صورة تفاؤلا ويمكن ان يكون قد جرب ذلك الجنس فلم يكن فيه نجابة وقيل إذا كان مع ذلك اغر زالت الكراهة لزوال شبه الشكال كذا في اللمعات (إنجاح)

قوله

[٢٧٩٢] من رجل مسلم بيان من من قاتل أي الإسلام شرط لنيل هذه البشارة إنجاح الحاجة

قوله". (١)

٢٦. ٢٧-"[٤١٣٠] الأكثرون هم الاسفلون أي في الدرجة السفلى من فقراء أهل الإسلام الا من يصرف ماله في رضاء الرب المولى كما يأتي في حديث آخر ويستفيد من لفظ هكذا وهكذا هذا المعنى (إنجاح)

[٤١٣٢] أرصده في قضاء دين أي امسكه لقضاء دين لو لم يكن الدائن حاضرا عندي وإنما قال يأتي على ثالثة لأنه لا بد لتقسيم هذا المقدار من زمان والا فكان لا يأتي عليه الا كان يقسمه فإن في رواية البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العصر فتخطى رقاب بعض الناس الى حجر بعض نسائه واعتذر بأنه خلف بالبيت تبرأ من الصدقة فكره ان يبيته (إنجاح)

قوله
[٤١٣٣] وعجل له القضاء أي الموت ثم لا يخفى ان ظاهر هذا الحديث يخالف ما ورد في رواية أخرى لأحمد والترمذي والدارمي عن أبي بكرة ان رجلا قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وكذلك ما صح من ان أخوين ماتا فقتل أحدهما في سبيل الله ومات الثاني بعد جمعة ففضل النبي صلى الله عليه وسلم الثاني وقال أين صلاته بعد صلاته وعمله بعد عمله أو قال صومه بعد صومه لما بينهما كبعد ما بين السماء والأرض كما في رواية أبي داود والنسائي قلت يختلف هذاالامر باعتبار الأشخاص والاحوال فرجل كثرة المال وطول العمر خير له وآخر عكس ذلك وتقدير ذلك الى مقدر الأمور حيث قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغو في الأرض ونطق بمثل قولنا الحديث الوارد في ذلك فأهل الأعمال يعطون اجورهم على اعمالهم فطول العمر وكثرة المال خير لهم بشرط الامن عن الفساد واما العارفون فجزاءهم لا يتوقف على أعمال البر بل يفضلون على حسن عرفانهم ولا يخفى ان المعرفة تزيد في البرزخ ثم في العرصات ثم في دار الخلود ساعة فساعة فحينئذ يصلون الى كمال المعرفة وهو التقرب ورؤية الله تعالى فيكون الموت نافعا لهم كما حققه الشيخ المجددي رضي الله

---

(١) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره ص/٢٠٠

عنه في مكاتيبه واما الأبرار فحالهم خلاف حال المقربين لأنه بالموت تنقطع اعمالهم وطول العمر لهذا المعنى خير لهم وبين الحالتين بون بعيد ووجه الفرق ان أعمال الأبرار لا تكون الا لطلب الجنة والهرب من النار وأهل العرفان لا يلفتون الى شيء من ذلك بل لو فرض ان الله تعالى لا يعذب أحدا من المخلوقين كان طاعتهم أشد من السابق أو مثله روى عن **بعض الصالحين** انه حضر عند موت بن الفارض رض فعرض للشيخ بن الفارض الجنات العلى والحور والقصور فاشمأز عن ذلك وبكى وقال رحمة الله عليه لو كان منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت ضيعة أيام امنية ظفرت وروحي بها رضاء اليوم احسبها اضغاث احلام فزال عنه ذلك فسر وقضى نحبه رحمه الله تعالى (إنجاح)

قوله

[٤١٣٤] يستمنحه ناقة في القاموس منحه كمنعه وضربه أعطاه ومنحه الناقة جعل له وبرها وولدها وهي المنيحة واستمنحه طلب عطية ولعله كان ذلك لفقراء أهل الصفة وغيرهم والله اعلم (إنجاح)

قوله

[٤١٣٥] تعس عبد الدينار وعبد الدراهم أي هلك ومنه قوله تعالى ان الذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم قوله لم يف أي بيعة الامام (إنجاح)

قوله تعس عبد الدينار وقال النووي هو بفتح عين وكسرها أي عثر أو هلك أو لزمه الشر أقوال انتهى قال الطيبي وقد يفتح العين وانتكس أي انقلب على رأسه وهو دعاء بالانقلاب واعاد تعس الذي هو الانكباب على الوجه ليضم معه الانعكاس الذي هو من الانقلاب على الرأس ليترقى من الاهون الى الاغلظ وإذا شيك أي شاكته شوكة فلا انتقش أي لا يقدر على انتقاشها وهو اخراجها بالمنقاش أي إذا وقع في البلاء لا يرحم عليه إذ بالترحم بما هان الخطب عليه وخص انتقاش الشوك لأنه اهون ما يتصور من المعاونة فإذا نفى فما فوقها أولى انتهى

قوله وانتكس أي بقي في النار منكسا رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة أو انتكس امره لأن من انتكس امره فقد خاب قوله وإذا شيك فلا انتقش أي إذا أدخلت فيه شوكة فلا أخرجها أي إذا وقع في البلاء لا يرحم عليه وهو ببناء المجهول في الفعلين هذا دعاء عليه منه صلى الله عليه وسلم (إنجاح)

قوله قد افلح من هدى الى الإسلام ورزق الكفاف قال في النهاية الكفاف مالا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة وقال الطيبي رزق الكفاف أي قوت يكفه عن الجوع أو عن السوال وهو يختلف باختلاف الأشخاص والازمان والإسلام يشمل جميع فروعه فالحديث من جوامع الكلم انتهى

قوله

[٤١٤٠] ما من غني ولا فقير الخ هذا الحديث أورده بن الجوزي في الموضوعات واعله بنفيع فإنه متروك وهو مخرج في مسند أحمد وله شواهد من حديث بن مسعود أخرجه الخطيب في تاريخه (زجاجة

قوله امنا في سربه هو بالكسر أي في نفسه هو واسع السرب أي رخى البال ويورى بالفتح وهو المسلك والطريق مصباح الزجاجة

قوله فكأنما حيزت له الدنيا أي جمعت واعطيت من حازه يحوزه إذا قبضه وملكه واستبد به أي فلا ينبغي له ان يصرف همته الى رزق الغد فأنه الى الان ما احتاج اليه فكما ان الله تعالى رزقه اليوم يقدر عليه بعد ذلك أيضا قيل الخير كله في كلمة واحدة لا تطلب ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت إنجاح الحاجة

قوله". (١)

٢٧. ٢٨-"ومحبة العبد لخالقه هى التزام طاعته والانتهاء عن معاصيه لقوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) [آل عمران: ٣١] ، وكذلك محبة رسول الله هى التزام شريعته واتباع طاعته، ولما لم نصل إلى الإيمان إلا بالرسول، كانت محبته من الإيمان، وقد سئل **بعض الصالحين** عن المحبة ما هى؟ فقال: مواطأة القلب لمراد الرب، أن توافق الله، عز وجل، فتحب ما أحب وتكره ما كره. ونظم محمود الوراق هذا المعنى فقال: تعصى الإله وأنت تظهر حبه لو كان حبا صادقا لأطعته هذا لعمرى فى القياس بديع إن المحب لمن يحب مطيع وقوله (صلى الله عليه وسلم) : تمت أن يحب

(١) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره ص/٣٠٥

المرء لا يحبه إلا لله -، فمن أجل أن الله قد جعل المؤمنين إخوة، وأكد النبى، (صلى الله عليه وسلم) ، كلامه بقوله: تمت لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر، ولكن خلة الإسلام أفضل - وقال (صلى الله عليه وسلم) : تمت سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله - فعد منهم: تمت رجلين تحابا فى الله -، والمراد بالحديث: الحث على التحاب فى الله والتعاون على البر والتقوى، وما يؤدى إلى النعيم الدائم. قال الطبرى: فإن قيل: فهل حب المرء اكتساب للعبد أم غريزة وجبلة؟ فإن قلت: إن ذلك اكتساب للعبد، إذا شاء أحب وإذا شاء أبغض، قيل: فما وجه الخبر الوارد: تمت أن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها؟ - وإن قلت: إن ذلك جبلة وغريزة، فما وجه قوله (صلى الله عليه وسلم) : تمت لا يجد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله؟ - فالجواب: أن الله". (١)

٢٨. ٢٩-"٦ - باب المصلي يناجي ربه عز

/ ٩ - فيه: أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن أحدكم إذا صلى يناجي ربه، فلا يتفلن عن يمينه، ولكن تحت قدمه اليسرى) . فيه: فضل الصلاة على سائر الأعمال؛ لأن مناجاة الله لا تحصل للعبد إلا فى الصلاة خاصة، فينبغى له إحضار النية فيها وترك خواطر الاشتغال عنها، ولزوم الخشوع ولا يقدر على ذلك إلا بعون الله له. وقال **بعض الصالحين**: إذا قمت إلى الصلاة فاعلم أن الله يقبل عليك، فأقبل على من هو مقبل عليك، واعلم أنه قريب منك، ناظر إليك، فإذا ركعت فلا تأمل أنك ترفع، وإذا رفعت فلا تأمل أنك تضع، ومثل الجنة عن يمينك والنار عن شمالك والصراط تحت قدمك، فإذا فعلت كنت مصليا.

٧ - باب الإبراد بالظهر في شدة الحر

/ ١٠ - فيه: أبو هريرة، عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: (إذا اشتد الحر، فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم) . / ١١ - وزاد، أبو هريرة:: (واشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير) . / ١٢ - وفيه: أبو ذر قال: أذن مؤذن النبي عليه السلام، الظهر فقال: (أبرد، أبرد - أو قال: انتظر انتظر - وقال: شدة الحر من فيح جهنم، فإذا اشتد الحر، فأبردوا

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال ٦٧/١

عن الصلاة، حتى رأينا فيء التلول) .". (١)

٢٩. ٣١-"في بعض الأصول منسوبا وفي الإيمان لابن منده من طريق أبي زرعة الراوي عن يحيى بن بكير وعبد الله بن صالح جميعا عن الليث، وساقه بلفظ عبد الله بن صالح، وقد رواه موصولا من طريق عبد الله بن صالح وحده البزار عن محمد بن إسحاق الصاغاني والطبراني في (الأوسط) عن مطلب بن شعيب وابن منده في كتاب الإيمان من طريق يحيى بن عثمان، ثلاثتهم عن عبد الله بن صالح فذكره، وزاد بعد قوله: (استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك) ، وتابع عبد الله بن صالح على هذه الزيادة عبد الله بن عبد الحكم عن الليث أخرجه ابن منده أيضا. قوله: (بحلقة الباب) أي: باب الجنة، أو هو مجاز عن القرب إلى الله. قوله: (مقاما محمودا) هو مقام الشفاعة العظمى التي اختصت به لا شريك له في ذلك، وهو إراحة أهل الموقف من أهواله بالقضاء بينهم والفراغ من حسابهم. قوله: (أهل الجمع) أي: أهل المحشر، وهو يوم مجموع فيه جميع الناس من الأولين والآخرين.

ومما يستفاد منه: ما نقل ابن بطال عن المهلب، فهم البخاري أن الذي يأتي يوم القيامة لا لحم في وجهه من كثرة السؤال، إنه للسائل تكثرا لغير ضرورة إلى السؤال، ومن سأل تكثرا فهو غني لا تحل له الصدقة وإذا جاء يوم القيامة لا لحم على وجهه فتؤذيه الشمس أكثر من غيره، ألا ترى قوله في الحديث: (الشمس تدنو حتى يبلغ العرق) ، فحذر صلى الله عليه وسلم من الإلحاف في المسألة لغير حاجة إليها وأما من سأل مضطرا فمباح له ذلك إذا لم يجد عنها بدا ورضي بما قسم له ويرجي أن يؤجر عليها. وقال في موضع آخر: يبلغ عرق الكافر، فإما أن يكون سكت عنه للتتابع في الموعظة ولا يقول إلا الحق، أو سقط عن الناقل أو أخبر في وقت بذلك مجملا ثم حدث به مفسرا.

وقال معلى حدثنا وهيب عن النعمان بن راشد عن عبد الله بن مسلم أخي الزهري عن حمزة سمع ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في المسئلة

هذا تعليق ذكره عن معلى، بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد اللام المفتوحة: ابن أسد، مر في: باب المرأة تحيض، عن وهيب تصغير وهب بن خالد عن النعمان بن راشد الجزري الرقي عن عبد الله بن مسلم أخي محمد بن مسلم الزهري عن حمزة ابن عبد الله عن عبد الله بن عمر، ووصل هذا التعليق البيهقي: أخبرنا أبو الحسين القطان حدثنا ابن درستويه حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا معلى بن

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال ١٥٨/٢

أسد حدثنا وهيب عن النعمان بن راشد عن عبد الله بن مسلم أخي الزهري عن حمزة بن عبد الله عن عبد الله بن عمر، رضي الله تعالى عنهما، قال: قال لنا ابن عمر: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (ما تزال المسألة بالرجل حتى يلقى الله وما في وجهه مزعة لحم) .

قوله: (في المسألة) أي: في الجزء الأول من الحديث ولم يرو الزيادة التي لعبد الله بن صالح، وفي هذا الحديث أن هذا الوعيد يختص بمن أكثر السؤال إلا من ندر ذلك منه، ويؤخذ منه جواز سؤال غير المسلم، لأن لفظ الناس في الحديث يعم، قاله ابن أبي حمزة، ويحكى عن **بعض الصالحين** أنه كان إذا احتاج سأل ذميا لئلا يعاقب المسلم بسببه لو رده.

٣٥ - (باب قول الله تعالى ﴿لا يسألون الناس إلحافا (البقرة: ٣٧٢) .)

أي: هذا باب في ذكر قول الله تعالى: ﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾ (البقرة: ٣٧٢) . لأجل مدح من لا يسأل الناس إلحافا. أي: سؤالا إلحافا أي: إلحاحا وإبراما. قال الطبري: ألحف السائل في مسألته إذا ألح فهو ملحف فيها. وقال السدي: لا يلحفون في المسألة إلحافا، وهذا من آية كريمة في سورة البقرة أولها قوله تعالى: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ (البقرة: ٣٧٢) . قال المفسرون: قوله تعالى: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ (البقرة: ٣٧٢) . يعني المهاجرين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله وسكنوا المدينة، وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم. ﴿ولا يستطيعون ضربا في الأرض﴾ (البقرة: ٣٧٢) . يعني: سفرا للتسبب في طلب المعاش، والضرب في الأرض هو السفر. قال تعالى: ﴿وآخرون يضربون في الأرض﴾ (المزمل: ٠٢) . ومعنى عدم استطاعتهم أنهم كانوا يكرهون المسير لئلا". (١)

٣٠. ٣٢-"لأنه يوم يجمع فيه الناس كلهم وسيأتي بقية الكلام على المقام المحمود في تفسير سورة سبحان إن شاء الله تعالى قوله وقال معلى بضم الميم وفتح المهملة وتشديد اللام المفتوحة وهو بن أسد وقد وصله يعقوب بن سفيان في تاريخه عنه ومن طريقه البيهقي وآخر حديثه مزعة لحم وفيه قصة

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٩/٥٨

لحمزة بن عبد الله بن عمر مع أبيه في ذلك ولهذا قيده المصنف بقوله في المسألة أي في الشق الأول من الحديث دون الزيادة ورويناه أيضا في معجم أبي سعيد بن الأعرابي قال حدثنا حمدان بن علي عن معلى بن أسد به وفي هذا الحديث أن هذا الوعيد يختص بمن أكثر السؤال لا من ندر ذلك منه ويؤخذ منه جواز سؤال غير المسلم لأن لفظ الناس يعم قاله بن أبي جمرة وحكي عن **بعض الصالحين** أنه كان إذا احتاج سأل ذميا لئلا يعاقب المسلم بسببه لو رده". (١)

٣١. ٣٣-"قال كان محمد يعني بن سيرين إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال صف لي الذي رأيته فإن وصف له صفة لا يعرفها قال لم تره وسنده صحيح ووجدت له ما يؤيده فأخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثني أبي قال قلت لابن عباس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قال صفه لي قال ذكرت الحسن بن علي فشبهته به قال قد رأيته وسنده جيد ويعارضه ما أخرجه بن أبي عاصم من وجه آخر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فإني أرى في كل صورة وفي سنده صالح مولى التوأمة وهو ضعيف لاختلاطه وهو من رواية من سمع منه بعد الاختلاط ويمكن الجمع بينهما بما قال القاضي أبو بكر بن العربي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة وإدراك الصفات إدراك المثل قال وشذ بعض القدرية فقال الرؤيا لا حقيقة لها أصلا وشذ **بعض الصالحين** فزعم أنها تقع بعيني الرأس حقيقة وقال بعض المتكلمين هي مدركة بعينين في القلب قال وقوله فسيراني معناه فسيرى تفسير ما رأى لأنه حق وغيب ألقي فيه وقيل معناه فسيراني في القيامة ولا فائدة في هذا التخصيص وأما قوله فكأنما رآني فهو تشبيه ومعناه أنه لو رآه في اليقظة لطابق ما رآه في المنام فيكون الأول حقا وحقيقة والثاني حقا وتمثيلا قال وهذا كله إذا رآه على صورته المعروفة فإن رآه على خلاف صفته فهي أمثال فإن رآه مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائي وفيه وعلى العكس فبالعكس وقال النووي قال عياض يحتمل أن يكون المراد بقوله فقد رآني أو فقد رأى الحق أن من رآه على صورته في حياته كانت رؤياه حقا ومن رآه على غير صورته كانت رؤيا تأويل وتعقبه فقال هذا ضعيف بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة أو غيرها انتهى ولم يظهر لي من كلام القاضي ما ينافي ذلك بل ظاهر

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٣/٣٤٠

قوله أنه يراه حقيقة في الحالين لكن في الأولى تكون الرؤيا مما لا يحتاج إلى تعبير والثانية مما يحتاج إلى التعبير قال القرطبي اختلف في معنى الحديث فقال قوم هو على ظاهره فمن رآه في النوم رأى حقيقته كمن رآه في اليقظة سواء قال وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى من قبره فيه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل وقالت طائفة معناه أن من رآه رآه على صورته التي كان عليها ويلزم منه أن من رآه على غير صفته أن تكون رؤياه من الأضغاث ومن المعلوم أنه يرى في النوم على حالة تخالف حالته في الدنيا من الأحوال اللائقة به وتقع تلك الرؤيا حقا كما لو رؤى ملأ دارا بجسمه مثلا فإنه يدل على امتلاء تلك الدار بالخير ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشيء مما كان عليه أو ينسب إليه لعارض عموم قوله فإن الشيطان لا يتمثل بي فالأولى أن تنزه رؤياه وكذا رؤيا شيء منه أو مما ينسب إليه عن ذلك فهو أبلغ في الحرمة وأليق بالعصمة كما عصم من الشيطان في يقظته قال والصحيح في تأويل هذا الحديث أن مقصوده أن رؤيته في كل حالة ليست باطلة ولا أضغاثا بل هي حق في نفسها ولو رؤي على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان بل هو من قبل الله وقال وهذا قول القاضي أبي بكر بن الطيب وغيره ويؤيده قوله فقد رأى الحق أي رأى الحق الذي قصد إعلام الرائي به فإن كانت على ظاهرها وإلا". (١)

٣٢. ٣٤-"٢٥٢ - (أحسن الناس قراءة) للقرآن القارئ (الذي إذا قرأ رأيت) أي علمت (أنه يخشى الله) أي يخافه لأن القراءة حالة تقتضي مطالعة جلال الله وعرفان صفاته ولذلك الحال آثار تنشأ عنها الخشية من وعيد الله وزواجر تذكيره وقوارع تخويفه فمن تلبس بهذا الحال وظهرت عليه هيبة الجلال فهو أحسن الناس قراءة لما دل عليه حاله من عدم غفلة قلبه عن تدبر مواعظ ربه وخشية الله سبب لولوج نور اليقين في القلب والتلذذ بكلام الرب ولم يكن كذلك فالقرآن لا تجاوز حنجرته (٢) قال بعض الكاملين كان طفل يقرأ على **بعض الصالحين** القرآن فرآه مصفر اللون فسأل عنه فقالوا

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٣٨٤/١٢

(٢) تنبيه

يقوم الليل بالقرآن كله فقال له في هذه الليلة أحضرني في قبلتك واقرأ علي القرآن في صلاتك ولا تغفل عني فلما أصبح قال له ختمت القرآن كالعادة قال لم أقدر على أكثر من نصفه فقال في هذه الليلة اجعل من شئت من الصحب الذين سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم واقرأ عليه ففعل فلم يمكنه إلا قراءة نحو ربعه فقال اقرأ الليلة على من أنزل عليه ففعل فلم يقدر على أكثر من جزء فقال له الليلة استحضر أنك تقرؤه على جبريل الذي نزل به واعرف قدر من تقرأ عليه ففعل فلم يقدر إلا على سورة فقال الليلة تب إلى الله وتأهب واعلم أن المصلي يناجي ربه واقف بين يديه فانظر حظك من القرآن وحظه وتدبر ما تقرأ فليس المراد جمع الحروف بل تدبر المعاني ففعل فأصبح مريضا فعاده أستاذه فلما أبصره الشاب بكى وقال جزاك الله عني خيرا ما عرفت أني كاذب إلا البارحة لما استحضرت الحق وأنا بين يديه أتلو عليه كلامه فوصلت إلى إياك نعبد لم أر نفسي تصدق في قولها فاستحييت أن أقول إياك نعبد وهو يعلم كذبي وصرت أردد في القراءة كلامه إلى مالك يوم الدين حتى طلع الفجر وقد احترق كبدي وما أنا إلا راحل له على حالة لا أرضاها من نفسي فمات فدفن فأتاه أستاذه فناداه فأجابه من القبر يا أستاذ أنا حي قدمت على حي فلم يحاسبني في شيء فقام مريضا فلحق به

(محمد بن نصر في) كتاب (الصلاة هب خط عن ابن عباس) وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي قال الذهبي: ضعفوه (السجزي) بكسر السين المهملة وسكون الجيم وزاي نسبة إلى سجستان على غير قياس (في) كتاب (الابانة) في أصول الديانة (خط) في ترجمة محمد بن وزير الرشيد (عن ابن عمر) بن الخطاب وفيه حميد بن حماد قال ابن عدي: يحدث عن الثقات بالمناكير (فر عن عائشة) رضي - [١٩١]- الله تعالى عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أحسن صوتا بالقرآن فذكره وفيه يحيى بن عثمان ابن صالح قال ابن أبي حاتم تكلموا فيه وابن لهيعة فيه لين لكن بتعدد طرقه يتقوى فيصير حسنا وظاهر صنيع المؤلف أن هذا لم يخرج في أحد الستة وإلا لما عدل إلى قول مغلطاي وغيره ليس لمحدث أن يعزو حديثا لغير أصحاب الكتب الستة وهو فيها إلا أن تكون فيه زيادة أو شبهها ما إذا لم يكن كذلك فلا يجوز إلا عند من لم يكن محدثا وقد خرجه ابن ماجه عن جابر بلفظ " أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى قال الحافظ العراقي وسنده ضعيف وقد رواه البزار بسند كما قال الحافظ الهيتمي رجاله رجال الصحيح فحذفه الصحيح واقتصاره

على المعلول من التقصير". (١)

٣٣. ٣٥-"٢١٦١ - (إن أبغض الخلق إلى الله العالم) الذي (يزور العمال) عمال السلطان الذين يعملون ما لا يحل لأن زيارتهم توجب مداهنتهم والتشبه بهم والانحلال إلى بيع الدين بالدنيا ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه **بعض الصالحين** عافاك الله قد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يرحمك ويدعو لك وأيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك أنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك منه اتخذوك قطبا يدور عليك رحا باطلهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقودون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا عليك في جنب ما خربوا عليك فدا ودينك فقد دخله سقم ولا يخفى على الله من شيء والسلام وقال حكيم: الذئاب على العذرة أحسن من عالم على أبواب هؤلاء (٢) قال الغزالي: العالم المحتاج غليه في الدين محتاج في صحبة الخلق إلى أمرين شديدين أحدهما صبر طويل وحلم عظيم ونظر لطيف واستغاثة بالله دائمة الثاني أن يكون في هذا المعنى منفردا عنهم فإن كان بالشخص معهم وإن كلموه كلمهم أو زاروه وعظهم وشكرهم أو أعرضوا عنه اغتنتم ذلك فإن كانوا في خير وحق ساعدهم وإن صاروا إلى لغو وشر هاجرهم بل زجرهم إن رجى قبولهم ثم يقوم بحقهم من نحو زيارة وعيادة وقضاء حاجة ما أمكنه ولا يطالبهم بما فاته ولا يرجوها منهم ولا يريهم من نفسه استيحاشا لذلك ويباسطهم بالبذل إذا قدر وينقبض عنهم في الأخذ إن أعطى ويتحمل أذاهم ويظهر لهم البشر ويتجمل لهم بظاهره ويكتم حاجته عنهم فيقاسيها ويعالجها في سره ثم يحتاج مع ذلك أن ينظر لنفسه خاصة ويجعل لها حظا من العبادة وله في المعنى أبيات وهي:

فإن كنت في هدي الأئمة راغبا. . . فوطن على أن ترتكبك الوقائع

لسانك مخزون وطرفك ملجم. . . وسرك مكتوم لدى الرب ذائع

بنفس وقور عند كل كريهة. . . وقلب صبور وهو في الصدر قانع

وذكرك مغموم وبابك مغلق. . . وثغرك بسام وبطنك جائع

وقلبك مجروح وسوقك كاسد. . . وفضلك مدفون وطعنك شائع

---

(١) فيض القدير ١/١٩٠

(٢) تنبيه

وفي كل يوم أنت جارع غصة. . . من الدهر والإخوان والقلب طائع

نهارك شغل الناس من غير منة. . . وليلك سوق غاب عنه الطلائع

(ابن لال) أبو بكر أحمد بن علي الفقيه وكذا الديلمي (عن أبي هريرة) وفيه محمد بن إبراهيم السياح شيخ ابن ماجه قال الذهبي قال البرقاني سألت عنه الدارقطني فقال كذاب وعصام بن رواد العسقلاني قال في الميزان لينه الحاكم وبكير الدامعاني منكر الحديث". (١)

٣٤. ٣٦-"٣٣٨٠ - (تواضعوا) للناس بلين الجانب وخفض الجناح (وجالسوا المساكين) والفقراء جبرا وإيناسا فإنكم إن فعلتم ذلك (تكونوا من كبراء الله) أي الكبراء عنده الذين يفيض عليهم رحمته (وتخرجوا من الكبر) فإنه من تواضع لله رفعه الله قال في الحكم: من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا إذ ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع بل المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع وقال ابن عربي: التواضع سر من أسرار الله منحه الله النبيين والصديقين وليس كل من تواضع تواضع ولا تنظر أن هذا التواضع الظاهر على أكثر الناس **وبعض الصالحين** هو التواضع بل هو تملق لسبب غاب عنك وكل يتملق على قدر مطلوبه وقال العارف الفضيل: من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب وقال زروق: الكبر اعتقاد المزيد وإن كان في أدنى درجات الضعة والتواضع عكسه هذا هو الحقيقة وهو عند أهل الرسوم والعموم ما يقدر عليه أرباب الفطنة والكياسة من شبه التملق

(حل عن ابن عمر) بن الخطاب". (٢)

٣٥. ٣٧-"في التنزيل بالغفار، والغفور. والغافر. والفرق بينها، أن الغافر يدل على اتصافه بالمغفرة مطلقا، والغفار، والغفور يدلان عليه مع المبالغة، والغفار أبلغ لما فيه من زيادة الثناء، ولعل المبالغة في الغفور، باعتبار الكيفية، وفي الغفار باعتبار الكمية وهو قياس المشدد للمبالغة في النعوت، والأفعال، وقال **بعض الصالحين**: أنه غافر لأنه يزيل معصيتك من ديوانك، وغفور لأنه ينسي الملائكة أفعالك، وغفار لأنه ينسيك ذنبك حتى كأنك لم تفعله، وقال آخر: أنه غافر لمن له علم اليقين، وغفور لمن له

---

(١) فيض القدير ٢/٤٠٧

(٢) فيض القدير ٣/٢٧٣

عين اليقين، وغفار لمن له حق اليقين ".

"القهار" هو الذي لا موجود إلا وهو مقهور تحت قدرته مسخر لقضائه عاجز في قبضته، ومرجعه إلى القدرة فيكون من [صفات]". (١)

٣٦. ٣٨-"وقيل: نحو ثلاثة أيام بلغه أنه وقع بينهم بسببه فتنة، فقوم يريدون دخوله، وآخرون يكرهونه. وكان له أقرباء بها فنزل بها حتى ينجلي الأمر فأقام أياما فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون خروجه إليهم ؛ فأجاب، وتهيأ للركوب، ولبس خفيه، وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة إلى الدابة ليركبها قال: أرسلوني فقد ضعفت فأرسلوه فدعا بدعوات، ثم اضطجع فقضى فسال منه عرق كثير لا يوصف، وما سكن العرق حتى أدرج في أكفانه. وقيل: ضجر ليلة فدعا بعد أن فرغ من صلاة الليل اللهم قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك فمات عن غير ولد ذكر ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنتين وستين سنة، وكانت ولادته يوم الجمعة بعد صلاة العصر في شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة، ولما صلي عليه، ووضع في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك جعل الناس يختلفون إلى قبره مدة يأخذون من تراب قبره، ويتعجبون من ذلك، قال بعضهم: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومعه جماعة من أصحابه، وهو واقف فسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت: ما وقوفك هنا يا رسول الله؟ قال: أنتظر محمد بن إسماعيل. قال: فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرت فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها، وبعد نحو سنتين من موته استسقى أهل سمرقند مرارا فلم يسقوا فقال بعض الصالحين لقاضيها: أرى أن تخرج بالناس إلى قبر البخاري، ونستسقي عنده فعسى الله أن يسقينا ففعل، وبكى الناس عند القبر، وتشفعوا بصاحبه فأرسل الله تعالى عليهم السماء بماء غزير أقام الناس من أجله نحو سبعة أيام لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر.

ثم اعلم أن في زمن الصحابة، وكبار التابعين لم تكن الأحاديث مدونة ؛ لنهيه - عليه الصلاة والسلام - أصحابه من كتابة الحديث مخافة خلطه بالكلام القديم، وأيضا دائرة حفظهم كانت واسعة ببركة صحبته، وقرب مدته، وأيضا أكثرهم لم يكونوا عارفين بصنعة الكتابة، فظهر في آخر عصر التابعين تدوين الأحاديث، والأخبار، وتصنيف السنن، والآثار، وتصدوا لهذا الأمر الشريف كالزهري، وربيع

---

(١) قوت المغتذي على جامع الترمذي ٨٩٧/٢

بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهم، وكان دأبهم تصنيف كل باب على حدة إلى عهد كبار أهل الطبقة الثالثة، فألفوا الحديث على ترتيب أبواب الفقه، فصنف الإمام مالك مقدم أهل المدينة موطأه، وجمع فيه أحاديث أهل الحجاز مما ثبت وصح عنده، وأدرج فيه أقوال الصحابة، وفتاوى التابعين، ومن بعدهم. وصنف من أهل مكة: أبو حامد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج. ومن أهل الشام: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي. ومن أهل الكوفة سفيان الثوري. ومن البصريين أبو سلمة حماد بن سلمة، وبعدهم كل واحد من أعيان العلماء المجتهدين ألف كتابا. وكتب أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة، وغيرهم من كبراء المحدثين مسانيدهم، وبعضهم على ترتيب أبواب الفقه، لكن في الكتب المذكورة لم يميز الصحيح، والضعيف، ولما اطلع البخاري على تصانيفهم حصل له العزم بطريق الجزم لتحصيل الحزم على تأليف كتاب يكون جميع أحاديثه صحيحة، وقد روي عنه أنه قال: كنت عند شيخي إسحاق بن راهويه يوما فقال: لو جمعتم كتابا مختصرا بصحيح سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – فوقع في قلبي تصنيف كتاب في هذا الباب، وتقدم رؤياه أيضا، فشرع فيه، فلما كمله عرضه على مشايخه مثل إسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم استحسنوه، وشهدوا بصحة كتابه، وأنه لا نظير له في بابه، واستثنوا أربعة أحاديث". (١)

٣٧. ٣٩-"١٢٢١ – وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فقيل له: ما زال نائما حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة، قال: " ذلك رجل بال الشيطان في أذنه " أو قال: " في أذنيه» . متفق عليه.

١٢٢١ – (وعن ابن مسعود قال: ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فقيل) : قال الطيبي: الفاء تفسير، أي: " له "كما في نسخة، أي لأجله، وفي حقه أو للنبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن حجر، أي عنه تفسير لما ذكر به. (ما زال) ، أي: الرجل (نائما حتى أصبح) ، أي: صار أو دخل في الصبح (ما قام إلى الصلاة) ، أي: صلاة الليل أو صلاة الصبح، قال الطيبي: يحتمل أن تكون (أصبح) تامة، و (ما قام) في محل النصب حالا من الفاعل، أي أصبح، وحاله أنه غير قائم إلى

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/١٧

الصلاة، ويحتمل أن تكون ناقصة، و (ما قام) خبرها، ويحتمل أن تكون (ما قام) جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى، أو مؤكدة مقررة لها. (قال) : صلى الله عليه وسلم (" ذلك رجل بال الشيطان في أذنه ") : بالإفراد للجنس وهو بسكون الذال وضمه، شبه تثاقل أذنه وعدم انتباهه بصوت المؤذن بحال من يبال في أذنه فثقل سمعه وفسد حسه، والبول ضار مفسد، قاله الخطابي، وقال التوربشتي: إنها كناية عن استهانة الشيطان والاستخفاف به، فإن من عادة المستخف بالشيء غاية الاستخفاف أن يبول به، وخص الأذن ؛ لأن الانتباه أكثر ما يكون باستماع الأصوات، قال الطيبي في النهاية: يحتمل أن يقال أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فأحدث في أذنه وقرا عن استماع دعوة الحق، قيل: خص الأذن بالذكر، والعين أنسب بالنوم إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامع موارد الانتباه بالأصوات ونداء حي على الفلاح، وخص البول من الأخبثين ؛ لأنه مع خباثته أسهل مدخلا في تجاويف الخروق والعروق ونفوذه فيها، فيورث الكسل في جميع الأعضاء. (أو قال) : أي في رواية جرير، قاله العسقلاني. (" في أذنيه ") : بالتثنية للمبالغة، قال ابن الملك، أي جعله خبيثا لا يقبل الخير، وجعله مسخرا ومطيعا للشيطان يقبل ما يأمره من ترك الصلاة وغيرها، وقيل البول على حقيقته لما روي عن **بعض الصالحين** ممن نام عن الصلاة، فإنه رأى في المنام كأن شخصا أسود جاء فشغر برجله فبال في أذنيه. وعن الحسن البصري: لو ضرب بيده إلى أذنيه لوجدها رطبة. (متفق عليه) : قال ميرك: ورواه النسائي وابن ماجه، وابن حبان.". (١)

٣٨. ٤٠-"(القهار) : أي: الذي لا موجود إلا وهو مقهور تحت قدرته مسخر لقضائه، وقدره قال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] ومرجعه إلى القدرة، وقيل: هو الذي أذل الجبابرة وقصم ظهورهم بالإهلاك نحوه، فهو من أسماء الأفعال، وما أحسن قول من قال: هو من اضمحلت عند صولته صولة كل متمرد أو جبار، وبادت عند سطوته قوى الملوك وأرباب التفاخر والاستكبار، لاسيما عند قوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر: ١٦] فأين الجبابرة الأكاسرة عند ظهور هذا الخطاب؟ وأين الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون في هذا العتاب؟ وأين أهل الضلال والإلحاد والتوحيد والإرشاد؟ وأين آدم وذريته وإبليس وشيعته، وكأنهم بادوا وانقرضوا، وكأنهم لم يغنوا، زهقت النفوس، وبلغت الأرواح، وتبددت الأجسام والأشباح، وبقي الموجود الذي لم

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/٩٢٢

يزل ولا يزال، وما عداه بادوا عن آخرهم، وتفرقت منهم الأعضاء والأوصال، واعلم أن الله تعالى قهر نفوس العابدين بحقوق عبوديته، وقلوب العارفين بسطوة قربته، وأرواح الواجدين بكشف حقيقته، فالعابد بلا نفس لاستيلاء سلطان أفعاله عليه، والعارف بلا قلب، لاستيلاء سلطان إقباله عليه، والواحد بلا روح لاستيلاء كشف جماله وجلاله، فمتى أراد العابد خروجه عن قيد مجاهدته، قهرته سطوة العتاب فردته إلى بذل المهجة، ومتى أراد العارف خروجه عن مطلبات القربة، قهرته بوادي الهيبة فردته إلى توديع المهجة، فشتان بين عبد مقهور أفعاله، وعبد هو مقهور جلاله وجماله.

(الوهاب) : أي: كثير النعمة دائم العطية: قال تعالى ﴿وما بكم من نعمة فمن الله – وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم: ٥٣ – ٣٤] والهبة الحقيقية، هي الخالية عن غرض الأعراض والأغراض، فإن المعطي لغرض مستعيض، وليس بواهب فهو من أسماء الأفعال.

تنبيه: الفتاح متأخر عن الرزاق.

(الفتاح) : أي: الحاكم بين الخلائق، من الفتح، بمعنى الحكم، ومنه قوله تعالى: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ [الأعراف: ٨٩] لأن الحكم يفتح الأمر المغلق بين الخصمين، والله سبحانه بين الحق وأوضحه، وبين الباطل وأدحضه ببعث الرسل وإنزال الكتب ونصب الحجج النقلية والعقلية ومرجعه إلى العلم. وقيل: الذي يفتح خزائن الرحمة على أصناف البرية، ومنه قوله عز وجل: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ [الأنعام: ٥٩] وقوله تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ [فاطر: ٢] وقيل المفتاح من الفتح وهو الإفراج من الضيق الحسي والمعنوي، كالذي يفرج تضايق الخصمين في الحق بحكمه، وعن **بعض الصالحين**: الفتاح هو الذي لا يغلق وجوه النعمة بالعصيان، ولا يترك إيصال الرحمة إليهم بالنسيان، وقيل: هو الذي يفتح قلوب المؤمنين بمعرفته، وفتح على العاصين أبواب مغفرته. وقيل: هو الذي فتح على النفوس باب توفيقه، وعلى الأسرار باب تحقيقه، وحظك منه أن تسعى في الفصل بين الناس، وأن تنصر المظلومين، وأن تهتم بتيسير ما تعسر على الخلق من أمور الدنيا والدين، حتى يكون لك حظ من هذا الاسم.

قال القشيري: من علم أنه الفتاح للأبواب، الميسر للأسباب، الكافي للحضور، المصلح للأمور، فإنه لا يتعلق بغيره قلبه، ولا يشتغل بدونه فكره لا يزيد بلاء إلا ويزيد بربه ثقة ورجاء، واعلم أنه تعالى يفتح للنفوس بركات التوفيق، وللقلوب درجات التحقيق، فبتوفيقه تزين النفوس بالمجاهدات، وبتحقيقه تزين القلوب بالمشاهدات، ومن آداب من علم أنه الفتاح أن يكون حسن الانتظار لنيل كرمه، مستديم

التطلع لوجود لطفه، ساكنا تحت جريان حكمه، عالما بأنه لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم، قال رجل وهو مؤذن على الجارية لعلي - كرم الله وجهه -: إني أحبك، فذكرته لعلي، فقال، قولي له: وأنا أيضا أحبك فما بعد ذلك؟ فقالت له ذلك. فقالت ذلك. فقال: إذا نصبر حتى يحكم الله بيننا، فذكرت ذلك لعلي، فدعاه فسأله عن القصة فأخبره بالصدق، فقال: خذها فهي لك قد حكم الله بينكما، فهو من أسماء الأفعال، وقيل: مبدع الفتح والنصرة، ومنه قوله: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ [الفتح: ١]". (١)

٣٩. ٤١-"(الحفيظ) : أي: البالغ في الحفظ يحفظ الموجودات من الزوال والاختلال مدة ما شاء من الأوقات، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يئوده حفظهما﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي: السماوات والأرض وما بينهما، أو يحفظ على العباد أعمالهم وأقوالهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وما جعلناك عليهم حفيظا﴾ [الأنعام: ١٠٧] وحظك منه أن تحفظ جوارحك عن الأوزار، وباطنك عن ملاحظة الأغيار، وتكتفي في جميع أمورك بتدبيره، وترضى بحسن قضائه وتقديره. قيل: من حفظ لله جوارحه حفظ الله عليه قلبه، ومن حفظ لله قلبه حفظ عليه حظه. وحكي أنه وقع من بعض الصالحين بصره يوما على محظور فقال: إلهي إنما أريد بصري لأجلك، فإذا صار سببا لمخالفة أمرك، فاسلبنيه. فعمي، وكان يصلي بالليل فاحتاج الماء للطهارة ولم يتمكن منه فقال: إلهي إنما قلت خذ بصري لأجلك، ففي الليل أحتاجه لأجلك. فعاد إليه بصره.

(المقيت) : بضم الميم وكسر القاف وسكون التحتية. أي: خالق الأقوات البدنية، والأرزاق المعنوية، وموصلها إلى الأشباح ومعطيها للأرواح، من أقاته يقيته: إذا أعطاه قوته.

ومنه الحديث: («كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقيت») . فهو من صفات الأفعال. وقيل: هو المقتدر بلغة قريش، وقيل هو الشاهد المطلع على الشيء من أقات الشيء: إذا اطلع عليه، فهو على الوجهين من صفات الذات، وهما أنسب لقوله تعالى: ﴿وكان الله على كل شيء مقيتا﴾ [النساء: ٨٥] وقال بعضهم: المقيت اسم جامع لمعنى الاقتدار على حكم الموازنة من حيث إحاطة العلم وإقامة الكفاف بالقوت المقدر للحاجة من غير نقص وزيادة، وهو في غاية من الحسن، وقول ابن حجر فيه ما فيه ولم يظهر ما فيه، وحظك منه أنك إذا عرفت أنه المقيت نسيت ذكر القوت بذكره، كما اتفق

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤/١٥٦٨

لسهل – رضي الله عنه – أنه سئل عن القوت، فقال: هو الحي الذي لا يموت، ولعله انتقل من السبب إلى المسبب، فقيل له: إنما سألناك عن القوام فقال: القوام العلم، فكأنه انتقل من قوام الأشباح إلى قوام الأرواح، فإن كل إناء يترشح بما فيه، فقيل له: إنما سألناك عن طعمة الجسد، فقال: ما لك والجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا، أما رأيت الصنعة إذا عيبت ردت لصانعها لأنه العالم بإصلاحها، فكأنه أشار إلى أننا نحن مأمورون بإصلاح الباطن مكفيون عن إصلاح الظاهر، وإن كان الله هو المصلح على الإطلاق في الحقيقة، وفيه إشارة إلى ما ورد: («من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه») . وحينئذ فتقربك به تعلقا أن لا تطلب القوت والقوة إلا من مولاك. قال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ [الحجر: ٢١] وتخلقا أن تعطي كل من تعلق بك ما يستحقه من القوت، ففي الحديث " ابدأ بنفسك ثم بمن تعول " فيكون دأبك النفع والهداية، وإطعام الجائع، وإرشاد الغاوي.

قال القشيري: اختلفت الأقوات فمن عباده من يجعل قوت نفسه توفيق العبادات، وقوت قلبه تحقيق المكاشفات، وقوت روحه مداومة المشاهدات، وملازمة المؤنسات، خص كلا بما يليق به من الحالات والمقامات، وإذا شغل الله عبدا بطاعته أقام له من يقوم بشغله وخدمته، وإذا رجع إلى متابعة شهوته، وكله إلى حوله وقوته ورفع عنه ظل عنايته وحمايته.

(الحسيب) : أي: الكافي من الحسب بسكون السين، وهو الاكتفاء أو الكفاية، من أحسبني: إذا كفاني. قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣] وهو فعيل بمعنى مفعل بكسر العين كأليم بمعنى مؤلم وبديع بمعنى مبدع، أي: المعطي لعباده كفايتهم، أو الكافي لهم في أمورهم من قولهم: حسبي: يكفيني، وهذا أتم مبنى وأعم معنى، وقيل: إنه مأخوذ من الحسب بفتحتين بمعنى السؤدد والشرف، والحسيب المطلق هو الله تعالى، إذ لا يمكن أن تحصل الكفاية في جميع ما يحتاج الشيء في وجوده وبقائه، وكماله الجسماني والروحاني بأحد سواه". (١)

٤٠. ٤٢-"" ﴿إذ هما في الغار﴾ [التوبة: ٤٠] "، والظاهر أن الشجرة السابقة كذلك مع احتمال بعيد أن التعريف فيها للعهد الذكري، لكنه بحسب الظاهر خلاف التأدب مع الشيخ المفسر بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومجمله أن الشجرتين كانتا بمنزلة السلم والمعراج للصعود في اليوم الموعود

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤/١٥٧٤

(فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل) أي: منها كما في نسخة. يعني: من الدار الأولى وفيه إشارة إلى أن للجنة درجات سفلية وعلوية، وأن كل ما يكون أعلى فهو أعلى من الأدنى (فيها) أي: في الدار الثانية (شيوخ وشباب) ، ولم يذكر النساء والصبيان في هذا المقام، إما لقلة كمالهم كمال الرجال، أو لقلة وجود الكمال فيهن بخلاف الرجال، ولذا قال - صلى الله عليه وسلم - «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» ". على ما رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي، عن أبي موسى، ويمكن أن يكون السكوت عن بيان النساء والصبيان ؛ لأنهم إن وجدوا فيها فيكون بالتبعية لا بالأصالة والله أعلم. (فقلت لهما: إنكما قد طوفتماني) : بالموحدة وقيل بالنون، أي: دورتماني وفرجتماني (الليلة) : وقد رأيت أشياء غريبة وأمورا عجيبة بطريق الإجمال (فأخبراني عما رأيت) أي: تفصيلا وتفسيرا (فقالا: نعم) . في المغني: نعم بفتح العين وكنانة تكسرها، وبها قرأ الكسائي، وبعضهم يبدلها هاء، وبها قرأ ابن مسعود وهي حرف تصديق ووعد وإعلام، فالأول بعد الخبر كقام زيد، والثاني بعد افعل ولا تفعل، والثالث بعد الاستفهام نحو: (" ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا﴾ [الأعراف: ٤٤] ") ، (" إن لنا لأجرا ") ولم يذكر سيبويه معنى الإعلام ألبتة، بل قال: وأما نعم فعدة وتصديق (أما الرجل الذي رأيته يشق) : بصيغة المجهول أي: يقطع (شدقه) أي: طرف فمه إلى قفاه (فكذاب) ، أي: فهو كثير الكذب (يحدث) : استئناف مبين لقبح فعله (بالكذبة) : بفتح الكاف وسكون الذال للمرة وبكسر أولها للنوع (فتحمل) على بناء المفعول، أي: فتروى وتنقل تلك الكذبة عنه (حتى تبلغ الآفاق) أي: حتى تنتشر في أطراف الأرض (فيصنع) أي: لذلك (ما ترى) أي: ما رأيت (إلى يوم القيامة) أي: صنعا مستمرا (والذي) أي: وأما الذي (رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن) أي: وفقه لتعلمه (فنام عنه بالليل) أي لم يكن يقرأ القرآن في الليل وإنما خص به لأنه كما قال تعالى: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا - إن لك في النهار سبحا طويلا﴾ [المزمل: ٦ - ٧] ، (ولم يعمل بما فيه بالنهار) ، أي: ومن جملة ما فيه قوله تعالى: ﴿اتل ما أوحي إليك﴾ [العنكبوت: ٤٥] أي اقرأ واتبع (يفعل به ما رأيت إلى يوم القيامة) . وجملة الكلام أنه مع ما أعطي من النعم الجزيلة، وهي علم القرآن كان غافلا عن تأويلاته، وربما جر إلى نسيانه وهو من الكبائر، ولم يكن عاملا بأوامره ونواهيه، مع أنه هو المراد من نزول القرآن، ولذا ورد معناه: إن من عمل بالقرآن فكأنه دائما يتلو القرآن، وإن لم يقرأ، ومن قرأ القرآن دائما ولم يعمل بما فيه فكأنه لم يقرأه أبدا.

وقال الطيبي: قوله فنام عنه، أي: أعرض عنه. وعن هنا كما في قوله تعالى: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [الماعون: ٥] أي: ساهون سهو ترك لها، وقلة التفات إليها، وذلك فعل المنافقين والفسقة. قلت: ولذا قال **بعض الصالحين**: الحمد لله حيث ما قال في صلاتهم ساهون، قال: فمعنى نام عنه بالليل: أنه لم يتله إذا كان بالليل، ولم يتفكر فيما يجب عليه أن يأتي به ويذر من الأوامر والنواهي مثل المنافقين والفسقة، فإذا كان حاله بالليل هذا فلا يقوم به فيعمل بالنهار بما فيه، ويؤيد هذا التأويل ما جاء في رواية أخرى للبخاري: أما الرجل الذي يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل الذي يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة، وأما من نام من غير أن يتجافى عنه لتقصير أو عجز، فهو خارج من هذا الوعيد اهـ.". (١)

٤١. ٤٣-"والمعنى: لو أكثرتم من ذكر قاطع اللذات (" لشغلكم عما أرى ") أي: من الضحك وكلام أهل الغفلة (" الموت ") بالجر: تفسير لهادم اللذات أو بدل منه، كما يأتي فيما بعده، وبالنصب: بإضمار أعني، وبالرفع بتقدير هو الموت، (" فأكثروا ذكر هادم اللذات ") أي: الموجودة المعمولة للأغنياء، والمفقودة المسؤولة للفقراء، فهو موعظة بليغة للطائفتين، ومن الغريب أن ذكر الموت يحيي القلب النائم، والنوم أخو الموت، وكان شيخنا العارف بالله تعالى - رحمه الله - الولي مولانا نور الدين علي المتقي يعمل كيسا مكتوبا عليه لفظ الموت، يعلق في رقبة المريد ليستفيد منه أنه قريب غير بعيد، فيقصر أمله ويكثر عمله، وكان **بعض الصالحين** من السلاطين أمر واحدا من أمرائه أن يقف دائما من ورائه يقول: الموت الموت ليكون دواء لدائه، ثم أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - بين للصحابة وجه حكمة الأمر بإكثار ذكر الموت وأسبابه بقوله: (" فإنه ") أي: الشأن (" لم يأت على القبر يوم ") أي: وقت زمان (" إلا تكلم ") أي: بلسان القال أو بيان الحال، وفي رواية زيادة فيه أي في ذلك اليوم (" فيقول: أنا بيت الغربة ") أي: فكن في الدنيا كأنك غريب (" وأنا بيت الوحدة ") أي: فلا ينفع إلا التوحيد وشهود الواحد القهار (" وأنا بيت التراب ") أي: أصل كل حي مخلوق، فمن مرجعه للتراب ينبغي أن يكون مسكينا ذا متربة لئلا تفوته جنسية المناسبة، (" وأنا بيت الدود ") أي: فلا ينبغي أن تكون همتكم ونهمتكم في استعمال اللذات من المأكول والمشروب ؛ لأن مآل أمرها إلى الفناء، ولا ينفع في ذلك المكان إلا العمل الصالح، فالقبر صندوق العمل، قيل: يتولد الدود من

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢٩٢٧/٧

العفونة وتآكل الأعضاء ثم يأكل بعضها بعضا، إلى أن تبقى دودة واحدة فتموت جوعا، واستثنى الأنبياء، والشهداء، والأولياء، والعلماء من ذلك فقد قال - صلى الله تعالى عليه وسلم -: " «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» "، وقد قال تعالى في حق الشهداء: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [آل عمران: ١٦٩] ، والعلماء العاملون المعبر عنهم بالأولياء مدادهم أفضل من دماء الشهداء، (" وإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر ") أو ما يقوم مقامه (" مرحبا ") أي: أتيت مكانا واسعا لرقدتك (" وأهلا ") أي: وحضرت أهلا لمحبتك (" أما ") بتخفيف الميم للتنبيه (" إن كنت ") أي: إنه كنت فإن مخففة من المثقلة، واللام فارقة بينها وبين أن النافية في قوله: (" لأحب ") وهو أفعل تفضيل بني للمفعول أي: لأفضل (" من يمشي على ظهري إلي ") : متعلق بأحب (" فإذ ") بسكون الذال، وأبعد الطيبي حيث قال: وفي إذ معنى التعليل إذ الصحيح أنه هنا ظرف محض، والعلة والسبب كونه مؤمنا أي: فحين (" وليتك ") : من التولية مجهولا، أو من الولاية معلوما أي: صرت قادرا حاكما عليك (" اليوم ") أي: هذا الوقت، وهو ما بعد الموت والدفن (" وصرت إلي ") أي: مقهورا ومجبورا (" فسترى ") أي: ستبصر أو تعلم (" صنيعي بك ") : من الإحسان إليك بالتوسيع عليك.

(قال) أي: النبي - صلى الله عليه وسلم - وإنما أعاده لطول الكلام ؛ ولئلا يتوهم أن ما بعده من كلام الراوي تفسير للمرام (" فيتسع ") أي: فيصير القبر وسيعا، وفي رواية: فيوسع (" له ") أي: للمؤمن (" مد بصره ") أي: من كل جانب، حقيقة، أو كشفا، أو مجازا عن عدم التضييق حسا ومعنى، وفيه كناية عن تنويره أيضا، (" ويفتح له باب إلى الجنة ") أي: ويعرض له مقعده منها، يأتيه من روحها ونسيمها، ويشم من طيبها، وتقر عينه بما يرى فيها من حورها وقصورها وأنهارها وأشجارها وأثمارها، (" وإذا دفن العبد الفاجر ") أي: الفاسق، والمراد به الفرد الأكمل، وهو الفاسق، بقرينة مقابلته لقوله: العبد المؤمن سابقا، ولما سيأتي من قول القبر له بكونه أبغض من". (١)

٤٢. "

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/٣٣٥٤

٤٣. ١-"و «الصّيرفيّ» لاحتياله في الاستيفاء إذا اتزن والتطفيف إذا وزن «١» .

٢٠ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ: أي: إلّا قيل إنهم ليأكلون «٢» .

بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً: هو افتنان المقلّ بالمثري والضّويّ «٣» بالقويّ.

أَتَصْبِرُونَ: أي: على هذه الفتنة أم لا تصبرون فيزداد غمكم.

وَكانَ رَبُّكَ بَصِيراً: بالحكمة في اختلاف المعاش.

ويحكى أنّ **بعض الصالحين** تبرّم «٤» بضنك عيشه، فخرج ضجرا فرأى أسود خصيا في موكب عظيم، فوجم لذلك، فإذا بإنسان قرأ عليه: وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ فتنبّه وازداد تبصّرا أو تصبّرا.

٢١ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا: لا يخافون «٥» ، وجاز «يرجو» بمعنى يخاف لأنّ الراجي قلق فيما يرجوه كالخائف.

٢٢ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً: كان الرجل في الجاهليّة يقول لمن يخافه في أشهر الحرم: حِجْراً مَحْجُوراً: أي: حراما محرّما عليك قتلي في هذا الشهر، فلا يبدأه بشرّ، فإذا كان القيامة رأى المشركون ملائكة

---

(١) ينظر الصحاح: ٤/ ١٣٦٨، واللسان: ٩/ ١٩٠ (صرف) .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره: ٣/ ٣٦٤، وقال: «كما قال في موضع آخر: ما يُقالُ لَكَ إِلَّا ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ [سورة فصلت: آية: ٤٣] .

وانظر هذا القول في تفسير القرطبي: ١٣/ ١٣، وغرائب التفسير للكرماني: ٢/ ٨١٢.

(٣) الضّوى: الضعيف.

النهاية: ٣/ ١٠٦، واللسان: ١٤/ ٤٨٩ (ضوا) .

(٤) أي: سئم وملّ.

ينظر النهاية: ١/ ١٢١، والصحاح: ٥/ ١٨٦٩، واللسان: ١٢/ ٤٣ (برم) .

(٥) ذكره الفراء في معانيه: ٢/ ٢٦٥، وقال: «وهي لغة تهامية، يضعون الرجاء في موضع الخوف إذا كان معه جحد. من ذلك قول الله: ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً، أي: لا تخافون له عظمة ... » ." (١)

---

(١) إيجاز البيان عن معاني القرآن ٢/٦١٠

٤٤. ٢-"بلاء من ربكم عظيم: أي ابتلاء واختبار، ويكون بالخير والشر.

وإذ تأذن ربكم: أي أعلم ربكم.

بالبينات: بالحجج الواضحة على صدقهم في دعوة النبوة والتوحيد والبعث الآخر.

فردوا أيديهم في أفواههم: أي فرد الأمم أيديهم في أفواههم أي أشاروا إليهم أن اسكتوا.

مريب: موقع في الريبة.

معنى الآيات:

﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ أي اذكر يا رسولنا إذ قال موسى لقومه من بني إسرائيل ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أي لتشكروها بتوحيده وطاعته، فإن من ذكر شكر وبين لهم نوع النعمة وهي إنجاؤهم من فرعون وملائه إذ كانوا يعذبونهم بالاضطهاد والاستعباد، فقال: ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ أي يذيقونكم سوء العذاب وهو أسوأه وأشده، ﴿ويذبحون أبناءكم﴾ أي الأطفال المولودين، لأن الكهنة أو رجال السياسة قالوا لفرعون: لا يبعد أن يسقط عرشك وتزول دولتك على أيدي رجل من بني إسرائيل قامر بقتل المواليد فور ولادتهم فيقتلون الذكور ويستبقون الإناث للخدمة ولعدم الخوف منهن وهو معنى قوله: ﴿ويستحيون نساءكم﴾ وقوله تعالى: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ فهو بالنظر إلى كونه عذابا بلاء بالشر، وفي كونه نجاة منه، بلاء بالخير، وقوله تعالى: ﴿وإذ تأذن[١] ربكم﴾ هذا من قول موسى لبني إسرائيل أي أذكر لهم إذ أعلم ربكم مقسماً لكم ﴿لئن شكرتم﴾ [٢] نعمي بعبادتي وتوحيدي فيها وطاعتي وطاعة رسولي بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ﴿لأزيدنكم﴾ في الإنعام والإسعاد ﴿ولئن كفرتم﴾ فلم تشكروا نعمي فعصيتموني وعصيتم رسولي أي لأسلبنها منكم وأعذبكم بسلبها من أيديكم ﴿إن عذابي

---

١ أي: تكلم تكلماً علناً وهو يناجي موسى عليه السلام بجبل الطور وأذّن وتأذن أعلم، ومنه الأذان للصلاة، قال الشاعر:

فلم نشعر بضوء الصبح حتى

سمعنا في مجالسنا الأذينا

٢ سئل **بعض الصالحين** عن الشكر لله تعالى فقال: ألاّ تتقوى بنعمه على معاصيه وحكي أن داود عليه السلام أنه قال: أي ربي كيف أشكرك وشكري لك نعمة متجددة منك عليّ؟ قال: "يا داود:

الآن شكرتني"، وعيه فالشكر الاعتراف بالنعمة للمنعم ولا يصرفها في غير طاعته.". (١)

٤٥. ٣-"﴿خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً﴾ سماء فوق سماء مطابقة لها ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ١ نُوراً﴾ ينير ما فوقه من السموات وما تحته من الأرض ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾ وهاجا مضيئا يضيء بوجهه السموات وبقفاه الأرض كالقمر ﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً﴾ إذ أصلكم من تراب والنطف أيضا من الغذاء المكون من التراب ثم خلقتكم تشبه النبات وهي على نظامه في الحياة والنماء. ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي الأرض بعد الموت فتدفنون فيها ﴿وَيُخْرِجُكُمْ منها﴾ أيضا ﴿إِخْرَاجاً﴾ يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً﴾ أي مفروشة مبسوطة صالحة للعيش فيها والحياة عليها، ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾ أي طرقا واسعة وهكذا تجول بهم نوح عليه السلام في معارض آيات الله الكونية وكلها داله على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي موجبة للعبادة له عقلا ونفيها عما سواه كانت هذه مشكلة نوح وعرض حاله على ربه وهو أعلم به وفي هذا درس عظيم للدعاة الهداة المهديين جعلنا الله منهم آمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- رسم الطريق الصحيح للدعوة القائم على الصبر وتلوين الأسلوب.

٢- بيان كره المشركين للتوحيد والموحدين أنهم لبغضهم لنوح ودعوة التوحيد سدوا آذانهم حتى لا يسمعوا وغطوا وجوههم حتى لا يروه واستكبروا حتى لا يروا له فضلا.

٣- استعمال الحكمة في الدعوة فإن نوحاً لما رأى أن قومه يحبون الدنيا أرشدهم إلى الاستغفار ليحصل لهم المال والولد.

٤-استنبط **بعض الصالحين٢** من هذه الآية أن من كانت له رغبة في المال أو ولد فليكثر من الاستغفار الليل والنهار ولا يمل يعطه الله تعالى مراده من المال والولد.

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً (٢١) وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً (٢٢) وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالاً (٢٤)

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري ٤٣/٣

١ أي في السماء الدنيا، إذ يقال أتاني بنو تميم وأتيت بني تميم والمراد بعضهم.

٢ تقدم انه الحسن البصري رحمه الله تعالى.". (١)

٤٦. ٤-"قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ضَمَّهَا إِلَى خَالَتِهَا أُمِّ يَحْيَى حَتَّى إِذَا شَبَّتْ وَبَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ بَنَى لَهَا مِحْرَابًا فِي الْمَسْجِدِ، وَجَعَلَ بَابَهُ فِي وَسَطِهِ لَا يُرْقَى إِلَيْهِ إِلَّا بِسُلَّمٍ، مِثْلَ بَابِ الْكَعْبَةِ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا غَيْرُهُ. وَقِيلَ: كَانَ يُغْلِقُ عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ إِذَا خَرَجَ. قَالَ مُقَاتِلٌ: كَانَ يُغْلِقُ عَلَيْهَا الْبَاب وَمَعَهُ الْمِفْتَاحُ لَا يَأْمَنُ عَلَيْهِ أَحَدًا، فَإِذَا حَاضَتْ أَخْرَجَهَا إِلَى مَنْزِلِهِ تَكُونُ مَعَ خَالَتِهَا أُمِّ يَحْيَى أَوْ أُخْتِهَا، فَإِذَا طَهُرَتْ رَدَّهَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. وَقِيلَ: كَانَتْ مُطَهَّرَةً مِنَ الْحَيْضِ.

كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً. قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ: وَجَدَ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَفَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: تَكَلَّمَتْ فِي الْمَهْدِ وَلَمْ تُلْقَمْ ثَدْيًا قَطُّ، وَإِنَّمَا كَانَتْ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنَ الْجَنَّةِ.

وَالَّذِي وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الَّذِي تَكَلَّمَ فِي المهد ثلاثة: عيسى، وصاحب جُرَيْجٍ، وَابْنُ الْمَرْأَةِ. وورد مِنْ طَرِيقٍ شَاذٍّ: صَاحِبُ الْأُخْدُودِ. وَالْأَغْرَبُ أَنَّ مَرْيَمَ منهم.

وقيل: كان جريح النَّجَّارُ، وَاسْمُهُ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ، وَكَانَ ابْنَ عَمِّ مَرْيَمَ حِينَ كَفَلَهَا بِالْقُرْعَةِ وَقَدْ ضَعُفَ زَكَرِيَّا عَنِ الْقِيَامِ بِهَا، يَأْتِيهَا مِنْ كَسْبِهِ بِشَيْءٍ لَطِيفٍ عَلَى قَدْرِ وُسْعِهِ، فَيَزْكُو ذَلِكَ الطَّعَامُ وَيَكْثُرُ، فَيَدْخُلُ زَكَرِيَّا عَلَيْهَا فَيَتَحَقَّقُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ وُسْعِ جُرَيْجٍ، فَيَسْأَلُهَا.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ أَنْ كَبُرَتْ وَهُوَ الْأَقْرَبُ لِلصَّوَابِ.

وَقِيلَ: كَانَتْ تُرْزَقُ مِنْ غَيْرِ رِزْقِ بِلَادِهِمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ عِنَبًا فِي مِكْتَلٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ عِنَبٌ، وَقَالَهُ ابْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ. وَقِيلَ: كَانَ **بَعْضُ الصَّالِحِينَ** يَأْتِيهَا بِالرِّزْقِ.

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّ الَّذِي كَفَلَهَا بِالتَّرْبِيَةِ هُوَ زَكَرِيَّا لَا غَيْرُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَفَاهُ لَمَّا كفلها مؤونة رِزْقِهَا، وَوَضَعَ عَنْهُ بِحُسْنِ التكفل مشقة التكلف.

و: كلما، تَقْتَضِي التَّكْرَارَ، فَيَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ تَعَهُّدِهِ وَتَفَقُّدِهِ لِأَحْوَالِهَا. وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى وُجُودِ الرِّزْقِ عِنْدَهَا كُلَّ وَقْتٍ يَدْخُلُ عَلَيْهَا، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ غِذَاءٌ يُتَغَذَّى بِهِ لَمْ يَعْهَدْهُ عِنْدَهَا، وَلَمْ يُوَجِّهْهُ هُوَ. وَأَبْعَدَ

(١) أيسر التفاسير للجزائري ٤٤٢/٥

مَنْ فَسَّرَ الرِّزْقَ هُنَا بِأَنَّهُ فَيْضٌ كَانَ يَأْتِيهَا مِنَ اللهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمِ آدَمِيٍّ، فَسَمَّاهُ رِزْقًا. قَالَ الرَّاغِبُ: وَاللَّفْظُ مُحْتَمِلٌ، انْتَهَى، وَهَذَا شَبِيهٌ بِتَفْسِيرِ الْبَاطِنِيَّةِ.

قالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ اسْتَغْرَبَ زَكَرِيَّا وُجُودَ الرِّزْقِ عِنْدَهَا وَهُوَ لَمْ يَكُنْ أَتَى بِهِ، وَتَكَرَّرَ وُجُودُهُ عِنْدَهَا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا، فَسَأَلَ عَلَى سَبِيلِ التَّعَجُّبِ مِنْ". (١)

٤٧. ٥-"كَرَاسِيِّهِمْ خَرَّبَهَا اللَّهُ، وَفِي مَرَاقِصِهِمْ عَطَّلَهَا اللَّهُ، بِأَبْيَاتِ الْغَزَلِ الْمَقُولَةِ فِي الْمُرْدَانِ الَّذِينَ يُسَمُّونَهُمْ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَصَعَقَاتِهِمْ الَّتِي تُشْبِهُ صَعْقَةَ مُوسَى عِنْدَ دَكِّ الطُّورِ، فَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَمِنْ كَلِمَاتِهِ كَمَا أَنَّهُ بِذَاتِهِ يُحِبُّهُمْ، كَذَلِكَ يُحِبُّونَ ذَاتَهُ، فَإِنَّ الْهَاءَ رَاجِعَةٌ إِلَى الذَّاتِ دُونَ النُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ. وَمِنْهَا الْحُبُّ شَرْطُهُ أَنْ تَلْحَقَهُ سَكَرَاتُ الْمَحَبَّةِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حَقِيقَةً انْتَهَى كَلَامُ الزَّمَخْشَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَالَ بَعْضُ الْمُعَاصِرِينَ:

قَدْ عَظُمَ أَمْرُ هَؤُلَاءِ الْمُنْفَعِلَةِ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَكَثُرَ الْقَوْلُ فِيهِمْ بِالْحُلُولِ وَالْوَحْدَةِ، وَسِرِّ الْحُرُوفِ، وَتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَلَى طَرِيقِ الْقَرَامِطَةِ الْكُفَّارِ الْبَاطِنِيَّةِ، وَادِّعَاءِ أَعْظَمِ الْخَوَارِقِ لِأَفْسَقِ الْفُسَّاقِ، وَبُغْضِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، حَتَّى إِنَّ طَائِفَةً مِنَ الْمُحَدِّثِينَ قَصَدُوا قِرَاءَةَ الْحَدِيثِ عَلَى شَيْخٍ فِي خَانِقَاتِهِمْ يَرْوِي الْحَدِيثَ فِبِنَفْسِ ما قرأوا شَيْئًا مِنْ حَدِيثِ الرَّسُولِ. خَرَجَ شَيْخُ الشُّيُوخِ الَّذِينَ هُمْ يَقْتَدُونَ بِهِ، وَقَطَعَ قِرَاءَةَ الْحَدِيثِ، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَ الْمُسَمِّعَ وَالْمُحَدِّثِينَ وَقَالَ:

رُوحُوا إِلَى الْمَدَارِسِ شَوَّشْتُمْ عَلَيْنَا. وَلَا يُمَكِّنُونَ أَحَدًا مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ جَهْرًا، وَلَا مِنَ الدَّرْسِ لِلْعِلْمِ. وَقَدْ صَحَّ أَنَّ بَعْضَهُمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِالدَّهْرِ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ، سَمِعَ نَاسًا فِي جَامِعٍ يقرأون الْقُرْآنَ فَصَعِدَ كُرْسِيَّهُ الَّذِي يَهْدِرُ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَصْحَابَنَا شَوَّشُوا عَلَيْنَا، وَقَامَ نَافِضًا ثَوْبَهُ، فَقَامَ أَصْحَابُهُ وَهُوَ يَدُلُّهُمْ لِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، فَضَرَبُوهُمْ أَشَدَّ الضَّرْبِ، وَسُلَّ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ مِنَ أَتْبَاعِ ذَلِكَ الْهَادِرِ وَهُوَ لَا يَنْهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ. وَقَدْ عَلَّمَ أَصْحَابَهُ كَلَامًا افْتَعَلُوهُ عَلَى **بَعْضِ الصَّالِحِينَ** حَفَّظَهُمْ إِيَّاهُ يَسْرُدُونَهُ حِفْظًا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يُعَلِّمُهُمْ فَرَائِضَ الْوُضُوءِ، وَلَا سُنَنَهُ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهَا مِنْ تَكَالِيفِ الْإِسْلَامِ. وَالْعَجَبُ أَنَّ كُلًّا من هؤلاء الرؤوس يُحْدِثُ كَلَامًا جَدِيدًا يُعَلِّمُهُ أَصْحَابَهُ حَتَّى يَصِيرَ لَهُمْ شِعَارًا، وَيَتْرُكُ مَا صَحَّ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى غَثَاثَةِ كَلَامِهِمْ، وَعَامِّيَّتِهِ، وَعَدَمِ فَصَاحَتِهِ، وَقِلَّةِ مَحْصُولِهِ، وَهُمْ مُسْتَمْسِكُونَ بِهِ كَأَنَّهُ جَاءَهُمْ بِهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ.

---

(١) البحر المحيط في التفسير ١٢٣/٣

وَلَنْ تَرَى أَطْوَعَ مِنَ الْعَوَامِّ لِهَؤُلَاءِ يَبْنُونَ لَهُمُ الْخَوَانِقَ وَالرُّبُطَ، وَيَرْصُدُونَ لَهُمُ الْأَوْقَافَ، وَهُمْ أَبْغَضُ النَّاسِ فِي الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَأَحَبُّهُمْ لِهَذِهِ الطَّوَائِفِ. وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءٌ.

أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ هُوَ جَمْعُ ذَلِيلٍ لَا جَمْعُ ذَلُولٍ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ الصَّعْبِ، لِأَنَّ ذَلُولًا لَا يُجْمَعُ عَلَى أَذِلَّةٍ بَلْ ذَلَلٍ، وَعُدِّيَ أَذِلَّةٍ بِعَلَى وَإِنْ كَانَ الْأَصْلُ بِاللَّامِ، لِأَنَّهُ ضَمَّنَهُ مَعْنَى الْحُنُوِّ وَالْعَطْفِ كَأَنَّهُ قَالَ: عَاطِفِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى وَجْهِ التَّذَلُّلِ وَالتَّوَاضُعِ. قِيلَ: أَوْ لِأَنَّهُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ التَّقْدِيرُ: عَلَى فَضْلِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَذِلُّونَ وَيَخْضَعُونَ لِمَنْ فُضِّلُوا عَلَيْهِ مَعَ شَرَفِهِمْ وَعُلُوِّ مَكَانِهِمْ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ:". (١)

٤٨. ٦-"ثَوْبِهِ مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْأَرْضِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ لَهُ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ لَهُ: أَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا يَشْغَلُكَ عَنِ السَّفَرِ إِلَى هُنَا؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ أَحْبَبْتُ لِقَاءَكَ وَأَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْكَ، قَالَ لَهُ: إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا.

وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ الْخَضِرُ وَخَالَفَ مَنْ لَا يُعْتَدُّ بِخِلَافِهِ فَزَعَمَ أَنَّهُ عَالِمٌ آخَرُ. وَقِيلَ: الْيَسَعُ. وَقِيلَ: إِلْيَاسُ.

وَقِيلَ: خَضِرُونُ بْنُ قَابِيلَ بْنِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قِيلَ: وَاسْمُ الْخَضِرِ بَلْيَا بْنُ مَلْكَانَ

، وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْخَضِرَ نَبِيٌّ وَكَانَ عِلْمُهُ مَعْرِفَةَ بَوَاطِنَ قَدْ أُوحِيَتْ إِلَيْهِ، وَعِلْمُ مُوسَى الْأَحْكَامَ وَالْفُتْيَا بِالظَّاهِرِ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ وُجِدَ قَاعِدًا عَلَى ثَبَجِ الْبَحْرِ.

وَفِي الْحَدِيثِ سُمِّيَ خَضِرًا لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَالِيَةٍ فَاهْتَزَّتْ تَحْتَهُ خَضْرَاءَ.

وَقِيلَ: كَانَ إِذَا صَلَّى اخْضَرَّ مَا حَوْلَهُ.

وَقِيلَ: جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُرْتَفِعَةُ.

وَقِيلَ: الصَّلْبَةُ وَاهْتَزَّتْ تَحْتَهُ خَضْرَاءَ. وَقِيلَ: كَانَتْ أُمُّهُ رُومِيَّةً وَأَبُوهُ فَارِسِيٌّ.

وَقِيلَ: كَانَ ابْنَ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ أَرَادَ أَبُوهُ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَلَحِقَ بِجَزَائِرِ الْبَحْرِ

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٢٩٨/٤

فَطَلَبَهُ أَبُوهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ. وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ مَاتَ.

وَقَالَ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ الْمَرْسِيُّ: أَمَّا خَضِرُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ فَلَيْسَ بِحَيٍّ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا لَلَزِمَهُ الْمَجِيءُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعُهُ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيسَى حَيَّيْنِ لَمْ يَسَعْهُمَا إِلَّا اتِّبَاعِي» .

انْتَهَى هكذا أوراد لحديث وَمَذْهَبُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ عِيسَى حَيٌّ وَأَنَّهُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَعَلَّ الْحَدِيثَ: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا لَمْ يَسَعْهُ إِلَّا اتِّبَاعِي» .

وَالرَّحْمَةُ الَّتِي آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا هِيَ الْوَحْيُ وَالنُّبُوَّةُ. وَقِيلَ: الرِّزْقُ. وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً أَيْ مِنْ عِنْدِنَا أَيْ مِمَّا يَخْتَصُّ بِنَا مِنَ الْعِلْمِ وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الْغُيُوبِ. وَقَرَأَ أَبُو زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍو مِنْ لَدُنَّا بِتَخْفِيفِ النُّونِ وَهِيَ لُغَةٌ فِي لَدُنْ وَهِيَ الْأَصْلُ.

قِيلَ: وَقَدْ أُولِعَ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَنْتَمِي إِلَى الصَّلَاحِ بِادِّعَاءِ هَذَا الْعِلْمِ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ اللَّدُنِيَّ، وَأَنَّهُ يُلْقَى فِي رَوْعِ الصَّالِحِ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يُخْبِرَ بِأَنَّ مَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى سَبِيلِ الْقَطْعِ، وَأَنَّ بَعْضَهُمْ يَرَى الْخَضِرَ. وَكَانَ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُطِيعٍ الْقُشَيْرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ يُخْبِرُ عَنْ شَيْخٍ لَهُ أَنَّهُ رَأَى الْخَضِرَ وَحَدَّثَهُ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ الْخَضِرُ؟ وَمِنْ أَيْنَ عَرَفَ ذَلِكَ؟ فَسَكَتَ. وَبَعْضُهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ الْخَضِرِيَّةَ رُتْبَةٌ يَتَوَلَّاهَا **بَعْضُ الصَّالِحِينَ** عَلَى قَدَمِ الْخَضِرِ، وَسَمِعْنَا الْحَدِيثَ عَنْ". (١)

٤٩. ٧-"وقت وساعة، كذلك قال مَن شاركهم في الجهل بالله، مع وضوح الآيات لمن عرف الله. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ولَمَّا قالت اليهود والنصارى لرسول الله صلى الله عليه وسلّم: اجعل بيننا وبينك هُدْنة نتبعك بعدها، وأضمَرُوا في نفوسهم أنهم لا يتبعونه حتى يتبع ملتهم، فضحهم الله تعالى، فقال:

[سورة البقرة (٢) : آية ١٢٠]

وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (١٢٠)

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٢٠٤/٧

قلت: الملّة هي الشريعة، وهي ما شرع الله على لسان أنبيائه ورسله، من أمللت الكتاب وأمليته، إذا قرأته.

والهوى: رأى يتبع الشهوة.

يقول الحق جلّ جلاله لرسوله صلّى الله عليه وسلّم: وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وتتبع دينك أبداً، وَلَا النَّصارى كذلك حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ على فرض المحال، والمقصود قطعُ رجائه من إسلامهم باختيارهم لأن اتباعه ملتهم محال، وكذلك إسلامهم. ولعله في قوم مخصوصين. ثم زاد في التنفير من اتباعهم فقال: وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ الباطلة فرضاً وتقديراً بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ بالله وبأحكامه على المنهاج القويم، ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ يمنعك منا، وَلا نَصِيرٍ ينصرك من غيرنا، أي: لا ولي ولا نصير لك إلا نحن حيث واليتنا، وأحببتنا، وأظهرت ملتنا، فنحن لك على ما تحب وترضى.

الإشارة: التماس رضى الناس من علامة الإفلاس، ولن يرضى عنك الناس حتى تتبع أهواءهم، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما تحققت ما هم فيه، إنك إذاً لمن الظالمين، فمن التمس رضى الناس وقع في سخط الله، ومن التمس رضى الله قطع يأسه من الناس. ولذلك قال بعضهم: كل ما سقط من عين الخلق عظم في عين الحق، وكل ما عظم في عين الخلق سقط من عين الحق، وقال آخر: إن الذي تكرهون مني هو الذي يشتهيه قلبي. هـ.

وقال **بعض الصالحين**: (لقيتُ بعض الأبدال، فقلت له: دُلَّني على الطريق؟ فقال: لا تخالط الناس فإن مخالطتهم ظلمة، فقلت: لا بد من مخالطتهم وأنا بين أظهرهم؟ فقال لا تعاملهم، فإن معاملتهم خسران. قلت: لا بد من معاملتهم؟ فقال: لا تركن إليهم، فإن في الركون إليهم هلكة، فقلت: هذا لعله يكون؟ فقال: يا هذا، أتخالط البطالين، وتعامل الجاهلين، وتركن إلى الهلكى، وتحب أن يكون قلبك مع الله؟ هيهات.. هذا لا يكون أبدًا، ثم غاب عني ولم أره) .". (١)

٥٠. ٨-"وقوله تعالى: رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ، قيل: هو الحب لله، فلا يسأل العبد من مولاه من حبه إلا ما يطيقه، وتأمل قضية الرجل الذي سأل سيدنا موسى عليه السلام أن يرزقه الله حبه، فلما سأل ربه موسى عليه السلام هام ذلك الرجل، وشق ثيابه، وتمزقت أوصاله حتى مات. فناجى موسى رضى الله عنه ربه في شأنه، فقال:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ١/١٦٠

يا موسى، ألف رجل كلهم سألوني ما سأل ذلك الرجل، فقسمت جزءاً من محبتي بينهم، فنابه ذلك الجزء. أو كما قال سبحانه.

وقال **بعض الصالحين**: حضرتُ مجلس ذي النون، في فسطاط مصر، فَحَزَرْت «١» في مجلسه سبعين ألفا، فتلكم ذلك اليوم في محبته تعالى فمات أحدَ عشرَ رجلاً في المجلس، فصاح رجل من المريدين فقال: يا أبا الفيض، ذكرْتَ محبة الله تعالى فاذكر محبة المخلوقين، فتأوّه ذو النون تأوّهاً شديداً، ومدّ يده إلى قميصه، وشقه اثنتين، وقال: آه! غلقت رهونهم، واستعبرت عيونهم، وحالفوا السُّهَاد، وفارقوا الرُّقاد، فليلُهم طويل، ونومهم قليل، أحزانهم لا تُنْفذ. وهمومهم لا تفقد، أمورهم عسيرة، ودموعهم غزيرة، باكية عيونهم، قريحة جفونهم، عاداهم الزمان والأهل والجيران.

قلت: هذه حالة العباد والزهاد، أُولي الجد والاجتهاد، غلب عليهم الخوف المزعِج، أو الشوق المقلق، وأما العارفون الواصلون فقد زال عنهم هذا التعب، وأفضوا إلى الراحة بعد النصب، قد وصلوا إلى مشاهدة الحبيب، ومناجاة القريب، فعبادتهم قلبية، وأعمالهم باطنية، بين فكرة ونظرة، مع العكوف في الحضرة، قد سكن شوقهم وزال قلقهم، قد شربوا ورووا، وسكروا وصحوا، فلا تحركهم الأحوال، ولا تهيجهم الأقوال، بل هم كالجبال الرواسي، نفعنا الله بذكرهم، وجعلنا من حزبهم. آمين.

قوله تعالى: (واعف عنا) ، قال الورتجبي: أي: (واعف عنا) قلة المعرفة بك، (واغفر لنا) التقصير في عبادتك، (وارحمنا) بمواصلتك ومشاهدتك. هـ. وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) حزر الشيء حزرا: قدره بالتخمين فهو حازر.". (١)

٥١. ٩-"قال ابن عطية: وجملة ما عليه أهلُ العلم في هذا: أن الأمر بالمعروف متعين متى رجى القبول، أو رجى رد المظالم، ولو بعُنف، ما لم يخف الآمِرُ ضررًا يلحقه في خاصته، أو فتنة يدخلها على المسلمين، إما بشق عصًا، وإما بضرر يلحق طائفة من الناس، فإذا خيف هذا فعليكم أنفسكم، حُكمٌ واجب أن يوقف عنده. هـ.

ثم هدَّد مَن لم ينته، فقال: إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وفيه تنبيه على أن أحدًا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٣٢٠/١

لا يؤاخذ بذنب غيره، وتسليةٌ عن أمور الدنيا مكروهها ومحبوبها، بذكر الحشر وما بعده، وعن بعض الصالحين أنه قال: ما من يوم إلاَّ يجيئني الشيطان فيقول: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول له: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبور. هـ.

الإشارة: في الآية إغراء وتحضيض على الاعتناء بإصلاح النفوس وتطهيرها من الرذائل، وتحليتها بالفضائل، قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عليكم بإصلاح أنفسكم أولاً، فإذا صلحت فأصلحوا غيركم، فعلى العبد أن يشتغل بشأن نفسه ولا يلتفت إلى غيره، حتى إذا كمل تطهيرُها، وفرغ من تأديبها، فإن أمره الحق- جل جلاله- بإصلاح غيره على لسان شيخ كامل، أو هاتف حقيقي، فليتقدم لذلك، فإنه حينئذٍ محمول محفوظ مأذون، وإلا فعليه بخاصة نفسه، كما تقدّم. والله- تعالى- أعلم.

ولما جرى ذكر المرجع وما بعده، ولا يكون إلا بالموت، ناسب أن يذكر الوصية، التي من شأنها أن تكون عندها، فقال:

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١٠٦ الى ١٠٨]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيانِ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ لَشَهادَتُنا أَحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما وَمَا اعْتَدَيْنا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذلِكَ أَدْنى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهادَةِ عَلى وَجْهِها أَوْ يَخافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمانٌ بَعْدَ أَيْمانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (١٠٨)

قلت: (شهادة) : مبتدأ، وخبره: (اثنان) ، أي: مقيم شهادة بينكم اثنان، أو حذف الخبر، أي: فيما أمرتكم شهادة بينكم، و (اثنان) على هذا: فاعل شهادة، و (إذا) : ظرف لشهادة، و (حين الوصية) : بدل منه، ويجوز أن يكون (إذا) : شرطية حذف جوابها، أي: إذا حضر الموت فينبغي أن يشهد

حين الوصية اثنان، و (ذوا عدل) : صفة". (١)

٥٢. ١٠-"وقال الهروي: الفقر صفة مهجورة، وهو ألدّ ما يناله العارف، لكونها تدخله على الله، وتجلسه بين يدي الله، وهو أعلم المقامات حكماً لقطع العوائق، والتجرد من العلائق، واشتغال القلب بالله. قيل: الفقير الصادق لا يملِك ولا يُملَك. وقال الشبلي: الفقير لا يستغني بشيء دون الله. وقال الشيخ ابن سبعين رضى الله عنه: الفقير هو الذي لا يحصره الكون. هـ. يعني: لخروج فكرته عن دائرة الأكوان. وقال القشيري: الفقير الصادق عندهم: مَنْ لا سماء تُظِله، ولا أرضَ تُقِلُّه، ولا سهم يتناوله، ولا معلومَ يشغِله، فهو عبد الله بالله. هـ.

وقال السهروردي في عوارفه: الفقر أساس التصوف، وبه قوامه، ويلزم من وجود التصوف وجود الفقر لأن التصوف اسم جامع لمعاني الفقر والزهد، مع زيادة أحوال لا بد منها للصوفي، وإن كان فقيراً زاهداً.

وقال بعضهم: نهاية الفقر بداية التصوف لأن التصوف اسم جامع لكل خلق سني، والخروج من كل خلق دنى، لكنهم اتفقوا ألاَّ دخول على الله إلا من باب الفقر، ومن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بشيء مما أشار إليه القوم.

وقال أبو إسحاق الهروي أيضاً: من أراد ان يبلغ الشرفَ كل الشرف فليخترْ سبعاً على سبع، فإن الصالحين اختاروها حتى بَلَغُوا سنام الخير. اختاروا الفقر على الغنى، والجوع على الشبع والدُّون على المرتفع، والذلَّ على العز، والتواضع على الكبر، والحزن على الفرح، والموت على الحياة. هـ. وقال بعضهم:

إن الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذراً أن يدخله فيفسد عليه فقره، كما يحترز الغنى من الفقر حذراً أن يفسد عليه غناه.

قال **بعض الصالحين**: كان لي مال، فرأيت فقيراً في الحرم جالساً منذ أيام، ولا يأكل ولا يشرب وعليه أطمار رثة، فقلت: أعينه بهذا المال فألقيته في حجره، وقلت: استعن بهذا على دنياك، فنفض بها في الحصباء، وقال لي:

اشتريتُ هذه الجلسة مع ربي بما ملكت، وأنت تفسدها عليَّ؟ ثم انصرف وتركني ألقطها. فو الله ما

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٨٥/٢

رأيت أعز منه لَمَّا بَدَّدَها، ولا أذل مني لما كنت ألقطها. هـ.

وكان بعضهم إذا أصبح عنده شيء اصبح حزيناً، وإذا لم يصبح عنده شيء أصبح فرحاً مسروراً، فقيل له:

إنما الناس بعكس هذا، فقال: إني إذا لم يصبح عندي شيء فلي برسول الله صلى الله عليه وسلّم أُسوة، وإذا أصبح لي شيء لم يكن لي برسول الله صلى الله عليه وسلّم أسوة حسنة. هـ. وجمهور الصوفية: يفضلون الفقير الصابر على الغني الشاكر، ويُفضلون الفقر في الجملة على الغنى لأنه- عليه الصلاة والسلام- اختاره، وما كان ليختار المفضول. وشذ منهم يحي بن معاذ الواعظ وأحمد بن عطاء.". (١)

٥٣. ١١-"قيل لبعض الصالحين: ما بال المجتهدين من أحسن الناس خلَقاً؟ قال: لأنهم خلَوْا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره. هـ نعم، إن صحب المعصية توبةٌ وانكسارٌ، وصحب الطاعة عز واستكبارُ، انقلبت حقيقتهما، فقد تُقرب المعصية وتبعد الطاعة. وفي الحِكَم: «معصية أورثت ذُلاً وافتقاراً خير من طاعة أورثت عزا واستكبار، وقال أيضاً:

«وربما قضى عليك بالذنب فكان سبب الوصول» .

ثم ذكر موطن وعد المحسنين ووعيد المسيئين، فقال:

[سورة يونس (١٠) : الآيات ٢٨ الى ٣٠]

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكاؤُكُمْ فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ وَقالَ شُرَكاؤُهُمْ مَّا كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ (٢٩) هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠)

قلت: (مكانكم) : مفعول، أي: الزموا مكانكم، و (أنتم) تأكيد للضمير المنتقل إليه، و (شركاؤكم) عطف عليه.

يقول الحق جلّ جلاله: وَاذكر يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يعني فريق الحسنى، وفريق النار، ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا: الزموا مَكانَكُمْ من الخزي والهوان، حتى تنظروا ما يفعل بكم، أَنْتُمْ وَشُرَكاؤُكُمْ معكم، تمثل حينئذ

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٣٩٦/٢

معهم، فَزَيَّلْنا: فرّقنا بَيْنَهُمْ وقطعنا الوُصل التي كانت بينهم، وَقالَ شُرَكاؤُهُمْ، ينطقها الله تعالى تكذيباً لهم فتقول: مَّا كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ، وإنما عبدتم في الحقيقة أهواءكم لأنها الأمارة لكم بالإشراك. وقيل المراد بالشركاء: الملائكة والمسيح.

فَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ، فإنه العالم بحقيقة الحال، إِنْ كُنَّا أي: إنه الأمر والشأن كنا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ، لم نأمركم بها ولم نرضها. قال ابن عطية: وظاهر هذه الآية أن محاورتهم إنما هي مع الأصنام دون الملائكة وعيسى، بدليل القول لهم: مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكاؤُكُمْ. ودون فرعون، ومن عُبد من الجن، بدليل قوله: إِنْ كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ، وهؤلاء لم يغفلوا قط عن عبادة من عبدهم. هـ.

هُنالِكَ تَبْلُوا: في ذلك المقام تبلوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ أي: تختبر ما قدمت من الأعمال خيراً أو شراً فتعاين نفعه وضرره، وقرأ الأخوان: «تتلوا» من التلاوة، أي: تقرأه في صحائف أعمالها، أو من التلوِ، أي:

تتبع عملها فتقودها إلى الجنة أو إلى النار. والمعنى: تفعل بها فعل المختبر لحالها المعرّف لسعادتها وشقاوتها". (١)

٥٤. ١٢-"قالَ هود عليه السلام: إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ على براءتي من شرككم، وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي أي: اقصدوا كيدي وهلاكي، جَمِيعاً، أنتم وشركاؤكم، ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ لا تؤخرون ساعة. وهذا من جملة معجزاته، فإن مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة، والفتاك العِطاش إلى إراقة دمه، بهذا الكلام، ليس إلا لتيقنه بالله، ومنعُهم من إضراره ليس إلا لعصمته إياه. ولذلك عقبه بقوله: إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، فهو تقرير له. والمعنى: أنكم وإن بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فإني متوكل على الله، واثق بكلاءته، وهو مالكي ومالككم، لا يحيق بي ما لم يُرده، ولا تقدرون على ما لم يُقدره.

ثم برهن عليه بقوله: ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها: إلا وهو مالك لها، قادرٌ عليها، يصرفها على ما يريد بها. والأخذ بالنواصي تمثيل لذلك. قاله البيضاوي. وقال ابن جزي: أي: هي في قبضته وتحت قهره، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله، وعدم مبالاته بالخلق. هـ. إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ أي: إنه على الحق والعدل، ولا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم. وقال في القوت: أخبر عن عدله

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢/٤٦٧

في محله، وقيام حكمته، وأنه وإن كان آخذاً بنواصي العباد في الخير والشر، والنفع والضر لاقتداره، فإن ذلك مستقيم في عدله، وصواب من حكمه. هـ.

فَإِنْ تَوَلَّوْا أي: فإن تتولوا وتُعرضوا عما جئتكم به، فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ. أي: فقد أديت ما عليّ من الإبلاغ، فلا تفريط مني، ولا عذر لكم فقد جاءكم النذير، وقامت الحجة عليكم، وما بقي إلا هلاككم. وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ يسكنون دياركم، ويعمرون بلادكم، فإن عتوا وطغوا سلك بهم مسلككم، وَلا تَضُرُّونَهُ بتوليكم عن الإيمان به، شَيْئاً من الضرر. أو لا تضرونه شيئاً إذا أهلككم واستخلف غيركم، إِنَّ رَبِّي عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ رقيب، فلا يخفى عليه أعمالكم، ولا يغفل عن مجازاتكم.

أو حافظ مستول عليه، فلا يمكن أن يضره شيء. قاله البيضاوي.

الإشارة: ما يقال للأولياء إلا ما قيل للرسل، فإذا توجه العبد إلى مولاه، وسقط على من هو أهل للتربية، وترك ما كان عليه قبل من الانتساب إلى غيره، وخرق عوائد نفسه، أو إصابة شيء من المكاره، قال الناس: ما اعتراه إلا **بعض الصالحين** بسوء، فيقول لهم: إني أُشهد الله، واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه. فإن أجمعوا على إضراره أو قتله قال لهم: فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون.

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها، وأنتم دواب مقهورون تحت قبضة الحق، إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ لا ينتقم إلا من أهل الانتقام، «من عاد لي وَلِياً فقَد آذنْتُهُ بالحرب» ، فإن ذكرهم بالله ودلهم على الطريق، فكذبوه وأعرضوا عنه، قال: عسى أن يذهب بكم، ويستخلف قوماً غيركم، يكونون متوجهين إليه أكثر منكم، ولا تضرونه شيئاً. وبالله التوفيق.". (١)

٥٥. ١٣-"لأن الأرض كانت مذأبة، وقيل: رأى في المنام أن الذئاب أحدقت بيوسف فكان يخافه، وإنما كان تأويلها: إحداق إخوته به حين أرادوا قتله. قالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ: جماعة، إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ: مغبونون من القوة والحزم، أو مستحقون بأن يدعى عليهم بالخسارة.

الإشارة: لم يسمح يعقوب عليه السلام بفراق حبيبه ساعة، وكذلك العبد لا ينبغي أن يغفل عن سيده لحظة لأن الغفلة فراق، والذكر انجماع، والعبد لا صبر له عن سيده. وأنشدوا:

فلأَبكيَن على الفراق كما بكى ... سفا لفُرقةِ يوسفٍ يعقوبُ

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢/٥٣٧

وَلأَدعُوَنَّكَ فِي الظلام كما دعا ... عند البلية رَبّهُ أيوبُ

وأنشدوا أيضاً في ذم الغفلة:

غَفَلتَ عَنِ الأَيَّامِ يا أَخي فَانتَبِهْ ... وَشَمِّرْ فإن الموتَ لا شك واقعْ

على أي شيءٍ هو حزنك قائم ... جنود المنايا تأتيك فانهض وسارعْ

قيل: إن بعض الصالحين رأى أستاذه في المنام، فقال له: يا أستاذ، أي الحسرات عندكم أعظم؟ قال: حسرة الغافلين. وأنشدوا:

تيقظ إلى التّذكار فالعمر قد مضى ... وحتى مَتَى ذا السكرُ من غفلة الهوى

ورأى ذو النون المصري بعض الصالحين في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، وقال:

يا مدعي، ادعيت محبتي ثم غفلت عني. وأنشدوا:

تغافلت عن فهم الحقيقة بالهوى ... فلا أُذنٌ تُصغِي ولا عينٌ تَذرِفُ

ضعفت ولكن في أمانيك قوةٌ ... فيا تابعَ اللذاتِ كم تتخلفُ

ورأى عبد الله بن مسلمة والده في النوم، فقال له: يا أبت، كيف ترى حالك؟ فقال له: يا ولدي عشنا غافلين.

وأنشدوا:

غفلتَ وحادِي الموتِ يحدوك للبِلاَ ... وجسمك يا مغرور أصبح معتلا

وحتى متى يا صاح بابك مغلق ... أتاك نذير الموت والعمر قد ولّى". (١)

٥٦. ١٤-"والمغفرة، لَمَسَّكُمْ عاجلاً فِيما أَفَضْتُمْ أي: بسبب ما خضتم فِيهِ من حديث الإفك عَذابٌ عَظِيمٌ يُستحقر دونه التوبيخ والجَلْدُ، يقال أفاض في الحديث، وفاض، واندفع: إذا خاض فيه. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ أي: لمسكم العذاب العظيم وقت تلقيه إياكم من المخترعين له، يقال: تلقى القول، وتلقنه، وتلقفه، بمعنى واحد، غير أن التلقف: فيه معنى الخطف والأخذ بسرعة، أي: إذ تأخذونه بِأَلْسِنَتِكُمْ بأن يقول بعضُكم لبعض: هل بلغك حديث عائشة، حتى شاع فيما بينكم وانتشر، فلم يبق بيت ولا نادٍ إلا طار فيه. وَتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢/٥٧٨

أي: قولاً لا حقيقة له، وقيّده بالأفواه، مع أن الكلام لا يكون إلا بالفم لأن الشيء المعلوم يكون في القلب، ثم يترجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولاً يدور فى الأفواه، من غير ترجمة عن علم به في القلب. وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً أي: وتظنون أن خوضكم في عائشة سَهْلٌ لا تبعة فيه، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ أي: والحال أنه عند الله كبير، لا يُقادر قدره في استجلاب العذاب. جزع **بعض الصالحين** عند الموت، فقيل له في ذلك، فقال: أخاف ذنباً لم يكن مني على بال، وهو عند الله عظيم.

وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ من المخترعين والشائعين له قُلْتُمْ ما يَكُونُ لَنا ما يمكننا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا، وما ينبغي أن يصدر عنا، وتوسيط الظروف بين «لولا» و «قلتم» إشارة إلى أنه كان الواجب أن يُبادروا بإنكار هذا الكلام في أول وقت سمعوه، فلما تأخر الإنكار وبّخهم عليه، فكان ذكرُ الوقت أَهَمَّ، فقدّم، والمعنى: هلاَّ قُلتم إذ سمعتم الإفك: ما يصح لنا أن نتكلم بهذا، سُبْحانَكَ تنزيهاً لك، وهو تعجبٌ مِنْ عِظَمِ ما فاهوا به.

ومعنى التعجب في كلمة التسبيح: أن الأصل أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه تعالى، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه. أو: تنزيهاً لك أن يكون في حرم نبيك فاجرة، هذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ لعظمة المبهوت عليه، واستحالة صدقه، فإنَّ حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار متعلقاتها. وقال فيما تقدم: هذا إِفْكٌ مُبِينٌ «١» . ويجوز أن يكونوا أُمروا بهما معاً، مبالغة في التبري.

يَعِظُكُمُ اللَّهُ أي: ينصحكم أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أي: كراهة أن تعودوا، أو يزجركم أن تعودوا لمثل هذا الحديث أو القذف أو الاستماع، أَبَداً مدة حياتكم، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فإن الإيمان وازع عنه لا محالة. وفيه تهييج وتقريع وتذكير بما يوجب ترك العود، وهو الإيمان الصادُّ عن كل قبيح.

---

(١) الآية ١٢ من سورة النور.". (١)

٥٧. ١٥-"يأكلون الطَّعامَ، مفتقرون إليه في قيام بنيتهم، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ في طلب حوائجهم، فليس ببدع أن تكون أنت كذلك، وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أي: محنة، وهو كالتعليل لِمَا قبله، أي: إنما جعلت الرسل مفتقرين للمادة، وفقراء من المال، يمشون في الاسواق لطلب المعاش ابتلاء، وفتنة، واختباراً لمن تبعهم، من غير طمع، ولم يعرض عنهم لأجل فقرهم، فقد جعلت بعضكم لبعض

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢٠/٤

فتنة. قال ابن عباس: أي: جعلت بعضكم بلاءً لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم، وترون من خلافهم، وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيكم عليه الدنيا، ولو شئتُ أن أجعل الدنيا مع رسلي، فلا يخالَفون، لفعلت، ولكن قدرت أن أبتلي العباد بكم وأبتليكم بهم «١» . هـ.

فالحكمة في فقر الرسل من المال: تحقيق الإخلاص لمن تبعهم، وإظهار المزية لهم حيث تبعوهم بلا حرف.

قال النسفي: أو جعلناك فتنة لهم لأنك لو كنت صاحب كنوز وجنات لكانت طاعتهم لأجل الدنيا، أو ممزوجة بالدنيا، فإنما بعثناك فقيراً لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا. هـ.

قال في الحاشية: وقد قيل: إن الدنيا دار بلاء وامتحان، فأراد تعالى أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض، على العموم في جميع الناس: مؤمن وكافر، بمعنى: أن كل واحد مُخْتَبَرٌ بصاحبه، فالغنى ممتحن بالفقير، عليه أن يواسيه ولا يسخر منه. والفقير ممتحن بالغنى، عليه ألا يحسده، ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق الذي عليه، وتوجه إليه من ذلك لأن الدار دار تكليف بموجبات الصبر، وقد جعل تعالى إمهال الكفار والتوسعة عليهم فتنة للمؤمنين، واختباراً لهم. ولمّا صبروا نزل فيهم: إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِما صَبَرُوا «٢» .

والحاصل: أن الله تعالى دبَّر خلقه، وخص كلاًّ بما شاء، من غِنى أو فقر، أو علم أو جهل، أو نبوة أو غيرها. وكذا سائر الخصوصيات ليظهر من يسلّم له حُكمه وقسمته، ومن ينازعه في ذلك، ومن يؤدي حق ما توجه عليه من ذلك فيكون شاكراً صابراً، ومن لا، وهو أعلم بحكمته في ذلك، ولذلك قال: وَكانَ رَبُّكَ بَصِيراً. هـ.

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، والوليد بن عتبة، والعاص، حين رأوا أبا ذر وعماراً وصهيباً، وغيرهم من فقراء المسلمين، قالوا: أنسلم فنكون مِثل هؤلاء؟ فنزلت الآية، تخاطب هؤلاء المؤمنين: أتصبرون على هذه الحالة من الشدة والفقر؟ هـ.

قال النسفي: أتصبرون على هذه الفتنة فتؤجروا، أم لا تصبرون فيزداد غمّكم؟ حكي أن **بعض الصالحين** تبرّم بضنك عيشه، فخرج ضجِراً، فرأى [خصياً في] «٣» مواكب ومراكب، فخطر بباله شيء، فإذا بقارئ يقرأ هذه الآية، فقال: بل نصبر، ربّنا. هـ.

---

(١) انظر تفسير البغوي ٦/ ٧٧.

(٢) من الآية ١١١ من سورة المؤمنون.

(٣) في الأصول المخطوطة [فى حصباء] ، والمثبت هو الذي فى تفسير النسفي. [.....]".(١)

٥٨. ١٦-"تعالى، ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة، حسبما أدعوكم إليهما. فَصوّر ذلك بصورة الأجر من حيث أنه مقصود الإتيان به، واستثناه منه قطعاً لشائبة الطمع، وإظهاراً لغاية الشفقة عليهم، حيث جعل ذلك، مع كون نفعه عائداً إليهم، عائدا إليه صلى الله عليه وسلم. والله تعالى أعلم.

الإشارة: العلماء بالله خلفاء الرسل، فما أظهرهم الله في كل زمان إلا ليذكروا الناس ويعظوهم، ويبشروهم ويُنذروهم، من غير عوض ولا طمع، فإن تعلقت همتهم بشيء من عرض الدنيا من أيدي الناس، كسَف ذلك نورهم، وانتقص نفعهم، وقَلَّ الاهتداء على أيديهم، وقد تقدّم هذا مراراً. وبالله التوفيق. ثم أمر نبيه بالتوكل، ليغيب عن خيرهم وشرهم، وعن طلب الأجر منهم، فقال:

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٥٨ الى ٦٠]

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً (٥٩) وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَمَا الرَّحْمنُ أَنَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَزادَهُمْ نُفُوراً (٦٠)

يقول الحق جلّ جلاله: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ في الاستكفاء عن شرورهم، والاغتناء عن أجورهم، أي: ثق به فإنه يكفيك عن الطمع فيمن يموت، فلا تطلب على تبليغك من مخلوق أجراً، فإن الله كافيك. قرأها **بعض الصالحين** فقال: لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق. وَسَبِّحْ أي: ونزهه أن يكل إلى غيره مَنْ تَوَكَّلَ عليه، بِحَمْدِهِ أي: بتوفيقه الذي يوجب الحمد، أو: قل سبحان الله وبحمده، أو: نزهه عن صفات النقصان، مثنياً عليه بنعوت الكمال، طالباً لمزيد الإنعام، وَكَفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً أي: كفى الله خبيراً بذنوب عباده، ما ظهر منها وما بطن، يعني: أنه خبير بأحوالهم، كافٍ في جزاء أعمالهم الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ أي: في مدة مقدارها [ستة أيام] «١» إذْ لم يكن ليل ولا نهار. وعن مجاهد: أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة،

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٨٦/٤

وإنما خلقها في هذه المدة، وهو قادر على خلقها في لحظة، تعليماً لخلقه الرفق والتثبت. ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ استواء يليق به، الرَّحْمنُ أي: هو الرحمن، أو:
فاعل استوى، أي: استوى الرحمن برحمانيته على العرش وما احتوى عليه. وراجع ما تقدم في الأعراف.
«٢» فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً

---

(١) زيادة ليست فى الأصول.

(٢) راجع: تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف (٢/ ٢٢٣- ٢٢٥) .". (١)

٥٩. ١٧-"فلأنه جملة من مبتدأ وخبر، أي: فهو يكون. ومَن نصب فللعطف على «يقول» .
والمعنى: أنه ليس ممن يلحقه نصَب ولا مشقة، ولا يتعاظمه أمر، بل إيجاد المعدومات، وإعدام الموجودات، عليه أسرع من لمح البصر هـ.
فَسُبْحانَ تنزيهاً له مما وصفه به المشركون، وتعجيب مما قالوا، الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ أي: ملك كُلِّ شَيْءٍ والتصرُّف فيه على الإطلاق. وزيادة الواو والتاء للمبالغة، أي: مالك كلّ شيء، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ بالبعث للجزاء والحساب.
الإشارة: أوَ لَم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة مهينة، فإذا هو خصيم لنا في تدبيرنا واختيارنا، ويُنازعنا في مُرادنا من خلقنا، ومرادنا منهم: ما هم عليه. فاستحي أيها الإنسان أن تُخاصم الله في حكمه، أو تنازعه في تقديره وتدبيره، وسلِّم الأمور لِمَن بيده الخلق والأمر. بكى **بعضُ الصالحين** أربعين سنة على ذنب أذنبه. قيل له: وما هو؟
قال: (قلت لشيء كان: ليته لم يكن) . فارْضَ بما يختاره الحق لك، جلاليًّا كان أو جماليًّا ولا تختر من أمرك شيئاً، والله يعلم وأنتم لا تعلمون. وكل مَن اهتم بأمر نفسه، واشتغل بتدبير شئونها، فقد ضرب لله مثلاً، بأن أشرك نفسه معه، ونَسِي خلقه، ولو فكر في ضعف أصله، وحاله، لاستحيا أن يُدبِّر لنفسه مع ربه، وفي الإشارات عن الله تعالى: أيها العبد لو أَذِنْتُ لك أن تدبر لنفسك لكنت تستحيي مني أن تدبر لها، فكيف وقد نهيتك عن الندية!.
وكما قَدَرَ على إحياء العظام الرميمة، يَقْدر على إحياء القلوب الميتة، ومَن قَدَرَ على استخراج النار

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ١١١/٤

من محل الماء، يقدر على استخراج العلم من الجهل، واليقظة من الغفلة، ومَن كان أمره بين الكاف والنون، بل أسرع من لحظ العيون، ينبغي أن يُرجع إليه في جميع الشئون. قال القشيري: فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء، فلا يحدث شيء- قلّ أو كثر- إلا بإبداعه وإنشائه، ولا يبقى منها شيء إلا بإبقائه، فمنه ظهر ما يحدث، وإليه يصير ما يخلق. هـ.

قال النسفي: قال صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ يس يريد بها وجه الله غفر اللهُ له، وأُعطي من الأجر كمَن قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة» وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وآله وصحبه، وسلم.". (١)

٦٠. ١٨-"ثم ذكر هجرة إبراهيم، وما امتحن به، فقال:

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٩٩ الى ١١١]

وَقالَ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣)

وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨)

سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ (١٠٩) كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١)

قلت: «معه» : يتعلق بمحذوف، أي: بلغ السعي يسعى معه، ولا يتعلق ببلغ لأنه يقتضي الاشتراك في البلوغ، ولا بالسعي لأن المصدر لا يتقدَّم عليه معموله، إلا أن يُقال: يتسع في الظروف ما لا يتسع في غيرها.

يقول الحق جلّ جلاله: وَقالَ إبراهيمُ: إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي إلى موضع أمرني ربي بالذهاب إليه، وهو الشام، أو: إلى مرضاة ربي، بامتثال أمره بالهجرة، أو: إلى المكان الذي أتجرّد فيه إلى عبادة ربي، سَيَهْدِينِ أي: سيرشدني إلى ما فيه صلاح ديني، أو: إلى مقصدي، وإنما بتَّ القول لسبق وعده لأن الله وعده بالهداية، أو: لفرط توكله، أو: للبناء على عادته معه. ولم يكن كذلك حال موسى عليه

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٤/٥٨٨

السلام حيث عبَّر بما يقتضي الرجاء «١» .
ثم قال: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ **بعض الصالحين**، يُعينني على الدعوة والطاعة، ويُونسي في الغربة. يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب على الولد. فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ، انطوت البشارة على ثلاث: على أنّ الولد ذكر، وأنه يبلغ أوانَ الحُلم لأن الصبيَّ لا يُوصف بالحلم، وأنه يكون حليماً، وأيّ حليم أعظم من حلمه، حيث عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق، فقال: سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ «٢» ، ثم استسلم. وقيل: ما نعت الله نبيًّا بالحلم إلا إبراهيم وابنَه لَمَعَزَّةِ وجوده.

(١) حيث قال: عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ الآية ٢٢ من سورة القصص.
(٢) الآية ١٠٢ من سورة الصافات.". (١)

٦١. ١٩-"فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانة، والتأهُّب ليوم القيامة، وهي أبعد شيء من علمهم لبعثِها على رفض الدنيا، والتباعد عن تتبع ملاذها، لم يلتفتوا إليها، وصغّروها، واستهزؤوا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفؤاد من علمهم، ففرحوا به. أو: علم التنجيم والفلسفة، والدهريّين فإنهم كانوا إذا سمعوا بالوحي دفعوه، وصغّروا علم الأنبياء إلى علمهم، واعتقدوا عندهم علماً يستغنون به عن علم الأنبياء- عليهم السلام- ولما سمع بقراط بموسى عليه السلام قيل له: لو هاجرت إليه! فقال: نحن قوم مهذَّبون، فلا حاجة إلى مَن يُهذّبنا.
ورأى **بعضُ الصالحين** النبيَّ صلى الله عليه وسلم فسأله عن ابن سيرين، فقال له: «إنه أراد أن يصل إلى الله بلا واسطة، فانقطع عن الله» وعلى فرض وقوفهم بالتجريد والرياضة على انكشاف حضرة القدس، فلا يظفرون بالعبودية، ولا بالفناء في توحيد الربوبية، والتخلُّص من لَوَث وجودهم، والشأن أن تكون عين الاسم، لا أن تعرف الاسم والعين، إنما تقتبس من مشكاة مهبط الوحي، وانصباب أنوار الغيب إنما تفيض بواسطة درة الوجود، نبينا صلّى الله عليه وسلم، ومظهر سر العيان الأحدي الأحمدي، فافهم. قاله شيخ شيوخنا، سيدي عبد الرحمن الفاسي.
قال تعالى: وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ أي: نزل بهم عقوبة استخفافهم بالحق، وتعظيمهم واغتباطهم بالباطل. فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا شدة عذابنا، ومنه: بِعَذابٍ بَئِيسٍ «١» ، قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٦٠٨/٤

وَكَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ يعنون الأصنام.

فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا أي: فلم يستقم، ولم يصح أن ينفعهم إيمانهم عند مجيء العذاب لأن النافع هو الإيمان الاختياري، لا الاضطراري، سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ أي: سنَّ اللهُ ذلك سُنَّة ماضية في عباده، ألاَّ يُقبل الإيمان إلا قبل نزول العذاب. وهو من المصادر المؤكدة، نحو: وعد الله، ونحوه.

وَخَسِرَ هُنالِكَ الْكافِرُونَ أي: وقت رؤيتهم البأس. فهنالك: مكان استعير للزمان، والكافرون خاسرون في كل أوان، ولكن يتبيّن خسرانهم إذا عاينوا العذاب.

وفائدة ترادف الفاءات في هذه الآيات: أن فَما أَغْنى عَنْهُمْ نتيجة قوله: كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وفَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ كالبيان والتفسير لقوله: فَما أَغْنى عَنْهُمْ، كقولك: رُزِق زيد المال، فمَنَع المعروف، فلم يحسن إلى الفقراء. وفَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا تابع لقوله: فَلَمَّا جاءَتْهُمْ، كأنه قال: فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا. وكذلك: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ [تابع لإيمانهم] «٢» لمّا رأوا بأس الله، والله تعالى أعلم.

---

(١) من الآية ١٦٥ من سورة الأعراف.

(٢) ما بين المعقوفتين ليس فى الأصول، وأثبته من تفسير النّسفى.". (١)

٦٢. ٢٢-"فَنِعَمُ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَةٌ مِنْهَا مَا يَجِبُ تَحْدِيثُهُ بِهِ وَهُوَ تَبْلِيغُهُ النَّاسَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ وَذَلِكَ دَاخِلٌ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَقَدْ كَانَ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْإِسْلَامَ فَيَقُولُ لِمَنْ يُخَاطِبُهُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ.

وَمِنْهَا تَعْرِيفُهُ النَّاسَ مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْبِرِّ وَالطَّاعَةِ

كَقَوْلِهِ لِمَنْ قَالَ لَهُ: «اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى وَحْيِهِ وَلَا تأمنوني»

، وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ التَّحْدِيثُ بِهِ فِي وَاجِبِ الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ فَهَذَا وُجُوبُهُ عَلَى النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِصٌ مِنْ عُرُوضِ الْمَعَارِضِ لِأَنَّ النَّبِيءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْصُومٌ مِنْ عُرُوضِ الرِّيَاءِ وَلَا يَظُنُّ النَّاسُ بِهِ ذَلِكَ فَوُجُوبُهُ عَلَيْهِ ثَابِتٌ.

وَأَمَّا الْأُمَّةُ فَقَدْ يَكُونُ التَّحَدِيثُ بِالنِّعْمَةِ مِنْهُمْ مَحْفُوفًا بِرِيَاءٍ أَوْ تَفَاخُرٍ. وَقَدْ يَنْكَسِرُ لَهُ خَاطِرُ مَنْ هُوَ

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ١٥٧/٥

غَيْرُ وَاحِدٍ مِثْلَ النِّعْمَةِ الْمُتَحَدَّثِ بِهَا. وَهَذَا مَجَالٌ لِلنَّظَرِ فِي الْمُعَارَضَةِ بَيْنَ الْمُقْتَضِي وَالْمَانِعِ، وَطَرِيقَةِ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا إِنْ أَمْكَنَ أَوِ التَّرْجِيحِ لِأَحَدِهِمَا. وَفِي «تَفْسِيرِ الْفَخْرِ» : سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الصَّحَابَةِ فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُ: فَحَدِّثْنَا عَنْ نَفْسِكَ فَقَالَ: مَهْلًا فَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ التَّزْكِيَةِ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ فَقَالَ: فَإِنِّي أُحَدِّثُ كُنْتُ إِذَا سُئِلْتُ أَعْطَيْتُ. وَإِذَا سُكِتَ ابْتَدَيْتُ، وَبَيْنَ الْجَوَانِحِ عِلْمٌ جَمٌّ فَاسْأَلُونِي. فَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ خَصَّ النِّعْمَةَ فِي قَوْلِهِ: بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِنِعْمَةِ الْقُرْآنِ وَنِعْمَةِ النُّبُوءَةِ وَقَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ رَأَى وُجُوبَ التَّحَدُّثِ بِالنِّعْمَةِ. رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ (١) .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الْخِطَابُ لِلنَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْحُكْمُ عَامٌّ لَهُ وَلِغَيْرِهِ. قَالَ عِيَاض فِي «الشِّفَاء» : «وَهَذَا خَاصٌّ لَهُ عَامٌّ لِأُمَّتِهِ» .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ (٢) : إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ إِخْوَانِهِ مَنْ يَثِقُ بِهِ يَقُولُ لَهُ رَزَقَ اللَّهُ مِنَ الصَّلَاةِ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَالِبٍ (٣) : أَنَّهُ كَانَ إِذَا

---

(١) أَبُو نَضرة الْمُنْذر بن مَالك الْعَبْدي الْبَصْرِيّ من صغَار التَّابِعين توفّي سنة ١٠٨ هـ.

(٢) كَذَا قَالَ الْقُرْطُبِيّ فَيحْتَمل أَنه عَمْرو بن مَيْمُون الرقي الْمُتَوفَّى سنة ١٤٥ هـ وَيحْتَمل أَنه الأودي الْكُوفِي الْمُتَوفَّى سنة ٧٤ هـ.

(٣) وَصفه ابْن عَطِيَّة **بِبَعْض الصَّالِحين** وَلَعَلَّه عبد الله بن غَالب الْحداني الْبَصْرِيّ العابد توفّي سنة ٨٣ هـ." (١)

٦٣. ٢٣-"(١٤) نتقنا: قلبنا أو رفعنا أو اقتلعنا.

(١٥) كأنه ظلّة: كأنه صار يظلّهم من فوقهم.

(١٦) وظنّوا: هنا بمعنى تيقّنوا.

وهذه حلقة ثالثة وهي الأخيرة من سلسلة قصص بني إسرائيل احتوت إشارة موجزة إلى بعض ما كان من بعضهم من بعد موسى عليه السلام من انحراف وما كان من احتيالهم على شريعة السبت وما كان من إنذارهم بلسان **بعض الصالحين** وعدم ارعوائهم ونكال الله بهم وجعله إياهم قردة وتنجيته

---

(١) التحرير والتنوير ٤٠٤/٣٠

الذين ينهون عن السوء، وإصرارهم مع ذلك على التمرّد وتعلّقهم بمتاع الدنيا وأعراضها وبيعهم دينهم وكتاب الله بسبيل ذلك رغم العهد الذي أخذه عليهم يوم نتق الله فوقهم الجبل حتى اعتقدوا أنه واقع عليهم بأن يتمسكوا بما أنزله لهم من أحكام ومبادئ بقوة ويتذكروها دائما حتى يتقوا بذلك غضب الله وعواقب سخطه. وما كان من تشتيت الله لهم في الأرض وإيلائه على نفسه بأن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة عقوبة لهم مع تنويه بمن يظلّ متمسكا بكتاب الله تعالى ووعده بعدم تضييع وبخس أجر المصلحين.

ونتق الجبل فوقهم كأنه ظلة ورد في سورتي البقرة والنساء بصيغة أخرى حيث جاء في سورة البقرة: وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ [٩٣] وفي سورة النساء: وَرَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثاقِهِمْ [١٥٤] والمتبادر أن هذا من قبيل الخوارق والمعجزات التي أجراها الله لبني إسرائيل وقد أشير إلى ذلك بصيغة غامضة في سفري الخروج والعدد من أسفار العهد القديم. ونعتقد أنه كان صريحا متطابقا مع ما جاء في القرآن في أسفار أخرى. وأسلوب الآية التذكيري يدعم ذلك لأنه يذكّر بأمر كان واضحا معلوما للسامعين من بني إسرائيل والله تعالى أعلم.". (١)

٦٤. ٢٤-"كراهية له.. وهو هنا كناية عن كل ضالّ أضلّ صاحبه، كما يقول الله تعالى:

«الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» (٦٧: الزخرف) .!

فالأخلّاء فى الدنيا، إذا كانت المخالّة بينهم قائمة على الخير، وعلى الإيمان والتقوى، كانت فى الآخرة روحا وأنسا.. أما إذا كانت قد جمعت بينهم على طريق الضلال والغواية، فإنها تكون يوم القيامة حسرة وندامة، وعداوة بادية، وتراميا باللّعن والسّباب.. وفى هذا يقول الله تعالى فى الكافرين: «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْواكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ» (٢٥: العنكبوت) .

روى أن **بعض الصالحين**، افتتن بامرأة، حتى كاد يجنّ بها، ولم يستطع مغالبة هواه، وجعل يتوسل إليها بوسائل كثيرة، وهى تأبى عليه، حتى إذا استجابت له بعد لأى، وأمكنته من نفسها، أعرض عنها، وفرّ من وجهها، فسألته: لم هذا الإعراض والفرار، بعد الطلب الملحّ والملاحقة المتصلة؟

فقال: لقد ذكرت قول الله تعالى: «الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» .. وأنا أريد أن

---

(١) التفسير الحديث ٢/٥١٩

أحرص على هذا الحبّ الذي لك فى قلبى، وأحتفظ بذلك الإعزاز الذي لك فى نفسى، وألّا ينقلب هذا الحب وذلك الإعزاز إلى عداوة وخصام، ولعان.. يوم القيامة!! وقوله تعالى: «لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي» - هو مقولات الظالم يوم القيامة، حيث ينحى باللائمة على كل من كان سببا فى إضلاله وغوايته.

«وَالذِّكْرِ» هو ذكر الله، والاتجاه إليه، والإيمان به.. وقد جاء ذلك الذكر على لسان الرسول الكريم فى آيات الله المنزلة عليه.. فالقرآن الكريم، هو ذكر فى ذاته، وهو منبع الذكر، ومصدره، كما يقول الله تعالى: «وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ» (١: ص) .". (١)

٦٥. ٢٥-"إن معارف الناس، وتصوراتهم وأخيلتهم فى هذه الدنيا، لا تكاد تلتقى مع شيء من أمور الآخرة، وإن كان المؤمنون بالله أكثر تصورا لها، وأقرب إدراكا لمجملها..

روى أن **بعض الصالحين** حين حضره الموت، فزع واضطرب، فسئل فى هذا، فقال: ذكرت قول الله تعالى: «وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» فما أدرى ماذا يبدو لى من الله وأنا مقدم عليه!.

قوله تعالى:

«وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» .

هو معطوف على قوله تعالى: «وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» - من عطف الخاص على العام.. فمما يبدو للظالمين- مما لم يكونوا يحتسبونه- هو سيئات ما كسبوا، حيث يبدو كسبهم الذي كسبوه، وعملهم الذي عملوه فى الدنيا، ضلالا فى ضلال، وسوءا إلى سوء. وخسرانا إلى خسران، مع أنهم كانوا يحسبون أن هذا الذي يعملون، هو الحق، وهو الخير.. والله سبحانه وتعالى يقول: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً» .. (١٠٣- ١٠٤: الكهف) وقوله تعالى: «وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» ..

حاق بهم: أي نزل بهم، واشتمل عليهم.. وأصله من الحقّ..

ومعنى هذا، أن الحق الذي كانوا يستهزئون به قد جاء ليحاكمهم، وليقتصّ منهم لجناياتهم التي جنوها

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ١٢/١٠

عليه، بالانتصار للباطل، ومحاربة أولياء الحق..". (١)

٦٦. ٢٦-"يدفع الإنسان إلى العمل والاجتهاد فى الطاعات.. والرجاء يشدّ عزمه، ويقوّى يقينه، ويثبت خطوه..

يقول **بعض الصالحين**: «لو أنزل الله كتابا بأنه معذب رجلا واحدا لخفت أن أكونه، أو أنه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه» .. وهذا أعدل موقف يقفه الإنسان، بين خوفه من ربّه وطمعه فى رحمته.

قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالًا سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» .

فى الآية الكريمة عرض لمظهر من مظاهر قدرة الله، وما تحمل هذه القدرة إلى الناس من رحمة..

فهذه الرياح، يرسلها الله رسل رحمة إلى الناس، حيث تحمل السحاب مثقّلا بالماء، فتسوقه إلى الأرض الجديب والبلد الميت، ثم تنزل ما حملت من ماء، فتسيل به الوديان، وتجرى منه العيون، وإذا هذا الجدب، وذلك الموات، حياة تدبّ فى أوصال الكائنات، من جماد، ونبات، وحيوان..

تلك بعض مظاهر القدرة.. القادرة تلبس الجماد ثوب الحياة، وتخرج من الأرض الجديب زروعا ناضرة، وثمارا دانية القطوف، مختلفة الطعوم..

فهل تعجز هذه القدرة عن إحياء الموتى، ونشر الهامدين من القبور؟ ذلك ما لا يقول به عاقل إذا نظر نظرة هناك، ثم نظر نظرة هنا: «كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون» .. ولكن أين من يعقل ويتذكر؟.

قوله تعالى: «وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً» .. وهكذا الناس، يصوبهم الغيث الإلهى من آياته وكلماته بين يدى الرسل، فيكون منهم ما يكون من الأرض الجديب يصوبها المطر، فبعضها طيب كريم، يقبل". (٢)

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ١١٧٤/١٢

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٤١٧/٤

٦٧. ٢٧-"وقد استشفّ **بعض الصالحين** هذه الظاهرة، ووقع على السرّ الكامن فيها.. حين نظر فوجد أن الأطفال يتحكمون فى الكبار، حيث ينزل الكبار إلى مستواهم، يلاعبونهم، ويلاطفونهم، ويجدون السعادة والرضا فى خدمتهم والسهر على راحتهم..

وقد علّل ذلك بأن الطفولة أقرب عهدا بالله، وأطهر نفسا، وأصفى روحا.

فهى فى صفائها وطهارتها أقرب ما تكون إلى الملائكة، ومن هنا سخّر الله سبحانه وتعالى الكبار لخدمة الصغار.. والأخيار الصالحون أقرب ما يكونون إلى الأطفال، فى براءتهم وطهرهم.. ومن هنا كان سلطانهم على الناس، ومكانتهم فيهم أشبه بسلطان الطفولة القاهر على الآباء وغير الآباء.. إنهم أقرب إلى الله من كل عباد الله.. ومن كان من الله أقرب، سخّر له من كان من الله أبعد، ومن كان فى طاعة الله، كان الناس فى طاعته! كان أبو عبد الله التونسى فى مدينة تلمسان، مشهورا بين الناس بالصلاح والتقوى، فمرّ به يحيى بن يقان حاكم تلمسان فى خدمه وحشمه، فقيل له: هذا أبو عبد الله التونسىّ، فمسك لجام فرسه، وسلم على الشيخ، فردّ عليه السلام، وكان على الملك ثياب من فاخر الحرير، فقال يا شيخ: هذه الثياب التي أنا لابسها أتجوز لى الصلاة فيها؟

فضحك الشيخ، فقال الحاكم: ممّ تضحك؟ قال: من سخف عقلك، وجهلك بنفسك وحالك، مالك تشبيه عندى إلا بالكلب، يتمرغ فى دم الجيفة وأكلها وقذارتها، فإذا جاء يبول يرفع رجليه، حتى لا يصيبه البول! «وأنت وعاء ملىء حراما، وتسأل عن الثياب، ومظالم العباد فى عنقك؟

قالوا: فبكى الحاكم، ونزل عن فرسه، وخرج عن سلطانه من حينه، ولزم". (١)

٦٨. ٢٨-"ولا يقدرونه قدره.. أما المؤمنون فهم أبدا على رجاء من رحمة الله، وعلى ترقب لفضله، وتوقّع لغوثه.. ويوم ينقطع رجاء العبد من ربه، فذلك شاهد على انقطاع الصلة بينه وبينه، وعلى فراغ القلب من أية ذرّة من ذرات الإيمان به! روى أن **بعض الصالحين** كان يقول: «إن لى إلى الله حاجة أدعوه لها منذ أربعين عاما، ما استجابها لى، ولا يئست من دعائه..»

- وفى قوله «فتحسسوا» إشارة إلى البحث المعتمد على التحسس بالمشاعر والحدس، لا على النظر المادىّ، إذ كان الأمر خفيّا، لا يرى الرائي منه شيئا..

إنه فى البحث عنه أشبه بمن يتحسس طريقه فى الظلام الدامس، حيث يبطل عمل العينين، ويكون

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ٩٤٣/٦

الاعتماد على الحدس والتظنّي..

وفى تعدية الفعل بحرف الجر من، وهو فعل متعدّ بنفسه، إشارة إلى أنهم يتبعون آثار يوسف وأخيه أثرا أثرا، ويتحسسوها خطوة خطوة.. فحرف الجر «من» دال على التبعيض فى هذا التركيب.

وروح الله: نفحات رحمته، وأنسام لطفه، التي بها تستروح النفوس، وتنتعش الأرواح..

الآيات: (٨٨- ٩٢) [سورة يوسف (١٢) : الآيات ٨٨ الى ٩٢]

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قالَ هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ (٨٩) قالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وَإِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ (٩١) قالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)". (١)

٦٩. ٢٩-"آلهة لهم من دون الله، ما فيه نفع وخير، كالملائكة، **وبعض الصّالحين**، الذين قيل إن ودّا وسواع، ويغوث، ويعوق، كانوا من صالحى العرب، فلما ماتوا صنعوا لهم التماثيل، وأطلقوا عليها أسماءهم، ثم عبدوهم..

فالملائكة، وهؤلاء الصّالحون من عباد الله، ممن عبدهم الناس، أو اتخذوهم شفعاء لهم عنده- هم أشبه بهذا الماء، الذي فيه ريّ وحياة، وأنّ من يسلك سبيلهم، ويتأسّى بهم، ويرد موارد التقوى التي وردوها- يجد الريّ لروحه، والحياة لقلبه.. ولكن المشركين لم يحسنوا التعامل معهم، والانتفاع بهم، فهلكوا، وطريق النجاة دان منهم، ماثل أمام أعينهم! قوله تعالى: «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ» ..

هو قهر للمشركين وإذلال لهم، وأنّهم من حيث لا يريدون، ولا يدرون، هم منقادون لله، خاضعون له، إذ كانوا تحت سلطانه القاهر، وإرادته النافذة..

فهم إذ لم يعبدوا الله اختيارا وولاء، عبدوه كرها واضطرارا.. وأنفهم فى الرّغام، ومصيرهم إلى النار، لأنهم عصوا الله، وكفروا به، وأبوا أن يعطوه ولاءهم مختارين! وليس هذا شأن المشركين وحدهم.. بل إن

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ٧/٣٧

الوجود كلّه، فى سماواته وأرضه، وما فى سماواته وأرضه، ساجد لله، خاضع لعزته وجبروته، منقاد لإرادته ومشيئته.. فالمراد بالسجود هنا، الخضوع والانقياد «طَوْعاً وَكَرْهاً» !.

والوجود كلّه– ما عدا الإنسان– يسجد لله، ويخضع لإرادته، وينقاد لمشيئته «طوعا» من غير تردد، إذ لم يكن فيها– كما نعلم– كائن ذو إرادة، تضعه أمام أوامر الله ونواهيه بين الإقدام والإحجام، وبين الامتثال،". (١)

٧٠. ٣٠–"ولاءه لغيره، أو لمن طمع فى رحمته، ولم يرع حرماته، مجترئا عليه، مضيفا آثامه وذنوبه إلى رحمة الله ومغفرته.. فذلك مخادعة لله، ومكر بآياته.

فمن آمن بمغفرة الله الشاملة، ورحمته الواسعة، آمن به ربّا كريما رحيما، محسنا، وكان ذلك داعيا إلى حبّ الله وطاعته، لا إلى عصيانه ومحاربته..!

فالحال التي ينبغي أن يكون عليها العبد مع ربّه هى الطمع فى رحمته، والخوف من عذابه..

فالطمع يحرسه من اليأس إذا هو واقع إثما، أو ارتكب معصية.. والخوف يحرسه من أن يأتى الفواحش، أو يترخّص فيها، ولا يتأثم عند ما يضعف أمام هواه، فيقع فى المنكر..

وقد امتدح الله المؤمنين الذين يخشون ربّهم بالغيب، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة من ألا يقبل منهم ذلك الإيتاء.. وفى هذا يقول تعالى:

«وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ» (٦٠– ٦١: المؤمنون) .

وقد روى عن **بعض الصالحين** أنه كان يقول: «لو أنزل الله كتابا أنه معذّب رجلا واحدا لخفت أن أكونه، أو أنه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه، ولو علمت أنّه معذّبى لا محالة، ما ازددت إلا اجتهادا، لئلا أرجع على نفسى بلائمة» .

ذلك هو ما يمليه العقل السليم، وما توحى به الفطرة، التي لم تفسدها الأهواء وتغتالها الضلالات.". (٢)

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ٨٧/٧

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٢٤١/٧

٧١. ٣١-"فقه الحياة أو الأحكام:

أرشدت الآيات إلى ما يأتي:

١- السبب الأول في غضب الله على المنافقين: إباؤهم الاعتذار من أقوالهم وأفعالهم، وإعراضهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم متكبرين عن الإيمان.

٢- كل من الاستغفار للمنافقين وعدم الاستغفار سواء، فلا ينفعهم استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا، لأن الله لا يغفر لهم، وإن الله لا يهدي من سبق في علمه أنه يموت فاسقا كافرا.

٣- السبب الثاني: قول ابن أبي وصحبه للأنصار: لا تنفقوا على من عند محمد صلى الله عليه وسلم من أصحابه المهاجرين حتى يتفرقوا عنه.

٤- رد الله على ذلك ببيان أن خزائن السموات والأرض ومفاتيح الرزق لله عز وجل، ينفق كيف يشاء، غير أن المنافقين لا يفهمون أنه تعالى إذا أراد أمرا يسره.

٥- السبب الثالث: قول ابن أبي أيضا: لئن عدنا إلى المدينة من غزوة بني المصطلق ليخرجن الأعز- يعني نفسه- منها الأذل- يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وصحبه- لتوهمه أن العزة بكثرة الأموال والأتباع، فرد الله عليه بأن العزة والقوة لله وحده ولمن أفاضها عليهم من رسله وعباده الصالحين. عن بعض الصالحين وكان في هيئة رثة: ألست على الإسلام، وهو العز الذي لا ذل معه، والغنى الذي لا فقر بعده. وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما: أن رجلا قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تيها، فقال: ليس بتيه، ولكنه عزة، وتلا الآية:

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ...". (١)

٧٢. ٣٢-"الإنفاق وبعده، فعلى المنفق أن يستمر في أدبه وإخلاصه وقت الإنفاق وبعده حتى لا يذهب ثوابه، إذ المنّ والأذى مبطلان للثواب في أى وقت يحصلان فيه.

قال الشيخ ابن المنير مبينا أن ثُمَّ هنا تفيد استمرار الفعل بجانب إفادتها للتفاوت في الرتبة: وعندي فيها- أى في ثم- وجه آخر محتمل في هذه الآية ونحوها. وهو الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها وإرخاء الطول في استصحابه. فهي على هذا لم تخرج عن الإشعار ببعد الزمن، ولكن معناها الأصلى تراخى زمن وقوع الفعل وحدوثه، ومعناها المستعار إليه دوام وجود الفعل وتراخى زمن بقائه. وعليه

(١) التفسير المنير للزحيلي ٢٢٧/٢٨

حمل قوله-: إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا أى: داوموا على هذه الاستقامة دواما متراخيا ممتد الأمد.. وكذلك قوله هنا «ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى» أى يدومون على تناسى الإحسان وعلى ترك الاعتداد به والامتنان والأذى.. «١» .

وكرر- سبحانه- النفي في قوله: ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذىً لتأكيده وشموله لأفراد كل واحد منهما، أى يجب ألا يقع منهم أى نوع من أنواع المن ولا أى نوع من أنواع الأذى. حتى لقد قال بعض الصالحين: «لئن ظننت أن سلامك يثقل على من أنفقت عليه بنفقة تبتغى بها وجه الله، فلا تسلّم عليه» .

ثم ختم- سبحانه- الآية ببيان عاقبة المنفقين بلا من ولا أذى فقال: لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ أى: لهم جزاؤهم العظيم مكافأة لهم على أدبهم وإخلاصهم، عند مربيهم ومالك أمرهم، ولا خوف عليهم مما سيجدونه في مستقبلهم، ولا هم يحزنون على ماضيهم، وذلك لأن الله- تعالى- قد أحاطهم برعايته في دنياهم وأخراهم وعوضهم عما فارقوه خير عوض وأكرمه.

ثم كرر- سبحانه- التحذير من المن والأذى، مناديا المؤمنين بأن يجتنبوا في صدقاتهم هاتين الرذيلتين، مبينا أن الكلمة الطيبة للفقير خير من إعطائه مع إيذائه، استمع إلى القرآن الكريم وهو يسوق هذه المعاني وغيرها بأسلوبه البليغ المؤثر فيقول:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٦٣ الى ٢٦٤]

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (٢٦٤)

---

(١) حاشية تفسير الكشاف ج ١ ص ٣١١ للشيخ أحمد بن المنير.". (١)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٦٠٥/١

٧٣. ٣٣-"انحدر إلى هذا الفعل القبيح، ولما فرح بعمل شيء من شأنه أن يحزن له كل عاقل.

والخطاب في قوله- تعالى-: فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ للرسول صلّى الله عليه وسلّم والضمير المنصوب «هم» للمشركين.

والغمرة في الأصل: الماء الذي يغمر القامة ويسترها، إذ المادة تدل على التغطية والستر.

يقال: غمر الماء الأرض إذا غطاها وسترها. ويقال: هذا رجل غمر- بضم الغين وإسكان الميم- إذا غطاه الجهل وجعله لا تجربة له بالأمور. ويقال: هذا رجل غمر- بكسر الغين- إذا غطى الحقد قلبه

والمراد بالغمرة هنا: الجهالة والضلالة، والمعنى: لقد أديت- أيها الرسول- الرسالة، ونصحت لقومك. وبلغتهم ما أمرك الله- تعالى- بتبليغه، وعليك الآن أن تترك هؤلاء الجاحدين المعاندين في جهالاتهم وغفلتهم وحيرتهم حَتَّى حِينٍ أى:

حتى يأتى الوقت الذي حددناه للفصل في أمرهم بما تقتضيه حكمتنا.

وجاء لفظ «حين» بالتنكير، لتهويل الأمر وتفظيعه.

ثم تأخذ السورة الكريمة بعد ذلك في السخرية منهم لغفلتهم عن هذا المصير المحتوم، الذي سيفاجئهم بما لا يتوقعون. فيقول: أَيَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ. نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ، بَلْ لا يَشْعُرُونَ. والهمزة في قوله أَيَحْسَبُونَ للاستفهام الإنكارى. و «ما» موصولة، وهي اسم «أن» وخبرها جملة «نسارع لهم ... » والرابط مقدر أى: به.

أى: أيظن هؤلاء الجاهلون. أن ما نعطيهم إياه من مال وبنين، هو من باب المسارعة منا في إمدادهم بالخيرات لرضانا عنهم وإكرامنا لهم؟ كلا: ما فعلنا معهم ذلك لتكريمهم، وإنما فعلنا ذلك معهم لاستدراجهم وامتحانهم، ولكنهم لا يشعرون بذلك. ولا يحسون به لانطماس بصائرهم ولاستيلاء الجهل والغرور على نفوسهم.

فقوله- سبحانه- بَلْ لا يَشْعُرُونَ إضراب انتقالي عن الحسبان المذكور وهو معطوف على مقدر ينسحب إليه الكلام.

أى: ما فعلنا ذلك معهم لإكرامنا إياهم كما يظنون، بل فعلنا ما فعلنا استدراجا لهم، ولكنهم لا شعور لهم ولا إحساس، وما هم إلا كالأنعام بل هم أضل.

لذا قال **بعض الصالحين**: من يعص الله- تعالى- ولم ير نقصانا فيما أعطاه- سبحانه- من الدنيا.

فليعلم أنه مستدرج قد مكر به.". (١)

٧٤. ٣٤-"وقوله- عز وجل-: وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ صفة ثالثة لهم. أى: أنهم يخلصون العبادة لله- تعالى- وحده، ويقصدون بأقوالهم وأعمالهم وجهه الكريم، فهم بعيدون عن الرياء والمباهاة بطاعاتهم.

ثم بين- سبحانه- صفتهم الرابعة فقال: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ.

قرأ القراء السبعة يُؤْتُونَ ما آتَوْا بالمد، على أنه من الإتيان بمعنى الإعطاء، والوجل: استشعار الخوف. يقال: وجل فلان وجلا فهو واجل، إذا خاف، أى: يعطون ما يعطون من الصدقات وغيرها من ألوان البر، ومع ذلك فإن قلوبهم خائفة أن لا يقبل منهم هذا العطاء، لأى سبب من الأسباب فهم كما قال بعض الصالحين: لقد أدركنا أقواما كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم، أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها.

قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: أى: يعطون العطاء وهم خائفون أن لا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط.

كما روى الإمام أحمد عن عائشة أنها قالت: «يا رسول الله الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله- عز وجل-؟

قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلى ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله- تعالى-» .

ثم قال- رحمه الله- وقد قرأ آخرون: والذين يأتون ما أتوا.. من الإتيان.

أى: يفعلون ما فعلوا وهم خائفون ...

والمعنى على القراءة الأولى- وهي قراءة الجمهور: السبعة وغيرهم- أظهر لأنه قال- بعد ذلك-: أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ فجعلهم من السابقين، ولو كان المعنى على القراءة الأخرى، لأوشك أن لا يكونوا من السابقين، بل من المقتصدين أو المقتصرين «١» .

وجملة وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ حال من الفاعل في قوله- تعالى- يُؤْتُونَ.

وجملة أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ تعليلية بتقدير اللام، وهي متعلقة بقوله: وَجِلَةٌ.

أى: وقلوبهم خائفة من عدم القبول لأنهم إلى ربهم راجعون، فيحاسبهم على بواعث

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٤٢/١٠

(١) تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٤٧٤.". (١)

٧٥. ٣٥-"وجزع **بعض الصالحين** عند موته، فسئل عن سبب ذلك فقال: أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه، ثم قرأ هذه الآية» «١» .

ثم تهديد ثالث يتمثل في قوله- تعالى-: وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ والمراد بسيئات ما كسبوا: الأعمال السيئة التي اكتسبوها في دنياهم، وهذا البدو والظهور يكون عند عرض صحائف أعمالهم عليهم. و «ما» موصولة أو مصدرية.

أى: وظهر لهم عند عرض صحائف أعمالهم عليهم يوم القيامة، الذي عملوه واكتسبوه في الدنيا من رذائل وَحاقَ بِهِمْ أى: وأحاط ونزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به في حياتهم ويتهكمون بمن كان يحذرهم منه في الدنيا.

وبعد هذا التصوير الرهيب لمصير هؤلاء المشركين يوم القيامة، عادت السورة إلى بيان تناقضهم مع أنفسهم، فهم إن سئلوا عمن خلق السموات والأرض، قالوا: إن خالقهما هو الله، ومع ذلك يعبدون غيره وتشمئز قلوبهم عند ذكره وحده.

وهم يتقربون إلى آلهتهم بالطاعات، ومع ذلك فهم عند نزول الشدائد بهم، ينسون تلك الآلهة ويتجهون إلى الله- تعالى- وحده بالدعاء.

لنستمع إلى السورة الكريمة وهي تحكى أحوالهم في السراء والضراء فتقول: فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعانا، ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ....

والمراد بالإنسان هنا هو جنس الكفار، بدليل سياق، الآيات وسباقها ويصح أن يراد به جنس الإنسان عموما، ويدخل فيه الكفار دخولا أوليا.

أى: فإذا أصاب الإنسان ضر، من مرض أو فقر أو نحوهما، دعانا قاعدا أو قائما. لكي نكشف عنه ما نزل به من بلاء.

ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا.. أى: ثم إذا أجبنا لهذا الإنسان دعوته وكشفنا عنه الضر وأعطيناه على سبيل التفضل والإحسان نعمة من عندنا، بأن حولنا مرضه إلى صحة، وفقره إلى غنى.

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٤٤/١٠

قالَ هذا الإنسان الظلوم الكفار إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ مني بوجوه المكاسب، أو على علم مني بأن سأعطى هذه النعمة، بسبب استعدادي واجتهادي وتفوقى في مباشرة

---

(١) تفسير الكشاف ج ٤ ص ١٣٣.". (١)

٧٦. ٣٦-"- تعالى-: وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ ... فقد رفع الله- تعالى- العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير.

تمام العشرين: أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل، فإنه ينتفع بذلك من يخرج عنه، ولا سعى له فيها.

ثم قال- رحمه الله-: ومن تأمل العلم وجد انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن تتأول الآية الكريمة، على خلاف صريح الكتاب والسنة، وإجماع الأمة ... «١» .

والخلاصة أن الآية الكريمة قد تكون من قبيل العام الذي قد خص بأمور كثيرة. كما سبق أن أشرنا، وقد تكون مخصوصة بقوم إبراهيم وموسى- عليهما السلام-، لأنها حكاية عما في صحفهما، أما الأمة الإسلامية فلها سعيها، ولها ما سعى لها به غيرها، وهذا من فضل الله ورحمته بهذه الأمة.

وقد قال بعض الصالحين في معنى هذه الآية: ليس للإنسان إلا ما سعى عدلا، ولله- تعالى- أن يجزيه بالحسنة ألفا فضلا.

ولهذه المسألة تفاصيل أخرى في كتب الفقه، فليرجع إليها من شاء.

ثم بين- سبحانه- بعد ذلك جانبا من مظاهر قدرته ورحمته، فقال- تعالى-: وَأَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى. أى: وأن إلى ربك وحده- لا إلى غيره- انتهاء الخلق ومرجعهم ومصيرهم فيجازى الذين أساءوا بما عملوا، ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى.

فقوله: الْمُنْتَهى: مصدر بمعنى الانتهاء، والمراد بذلك مرجعهم إليه- تعالى- وحده، وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكى أى: وأنه- سبحانه- هو الذي أوجد في هذا الكون ما يؤدى إلى ضحك الإنسان وسروره تارة، وما يؤدى إلى حزنه وبكائه تارة أخرى. فبسبب ما يحيط بالإنسان من مؤثرات ومن مشاعر مختلفة: تارة يضحك وتارة يبكى.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٢٣٤/١٢

وما أكثر هذه المؤثرات والأحوال والاعتبارات والدوافع.. في حياة الإنسان.

فالآية الكريمة انتقال من وجوب الاعتبار بأحوال الآخرة إلى وجوب الاعتبار بأحوال الإنسان، وبما يحيط به من مؤثرات تارة تضحكه وتارة تبكيه.

وأسند- سبحانه- الفعلين إليه لأنه هو خالقهما، وهو الموجد لأسبابهما.

---

(١) راجع حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ٢٣٦.". (١)

٧٧. ٣٧-"اشتملت عليها صالحة لكل زمان ومكان، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وعلى رأس هذه التوجيهات السامية التي اشتملت عليها: دعوة المسلمين الى التزام العدالة في أحكامهم، وحضهم على الصبر والصفح ما دام ذلك لا يضر بمصلحتهم ومصلحة الدعوة الإسلامية.

وشبيه بهذه الآية الكريمة قوله- تعالى-: وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها، فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ... «١» .

ثم أمر- سبحانه- بالصبر أمرا صريحا، بعد أن بين حسن عاقبته فقال: وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ....

أى:: واصبر- أيها الرسول الكريم- على أذى قومك، وما صبرك في حال من الأحوال بمؤت ثماره المرجوة منه إلا بتوفيق الله- تعالى- لك، وبتثبيته إياك، وما دام الأمر كذلك فالجأ إليه وحده، واستعن به- سبحانه- في كل أمورك، فالاستثناء مفرغ من أعم الأحوال.

ثم نهاه- سبحانه- عن الحزن بسبب كفر الكافرين، فإن الهداية والإضلال بقدرة الله وحده فقال- تعالى-: وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ.

أى ولا تحزن بسبب كفر الكافرين، وإصرارهم على ذلك، وإعراضهم عن دعوتك، ولا يضق صدرك بمكرهم، فإن الله- تعالى- ناصرك عليهم، ومنجيك من شرورهم.

وقوله- تعالى-: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ تعليل لما سبق من أمره بالصبر، ومن نهيه عن الحزن وضيق الصدر.

أى: إن الله- تعالى- بمعونته وتأييده مع الذين اتقوه في كل أحوالهم، وصانوا أنفسهم عن كل ما لا يرضاه. ومع الذين يحسنون القول والعلم، بأن يؤدوهما بالطريقة التي أمر الإسلام بها، ومن كان الله-

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٨٥/١٤

تعالى– معه، سعد في دنياه وفي أخراه.

وقد قيل لبعض الصالحين وهو يحتضر: أوص. فقال: إنما الوصية من المال. ولا مال لي،

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٠.". (١)

٧٨. ٣٨–"وكان بعض الصالحين إذا قرأ هذه الآية قال: زادني لك خضوعا، ما زاد أعداءك نفورا.

ثم أمر الله– تعالى– رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوبخهم على شركهم، وأن يسوق لهم الدليل الواضح على فساد عقولهم، فقال– تعالى–: قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ، إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا.

وقد قرأ جمهور القراء «كما تقولون» وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم «كما يقولون» .

وللمفسرين في تفسير هذه الآية اتجاهان، أما الاتجاه الأول فيرى أصحابه أن المعنى.

قل– أيها الرسول الكريم– لهؤلاء المشركين، لو كان مع الله– تعالى– آلهة أخرى– كما يزعمون– إذا لطلبوا إلى ذي العرش– وهو الله عز وجل– طريقا وسبيلا لتوصلهم إليه، لكي ينازعوه في ملكه، ويقاسموه إياه، كما هي عادة الشركاء، وكما هو ديدن الرؤساء والملوك فيما بينهم.

قال– تعالى–: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ، وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ، سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ «١» .

وقال سبحانه–: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا، فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ «٢» .

وهذا الاتجاه قد صدر به صاحب الكشاف كلامه فقال ما ملخصه: قوله إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو. أى: إذا لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالية، كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض.. «٣» .

وأما الاتجاه الثاني فيرى أصحابه أن المعنى: قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين، لو كان مع الله– تعالى– آلهة أخرى– كما يزعمون–، إذا لابتغوا– أى الآلهة المزعومة– إلى ذي العرش سبيلا وطريقا ليقتربوا إليه، ويعترفوا بفضله، ويخلصوا له العبادة، كما قال– تعالى–: أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ، وَيَخافُونَ عَذابَهُ، إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً «٤» .

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٨/٢٦٦

(١) سورة المؤمنون الآية ٩١.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٢.

(٣) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٤٥١.

(٤) سورة الإسراء الآية ٥٧.". (١)

٧٩. ٣٩-"قال: وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً وبه شبه الأحلام المختلطة التي لا يتبين حقائقها.

قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ حزم أخلاط من الأحلام.

(ضغن) : الضّغن والضّغن الحقد الشديد، وجمعه أضغان، قال:

أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ وبه شبه الناقة فقالوا ذات ضغن، وقناة ضغنة عوجاء والاضغان الاشتمال بالثوب وبالسلاح ونحوهما.

(ضل) : الضلال العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية، قال تعالى: فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا كان أو سهوا، يسيرا كان أو كثيرا، فإن الطريق المستقيم الذي هو المرتضى صعب جدا،

قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «استقيموا ولن تحصلوا»

وقال بعض الحكماء: كوننا مصيبين من وجه وكوننا ضالين من وجوه كثيرة، فإن الاستقامة والصواب يجرى مجرى المقرطس من المرمى وما عداه من الجوانب كلها ضلال. ولما قلنا روى عن بعض الصالحين أنه رأى النبي صلّى الله عليه وسلّم فى منامه فقال: يا رسول الله يروى لنا إنك قلت: «شيبتنى سورة هود وأخواتها فما الذي شيبك منها؟ فقال: قوله: فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ» وإذا كان الضلال ترك الطريق المستقيم عمدا كان أو سهوا، قليلا كان أو كثيرا، صح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما ولذلك نسب الضلال إلى الأنبياء وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بون بعيد، ألا ترى أنه قال فى النبي صلّى الله عليه وسلّم:

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى أي غير مهتد لما سيق إليك من النبوة. وقال فى يعقوب: إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ وقال أولاده: إِنَّ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه وكذلك: قَدْ شَغَفَها

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٣٥٨/٨

حُبًّا إِنَّا لَنَراها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ وقال عن موسى عليه السلام: وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ تنبيه أن ذلك منه سهو، وقوله: أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما أي تنسى وذلك من النسيان الموضوع عن الإنسان. والضلال من وجه آخر ضربان: ضلال فى العلوم النظرية كالضلال فى معرفة اللَّه ووحدانيته ومعرفة النبوة ونحوهما المشار إليهما بقوله: وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً وضلال فى العلوم العملية كمعرفة الأحكام الشرعية التي هى العبادات، والضلال البعيد إشارة إلى ما هو كفر كقوله على ما تقدم من قوله: وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وقوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالًا". (١)

٨٠. ٤٠-"أي: فهو كافيه.

قال مسروق: [القضاء] جار على من توكل وعلى من لم يتوكل.

قال **بعض الصالحين**: المتوكل تعجل البركة والأجر.

- ثم قال تعالى ﴿إِنَّ الله بَالِغُ﴾ .

قال مسروق: الله بالغ أمره بكل حال، [توكل] عليه أو لم يتوكل (عليه) ، أي: مُنْفِذٌ قضاءه بكل حال، غير أن المتوكل عليه يكفِّرُ عنه سيآتِه ويعظم له أجراً.

قال ابن مسعود: إن أكثر آية تفويضاً في القرآن ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ .". (٢)

٨١. ٤١-"﴿رَبّ هَبْ لِي مِن الصالحين﴾ أي **بعضَ الصَّالحينَ** يعينني على الدَّعوةِ والطَّاعةِ ويؤنسني في الغُربةِ يعني الولد لأن لفظَ الهبة على الإطلاقِ خاصٌّ به وإن كان قد وردَ مقيَّداً بالأخوةِ في قوله تعالى وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رحمتنا أخاه هرون نَبِيّاً ولقوله تعالى". (٣)

٨٢. ٤٢-"وقال إبراهيمُ التيميُّ: ما من عبدٍ وهبَهُ اللَّهُ صبرًا على الأذى، وصبرًا على البلاءِ وصبرًا على المصائبِ، إلا وقد أُوتي فضلاً، ما أوتيهِ أحدٌ بعدَ الإيمانِ باللَّه عز وجلَّ.

---

(١) الموسوعة القرآنية ٣٣٥/٨

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية ٧٥٣٧/١٢

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٩٩/٧

وهذا منتزعٌ من قوله تعالى: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)

والمرادُ بالبأساءِ: الفقرُ ونحوُه، وبالضَّرَّاءِ. المرضُ ونحوُه.

وحينَ البأسِ: حالُ الجهادِ.

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: ما أنعمَ اللَّه علَى عبدٍ نعمةً فانتزعَهَا منه.

فعاضَهُ مكانَ ما انتزعَ منه الصبرَ إلا كانَ ما عوضَهُ خيرًا مما انتزعَ منه، ثم

تلا: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

وكان بعضُ الصالحينَ في جيبِهِ ورقةٌ يفتحُهَا كلَّ ساعةٍ فينظرُ فيها، وفيها

مكتوبٌ: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) .

والصبرُ الجميلُ هو أن يكتمَ العبدُ المصيبةَ ولا يخبرَ بِهَا.

قالَ طائفةٌ من السلفِ في قولِهِ تعالى: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) ، قال: لا شكوى معه.

* * *

قوله تعالى: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)

وقد أمرَ اللَّه سبحانه وتعالى عبادَهُ بشُكْر نعمةِ صيام رمضانَ بإظهارِ ذكْرِهِ.

وغيرِ ذلكَ من أنواع شكرِهِ، فقال: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)". (١)

٨٣. ٤٣-"وكان رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يُنكر على من لا يتأدَّبُ معه في الخطابِ بهذا الأدبِ، كما قال: "لاتقولُوا: ما شاءَ اللَّهُ وشاءَ محمدٌ بلْ قُولُوا: ما شاءَ اللَّهُ ثم شاءَ محمدٌ".

وقال: لمن قال: ما شاء اللَّه وشئتَ: "أجَعَلتَنِي للَّه ندًا؟ بل ما شاءَ اللَّهُ وحده ".

فمِن هُنا كان خُلفاءُ الرُّسل وأتباعُهم من أُمراءِ العدل وأتباعِهم وقُضاتِهم لا

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ١/١٣٥

يدْعُون إلى تعظيم نُفُوسهم ألبتَّة، بل إلى تعظيم اللهِ وحدَه، وإفرادِهِ بالعبوديةِ والإلهيةِ، ومنهُم من كان لا يريدُ الولايةَ إلا للاستعانةِ بها على الدعوةِ إلى اللَّهِ وحدَه.

وكان **بعضُ الصالحينَ** يتولَّى القضاءَ ويقول: ألا أتولاهُ لأستعينَ به على الأمر بالمعروفِ والنهي عن المُنكر.

ولهذا كانتِ الرُّسل وأتباعُهُم يصبرونَ على الأذى في الدعوة إلى اللَّهِ.

ويتحملونَ في تنفيذِ أوامرِ اللَّه من الخلقِ غايةَ المشقةِ وهُم صابرونَ، بل رَاضُون بذلكَ، فإنَّ المحبَّ رُبَّما يتلذذُ بما يُصيبه منَ الأذى في رضى محبوبِه.

كما كانَ عبدُ الملك بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيز – رحمه اللَّهُ – يقولُ لأبيه في خلافتِهِ إذا حرصَ على تنفيذِ الحق وإقامةِ العدل: يا أبَتِ، لودِدْت أنِّي غَلتْ". (١)

٨٤. ٤٤-"بي وبِكَ القُدورُ في اللَّهِ عزَ وجلَّ.

وقال **بعضُ الصالحينَ**: وددتُ أنَّ جسمي قُرِضَ بالمقاريضِ وأنَ هذا الخلقَ كلَّهم أطاعُوا اللَّهَ عزَّ وجلَّ، فعُرِض قولُهُ على بعضِ العارفينَ فقال: إن كان أراد بذلك النصيحةَ للخلقِ وإلا فلا أدري، ثم غُشيَ عليه.

ومعنى هذا: أن صاحبَ هذا القولِ قد يكونُ لَحِظَ نُصحَ الخلقِ والشفقةَ عليهم من عذابِ اللَّه، وأحبَّ أن يفديَهم من عذابِ اللَّهِ بأذى نفسِهِ، وقد يكونُ لَحِظَ جلالَ اللَّه وعظمتِه وما يستحقُّهُ من الإجلالِ والإكرامِ والطَّاعةِ والمحبةِ، فوَدَّ أن الخلقَ قاموا بذلك، وإن حصلَ له في نفسِهِ غايةُ الضرر.

وهذا هو مشهدُ خَواصِّ المُحبين العارفينَ بملاحظتِهِ فغشي على هذا الرجلِ العارفِ.

وقد وصفَ اللَّهُ تعالى في كتابِهِ أن المحبين له يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم.

وفي ذلك يقولُ بعضُهُم:

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ٢٧٧/١

أجدُ الملامةَ في هَواكَ لذيذةً. . . حبًّا لذِكْرِكَ فلْيَلُمْني اللُّوَّمُ

* * *". (١)

٨٥. ٤٥-"، ثم أمر بالتمسُّكِ بكتابِ اللهِ، ثم توفي بعد وصولِهِ إلى المدينةِ

بيسير - صلى الله عليه وسلم -

إذا كان سيِّدُ المحسنينَ يُؤمَرُ أن يختِمَ عمرَه بالزِّيادة في الإحسان فكيف

يكون حالُ المسيء. ذُو بيْت:

خُذْ في جد فقد تولَّى العُمُر. . . كم ذا التفريطُ قد تدانى الأمرُ

أقبِل فعسى يُقبلُ منك العُذْر. . . كم تبني كم تنقضُ كم ذا الغَدْرُ

مرض بعضُ العابدينَ فوُصِف له دواءٌ يشربُه، فأُتي في منامه فقيل له:

أتشربُ الدواء والحورُ العينُ لك تُهَيّأ؛ فانتبه فزِعًا، فصلَّى في ثلاثة أيام.

حتى انحنى صُلْبُه، ثم ماتَ في اليوم الثالثِ.

وكان رجلٌ قد اعتزل وتعبَّد، فرأى في منامِهِ قائلاً يقول له: يا فلان ربُّك

يدعوك فتجهَّزْ واخْرُج إلى الحجِّ، ولسْتَ عائدًا، فخرج إلى الحج فماتَ في

الطريقِ.

رأى **بعضُ الصالحينَ** في منامِهِ قائلاً يُنشدُهُ:

تأهَّبْ للذي لا بُدَّ منه. . . من الموت المُوَكَّل بالعبادِ

أترضى أن تكون رفيق قومٍ. . . لهُمْ زادٌ وأنتَ بغير زادٍ

خرَّج ابنُ ماجةَ من حديثِ جابرٍ، أنَّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - خطب، فقال في خطبتِهِ: "أيَّها

الناس، توبوا إلى ربّكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشْغَلُوا".". (٢)

٨٦. ٤٦-"تائبٌ، ومع هذا فكُلُّ من أوى إلينا آويناه، وكلُّ من استجارَ بنا أجرْناه، ومن تابَ إلينا

أحببناه، أبشر، فربَّما يكون الشَّيبُ شافعًا لصاحبه من العقوباتِ.

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ٢٧٨/١

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي ٣١٣/١

مات شيخ كان مفرِّطًا، فرؤي في المنامِ، فقيل له: ما فعَلَ اللَّهُ بك، قال:
قال لي: لولا أنَّك شيخ لعذَّبْتُك.
وقفَ شيخٌ بعرفةَ والنَّاسُ يضِجُّون بالدُّعاءِ، وهو ساكتٌ، ثم قبض على
لحيته، وقال: يا ربِّ، شيخ يا ربِّ، شيخ يرجُو رحمتك.
لَّما أتَوْنا والشَّيْبُ شافعُهُمْ. . . وقدْ توالَى عليهم الخَجَلُ
قُلْنا لِسُودِ الصَّحائفِ انقلِبِي. . . بيضًا فإنَّ الشُّيوخَ قد قُبِلُوا
كان **بعضُ الصالحِينَ** يقولُ:
إنّ الملوكَ إذا شابَتْ عبيدُهُم. . . في رِقِّهم عتقُوهُم عِتْقَ أبرارِ
وأنتَ يا خالِقِي أوْلَى بذا كَرَمًا. . . قد شِبْتُ في الرقِّ فأعْتِقْنِي منَ النَارِ
أيها العاصِي، ما يقطعُ من صلاحِك الطَّمَعُ، ما نصبنا اليومَ شركَ المواعِظِ
إلا لتقَعُ، إذا خرجتَ من المجلسِ وأنتَ عازِمٍ على التوبةِ، قالتْ لك ملائكةُ
الرحمةِ: مرحبًا وأهلاً، فإن قال لكَ رفقاؤُك في المعصيةِ: هَلُمَّ إلينا، فقلْ
لهُم: كلاَّ، ذاك خَمْرُ الهوى الذي عهدتمُوه قد استحالَ خلاًّ: يا مَن سوَد
كتابَهُ بالسيئاتِ قد آنَ لك بالتَّوبةِ أن تمحُو. يا سكرانَ القلبِ بالشهواتِ أما آن لفؤادِك أن يصحُو.
يا ندامَاي صحَا القلبُ صَحَا. . . فاطرُدُوا عنِّي الصبَا والمَرَحا
زَجَرَ الوعْظُ فؤادِي فارْعَوى. . . وأفاقَ القلْبُ منّي وصَحَا
هَزَمَ العَزْمُ جُنودًا للهوى. . . فاسِدِي لا تعْجَبُوا إن صَلَحَا". (١)

٨٧. ٤٧-"كان **بعضُ الصالحِينَ**، يقولُ: ليت ربِّي جعلَ ثوابِي من عمَلِي نظرةً إليه ثم
يقولُ: كُنْ تُرابًا.
كان عليٌّ بنُ الموفقِ، يقولُ: اللَّهُمَّ إنْ كُنتَ تعلمُ أنِّي أعبدُكَ خوفًا من نارِكَ
فعذِّبْني بها، وإنْ كنتَ تعلمُ أنيَ أعبدُكَ حبًّا لجنَّتِكَ فاحرمْنيها، وإنْ كنتَ
تعلمُ أنَّما عبدتُك حبًّا مِنِّي لكَ وشوقًا إلى وجهِكِ الكريمِ فأبحنيهِ واصنعْ بي
ما شئتَ.

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ٣١٩/١

سمعَ بعضُهم قائلاً يقولُ:

كبُرت همة عبدٍ طمعتْ في أنْ تراكَا. . . أو ما حسبتَ أنْ ترى من رأكَا

ثم شهق شهقةً فماتَ.

لما غلبَ الشوقُ على قلوبِ المُحبّينَ استروحُوا إلى مثل هذه الكلماتِ، وما تُخفِي صدُورُهم أكبرُ.

تجاسرتُ فكاشفْتُكَ لَمَّا غلبَ الصبرُ. . . فإنْ عنفني الناسُ ففي وجهِكَ لي عذرُ

أبصارُ المُحبين قد غضَّت من الدنيا والآخرةِ، فلم تفتح إلا عند مشاهدةِ محبوبِهِم يومَ المزيدِ.

أروحُ وقد ختمتَ على فؤادي. . . بحبّكَ أنْ يحل به سواكَا

فلو أنِّي استطعتُ غضضتُ طَرْفِي. . . فلم أنظرْ به حتَّى أراكَا

أحبُّكَ لابعضِي بلْ بكُلّي. . . وإنْ لم يُبقِ حبُّكَ لي حِرَاكَا

وفي الأحبابِ مخصوصٌ بوجدٍ. . . وآخرُ يدَّعِي معي اشترَاكَا

إذا اشتبكتْ دموعِي في خدودِي. . . تبيَّن من بكَى ممَّن تباكَا

فأمَّا من بكَى فيذوبَ وجْدًا. . . وينطقُ بالهوى من قد تشَاكَا". (١)

٨٨. ٤٨-"تعيش مخلَّدًا لا موت فيهِ. . . وتنعمُ في الجنانِ مع الحسانِ

تيقظ من منامِكَ إن خيرًا. . . من النومِ التهجد بالقرانِ

فاستيقظَ قالَ: فواللهِ ما ذكرتُها إلا ذهبَ عنِّي النومُ.

كان **بعضُ الصالحينَ** له وِرْدٌ فنامَ عنه فوقفَ عليه فتى في منامِهِ فقال لهُ لصوتٍ محزونٍ:

تيقظْ لساعاتٍ من الليلِ يا فتى. . . لعلكَ تحظَى في الجنانِ بحورِها

فتنعمُ في دار يدومُ نعيمُهَا. . . محمدٌ فيها والخليل يزورهَا

فقم فتيقظْ ساعةً بعد ساعةٍ. . . عساكَ توفَّ ما بقيَ من مهورِها

كان بعضُ السلفِ الصالحينَ كثيرُ التعبدِ، فبكى شوقًا إلى اللهِ عز وجل

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ١/٥٤٥

ستينَ سنةً فرأى في منامهِ كأنّهُ على ضفةِ نهر يجرِي بالمسكِ حافتاهُ شجرُ لؤلؤ ونبتٌ من قضبانِ الذهبِ، فإذا بجوارٍ مُزَيَّناتٍ يقلنَ بصوتٍ واحد: سبحانَ المسبَّح بكل لسانٍ سبحانَهُ. سبحان الموحَّدِ بكل مكانٍ سبحانه. سبحان الدائم في كلِّ الأزمانِ سبحانه. فقال لهنَّ: ما تصنعن ههنا؟

فقلن:

برانَا إلهُ الناسِ ربّ محمدٍ. . . لقومٍ على الأقدامِ بالليلِ قوَّمُ

يناجونَ ربَّ العالمينَ إلههم. . . وتسري همومُ القومِ والناسُ نوَّمُ

فقال: بَخ بَخ لهؤلاءِ، من هم، لقد أقر اللَّهُ أعينهُم بكنَّ؟

فقلنَ: أو ما – تعرفَهم؟

قالَ: لا، فقلنَ: بلى هؤلاءِ المتهجدونَ أصحابُ القرآنِ والسهرِ.

وكان **بعضُ الصالحينَ** ربما نامَ في تهجدهِ، فتوقظُه الحوراءُ في منامِهِ فيستيقظُ بإيقاظها.

وُرويَ عن أبي سليمان الداراني أنه قالَ: ذهبَ بي النومُ". (١)

٨٩. ٤٩–"عن وجهي، ينظرونَ إليَّ وأنظر إليهم.

وسئلَ الحسنُ البصريُّ لم كانَ المتهجدون أحسنُ الناس وجوهًا؟

قال:

لأنَّهُم خلَوا بالرحمنِ فألبسَهُم نورًا من نوره.

رأتِ امرأةٌ من الصالحاتِ في منامِهَا كأنَّ حللاً قد فرِّقتْ على أهلِ مسجدِ محمدِ بنِ جحادةَ، فلما انتهَى الذي يفرِّقها إليه دعَا بسفطٍ مختومٍ فأخرجَ منه حلةً صفراء، قالت: فلم يقُمْ لها بصرِي فكساهُ إياها وقال: هذه لكَ بطول السهرِ، قالتْ: فواللَّهِ لقد كنتُ أراه – تعني محمدَ بن جحادةَ – بعد ذلكَ فأتخايلُها عليهِ – تعني: تلكَ الحلةَ –.

قالَ كرزُ بنُ وبرةَ: بلغَني أنَّ كعبا قالَ: إنَّ الملائكةَ ينظرونَ من السماءِ إلى

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ٢/١٨٥

الذينَ يتهجدونَ بالليلِ كما تنظرونَ أنتم إلى نجومِ السماء.

يا نفسُ فازَ الصالحونَ بالتُّقى. . . وأبصرُوا الحقَّ وقلبي قد عمِي

يا حُسْنَهُم والليلُ قد أجنَّهُم. . . ونورُهُم يفوقُ نورَ الأنجم

ترنَّمُوا بالذكرِ في ليلِهم. . . فعيشُهُم قدْ طابَ بالترنم

قلوبُهُم للذِّكْرِ قد تفرغتْ. . . دموعُهم كلؤلؤٍ منظَّم

أسحارُهُم بهم لهم قد أشرقتْ. . . وخلَعُ الغفرانِ خيرُ المقسمم

في بعضِ الآثارِ يقولُ اللَّهُ عز وجل كلَّ ليلةٍ: ياجبريلُ أقمْ فلاناً وأنمْ فلاناً.

قام بعضُ الصالحينَ في ليلةٍ بارده وكانَ عليه خلقانُ رثةٌ فضربهُ البردُ فبكى فسمعَ هاتفاً يقول: أقمناكَ وأنمناهُم ثمَّ تبكي علينا.

تنبهوا يا أهلَ وادي المنحنى. . . كم ذا الكرى هبَّ نسيم وجدي

كم بين خالٍ وجوٍ وساهرٍ. . . وراقدٍ وكاتمٍ ومعبدي". (١)

٩٠. ٥٠-"الذي أظهرَ حاجتَهُ بالسؤالِ وأنَّه أحقُّ بالبرّ منه وهذا يدلُّ على أنَّهم كانُوا لا يعرفونَ من المساكينِ إلا من أظهرَ حاجتَهُ بالسؤالِ، وبهذا فرَّقَ طائفةٌ من العلماءِ بين الفقيرِ والمسكينِ فقالوا: من أظهرَ حاجتَهُ فهو مسكينٌ ومن كتمَها فهو فقيرٌ، وفي كلامِ الإمامِ أحمدَ إيماءٌ إلى ذلك وإن كانَ المشهورُ عنه أن التفريقَ بينهما بكثرةِ الحاجةِ وقلَّتِهَا كقولِ كثير من الفقهاءِ.

وهذا حيثُ جمعَ بينَ ذِكْرِ الفقيرِ والمسكينِ كما في آيةِ الصدقاتِ، فأمَّا إذا أفردَ أحدُ الاسمينِ دخلَ فيهِ الآخر عنَد الأكثرينَ، وقد كانَ كثيرٌ من السلفِ يكتمُ حاجتَهُ ويظهرُ الغِنى تعففًا وتكرمًا، منهم إبراهيم النخعيّ كانَ يلبسُ ثيابًا حسناءَ ويخرجُ إلى الناسِ وهم يرونَ أنه تحل له الميتةَ من الحاجةَ.

كانَ بعضُ الصالحينَ يلبسُ الثيابَ الجميلةَ وفي كمهِ مفتاحُ دارٍ كبيرةٍ ولا مأوى لهُ إلا المساجدُ، وكانَ آخرُ لا يلبسُ جبةً في الشتاءِ لفقرهِ ويقولُ: بي

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ٢/١٨٧

علةٌ تمنعني من لبسِ المحشو وإنَّما يعني بها الفقرَ – شعر:

إن الكريمَ لُيخفي عنك عسرتَهُ. . . حتى تراهُ غنيًّا وهوَ مجهودُ

وكان بعكس هؤلاءِ من يلبسُ ثيابَ المساكينِ مع الغِنَى تواضعاً للهِ عز وجل

وبُعْدًا من الكبرِ كما كانَ يفعلُهُ الخلفاءُ الراشدونَ الأربعةُ وبعدَهم عمرُ بنُ عبد العزيز، وكذلكَ كانَ جماعةٌ من الصحابةِ منهم عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرو بن العاصِ وغيرُهما – رضي الله عنه –

.

ورويَ أنَ أبا بكر الصدِّيقِ – رضي الله عنه – كانَ ينشدُ:

إذا أردتَ شريفَ الناسِ كلهم. . . فانظرْ إلى ملك في زي مسكينِ

ذاكَ الذي حسنت في الناسِ سيرتُهُ. . . وذاكَ يصلحُ للدُّنيا وللدين

وكان عليٌّ – رضي الله عنه – يُعاتَبُ على لباسِهِ فيقولُ: هو أبعدُ عن الكبرِ وأجدرُ أن يقتدي بي المسلمُ.

وعوتبَ عمرُ بنُ عبد العزيزِ على ذلكَ فقالَ: إن أفضلَ". (١)

٩١. ٥١–"طلبَ من رجلٍ كان معروفًا بإجابةِ الدعوةِ أن يدعوَ له بالموتِ فدعَا له ولنفسِه بالموتِ فماتا.

ودُعي طائفةٌ من السلفِ الصالح إلى ولايةِ القضاءِ فاستُمهلوا ثلاثةَ أيامٍ

فدعَوا اللَّهَ لأنفسِهم بالموتِ فماتوا.

واطُّلعَ على حال **بعض الصالحينَ** ومعاملاتِهِ التي كانتْ سرًّا بينه وبينَ ربِّه.

فدعا اللَّهَ أن يقبضهُ إليه خوفًا من فتنةِ الاشتهارِ، فماتَ فإنَّ الشهرةَ بالخيرِ

فتنةٌ، كما جاءَ فى الحديث

"كفَى بالمرءِ فتنة أن يشارَ إليه بالأصابع فإنَّها فتنةٌ"

وكان سفيانُ الثوريّ يتمنَّى الموتَ كثيرًا فسئل عن ذلكَ فقال: ما يدريني لعلِّي أدخلُ في بدعةٍ، لعلِّي أدخلُ فيما لا يحلّ لي، لعلي أدخلُ في فتنةٍ أكون قدْ متُّ فسبقتُ هذا.

واعلم أن الإنسانَ لا يخلو من فتنةٍ.

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ١٩٩/٢

قال ابن مسعودٍ – رضي الله عنه –:
لا يقلْ أحدُكم أعوذُ باللَّهِ من الفتنِ ولكن ليقلْ: أعوذُ باللَّهِ من مضلاتِ الفتنِ ثم تلا قوله تعالى: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) يشيرُ إلى أنه لا يستعاذُ
من المال والولد وهما فتنةٌ.
وفي "المسندِ" أنَّ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – أمرَ أمَّ سلمةَ أن تقولَ:
"اللهمَّ ربَّ النبيَّ محمدٍ اغفرْ لي ذنبي، وأذهِبْ غيظ قلبِي، وأجرنِي من مضلات الفتنِ ما أبقيتَنِي "
وقد جعلَ النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – النساءَ والأموال فتنةً ففي "الصحيح " عنه – صلى الله عليه وسلم – قالَ: "
مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ"
وفيه أيضًا أنهُ – صلى الله عليه وسلم –". (١)

٩٢. ٥٣–"رئي **بعضُ الصالحين** في المنامِ بعدَ موتِهِ، فقال: نحنُ بحمدِ الله في برزخ محمودٍ، نفترشُ فيه الريحانَ ونوسدُ فيه السندسَ والإستبرقَ إلى يوم النشور.
رئي بعضُ الموتى في المنامِ فسُئلَ عن حالِ الفُضيل بن عياضٍ، فقال: كُسي حلَّةً لا تقومُ لها الدنيا بحواشِيها.
فأمَّا عيشُ المتقين في الجنَّة فلا يحتاج أنْ يسألَ عن طيبِهِ ولذتِهِ، ويَكْفِي في ذلك قولُهُ تعالى: (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) .
ومعنى راضية: أي: عيشة يحصلُ بها الرِّضى.
وفسَّر ابنُ عباسٍ: هنيئًا: بأنه لا موتَ فيها يُشيرُ إلى أنَّه لم يهنهم العيشُ إلا بعد الموتِ والخلودِ فيها.
قال يزيدُ الرقاشيُّ: أمِنَ أهلُ الجنةِ الموتَ فطابَ لهم العيشُ، وأمنُوا من الأسقامِ فهنيئًا لهم في جوارِ اللَّه طولُ المقام.
وقال اللَّه تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَعُيُونٍ) .
(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ) إلى آخرها.

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ٢/٢٠٩

أدنى أهلِ الجنةِ

منزلةً من ينظرُ في ملكِهِ وسُررِه وقصورِه مسيرةَ ألفي عام، يرى أقصَاه كما

يرى أدناه، وأعلاهُم من ينظرُ إلى وجهِ ربِّه بكرةً وعشيا.

وقال طائفة من السلفِ: إن المؤمن له بابٌ في الجنة من داره إلى دارِ

السلامِ، يدخلُ على ربِّه إذا شاء بلا إذنٍ.

قال أبو سليمان الدارانيُّ: وإذا أتاه رسول من ربِّ العزَّةِ بالتحيةِ والقُطفِ

فلا يصل إليه حتى يستأذنَ عليه يقول للحاجبِ: استاذنْ لي على وليِّ اللّه.

فإني لستُ أصلُ إليه. فيُعلم ذلك الحاجبُ حاجبًا آخر حتى يصلَ إليه فذلك". (١)

٩٣. ٥٤-""الصَّائمون يُنفَحُ من أفواهِهم ريحُ المسْكِ، ويوضَعُ لهم مائدة تحتَ العرشِ، يأكلونَ منها والناسُ في الحسابِ ".

وعن أنسٍ موقوفًا: "إنَّ للّه مائدةً لم ترَ مثلَها عينٌ، ولم تسمعْ أذُنٌ، ولا

خطرَ على قلبِ بشرٍ، لا يقعدُ عليها إلا الصَّائمون ".

وعن بعضِ السلفِ، قال: بلغنا أنه يوضَعُ للصُّوَّامِ مائدةٌ يأكلون عليها

والناسُ في الحسابِ، فيقولونَ: يا ربِّ، نحن نحاسبُ وهُم يأكُلون؟

فيقال: إنهم طالما صامُوا وأفطرْتُم، وقامُوا ونمتم.

رأى بعضُهم بشرَ بنِ الحارثِ في المنامِ وبين يديه مائدةٌ وهو يأكل، ويقال

له: كُلْ يا من لم يأكُلْ، واشرَبْ يا من لم يشرَبْ.

كان **بعضُ الصالحين** قد صام حتى انحنى وانقطعَ صوتُه، فماتَ فرُئي

بعضُ أصحابه الصالحين في المنام فُسئِلَ عن حالِهِ، فضحِكَ وأنشد.

قد كُسي حُلَّةَ البهاءِ وطافَتْ. . . بأباريقَ حولَهُ الخُدَّامُ

ثم حُلِّي وقِيلَ يا قارئ ارْقى. . . فلَعَمْري لقد براك الصِّيام

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ٢/٤٩٤

* * *". (١)

٩٤. ٥٥-"الْخَيْراتِ

أن يكون المرء مغتنما للخمس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل مماتك، وغناك قبل فقرك، فيكون متى أراد أن يصنع خيرا بادر إليه ولم يسوف نفسه بالأمل، فهذه أيضا مسارعة في الخيرات، وذكر بعض الناس قال: دخلت مع **بعض الصالحين** في مركب فقلت له: ما تقول أصلحك الله في الصوم في السفر؟ فقال لي: إنها المبادرة يا ابن أخي، قال المحدث: فجاءني والله بجواب ليس من أجوبة الفقهاء، ثم وصف الله تعالى من تحصلت له هذه الصفات، بأنه من جملة الصالحين، ومِنَ يحسن أن تكون للتبعيض، ويحسن أن تكون لبيان الجنس.

قوله تعالى:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١١٥ الى ١١٧]

وَما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧)

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر «تفعلوا وتكفروه» بالتاء على مخاطبة هذه الأمة، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالياء فيهما، على مشابهة ما تقدم من «يتلون ويؤمنون» وما بعدهما، وكان أبو عمرو يقرأ بالوجهين، وتكفروه معناه: يعطى دونكم فلا تثابون عليه، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: من أزلت إليه نعمة فليذكرها فإن ذكرها فقد شكرها، فإن لم يفعل فقد كفرها، ومنه قول الشاعر: [عنترة] : [الكامل] :

(والكفر مخبثة لنفس المنعم) وفي قوله تعالى: وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ وعد ووعيد.

ثم عقب تعالى ذكر هذا الصنف الصالح بذكر حال الكفار، ليبين الفرق، وخص الله تعالى «الأموال

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ٢/٤٩٧

والأولاد» بالذكر لوجوه. منها أنها زينة الحياة الدنيا، وعظم ما تجري إليه الآمال، ومنها أنها ألصق النصرة بالإنسان وأيسرها، ومنها أن الكفار يفخرون بالآخرة لا همة لهم إلا فيها هي عندهم غاية المرء وبها كانوا يفخرون على المؤمنين، فذكر الله أن هذين اللذين هما بهذه الأوصاف لا غناء فيهما من عقاب الله في الآخرة، فإذا لم تغن هذه فغيرها من الأمور البعيدة أحرى أن لا يغني وقوله تعالى: أصحابه إضافة تخصيص ما، تقتضي ثبوت ذلك لهم ودوامه.

وقوله تعالى: ثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا

الآية، معناه: المثال القائم في النفوس من إنفاقهم الذي يعدونه قربة وحسبة وتحنثا ومن حبطه يوم القيامة وكونه هباء منثورا، وذهابه كالمثال القائم في النفوس من زرع قوم نبت واخضرّ وقوي الأمل فيه فهبت عليه يحٍ فِيها صِرٌّ

محرق فأهلكته، فوقع". (١)

٩٥. ٥٦-"المؤمنين وافتتانهم كابن أبي سرح وغيره، فقيل للمؤمنين لا يضركم ضلالهم، وقرأ جمهور الناس «لا يضرّكم» بضم الضاد وشد الراء المضمومة، وقرأ الحسن بن أبي الحسن «لا يضركم» بضم الضاد وسكون الراء، وقرأ إبراهيم «لا يضرك» بكسر الضاد وهي كلها لغات بمعنى ضر يضر وضار يضور ويضير، وقوله تعالى: إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً الآية، تذكير بالحشر وما بعده، وذلك مسل عن أمور الدنيا ومكروهها ومحبوبها، وروي عن **بعض الصالحين** أنه قال: ما من يوم إلا يجيء الشيطان فيقول: ما تأكل وما تلبس وأين تسكن؟ فأقول له آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر.

قال القاضي أبو محمد: فمن فكر في مرجعه إلى الله تعالى فهذه حاله.

قوله عز وجل:

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١٠٦ الى ١٠٧]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٩٤/١

(١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيانِ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ لَشَهادَتُنا أَحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما وَمَا اعْتَدَيْنا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧)

قال مكي بن أبي طالب رضي الله عنه: هذه الآيات عند أهل المعاني من أشكل ما في القرآن إعرابا ومعنى وحكما.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كلام من لم يقع له الثلج في تفسيرها، وذلك بين من كتابه رحمه الله وبه نستعين، لا نعلم خلافا أن سبب هذه الآية أن تميما الداري وعدي بن بداء، كانا نصرانيين سافرا إلى المدينة يريدان الشام لتجارتهما، قال الواقدي: وهما أخوان وقدم المدينة أيضا ابن أبي مارية مولى عمرو بن العاص يريد الشام تاجرا فخرجوا رفاقة فمرض ابن أبي مارية في الطريق، قال الواقدي فكتب وصية بيده ودسها في متاعه وأوصى إلى تميم وعدي أن يؤديا رحله، فأتيا بعد مدة المدينة برحله فدفعاه، ووجد أولياؤه من بني سهم وصيته مكتوبة، ففقدوا أشياء قد كتبها فسألوهما عنها فقالا ما ندري، هذا الذي قبضناه له، فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت الآية الأولى فاستحلفهما رسول الله بعد العصر، فبقي الأمر مدة ثم عثر بمكة من متاعه على إناء عظيم من فضة مخوص بالذهب، فقيل لمن وجد عنده من أين صار لكم هذا الإناء؟ فقالوا: ابتعناه من تميم الداري وعدي بن بداء، فارتفع في الأمر إلى النبي عليه السلام فنزلت الآية الأخرى، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أولياء الميت أن يحلفا، قال الواقدي: فحلف عبد الله بن عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة، واستحقا، وروى ابن عباس عن تميم الداري أنه قال: برىء الناس من هذه الآيات غيري وغير عدي بن بداء، وذكر القصة، إلا أنه قال وكان معه جام فضة يريد به الملك، فأخذته أنا وعدي فبعناه بألف وقسمنا ثمنه، فلما أسلمت بعد قدوم". (١)

٩٦. ٥٧-"[الشورى: ٥] لأنه معلوم أن الملائكة لا تستغفر لكافر، وقد يجوز أن يقال معنى ذلك أنهم يستغفرون للكفار، بمعنى طلب هدايتهم والمغفرة لهم بعد ذلك، وعلى هذا النحو هو استغفار إبراهيم لأبيه واستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم للمنافقين. وبلغني أن رجلا قال لبعض الصالحين ادع لي واستغفر لي، فقال له: تب واتبع سبيل الله يستغفر لك من هو خير مني، وتلا هذه الآية. وقال مطرف بن الشخير: وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة، وأغش العباد للعباد الشياطين، وتلا

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/٢٥٠

هذه الآية. وروى جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة سنة» وقرأت فرقة: «العرش» بضم العين، والجمهور على فتحها.

وقوله تعالى: رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً نصب الرحمة على التمييز وفيه حذف تقديره: يقولون، ومعناه: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، وهذا نحو قولهم: تفقأت شحما وتصببت عرقا وطبت نفسا. وسبيل الله المتبعة: هي الشرائع.

وقرأ جمهور الناس: «جنات عدن» على جمع الجنات. وقرأ الأعمش في رواية المفضل: «جنة عدن» على الإفراد، وكذلك هو في مصحف ابن مسعود. والعدن: الإقامة.

وقوله: وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ روي عن سعيد بن جبير في تفسير ذلك: أن الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول: أين أبي؟ أين أمي؟ أين زوجتي؟ فيلحقون به لصلاحهم ولتنبيهه عليهم وطلبه إياهم، وهذه دعوة الملائكة: وقرأ عيسى بن عمر: «وذريتهم» بالإفراد.

وقوله: وَقِهِمُ أصله أوقهم، حذفت الواو اتباعا لحذفها في المستقبل، واستغني عن ألف الوصل لتحرك القاف، ومعناه: اجعل لهم وقاية تقيهم السَّيِّئاتِ، واللفظ يحتمل أن يكون الدعاء في دفع العذاب اللاحق من السَّيِّئاتِ، فيكون في اللفظ على هذا حذف مضاف، كأنه قال: وقهم جزاء السيئات.

قوله عز وجل:

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ١٠ الى ١٢]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢)

ثم أخبر تعالى بحال الكفار وجعل ذلك عقب حال المؤمنين ليبين الفرق، وروي أن هذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار، فإنهم إذا أدخلوا فيها مقتوا أنفسهم، أي مقت بعضهم بعضا. ويحتمل أن يمقت كل واحد نفسه، فإن العبارة تحتمل المعنيين، والمقت هو احتقار وبغض عن ذنب وريبة. هذا

حده، وإذا". (١)

٩٧. ٥٨-"فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وبإزاء قوله وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى قوله وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ، هذا عليه قول من قال إن السَّائِلَ هنا هو السائل عن العلم والدين وليس بسائل المال، وهو قول أبي الدرداء والحسن وغيره، وبإزاء قوله وَوَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى قوله وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ. ومن قال إن السَّائِلَ هو سائل المحتاج وهو قول الفراء عن جماعة، ومعنى فَلا تَنْهَرْ جعلها بإزاء قوله وَوَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى، وجعل قوله وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ بإزاء قوله وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى، وقال إبراهيم بن أدهم نعم القول السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة، فَلا تَنْهَرْ، معناه: فرد ردا جميلا إما بعطاء وإما بقول حسن، وفي مصحف ابن مسعود «ووجدك عديما فأغنى» ، وقرأ ابن مسعود والشعبي وإبراهيم التيمي، «فأما اليتيم فلا تكهر» بالكاف، قال الأخفش هي بمعنى القهر، ومنه قول الأعرابي: وقاكم الله سطوة القادر وملكة الكاهر، وقال أبو حاتم لا أظنها بمعنى القهر لأنه قد قال الأعرابي الذي بال في المسجد: فأكهرني النبي صلى الله عليه وسلم فإنها هي بمعنى الإشهار وأمره الله تعالى بالتحدث بالنعمة، فقال مجاهد والكسائي:

معناه: بث القرآن وبلغ ما أرسلت به، وقال آخرون بل هو عموم في جميع النعم، وكان **بعض الصالحين** يقول: لقد أعطاني الله كذا وكذا، ولقد صليت البارحة كذا وذكرت الله كذا، فقيل له: إن مثلك لا يقول هذا، فقال إن الله تعالى يقول: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ، وأنتم تقولون لا تحدث، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «التحدث بالنعم شكر» ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من أسديت إليه نعمة فذكرها فقد شكرها ومن سترها فقد كفرها» ، ونصب الْيَتِيمَ ب تَقْهَرْ والتقدير مهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم.

نجز تفسيرها والحمد لله كثيرا.". (٢)

٩٨. ٥٩-"جَنَّاتُ عَدْنٍ أو دخول جَنَّاتُ عَدْنٍ، والعدن الإقامة والدوام، عدن بالموضع أقام فيه، ومنه المعدن لأنه رأس ثابت، وقال ابن مسعود: جَنَّاتُ عَدْنٍ بطنان الجنة أي سوطها، وقوله: رَضِيَ

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٤٨/٤

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٩٥/٥

اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ قيل ذلك في الدنيا، فرضاه عنهم هو ما أظهره عليهم من أمارات رحمته وغفرانه، ورضاهم عنه: هو رضاهم بجميع ما قسم لهم من جميع الأرزاق والأقدار. قال **بعض الصالحين**: رضى العباد عن الله رضاهم بما يرد من أحكامه، ورضاه عنهم أن يوفقهم للرضى عنه، وقال أبو بكر بن طاهر: الرضى عن الله خروج الكراهية عن القلب حتى لا يكون إلا فرح وسرور، وقال السري السقطي: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تطلب منه الرضا عنك؟ وقيل ذلك في الآخرة، فرضاهم عنه رضاهم بما من به عليهم من النعم، ورضاهم عنه هو ما روي أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: هل رضيتم بما أعطيتكم؟ فيقولون: نعم ربنا وكيف لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من كل ما أعطيتكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا، وخص الله بالذكر أهل الخشية لأنها رأس كل بركة الناهية عن المعاصي الآمرة بالمعروف.". (١)

٩٩. ٦٠-"الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ، ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا، ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أَيْ: فِي الْآخِرَةِ (١).

ثُمَّ قَالَ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيْ: فِي مُخَالَطَتِهِمُ الْمُسْلِمِينَ وَمُعَاشَرَتِهِمْ لَهُمْ، أَنَّ ذَلِكَ لَا يُجْدِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، إِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِيمَانُ حَاصِلًا فِي قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَثَلَ فَقَالَ: ﴿امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ أَيْ: نَبِيَّيْنِ رَسُولَيْنِ عِنْدَهُمَا فِي صُحْبَتِهَا (٢) لَيْلًا وَنَهَارًا يُؤَاكِلَانِهِمَا وَيُضَاجِعَانِهِمَا وَيُعَاشِرَانِهِمَا أَشَدَّ الْعِشْرَةِ وَالِاخْتِلَاطِ ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أَيْ: فِي الْإِيمَانِ، لَمْ يُوَافِقَاهُمَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَلَا صَدَّقَاهُمَا فِي الرِّسَالَةِ، فَلَمْ يُجْدِ ذَلِكَ كله شَيْئًا، وَلَا دَفَعَ عَنْهُمَا مَحْذُورًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أَيْ: لِكُفْرِهِمَا، ﴿وَقِيلَ﴾ أَيْ: لِلْمَرْأَتَيْنِ: ﴿ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ وَلَيْسَ الْمُرَادُ: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ فِي فَاحِشَةٍ، بَلْ فِي الدِّينِ، فَإِنَّ نِسَاءَ الْأَنْبِيَاءِ معصوماتٌ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْفَاحِشَةِ؛ لِحُرْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا قَدَّمْنَا فِي سُورَةِ النُّورِ.

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ قَتَّةَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قَالَ: مَا زَنَتَا، أَمَّا امْرَأَةُ نُوحٍ فَكَانَتْ تُخْبِرُ أَنَّهُ مَجْنُونٌ، وَأَمَّا خِيَانَةُ امْرَأَةِ لُوطٍ فَكَانَتْ تَدُلُّ قَوْمَهَا عَلَى أَضْيَافِهِ.

وَقَالَ العوفي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ خِيَانَتُهُمَا أَنَّهُمَا كَانَتَا عَلَى عَورتيهما فَكَانَتِ امْرَأَةُ نُوحٍ تَطلع

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٥٠٩

عَلَى سِرِّ نُوحٍ، فَإِذَا آمَنَ مَعَ نُوحٍ أَحَدٌ أَخْبَرَتِ الْجَبَابِرَةَ مَنْ قَوْمِ نُوحٍ بِهِ، وَأَمَّا امْرَأَةُ لُوطٍ فَكَانَتْ إِذَا أَضَافَ لُوطٌ أَحَدًا أَخْبَرَتْ بِهِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِمَّنْ يَعْمَلُ السُّوءَ.

وَهَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَغَيْرُهُمْ.

[وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا بَغَتِ امْرَأَةُ نَبِيٍّ قَطُّ، إِنَّمَا كَانَتْ خِيَانَتُهُمَا فِي الدِّينِ] (٣) .

وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بعضُ الْعُلَمَاءِ عَلَى ضَعْفِ الْحَدِيثِ الَّذِي يأثره كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: مَنْ أَكَلَ مَعَ مَغْفُورٍ لَهُ غُفِرَ لَهُ. وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا أَصْلَ لَهُ، وَإِنَّمَا يُرْوَى هَذَا عَنْ **بَعْضِ الصَّالِحِينَ** أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ قُلْتَ: مَنْ أَكَلَ مَعَ مَغْفُورٍ لَهُ غُفِرَ؟ قَالَ: "لَا وَلَكِنِّي الْآنَ أَقُولُهُ" (٤) .

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) ﴾

---

(١) في م: " في الأخرى".

(٢) في م: "في صحبتاهما".

(٣) زيادة من م.

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا ليس له إسناد عند أهل العلم ولا هو في شيء من كتب المسلمين، وإنما يروونه عن سنان، وليس معناه صحيحًا على الإطلاق، فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون" أ. هـ نقله الألباني في الضعيفة (٣٢٦/١) وذكره الإمام ابن القيم في المنار المنيف (ص ١٤٠) وقال: "موضوع، وغاية ما روي فيه أنه منام رآه بعض الناس"." (١)

١٠٠. ٦١-"وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا بَغَتِ امْرَأَةُ نَبِيٍّ قَطُّ إِنَّمَا كَانَتْ خِيَانَتُهُمَا فِي الدين، وَهَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالضَّحَّاكُ وغيرهم، وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَلَى ضَعْفِ الْحَدِيثِ الَّذِي يَأْثُرُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: مَنْ أَكَلَ مَعَ مَغْفُورٍ لَهُ غُفِرَ لَهُ. وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا أَصْلَ لَهُ وَإِنَّمَا يُرْوَى هَذَا عَنْ **بَعْضِ الصَّالِحِينَ** أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: يَا

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ١٧١/٨

رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ قُلْتَ مَنْ أَكَلَ مَعَ مَغْفُورٍ لَهُ غُفِرَ لَهُ؟ قَالَ: لا ولكني الآن أقوله.

[سورة التحريم (٦٦) : الآيات ١١ الى ١٢]

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ وَكانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ (١٢)

وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ لَا تَضُرُّهُمْ مُخَالَطَةُ الْكَافِرِينَ إِذَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً [آلِ عِمْرَانَ: ٢٨] قَالَ قَتَادَةُ: كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم فو الله مَا ضَرَّ امْرَأَتَهُ كُفْرُ زَوْجِهَا حِينَ أَطَاعَتْ ربها، ليعلموا أن الله تعالى حَكَمٌ عَدْلٌ لَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ «١» : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَفْصٍ الإربليّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عن سليمان قَالَ: كَانَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ تُعَذَّبُ فِي الشَّمْسِ، فَإِذَا انْصَرَفَ عَنْهَا أَظَلَّتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، وَكَانَتْ تَرَى بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ الْمُحَارِبِيِّ عَنْ أَسْبَاطِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ بِهِ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ «٢» : حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ هِشَامٍ الدَّسْتَوَائِيِّ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَزَّةَ قَالَ: كَانَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ تَسْأَلُ مَنْ غَلَبَ؟ فَيُقَالُ: غَلَبَ مُوسَى وَهَارُونُ، فَتَقُولُ: آمَنْتُ بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فِرْعَوْنُ فَقَالَ: انْظُرُوا أَعْظَمَ صَخْرَةٍ تَجِدُونَهَا، فَإِنْ مَضَتْ عَلَى قَوْلِهَا فَأَلْقُوهَا عَلَيْهَا، وَإِنْ رَجَعَتْ عَنْ قَوْلِهَا فَهِيَ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا أَتَوْهَا رَفَعَتْ بَصَرَهَا إِلَى السَّمَاءِ فَأَبْصَرَتْ بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ، فمضت على قولها وانتزعت رُوحُهَا وَأُلْقِيَتِ الصَّخْرَةُ عَلَى جَسَدٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ، فَقَوْلُهَا رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ قالت الْعُلَمَاءُ:

اخْتَارَتِ الْجَارَ قَبْلَ الدَّارِ، وَقَدْ وَرَدَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ أَيْ خَلِّصْنِي مِنْهُ فَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ عَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ هِيَ آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: كَانَ إِيمَانُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ مِنْ قَبْلِ إِيمَانِ امْرَأَةِ خَازِنِ فِرْعَوْنَ، وَذَلِكَ أَنَّهَا جَلَسَتْ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ فَوَقَعَ الْمُشْطُ مِنْ يَدِهَا

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ١٦٢.

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ١٦٢.". (١)

١٠١. ٦٢-"فَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلاَمَةِ جَاهِدا ... لِيُصحّنِي فَإِذَا السَّلاَمَةُ دَاءُ
فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ هاربين مخافة العدوى.

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٩١ الى ٩٣]
فَراغَ إِلى آلِهَتِهِمْ فَقالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لاَ تَنْطِقُونَ (٩٢) فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ (٩٣)
فَراغَ إِلى آلِهَتِهِمْ فذهب إليها في خفية من روغة الثعلب وأصله الميل بحيلة. فَقالَ أي للأصنام استهزاء.
أَلا تَأْكُلُونَ يعني الطعام الذي كان عندهم.
مَا لَكُمْ لاَ تَنْطِقُونَ بجوابي.
فَراغَ عَلَيْهِمْ فمال عليهم مستخفياً، والتعدية بعلى للاستعلاء وإن الميل لمكروه. ضَرْباً بِالْيَمِينِ مصدر «لراغ عليهم» لأنه في معنى ضربهم، أو لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فإن قوة الآلة تستدعي قوة الفعل، وقيل بِالْيَمِينِ بسبب الحلف وهو قوله: تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ.

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٩٤ الى ٩٦]
فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ (٩٦)
فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بعد ما رجعوا فرأوا أصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا أنه هو كما شرحه في قوله: مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا الآية. يَزِفُّونَ يسرعون من زفيف النعام. وقرى حمزة على بناء المفعول من أزفه أي يحملون على الزفيف. وقرئ «يَزِفُّونَ» أي يزف بعضهم بعضاً، و «يَزِفُّونَ» من وزف يزف إذا أسرع و «يَزِفُّونَ» من زفاه إذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضاً لتسارعهم إليه قالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ما تنحتونه من الأصنام.
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ أي وما تعملونه فإن جوهرها بخلقه وشكلها وإن كان بفعلهم، ولذلك جعل من أعمالهم فبإقداره إياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد، أو عملكم بمعنى

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ١٩٣/٨

معمولكم ليطابق ما تنحتون، أو إنه بمعنى الحدث فإن فعلهم إذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك، وبهذا المعنى تمسك أصحابنا على خلق الأعمال ولهم أن يرجحوه على الأولين لما فيهما من حذف أو مجاز.

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٩٧ الى ٩٨]

قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨)

قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التأجج، واللام بدل الإِضافة أي جحيم ذلك البنيان.

فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فإنه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم. فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهاناً نيراً على علو شأنه، حيث جعل النار عليه برداً وسلاما.

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٩٩ الى ١٠١]

وَقالَ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١)

وَقالَ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي إلى حيث أمرني ربي وهو الشام، أو حيث أتجرد فيه لعبادته. سَيَهْدِينِ إلى ما فيه صلاح ديني أو إلى مقصدي، وإنما بت القول لسبق وعده أو لفرط توكله، أو البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه الصلاة والسلام حين قالَ عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ فلذلك ذكر بصيغة التوقع.

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ **بعض الصالحين** يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة، يعني الولد لأن لفظ الهبة غالب فيه ولقوله:". (١)

١٠٢. ٦٣-"السورة التي يذكر فيها النصر

[سورة النصر (١١٠) : الآيات ١ الى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٤/٥

إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً (٣)

قوله تعالى: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ [١] قال: إذا جاء نصر الله لدينك والفتح لدينك.

وَرَأَيْتَ النَّاسَ [٢] وهم أهل اليمن. يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً [٢] زمراً، القبيلة بأسرها، والقوم بأجمعهم، فانصر روحك على نفسك بالتهيؤ للآخرة لأنه منها، فالنفس تريد الدنيا لأنها منها، والروح تريد الآخرة لأنه منها، فانصر على النفس وافتح له باب الآخرة بالتسبيح والاستغفار لأمتك. وكان يستغفر بعد ذلك ويسبح بالغداة مائة مرة، وبالعشي مائة مرة، واجتهدَ في العبادة ليلاً ونهاراً حتى تورمت قدماه، واحمرت عيناه، واصفرت وجنتاه، وقلّ تبسمه، وكثر بكاؤه وفكرته.

وقد حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما نزلت هذه السورة واستبشر بها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلّم بكى أبو بكر «١» رضي الله عنه بكاء شديداً فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما يبكيك؟ قال: نعيت لك نفسك يا رسول الله. فقال له النبي صلّى الله عليه وسلّم: صدقت» ، ثم قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» «٢» ، وهذا تعليم لأمته بالدين والتسبيح.

وقد قال الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى: أقلوا الكلام إلا من تسع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقراءة القرآن، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، ومسألة خير، وتعوذ من شر «٣»

.

إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً [٣] أي رجاعاً يقبل التوبة، كلما تاب العبد إليه. واعلم أن إلهنا أكرم من أن يكون معك على نفسك، فإنه قال: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ [البقرة: ٢٢٢] فإن كنت عليها كان معها بالعفو، وإن كنت معها على أمر الله ونهيه كان عليك، فمن وافق أمر الله على هواه كان ناجياً، ومن وافق هواه على أمر الله كان هالكاً، وإنّ أمر الله تعالى مرّ وهوى النفس حلو، فما مثالها إلا كالأطعمة اللذيذة قد يحصل فيها الصبر، والدواء يشرب مع مرارته لما جعل فيه من المنافع. وكان **بعض الصالحين** يقول: وا سوأتاه، وإن عفوت. فمنهم من يحذر الرد، ومنهم من يبكي خجلاً، وإن عفي عنه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) ليس في كتب الحديث ما يشير إلى أن أبا بكر هو من عرف أن في هذه السورة نعي النبي صلى الله عليه وسلّم، بل هو ابن عباس. انظر: صحيح البخاري: باب تفسير سورة النصر، رقم ٤٦٨٥-

٤٦٨٦، وباب المناقب، رقم ٣٤٢٨ وتحفة الأحوذي ٩/ ٢٠٨.

(٢) صحيح البخاري: باب وضع الماء عند الخلاء، رقم ١٤٢ والمستدرك على الصحيحين، رقم ٢٦٨٠ ومسند أحمد ١/ ٣٣٥ ومصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٣٨٣ ومجمع الزوائد ٩/ ٢٧٦ والمعجم الصغير ١/ ٣٢٧ والمعجم الكبير ١٠/ ٢٦٣، ١١/ ١١٠، ١٢/ ٧٠ والمعجم الأوسط ٤/ ١١٣، ٢٧٣.

(٣) الحلية ٢/ ١٠٩.". (١)

١٠٣. ٦٤-"وشرحه الكبير على الجزيرية فيه نكت نفيسة، ومختصر الأبي على مسلم في سفرين فيه نكت حسنة، وشرح «ايسا غوجي» في المنطق، تأليف البرهان البقاعي كثير العلم، ومختصره العجيب فيه زوائد على «الخونجي» وشرحه الحسن جدا، وشرح قصيدة الحباك في الأسطرلاب شرح جليل، وشرح أبيات الإمام الاليري في التصوف، وشرح الأبيات التي أولها: تطهر بماء الغيب، وشرحه العجيب على البخاري وصل فيه إلى باب «من استبرأ لدينه» ، وشرح مشكلات البخاري في كراسين، ومختصر الزركشي على البخاري.

ومنها عقيدة أخرى فيها دلائل قطعية على من أثبت تأثير الأسباب العادية، كتبها **لبعض الصالحين**، ومختصر «حاشية التفتازاني» على «الكشاف» ، و «شرح مقدمة الجبر والمقابلة» لابن الياسمين، وشرح «جمل» الخونجي في المنطق، و «شرح مختصر ابن عرفة» ، فيه حل صعوبته، وقال لي: إن كلامه صعب سيما هذا المختصر تعبت كثيرا في حله لصعوبته إلى الغاية، لا أستعين عليها إلا بالخلوة.

ومنها شرح رجز ابن سينا في الطب لم يكمل، ومختصر في القراءات السبع، وشرح «الشاطبية» الكبرى لم يكمل، وشرح «الوغليسية» في الفقه لم يكمل، ونظم في الفرائض، واختصار «رعاية» المحاسبي، ومختصر «الرّوض الأنف» للسهيلي لم يكمل، ومختصر «بغية السالك في أشرف المسالك» للساحلي، وشرح «المرشدة» و «الدر المنظوم» في شرح «الجرومية» ، وشرح «جواهر العلوم» للعضد في علم الكلام على طريقة الحكماء، وهو كتاب عجيب جدا في ذلك، إلا أنه صعب متعسّر على الفهم جدا، وتفسير القرآن إلى قوله: وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ في ثلاثة كراريس، ولم يمكن له التفرغ له، وتفسير سورة «ص» وما بعدها، فهذا ما علمت من تآليفه مع ما له من الفتاوى والوصايا والرسائل والمواعظ،

---

(١) تفسير التستري ص/٢٠٨

مع كثرة الأوراد وقضاء الحوائج والإقراء- اهـ.

وقد أخذ عنه أعلام كابن صعد، وأبي القاسم الزواوي، وابن أبي مدين، والشيخ يحيي بن محمد، وابن الحاج البيدري، وابن العباس الصغير، وولي الله محمد القلعي ريحانة زمانه، وإبراهيم الوجديجي وابن ملوكة، وغيرهم من الفضلاء.

وتوفي يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأخيرة عام خمسة وتسعين وثمانمائة، وشم الناس المسك بنفس موته، رحمه الله. مولده بعد الثلاثين وثمانمائة.

٣- أبو العباس أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي «١» ، الشيخ الإمام الفاضل،

---

(١) ينظر ترجمته في: «شجرة النور الزكية» (٢٦٥) .". (١)

١٠٤. ٦٥-"يوتر في سفره على الدّابّة- اه.

وهذا الأخذ نقله ابن ناجي عن بعض الشيوخ، قال الملالي: رأيت بخطّه عن **بعض الصالحين** أن من نزل منزلا وجمع أثقاله وخط على حواليها خطّا وهو في داخل الخط، ويقول في داخله ثلاثا: الله الله ربي لا شريك له، لم يضره لصّ ولا عدوّ ولا غيره، ويكون مع ثقله في حرز الله، وهو مجرب- اهـ.

وتوفي في صفر عام خمسة وتسعين وثمانمائة، ورأى أخوه السنوسي قبل موته في المنام دارا عظيمة فيها فرش مرتفع فقيل له:

هي لأخيك عليّ يدخل فيها عروسا- اهـ. - من الملالي.

٦- علي بن عبّاد التّستريّ البكري الفاسي المغربي: «١» أخذ عن أبي بكر البرجي الفقه، وأسئلة كثيرة عن محمد القوري، وسمع الحديث على عبد الرحمن الثعالبي، ومن تآليفه «لطائف الإشارات في مراتب الأنبياء في السموات» ، ولد سنة ثلاثين وثمانمائة.

قال التنبكي: وتأليفه المذكور في كراسة ذكر في آخره أنه فرغ منه في ذي الحجة عام ثمانين وثمانمائة.

٧- أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق «٢» :

الإمام العالم الفقيه، المحدث، الصوفي، الولي، الصالح الزاهد، القطب الغوث العارف بالله، الحاج الرحلة المشهورة شرقا وغربا، ذو التصانيف العديدة، والمناقب الحميدة، والفوائد العتيدة، قد عرف بنفسه

---

(١)<تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١/ ٢٩

وأحواله وشيوخه في كناشته وغيرها، فقال:

ولدت يوم الخميس طلوع الشمس ثامن وعشرين من المحرم سنة ست وأربعين وثمانمائة، وتوفيت أمي يوم السبت بعده وأبي يوم الثلاثاء بعده كلاهما في سابعي، فبقيت بعين الله بين جدتي الفقيهة أم البنين، فكفلتني حتى بلغت العشر، وحفظت القرآن، وتعلمت صناعة الخرز، ثم نقلني الله بعد بلوغي سادس عشر إلى القراءة، فقرأت «الرسالة» على الشيخين:

على السطي، وعبد الله الفخار قراءة بحث وتحقيق، و «القرآن» على جماعة منهم:

القوري، والزرهوني، وكان رجلا صالحا، والمجاصي، والأستاذ الصغير بحرف نافع، واشتغلت بالتصوف والتوحيد، فأخذت «الرسالة القدسية» ، و «عقائد الطوسي» على الشيخ

---

(١) ينظر ترجمته في: «نيل الابتهاج» (٣٤٢) . [.....]

(٢) ينظر ترجمته في: «نيل الابتهاج» (١٣٠) .". (١)

١٠٥. ٦٦-"ومما يدْخُلُ في ضِمْنِ قوله سبحانه: وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ أن يكون المرءُ مغْتَنِماً للخَمْس كما قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «اغتنم خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغُلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ» «١» فَيَكُونُ متى أَرَادَ أَنْ يَصْنَعَ خَيْراً، بادر إليه، ولم يسوّف نفسه بالأمل، فهذه أيضاً مسارعةٌ في الخيرات، وذكر بعض النَّاس قال: دخلْتُ معَ **بَعْضِ الصَّالحين** في مَرْكَبٍ، فقُلْتُ له: ما تقُولُ (أصْلَحَكَ اللَّه) في الصَّوْمِ في السَّفر؟ فقال لي: إنها المبادرةُ، يا ابْنَ الأخِ، قال المحدِّث: فجاءني، واللَّهِ، بجوابٍ ليس من أجوبة الفُقَهَاء/.

قال ص: قوله: مِنَ الصَّالِحِينَ: «مِنْ» : للتبعيض، ابنُ عطية: ويحسُنُ أيضاً أنْ تكون لبيانِ الجنْس، وتعقّب بأنه لم يتقدَّم شيء فيه إبهام، فيبين جنسه. اهـ.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١١٥ الى ١١٦]

وَما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (١١٦)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٣٣/١

وقوله تعالى: وَما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ، أي: فلَنْ يعطى دونكم، فلا تثابُونَ عليه، وفي قوله سبحانه: وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ: وعد ووعيد.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١١٧]

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧)

وقوله تعالى: ثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ ...

الآية: وقع في الآية التشبيهُ بين شيئَيْن وشَيْئَيْن، وتَرَكَ مِنْ كلٍّ منهما ما دلَّ عليه الكلام، وهذه غايةُ الإيجازِ والبلاغةِ، وجمهور المفسّرين على أن نْفِقُونَ

يراد به الأموال التي كانُوا ينفقُونَهَا في التحنُّث، أي: يبطلها كفْرهم كما تبطل الريح الزرْعَ، والصِّرُّ: البَرْدُ الشديدُ المُحْرِقُ لكلِّ ما يهبّ عليه، والحرث: شامل للزرع والثمار.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٠٦) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٦٣) رقم (١٠٢٤٨) من طريق عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس مرفوعا.

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٢) ، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٤٨) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٦٣) رقم (١٠٢٥٠) ، والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ٢٧٦، ٢٧٧- بتحقيقنا) عن عمرو بن ميمون الأودي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مرسلا.

والمرسل ذكره الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٤٤٣) ، وعزاه لأحمد في «الزهد» ، وقال: بإسناد حسن.". (١)

١٠٦. ٦٧-"ضِرَابه، وَدَعُوهُ للطَّواغيتِ، وأعْفَوْه من الحمل، فلم يُحْمَلْ شيءٌ عليه، وسمَّوْه الحامِيَ. انتهى.

وقوله سبحانه: وَإِذا قِيلَ لَهُمْ، يعني: لهؤلاءِ الكفار المستنِّينَ بهذه الأشياء:

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٩٦/٢

تَعالَوْا إِلى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، يعني: القرآن الذي فيه التحريمُ الصحيحُ، قالُوا حَسْبُنا، معناه: كفانا.

[سورة المائدة (٥) : آية ١٠٥]
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)
وقوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ...
الآية: قال أبو ثعلبة الخُشَنِيُّ: سَأَلْتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَنْ هذه الآيةِ، فَقَالَ: «ائتمروا بِالْمَعْرُوفِ وانهوا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذَا رَأَيْتَ دُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَشُحًّا مُطَاعاً، وإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَّةِ نَفْسِكَ، / وذَرْ عَوَامَّهُمْ فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ أَيَّاماً أَجْرُ العَامِلِ فِيهَا كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» «١» ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ الَّذِي لاَ نَظَرَ لأحَدٍ مَعهُ لأَنَّهُ مُسْتَوْفٍ لِلصَّلاَحِ صادرٌ عن النبيّ- عليه السلام-، وجملةُ ما عليه أهْلُ العِلْمِ في هذا أنَّ الأمر بالمعروفِ متعيّن، متى رُجِيَ القبولُ، أو رُجِيَ ردُّ الظالم، ولو بعنف ما لم يَخَفِ الآمرُ ضرراً يلحقه في خاصَّته، أو فتنةً يُدْخِلُها على المُسْلمين إما بشَقِّ عَصًا، وإما بضَرَرٍ يلحق طائفةً من الناس، فإذا خيف هذا، ف عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ: محكَمٌ واجبٌ أنْ يوقَفَ عنده.
وقوله سبحانه: إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، هذا تذكيرٌ بالحَشْر وما بعده، وذلك مُسَلٍّ عن أمور الدنيا، مكروهِهَا ومحبوبِها، رُوِيَ عن بعض الصالحين أنه قال: ما مِنْ يَوْمٍ إلاَّ ويجيءُ الشيطانُ، فيقول: ما تأكلُ، وما تلبسُ، وأين تَسْكُنُ، فأقول له: آكُلُ المَوْتَ، وألبس الكفن، وأسكن القبر.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٢٦) في الملاحم، باب الأمر والنهي (٤٣٤١) والترمذي (٥/ ٢٤٠) في التفسير:

باب «من سورة المائدة» (٣٠٥٨) وابن ماجة (٢/ ١٣٣٠- ١٣٣١) في الفتن، باب قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ (٤٠١٤) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٠) والطبري (٥/ ٩٧) برقم (١٢٨٦٦- ١٢٨٦٧) ، والحاكم (٤/ ٣٢٢) وابن حبان (١٨٥٠- موارد) . والبيهقي في السنن (١٠/ ٩١- ٩٢) ، والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ٣٥٨) (٤٠٥١) عن عتبة بن أبي حكيم، حدثني عمرو بن جارية اللخمي، حدثنا أبو أمية الشعباني به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.". (١)

١٠٧. ٦٨-"في هذه الآية المُجْمَلَ الذي في قوله تعالى: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ [الشورى: ٥] لأَنَّ الملائِكَةَ لا تستغفرُ لكافرٍ، وقد يجوز أن يُقَال: إنَّ استغفارَهم لهمُ بمعنى طَلَبِ هدايتِهم، وبلغني أنَّ رجُلاً قال **لبعض الصالحين**: ادع لي، واستغفر لي، فقالَ لَهُ: تُبْ، واتبع سَبِيلَ اللَّهِ يَسْتَغْفِرْ لَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وتلا هذه الآيَةَ، وقال مُطَرِّفُ بْنُ الشِّخِّيرِ:

وَجَدْنَا أَنْصَحَ الْعِبَادِ لِلْعِبَادِ المَلاَئِكَةَ، وأغَشَّ العِبَادِ لِلْعِبَادِ الشَّياطِينَ «١» ، وتلا هذه الآية، وروى جابر أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: أذن لي أن أحدث عن ملك مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وعاتقه مسيرة سبعمائة سنة «٢» ، قال الداوديّ: وعن هارونَ بْنِ ريابٍ قال:

حملةُ العَرْش ثمانيةٌ يَتَجاوبُونَ بصوْتٍ حَسَنٍ، فأرْبَعَةٌ يقولونَ: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ على حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ، وأَرْبَعَةٌ يَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ وبِحَمْدِكَ على عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ، انتهى.

وروى أبو داودَ عن جَابِرِ بن عبدِ الله، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ، إنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ [مَسِيرَةَ] سَبْعِمَائَةِ عَامٍ» «٣» ، انتهى، وقد تقدَّم.

وقولهم: رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً معناه: وسِعتْ رَحْمَتُكَ وَعِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ.

وقوله: «ومَنْ صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم» : رُوِيَ عن سعِيدِ/ بْنِ جُبَيْرٍ في ذلك: أنَّ الرَّجُلَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قبل قَرَابَتِهِ، فَيَقُولُ: أَيْنَ أَبِي؟ أَيْنَ أُمِّي، أَيْنَ ابني، أَيْنَ زَوْجِي، فيلحقونَ بِهِ لصلاحهم ولتنبيه عليهم، وطَلَبِهِ إيَّاهُمْ، وهذه دَعْوَةُ المَلاَئِكَةِ «٤» .

وقولهم: وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ معناه: اجْعَلْ لهم وِقَايَةً تقيهمُ السيئات، واللّفظ يحتمل

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٣) برقم: (٣٠٢٨٤) ، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٣) ، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٨) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٢) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٩) ، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٤٣٠/٢

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٤٥) كتاب «السنة» باب: في الجهمية والمعتزلة (٤٧٢٧) ، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٩٤- ١٩٥) (٥٣٣٤) .
وقال أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٥٨) : غريب من حديث محمّد عن ابن عبّاس، لم نكتبه إلا من حديث جعفر عن ابن عجلان، وحديث جابر قد رواه عن محمّد غيره.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» : رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال «الصحيح» .
(٣) ينظر: المصدر السابق.
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٢) برقم: (٣٠٢٨٢) ، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٣) ، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٨) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٢) .". (١)

١٠٨. ٦٩-"وقوله: فَرِيقٌ مرتَفِعٌ على خبر الابتداء الْمُضْمَرِ كأنَّه قال: هُمْ فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السَّعِيرِ، ثم قوى تعالى تسلية نَبِيِّه بأَنْ عَرَّفَه أَنَّ الأمر موقوفٌ على مشيئة الله من إيمانهم أو كُفْرهم، وأَنَّه لو أراد كونهم أُمَّةً واحدةً على دينٍ واحدٍ، لجمعهم عليه ولكِنَّه سبحانه يدخل مَنْ سبقَتْ له السعادةُ عنده في رحمته، ويُيَسِّره في الدنيا لعمل أهل السعادة، وأَنَّ الظالمين بالكفر الْمُيَسَّرِينَ لعمل الشقاوة ما لهم من ولي ولا نصير، قال عبدُ الحَقِّ- رحمه اللَّه- في «العاقبة» : وقد علمتَ (رحمك اللَّه) أَنَّ الناس يوم القيامة صنفان:
صنف مُقَرَّبٌ مُصَانٌ.
وآخر مُبْعَدٌ مُهَانٌ.
صنف نِصِبَت لهم الأَسِرَّة والحِجَال والأرائكُ والكِلاَل وجُمِعَتْ لَهُمُ الرغائبُ والآمالُ.
وآخَرُونَ أُعِدَّتْ لهم الأراقمُ والصِّلاَلِ والمقامعُ والأغلالِ وضروبُ الأهوال والأنْكَال، وأنْتَ لا تعلم من أَيِّهما أنْتَ ولا في أَيِّ الفريقَيْن كُنْتَ: [الكامل]
نَزَلُوا بِمَكَّةَ في قَبَائِلِ نَوْفَل ... وَنَزَلْتُ بِالْبَيْدَاءِ أَبْعَدَ مَنْزِلِ
وَتَقَلَّبُوا فَرِحِينَ تَحْتَ ظِلاَلِهَا ... وَطُرِحْتُ بِالصَّحْرَاءِ غَيْرَ مُظَلَّلِ
وَسُقُوا مِنَ الصَّافِي الْمُعَتَّقِ رِيُّهُم ... وَسُقِيتُ دَمْعَةَ/ وَالِهٍ مُتَمَلْمِلِ
بكى سفيانُ الثوريُّ- رحمه اللَّه- ليلةً إلى الصَّبَاحِ، فقيل له: أبكاؤك هذا على الذنوب؟ فأخذ تِبْنَةً

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١٠٥/٥

من الأرض، وقال: الذنوبُ أَهْوَنُ من هذا إنَّما أَبْكِي خوفَ الخاتمةِ، وبَكَى سفيان، وغير سفيان، وَإِنَّهُ لِلأَمْرِ يبكى عليه وَيصرف الاهتمام كلّه إليه.

وقد قيل: لا تَكُفَّ دَمْعَك حتى ترى في المعاد رَبْعَك.

وقيل: يا ابن آدم، الأقلام عليك تجْرِي وأنْتَ في غفلة لا تدري، يا ابن آدمَ دَعِ التنافُسَ في هذه الدار حتى ترى ما فَعَلَتَ في أمرِكَ الأَقْدَار، سمع **بعض الصالحينَ** مُنْشِداً ينشد: [الطويل]

أَيَا رَاهِبِي نَجْرَانَ مَا فَعَلَتْ هِنْد ... .

فبكى ليلةً إلى الصباح، فَسُئِلَ عن ذلك فقال: قلتُ في نفسي: ما فعلَتِ الأقدار فيّ وماذا جَرَتْ به عليّ؟ انتهى.". (١)

١٠٩. ٧٠-"منفكين مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَظَرِهِ لَهُمْ حَتَّى يبعثَ إليهمْ رَسُولاً تقومُ عليهم به الحجةُ، وتتمُّ عَلى مَنْ آمن بهِ النعمةُ فكأَنَّه قَالَ: ما كانوا لِيُتْرَكُوا سُدًى، والصحفُ المطهَّرة: القرآنُ في صحفهِ قاله قتادة والضحاك «١» ، وقال الحسن: الصحفُ المطهَّرة في السماءِ «٢» ، فِيها كُتُبٌ أي: أحكام كتب، وقَيِّمَةٌ معناه قَائِمة معتدلَة آخذةٌ للناسِ بالعَدْلِ، ثُمَّ ذَمّ تعالى أهْلَ الكتابِ في أنّهم لم يتفرّقوا في أمر محمّد صلّى الله عليه وسلّم إلا مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآياتِ الواضحةَ وكانوا مِنْ قَبْلُ مُتَّفِقِينَ على نُبُوَّتهِ وصفتهِ، وحُنَفاءَ: جَمْعُ حنيفٍ وهو المستقيمُ، وذِكْر الزكاةِ مَعَ ذِكْرِ بَنِي إسرائيل يُقَوّي قَوْلَ من قَال: السورةُ مدنيةٌ لأنَّ الزكاةَ إنما فُرِضَتْ بالمدينةِ، ولأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إنَّما دُفِعَ إلى مناقَضَةِ أهْلِ الكتَابِ بالمدينةِ، وقرأ الجمهور:

«وذلك دين القيمة» على معنى الجماعة والفِرْقَةِ القيمة، وقال- ص-: قراءة الجمهور:

«وذلك دين القيمة» على تقديرِ الأمَّةِ القَيّمَةِ أي: المستقيمةِ أو الكتُب القيمةِ، وقرأ عبد اللَّه «٣» : «وذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمَةُ» بتعريفِ الدِّينِ ورَفْعِ القيمة صفةً، والهاءُ فيه للمبالغَةِ أو عَلى تأويل أنّ الدّين بمعنى الملّة، انتهى، والْبَرِيَّةِ جميعُ الخَلْقِ لأن اللَّه تعالى براهُم أي: أَوْجَدَهُمْ بَعْدَ العَدَم.

وقوله تعالى: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قِيْلَ ذلك في الدنيا فَرِضاه عنهم هو ما أظْهَرَه عليهم من أمَارَاتِ رحمتهِ، ورضاهُم عنه هو رضَاهم بجميعِ مَا قَسَمَ لَهم من جميعِ الأرزاقِ والأقدارِ، وقال **بعضُ الصالحين**: / رَضَى العبادِ عن اللَّهِ رِضَاهُمْ بما يَرِدُ من أحكامِه، ورِضَاه عنهم أن يُوَفِّقَهُمْ للرِّضَى عَنْهُ، وقال سري السقطي:

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١٥٠/٥

إذا كُنْتَ لاَ تَرْضَى عَنِ اللهِ فكَيْفَ تَطْلُبُ منه أنْ يَرْضَى عَنْكَ، وقيل ذَلِكَ فِي الآخِرَةِ، وخَصَّ تعالى بالذكرِ أهْلَ الخَشْيَةِ لأنها رأسُ كلِّ بَرَكَةٍ وهيَ الآمِرَةُ بالمعروفِ والناهِيَةُ عن المنكر.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٥٦) ، (٣٧٧٢٦) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٧) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧) ، والسيوطي في «الدر المنثور» ، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة بنحوه.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٧) . [.....]

(٣) ينظر: «مختصر الشواذ» (١٧٧) ، و «البحر المحيط» (٨/ ٤٩٥) ، و «الدر المصون» (٦/ ٥٥٢) .". (١)

١١٠. ٧١-"ميمون بعد ذلك لا يغتاب أحدا، ولا يدع أن يغتاب عنده أحد، وحكي عن **بعض الصالحين** أنّه قال: كنت قاعدا في المقبرة الفلانية، فاجتازني شاب جلد، فقلت: هذا، وأمثاله، وبال على الناس، فلمّا كانت تلك الليلة رأيت في المنام أنّه قدّم إليّ جنازة عليها ميّت، وقيل لي كل من لحم هذا، وكشف عن وجهه، فإذا ذلك الشاب، فقلت: أنا لم آكل من لحم الحيوان الحلال منذ سنين، فكيف آكل هذا؟ فقيل: فلم اغتبته إذا؟ فانتبهت حزينا، فكنت آوي إلى تلك المقبرة سنة واحدة، فرأيت الرجل، فقمت إليه لأستحلّ منه، فنظر إليّ من بعيد، فقال: تبت. قلت:

نعم، قال: ارجع إلى مكانك.

وقد أخبرنا ابن منجويه، قال: حدّثنا عمر بن الخطّاب. قال: حدّثنا عبد الله بن الفضل.

قال: أخبرنا علي بن محمّد. قال: حدّثنا يحيى بن آدم. قال: حدّثنا ابن المبارك، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن ابن عمر، لأبي هريرة، قال: جاء ماعز إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، فقال: إنّه زنى، فأعرض عنه، حتّى أقرّ أربع مرّات، فأمر برجمه، فمرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على رجلين يذكران ماعزا، فقال أحدهما: هذا الذي ستر عليه، فلم تدعه نفسه حتّى رجم برجم الكلب.

قال: فسكت عنهما حتّى مرّا معه على جيفة حمار شائل رجله، فقال صلى الله عليه وسلّم لهما: «انزلا فأصيبا منه» . فقالا: يا رسول الله غفر الله لك، وتؤكل هذه الجيفة؟

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٥/٦١٤

قال: «ما أصبتما من لحم أخيكما آنفا أعظم عليكما، أما إنّه الآن في أنهار الجنّة منغمس فيها» [٧٦] .

وأخبرني ابن منجويه، قال: حدّثنا ابن شيبة قال: حدّثنا الفريابي، قال: حدّثنا محمّد بن المصفى، قال: حدّثنا أبو المغيرة، حدّثنا عبد القدوس بن الحجّاج، قال: حدّثني صفوان بن عمرو، قال: حدّثنا راشد بن سعد، وعبد الرّحمن بن جبير، عن أنس بن مالك، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «لمّا عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم، وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم النّاس، ويقعون في أعراضهم» [٧٧] «١» .

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ

أخبرني الحسين، قال: حدّثنا موسى بن محمّد بن علي، قال: حدّثنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: حدّثنا يحيى بن أيّوب، قال: حدّثنا أسباط، عن أبي رجاء الخراساني، عن عبّاد بن كثير، عن الحريري، عن أبي نصرة، عن جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، قالا: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «الغيبة أشدّ من الزنا» . قيل: وكيف؟

قال: «إنّ الرجل يزني، ثمّ يتوب، فيتوب الله عليه، وإنّ صاحب الغيبة لا يغفر له حتّى يغفر له صاحبه» [٧٨] «٢» .

---

(١) مسند أحمد: ٣/ ٢٢٤ وسنن أبي داود: ٢/ ٤٥١.

(٢) الجامع الصغير: ١/ ٤٥٠ العهود المحمدية للشعراني: ٨٥٦ كنز العمال: ٣/ ٥٨٦. [.....]".(١)

١١١. ٧٢-"أَدْرَكَهُ أَوَّلًا فَهَذَا هُوَ الْمَعْرِفَةُ فَيُقَالُ: عَرَفْتُ هَذَا الرَّجُلَ وَهُوَ فُلَانٌ الَّذِي كُنْتُ رَأَيْتُهُ وَقْتَ كَذَا. ثُمَّ فِي النَّاسِ مَنْ يَقُولُ بِقِدَمِ الْأَرْوَاحِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِتَقَدُّمِهَا عَلَى الْأَبْدَانِ وَيَقُولُ إِنَّهَا هِيَ الذَّرُّ الْمُسْتَخْرَجُ مِنْ صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنَّهَا أَقَرَّتْ بِالْإِلَهِيَّةِ وَاعْتَرَفَتْ بِالرُّبُوبِيَّةِ إِلَّا أَنَّهَا لِظُلْمَةِ الْعَلَاقَةِ الْبَدَنِيَّةِ نَسِيَتْ مَوْلَاهَا فَإِذَا عَادَتْ إِلَى نَفْسِهَا مُتَخَلِّصَةً مِنْ ظُلْمَةِ الْبَدَنِ وَهَاوِيَةِ الْجِسْمِ عَرَفَتْ رَبَّهَا وَعَرَفَتْ أَنَّهَا كَانَتْ عَارِفَةً بِهِ فَلَا جَرَمَ سُمِّيَ هَذَا الْإِدْرَاكُ عِرْفَانًا. وَثَامِنُهَا: الْفَهْمُ وَهُوَ تُصَوُّرُ الشَّيْءِ مِنْ

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٨٥/٩

لَفْظِ الْمُخَاطَبِ وَالْإِفْهَامُ هُوَ اتِّصَالُ الْمَعْنَى بِاللَّفْظِ إِلَى فَهْمِ السَّامِعِ، وَتَاسِعُهَا: الْفِقْهُ وَهُوَ الْعِلْمُ بِغَرَضِ الْمُخَاطَبِ مِنْ خِطَابِهِ يُقَالُ فَقِهْتُ كَلَامَكَ أَيْ وَقَفْتُ عَلَى غَرَضِكَ مِنْ هَذَا الْخِطَابِ ثُمَّ إِنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ لَمَّا كَانُوا أَرْبَابَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَمَا كَانُوا يَقِفُونَ عَلَى مَا فِي تَكَالِيفِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ لَا جَرَمَ قَالَ تَعَالَى: لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا [الْكَهْفِ: ٩٣] أَيْ لَا يَقِفُونَ عَلَى الْمَقْصُودِ الْأَصْلِيِّ وَالْغَرَضِ الْحَقِيقِيِّ. وَعَاشِرُهَا: الْعَقْلُ وَهُوَ الْعِلْمُ بِصِفَاتِ الْأَشْيَاءِ مِنْ حُسْنِهَا وَقُبْحِهَا وَكَمَالِهَا وَنُقْصَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى عَلِمْتَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَضَارِّ وَالْمَنَافِعِ صَارَ عِلْمُكَ بِمَا فِي/ الشَّيْءِ مِنَ النَّفْعِ دَاعِيًا لَكَ إِلَى الْفِعْلِ وَعِلْمُكَ بِمَا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ دَاعِيًا لَكَ إِلَى التَّرْكِ فَصَارَ ذَلِكَ الْعِلْمُ مَانِعًا مِنَ الْفِعْلِ مَرَّةً وَمِنَ التَّرْكِ أُخْرَى فَيَجْرِي ذَلِكَ الْعِلْمُ مَجْرَى عِقَالِ النَّاقَةِ. وَلِهَذَا لَمَّا سُئِلَ **بَعْضُ الصَّالِحِينَ** عَنِ الْعَقْلِ، قَالَ هُوَ الْعِلْمُ بِخَيْرِ الْخَيْرَيْنِ وَشَرِّ الشَّرَّيْنِ وَلَمَّا سُئِلَ عَنِ الْعَاقِلِ قَالَ الْعَاقِلُ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَهَذَا هُوَ الْقَدْرُ اللَّائِقُ بِهَذَا الْمَكَانِ وَالِاسْتِقْصَاءُ فِيهِ يَجِيءُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. الْحَادِيَ عَشَرَ: الدراية وهي المعرفة الحاصلة بِضَرْبٍ مِنَ الْحِيَلِ وَهُوَ تَقْدِيمُ الْمُقَدِّمَاتِ وَاسْتِعْمَالُ الروية وَأَصْلُهُ مِنْ دَرَيْتُ الصَّيْدَ وَالدُّرِّيَّةُ لِمَا يُتَعَلَّمُ عَلَيْهِ الطَّعْنُ وَالْمِدْرَى يُقَالُ لِمَا يُصْلَحُ بِهِ الشَّعْرُ وَهَذَا لَا يَصِحُّ إِطْلَاقُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِامْتِنَاعِ الْفِكْرِ وَالْحِيَلِ عَلَيْهِ تَعَالَى. الثَّانِيَ عَشَرَ: الْحِكْمَةُ: وَهِيَ اسْمٌ لِكُلِّ عِلْمٍ حَسَنٍ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ وَهُوَ بِالْعِلْمِ الْعَمَلِيِّ أَخَصُّ مِنْهُ بِالْعِلْمِ النَّظَرِيِّ وَفِي الْعَمَلِ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا مِنْهُ فِي الْعِلْمِ، وَمِنْهَا يُقَالُ أَحْكَمَ الْعَمَلَ إِحْكَامًا إِذَا أَتْقَنَهُ وَحَكَمَ بِكَذَا حُكْمًا وَالْحِكْمَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى خَلْقُ مَا فِيهِ مَنْفَعَةُ الْعِبَادِ وَمَصْلَحَتُهُمْ فِي الْحَالِ وَفِي الْمَآلِ وَمِنَ الْعِبَادِ أَيْضًا كَذَلِكَ ثُمَّ قَدْ حُدَّتِ الْحِكْمَةُ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ فَقِيلَ هِيَ مَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ بِحَقَائِقِهَا، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ إِدْرَاكَ الْجُزْئِيَّاتِ لَا كَمَالَ فِيهِ لِأَنَّهَا إِدْرَاكَاتٌ مُتَغَيِّرَةٌ. فَأَمَّا إِدْرَاكُ الْمَاهِيَّةِ، فَإِنَّهُ بَاقٍ مَصُونٌ عَنِ التَّغَيُّرِ وَالتَّبَدُّلِ وَقِيلَ هِيَ الْإِتْيَانُ بِالْفِعْلِ الَّذِي عَاقِبَتُهُ مَحْمُودَةٌ وَقِيلَ هِيَ الِاقْتِدَاءُ بِالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي السِّيَاسَةِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَذَلِكَ بِأَنْ يَجْتَهِدَ بِأَنْ يُنَزِّهَ عِلْمَهُ عَنِ الْجَهْلِ وَفِعْلَهُ عَنِ الْجَوْرِ وَجُودَهُ عَنِ الْبُخْلِ وَحِلْمَهُ عَنِ السَّفَهِ. الثَّالِثَ عَشَرَ: عِلْمُ

الْيَقِينِ وَعَيْنُ الْيَقِينِ وَحَقُّ الْيَقِينِ قَالُوا إِنَّ الْيَقِينَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ الشَّيْءَ كَذَا وَأَنَّهُ يَمْتَنِعُ كَوْنُ الْأَمْرِ بِخِلَافِ مُعْتَقَدِهِ إِذَا كَانَ لِذَلِكَ الِاعْتِقَادِ مُوجِبٌ هُوَ إِمَّا بَدِيهِيَّةُ الْفِطْرَةِ وَإِمَّا نَظَرُ الْعَقْلِ، الرَّابِعَ عَشَرَ: الذِّهْنُ وَهُوَ قُوَّةُ النَّفْسِ عَلَى اكْتِسَابِ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ حَاصِلَةٍ وَتَحْقِيقُ الْقَوْلِ فِيهِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الرُّوحَ خَالِيًا عَنْ تَحْقِيقِ الْأَشْيَاءِ وَعَنِ الْعِلْمِ بِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ

أُمَّهاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً [النحل: ٧٨] لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَهَا لِلطَّاعَةِ عَلَى مَا قَالَ تَعَالَى: وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذَّارِيَاتِ: ٥٦] وَالطَّاعَةُ مَشْرُوطَةٌ بِالْعِلْمِ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي [طه: ١٤] فَبَيَّنَ أَنَّهُ أَمْرٌ بِالطَّاعَةِ لِغَرَضِ الْعِلْمِ وَالْعِلْمُ لَا بُدَّ مِنْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَلَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ النَّفْسُ مُتَمَكِّنَةً مِنْ تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ فَأَعْطَاهُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنَ الْحَوَاسِّ مَا أَعَانَ عَلَى تَحْصِيلِ هَذَا الْغَرَضِ فَقَالَ فِي السَّمْعِ: وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ [الْبَلَدِ: ١٠] وَقَالَ فِي الْبَصَرِ: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ [فُصِّلَتْ: ٥٣] وَقَالَ فِي الْفِكْرِ: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ [الذَّارِيَاتِ: ٢١] فَإِذَا تَطَابَقَتْ هَذِهِ". (١)

١١٢. ٧٣-"عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَجْزِمْ بِهِ، بَلْ قَالَ: عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ [الْقَصَصِ: ٢٢] فَمَا الْفَرْقُ؟ قُلْنَا الْعَبْدُ إِذَا تَجَلَّى لَهُ مَقَامَاتُ رَحْمَةِ اللَّهِ فَقَدْ يَجْزِمُ بِحُصُولِ الْمَقْصُودِ، وَإِذَا تَجَلَّى لَهُ مَقَامَاتُ كَوْنِهِ غَنِيًّا عَنِ الْعَالَمِينَ، فَحِينَئِذٍ يَسْتَحْقِرُ نَفْسَهُ فَلَا يَجْزِمُ، بَلْ لَا يُظْهِرُ إِلَّا الرَّجَاءَ وَالطَّمَعَ.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ تَمَسُّكِ الْمُشَبِّهَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ [فَاطِرٍ: ١٠] لِأَنَّ كَلِمَةَ إِلَى مَوْجُودَةٌ فِي قَوْلِهِ: إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَلْزَمْ أَنْ يَكُونَ الْإِلَهُ موجودا في ذلك المكان، فكذلك هاهنا.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ أَرَادَ الْوَلَدَ فَقَالَ: هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ أَيْ هَبْ لِي **بَعْضَ الصَّالِحِينَ**، يُرِيدُ الْوَلَدَ، لِأَنَّ لَفْظَ الْهِبَةِ غَلَبَ فِي الْوَلَدِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ جَاءَ فِي الْأَخِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

وَوَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا [مَرْيَمَ: ٥٣] وَقَالَ تَعَالَى: وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ [الأنبياء: ٧٢] وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى [الْأَنْبِيَاءِ: ٩٠]

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حِينَ هَنَّأَهُ بِوَلَدِهِ: عَلَى أَبِي الْأَمْلَاكِ شَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وَبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ،

وَلِذَلِكَ وَقَعَتِ التَّسْمِيَةُ بِهِبَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِهِبَةِ الْوَهَّابِ وَبِمَوْهُوبٍ وَوَهْبٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ اشْتَمَلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى أَنَّ الْوَلَدَ غُلَامٌ ذَكَرٌ، وَأَنَّهُ يَبْلُغُ الْحُلُمَ، وَأَنَّهُ يَكُونُ حَلِيمًا، وَأَيُّ حِلْمٍ يَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ وَلَدٍ حِينَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَبُوهُ الذَّبْحَ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢/٤٢٢

الصَّابِرِينَ [الصَّافَّاتِ: ١٠٢] ثُمَّ اسْتَسْلَمَ لِذَلِكَ، وَأَيْضًا فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَوْصُوفًا بِالْحِلْمِ، قَالَ تَعَالَى: إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ [التَّوْبَةِ: ١١٤] إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ [هُودٍ: ٧٥] فَبَيَّنَ أَنَّ وَلَدَهُ مَوْصُوفٌ بِالْحِلْمِ، وَأَنَّهُ قَائِمٌ مَقَامَهُ فِي صِفَاتِ الشَّرَفِ وَالْفَضِيلَةِ، واعْلَمْ أَنَّ الصَّلَاحَ أَفْضَلُ الصِّفَاتِ بِدَلِيلِ أَنَّ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَلَبَ الصَّلَاحَ لِنَفْسِهِ، فَقَالَ: رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ [الشُّعَرَاءِ: ٨٣] وَطَلَبَهُ لِلْوَلَدِ فَقَالَ: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ وَطَلَبَهُ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ كَمَالِ دَرَجَتِهِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَقَالَ:
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ [النَّمْلِ: ١٩] وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّلَاحَ أشرف مقامات العباد.

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ١٠٢ الى ١١٣]
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦)
وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ (١٠٩) كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١)
وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبارَكْنا عَلَيْهِ وَعَلى إِسْحاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ وَظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)". (١)

١١٣. ٧٤-"غَيْرِهَا كَمَا يَكُونُ حَالُ مَنْ يَكُونُ عَلَى كُرْسِيٍّ صَغِيرٍ لَا يَسَعُهُ لِلِاتِّكَاءِ فَيُوضَعُ تَحْتَهُ شَيْءٌ آخَرُ لِلِاتِّكَاءِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَالَ: عَلَى سُرُرٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ اسْتِقْرَارَهُمْ وَاتِّكَاءَهُمْ جَمِيعًا عَلَى سُرُرٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: مُتَقابِلِينَ فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَدْبِرُ أَحَدًا وَثَانِيهِمَا: أَنَّ أَحَدًا مِنَ السَّابِقِينَ لَا يَرَى غَيْرَهُ فَوْقَهُ، وَهَذَا أَقْرَبُ لِأَنَّ قَوْلَهُ: مُتَقابِلِينَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُقَالَ: مُتَقَابِلِينَ مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُقَابِلُ أَحَدًا فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ، وَلَا يُفْهَمُ هَذَا إِلَّا فِيمَا لَا يَكُونُ فِيهِ اخْتِلَافُ

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٣٤٥/٢٦

جِهَاتٍ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ أَنَّهُمْ أَرْوَاحٌ لَيْسَ لَهُمْ أَدْبَارٌ وَظُهُورٌ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنَ السَّابِقِينَ هُمُ الَّذِينَ أَجْسَامُهُمْ أَرْوَاحٌ نُورَانِيَّةٌ جَمِيعُ جِهَاتِهِمْ وَجْهٌ كَالنُّورِ الَّذِي يُقَابِلُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَسْتَدْبِرُ أَحَدًا، وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ أَقْرَبُ إِلَى أَوْصَافِ الْمَكَانِيَّاتِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

[سورة الواقعة (٥٦) : آية ١٧]

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧)

وَالْوِلْدَانُ جَمْعُ الْوَلِيدِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَهُوَ الْمَوْلُودُ لَكِنْ غَلَبَ عَلَى الصِّغَارِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِهِمْ مَوْلُودِينَ، وَالدَّلِيلُ أَنَّهُمْ قَالُوا لِلْجَارِيَةِ الصَّغِيرَةِ وَلِيدَةٌ، وَلَوْ نَظَرُوا إِلَى الْأَصْلِ لَجَرَّدُوهَا عَنِ الْهَاءِ كَالْقَتِيلِ، إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: فِي الْوِلْدَانِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ عَلَى الْأَصْلِ وَهُمْ صِغَارُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ ضَعِيفٌ، لِأَنَّ صِغَارَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَنَّهُ يُلْحِقُهُمْ بِآبَائِهِمْ، وَمِنَ النَّاسِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَخْدِمَ وَلَدُ الْمُؤْمِنِ مُؤْمِنًا غَيْرَهُ، فَيَلْزَمُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ اخْتِصَاصٌ بِبَعْضِ الصَّالِحِينَ وَأَنْ لَا يَكُونَ لِمَنْ لَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ مَنْ يَطُوفُ عَلَيْهِ مِنَ الْوِلْدَانِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ وَلَدُ الْآخَرِ يَخْدِمُ غَيْرَ أَبِيهِ وَفِيهِ مَنْقَصَةٌ بِالْأَبِ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ قِيلَ: هُمْ صِغَارُ الْكُفَّارِ وَهُوَ أَقْرَبُ مِنَ الْأَوَّلِ إِذْ لَيْسَ فِيهِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْمَفْسَدَةِ وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَلَى الِاسْتِعْمَالِ الَّذِي لَمْ يُلْحَظْ فِيهِ الْأَصْلُ وَهُوَ إِرَادَةُ الصِّغَارِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِهِمْ مَوْلُودِينَ وَهُوَ حِينَئِذٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ [الطُّورِ: ٢٤] وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: مُخَلَّدُونَ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مِنَ الْخُلُودِ وَالدَّوَامِ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَظْهَرُ/ وَجْهَانِ آخَرَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ مُخَلَّدُونَ وَلَا مَوْتَ لَهُمْ وَلَا فَنَاءَ وَثَانِيهِمَا: لَا يَتَغَيَّرُونَ عَنْ حَالِهِمْ وَيَبْقَوْنَ صِغَارًا دَائِمًا لَا يَكْبَرُونَ وَلَا يَلْتَحُونَ وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ مِنَ الْخَلَدَةِ وَهُوَ الْقُرْطُ بِمَعْنَى فِي آذانهم حلق، والأول أظهر وأليق. ثم قال تعالى:

[سورة الواقعة (٥٦) : آية ١٨]

بِأَكْوابٍ وَأَبارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨)

أَوَانِي الْخَمْرِ تَكُونُ فِي الْمَجَالِسِ، وَفِي الْكُوبِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْأَقْدَاحِ وَهُوَ قَدَحٌ كَبِيرٌ ثانيهما: مِنْ جِنْسِ الْكِيزَانِ وَلَا عُرْوَةَ لَهُ وَلَا خُرْطُومَ وَالْإِبْرِيقُ لَهُ عُرْوَةٌ وَخُرْطُومٌ، وَفِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَكْوَابِ وَالْأَبَارِيقِ وَالْكَأْسِ حَيْثُ ذَكَرَ الْأَكْوَابَ وَالْأَبَارِيقَ بِلَفْظِ الْجَمِيعِ وَالْكَأْسَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ وَلَمْ يَقُلْ: وَكُئُوسٍ؟ نَقُولُ: هُوَ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي الشُّرْبِ يَكُونُ عِنْدَهُمْ أَوَانٍ

كَثِيرَةٌ فِيهَا الْخَمْرُ مُعَدَّةٌ مَوْضُوعَةٌ عِنْدَهُمْ، وَأَمَّا الْكَأْسُ فَهُوَ الْقَدَحُ الَّذِي يُشْرَبُ بِهِ الْخَمْرُ إِذَا كَانَ فِيهِ الْخَمْرُ وَلَا يَشْرَبُ وَاحِدٌ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ إِلَّا مِنْ كَأْسٍ وَاحِدٍ، وَأَمَّا أَوَانِي الْخَمْرِ الْمَمْلُوءَةُ مِنْهَا فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ فَتُوجَدُ كَثِيرًا، فَإِنْ قِيلَ:

الطَّوَافُ بِالْكَأْسِ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَأَمَّا الطَّوَافُ بِالْأَكْوَابِ وَالْأَبَارِيقِ فَغَيْرُ مُعْتَادٍ فَمَا الْفَائِدَةُ فِيهِ؟ نَقُولُ: عَدَمُ الطَّوَافِ بِهَا فِي الدُّنْيَا لِدَفْعِ الْمَشَقَّةِ عَنِ الطَّائِفِ لِثِقَلِهَا وَإِلَّا فَهِيَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا بِدَلِيلِ أَنَّهُ عِنْدَ الْفَرَاغِ يرجع إلى الموضع الذي هي فِيهِ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَالْآنِيَةُ تَدُورُ بِنَفْسِهَا وَالْوَلِيدُ مَعَهَا إِكْرَامًا لَا لِلْحَمْلِ، وَفِيهِ وَجْهٌ آخر من". (١)

١١٤. ٧٥-"وَقَالَ مُجَاهِدٌ: سِينِينَ الْمُبَارَكُ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: هُوَ الْجَبَلُ الْمُشَجَّرُ ذُو الشَّجَرِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: كُلُّ جَبَلٍ فِيهِ شَجَرٌ مُثْمِرٌ فَهُوَ سِينِينَ وَسِينَا بِلُغَةِ النَّبَطِ قَالَ الْوَاحِدِيُّ: وَالْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ سِينِينَ اسْمًا لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ الْجَبَلُ، ثُمَّ لِذَلِكَ سُمِّيَ سِينِينَ أَوْ سِينَا لِحُسْنِهِ أَوْ لِكَوْنِهِ مُبَارَكًا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سِينِينَ نَعْتًا لِلطُّورِ لِإِضَافَتِهِ إِلَيْهِ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ فَالْمُرَادُ مَكَّةُ وَالْأَمِينُ: الْآمِنُ قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : مِنْ أَمِنَ الرَّجُلَ أَمَانَةً فَهُوَ أَمِينٌ وَأَمَانَتُهُ أَنْ يَحْفَظَ مَنْ دَخَلَهُ كَمَا يَحْفَظُ الْأَمِينُ مَا يُؤْتَمَنُ عَلَيْهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَعِيلًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنْ أَمِنَهُ لِأَنَّهُ مَأْمُونُ الْغَوَائِلِ، كَمَا وُصِفَ بِالْأَمْنِ فِي قوله: حَرَماً آمِناً [العنكبوت: ٦٧] يَعْنِي ذَا أَمْنٍ، وَذَكَرُوا فِي كَوْنِهِ أَمِينًا وُجُوهًا أَحَدُهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَفِظَهُ عَنِ الْفِيلِ عَلَى مَا يَأْتِيكَ شَرْحُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَثَانِيهَا: أَنَّهَا تَحْفَظُ لَكَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ فَمُبَاحُ الدَّمِ عِنْدَ الِالْتِجَاءِ إِلَيْهَا آمِنٌ مِنَ السِّبَاعِ وَالصُّيُودُ تَسْتَفِيدُ مِنْهَا الْحِفْظَ عِنْدَ الِالْتِجَاءِ إِلَيْهَا وَثَالِثُهَا: مَا

رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يُقَبِّلُ الْحَجَرَ، وَيَقُولُ: أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَا إِنَّهُ يَضُرُّ وَيَنْفُعُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَخَذَ عَلَى ذُرِّيَّةِ آدَمَ الْمِيثَاقَ كَتَبَهُ فِي رِقٍّ أَبْيَضَ، وَكَانَ لِهَذَا الرُّكْنِ يَوْمَئِذٍ لِسَانٌ وَشَفَتَانِ وَعَيْنَانِ، فَقَالَ: افْتَحْ فَاكَ فَأَلْقَمَهُ ذَلِكَ الرِّقَّ وَقَالَ: تَشْهَدُ لِمَنْ وَافَاكَ بِالْمُوَافَاةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: لَا بَقِيتُ فِي قوم لست فيهم يا أبا الحسن.

ثم قال تعالى:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٣٩٣/٢٩

[سورة التين (٩٥) : آية ٤]

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)

الْمُرَادُ من الإنسان هذه الماهية والتقويم تصبير الشَّيْءِ عَلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي التَّأْلِيفِ وَالتَّعْدِيلِ، يُقَالُ:

قَوَّمْتُهُ تَقْوِيمًا فَاسْتَقَامَ وَتَقَوَّمَ، وَذَكَرُوا فِي شَرْحِ ذَلِكَ الْحُسْنِ وُجُوهًا أَحَدُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ كُلَّ ذِي رُوحٍ مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا الْإِنْسَانَ فَإِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهُ مَدِيدَ الْقَامَةِ يَتَنَاوَلُ مَأْكُولَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ الْأَصَمُّ: فِي أَكْمَلِ عَقْلٍ وَفَهْمٍ وَأَدَبٍ وَعِلْمٍ وَبَيَانٍ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ رَاجِعٌ إِلَى الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، وَالثَّانِي إِلَى/ السِّيرَةِ الْبَاطِنَةِ، وَعَنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ الْقَاضِي أَنَّهُ فَسَّرَ التَّقْوِيمَ بِحُسْنِ الصُّورَةِ، فَإِنَّهُ حَكَى أَنَّ مَلِكَ زَمَانِهِ خَلَا بِزَوْجَتِهِ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فَقَالَ: إِنْ لَمْ تَكُونِي أَحْسَنَ مِنَ الْقَمَرِ فَأَنْتِ كَذَا، فَأَفْتَى الْكُلُّ بِالْحِنْثِ إِلَّا يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ فَإِنَّهُ قَالَ: لَا يَحْنَثُ، فَقِيلَ لَهُ: خَالَفْتَ شُيُوخَكَ، فَقَالَ: الْفَتْوَى بِالْعِلْمِ وَلَقَدْ أَفْتَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنَّا وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَكَانَ **بَعْضُ الصَّالِحِينَ** يَقُولُ: إِلَهَنَا أَعْطَيْتَنَا فِي الْأُولَى أَحْسَنَ الْأَشْكَالِ، فَأَعْطِنَا فِي الْآخِرَةِ أَحْسَنَ الْفِعَالِ، وَهُوَ الْعَفْوُ عَنِ الذُّنُوبِ، وَالتَّجَاوُزُ عَنِ الْعُيُوبِ. أما قوله تعالى:

[سورة التين (٩٥) : آية ٥]

ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ (٥)

فَفِيهِ وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ أَرْذَلَ الْعُمُرِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: السَّافِلُونَ هُمُ الضُّعَفَاءُ وَالزَّمْنَى، وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ حِيلَةً وَلَا يَجِدُ سَبِيلًا، يُقَالُ: سَفَلَ يَسْفُلُ فَهُوَ سَافِلٌ وَهُمْ سَافِلُونَ، كَمَا يُقَالُ: عَلَا يَعْلُو فَهُوَ عَالٍ وَهُمْ عَالُونَ، أَرَادَ أَنَّ الْهَرِمَ يُخَرِّفُ وَيَضْعُفُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَعَقْلُهُ وَتَقِلُّ حِيلَتُهُ وَيَعْجِزُ عَنْ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ، فَيَكُونُ أَسْفَلَ الْجَمِيعِ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: وَلَوْ كَانَتْ أَسْفَلَ سَافِلٍ لَكَانَ صَوَابًا، لِأَنَّ لَفْظَ الْإِنْسَانِ وَاحِدٌ، وَأَنْتَ تَقُولُ: هَذَا أَفْضَلُ قَائِمٍ وَلَا تَقُولُ: أَفْضَلُ قَائِمِينَ، إِلَّا أَنَّهُ قِيلَ: سَافِلِينَ عَلَى الْجَمْعِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي مَعْنَى جَمْعٍ فَهُوَ كَقَوْلِهِ: وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ

وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ [الزُّمَرِ:". (١)

١١٥. ٧٦-"وأما المكتسب فأربعة:

- الحكمة والعفة وعنها يصدر الجود والنجدة وعنها يصدر الصبر والعدالة.

وهي ثلاث: عدالة في نفس الإنسان.

وذلك بأن يجعل هواه تابعاً لعقله، وعدالة بين العبد وخالقه وذلك في توفية حق العبادات، وعدالة بين كل إنسان وبين غيره في المعاملات، وهذه الأربعة ينطوي عليها العبادة المأمور بها في قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ، وأما الأخروي: فرضاء الخالق.

ومعاشرة الملائكة.

وبقاء الأبد.

والغني عن كل حاجة إلا إليه تعالى.

وعلى ذلك دل قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فالنعمة الحقيقية التي لا غناء عنعا، ويقال لها الخير المطلق هي الأخروية، فأما الدنيوية فضربان: ضرب هو نافع ضروري في الإيصال إلى الخير المطلق، وهي المكتسبات، فإنها ضرورية فيه، إذ لا يمكن الوصول إلى نعيم الآخرة إلا بها أو ببعضها، ولذلك قال تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ، وضرب غير ضروري، وقد يكون تارة نافعاً في بلوغ المقصود، وتارة ضاراً فيه، نحو المال والجاه والقوة والجمال، ولذلك لا يقال في الملك: إنه نعمة على الإطلاق، لأنه قد يكون نعمة لزيد، ونقمة على عمرو، ولهذا قيل " " رب مغبوط بأمر وهو داؤه.

ومرحوم بأمر هو شفاؤه " ولذلك قال **بعض الصالحين**: (يا من منعه عطاء) ، وقال آخر: (يا من لا يستحق بمنعه الشمر سواه) ، وعماد ذلك كله في إيصالنا إلى المقصود من نعيم الآخرة توفيق الله - عز وجل -، فقد قيل لبعض الحكماء: ما الذي لا يستغنى عنه في كل حال؟ فقال: التوفيق.

إذا ثبت معرفة أنواع النعم، على أن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ : يعني به من سهلت عليهم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢١٢/٣٢

طريق الفوز بإعطائهم ما يمكنهم منه، ومنهم ما يثبطهم عنه، ومن المفسرين من قال: أراد به أن عرفهم مكائد الشيطان وخيانة النفس، ومنهم من قال: عنى الإنعام عليهم بالعلم والفهم وكل هذا أبعاض للحكمة، فالوجه: أن يجري ذلك على العموم في كل ما صح أن يكون نعمة بدلالة قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ ، وهؤلاء المنعم عليهم: المعنيون بقوله تعالى:". (١)

١١٦. ٧٧-"أو سهوا، وسواء كان يسيراً أو كثيراً، والصواب من الشيء يجري " مجرى القرطاس " من المرمى في أنه هو الصواب.

وباقية ضلال وخطأ.

ولهذا قال الحكماء: كوننا أخياراً من وجه واحد، وكوننا أشراراً من وجوه كثيرة، ولهذا روي عن **بعض الصالحين** أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في منامه، فقال له: ما الذي شيبك يا رسول الله - حيث قلت: " شيبتني هود وأخواتها "؟ فقال: مثل قوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ واصعوبة الصواب وكونه واحداً، قال عليه السلام: (استقيموا ولن تحصوا) ، وعلى هذا النظر قال: (من اجتهم فأصاب فله اجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر)

فإذا ثبت أن كل عدول عن الغرض والمقصود يقال له خطأ وضلال، وأن الصواب في نهاية الصعوبة، علم أنه ليس كل ضلال وخطأ يستحق به العقاب الدائم.

بل كما يسمى أكبر الكبائر نحو: الكفر ضلالاً وباطلاً وخطأ وقد يسمى بذلك اصغر الصغائر.

قال يجب أن يشككنا مشكك إذا رأينا بعض الأولياء موصوفاً بضلال وخطأ، كما رأينا الكافر موصوفاً بهما، فقد يتقارب الوصفان حداً، وموصوفاً هما متباعدان، فغرض الضلال والخطأ عريض، والتفاوت بين أدناه وأقصاه كثير.

ولذلك قال تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ أي: ووجدك غير مهتد إلى ما سبق إليك من النبوة والعلم، ونحوه قوله: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وقد يعبر عن سوء الاختيار بالضلال نحو قوله: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ ، ويعبر عن الخيبة بالضلال والغي

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ٦٥/١

والخطأ، كما قال في الكفار: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ ، فإذا ثبت ذلك،". (١)

١١٧. ٧٨-"قوله - عز وجل -:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

الآية: (١٤٨) - سورة البقرة.

أي: لكل أمة، وقيل لكل نبي وجهته، وقيل قبلة، وقيل: شريعة، وذلك في المعنى واحد، وهو ضمير لله- عز وجل- أي الله موليها إياه، وقيل: ضمير للكل: أي كل موالي جهته، وقرئ: (هو مولاها) فيكون هو ضمير ضمير الكل ولا يحتاج إلى تقدير ضمير أخر، وقيل: معنى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ أي للناس كلهم الآن وجهة، وهي الإسلام تنبيهاً أن الأديان به نسخت، نحو: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ، وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ وفي الآية قول آخر، وهو أن الله تعالى قيض الناس في أمور دنياهم وأخراهم لأحوال متفاوتة، وجعل بعضهم أعوان بعض فيها، فواحد يزرع، وآخر يطحن، وأخر يخبز وكذلك في أمر الدين، واحد يجمع الحديث، وواحد يطلب الفقه، والثالث يطلب الأصول وهم في الظاهر مختارون وفي الباطن مسخرون وإليه أشار النبي بقوله: "كل ميسر لما خلق له " وجعل للكل سبيلاً للوصول إليه تلالي، وإذا راعى ما هو بصلاة وأدى الأمانة فيه، ولهذا سئل بعض الصالحين عن تفاوت الناس في أفعالهم، فقال: في ذلك طريق إلى الله تعالي وصل إليه، أراد أن يعمرها بعباده فبين أن لكل طريقاً إذا تحرى فيه وجه الله تعالي وعلى ذلك قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ ، وقوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ، كقوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ وقوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يعني أي شغل تحريتم، وحيثما صرفتم، وأي معبود اتخذتم فإنكم مجموعون ومحاسبون عليها ...". (٢)

١١٨. ٧٩-"قوله - عز وجل -:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ٦٧/١

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ٣٣٩/١

الآية (٢٠١) – سورة البقرة.

لما أجرى الله تعالى العادة أن لابد للإنسان من أخيارهم وأشرارهم من بلغه في الدنيا، صار المؤمن يطلبها كما يطلبها الكافر، لكان طلب المؤمن لها علي سبيل الغرض قدر ما يحس، وفي وقت ما يحسن، ولأجل الحاجة إليها..

قال **بعض الصالحين**: " اللهم وسع الدنيا عليّ، وزهدني فيها، ولا تضيقها عليَّ فترغبني فيها ".

فقوله تعالى: ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي مالا يستقبح عاجلاً وأجلىً ويكون ذريعة إلى المقصد، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ أي ثواباً ورحمة وعلى هذا قال الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي: احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية إلى النار.

قوله– عز وجل –:

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

الآية: (٢٠٢) – سورة البقرة.

النصيب في الأصل: المنصوب، وجعل السهم المقرر نصيباً، والنصب: رفع الشح، وبه سمي النصب، وإنصاب الحرم، ونصاب السكين، وفلان في نصاب صدق تشبيهاً بنصاب السكين، ونسب الحروف في الإعراب، ونصب الستر على التشبيه، والحساب: عنه استعير الحسبان المقارب لمعنى الظن، وحسب الذي هو معنى الكفاية بين تعالى أن من جمع بين طلب دنياه وأخراه، ولم يقتصر على طلب الدنيا الموصوفة.

بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية، فقد تناول نصيبه المأمور به في قوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ ، ولم يكن كمن قال فيهم:". (١)

١١٩. ٨٠–"كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ ، وقول النبي – عليه السلام: " هدانا الله لما اختلفوا فيه "، ومنهم من جعله عاما في جميع الأمم، وقوله بالحق، أي بما يسمى من الثواب والعقاب، وقيل بالأمر والنهي وكلاهما مرادان، فالكتاب مشتمل على كل ذلك، وقوله: (بإذنه) أي بعلمه، وقيل: بأمره، وقيل: بلطفه، والأذن لما يسمع، ويعبر به عن العلم إذ هو مبدأ العلم فينا ... إن قيل: كيف قال: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ، وذلك يقتضي أنه هدى بعضاً دون بعض، وحق

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ٤٢٥/١

جوده وكرمه أن يعمهم بالهدى؟ قيل: إنه قد عمهم من حيت قد أباحه لهم وقيضه، لكن لم يهتد به الكل، فإن هدايته لا يدركها إلا من جلى بصيرته، وشحذ فهمه ليعرفه، فيهتدي به، وقد قال **بعض الصالحين**: ما أكثر الهدى وأقل من يرى، ألا ترى أن نجوم المساء ما أكثرها، ولا يهتدي بها إلا العلماء؟

قوله – عز وجل –:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾

الآية (٢١٤) – سورة البقرة.

الزلزلة: شدة الحركة، وأصلها زل، ولزيادة المعنى زيد لفظه، وعلى هذا دل ودلدل، وما أشبهه به من المضعف مع الحرف المكرر بين تعالى أنه لا سبيل للناس كافة إلي الجنة إلا بتحمل المشاق، ولهذا". (١)

١٢٠. ٨١-"القلب " وقوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ ، كقوله: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ ، وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ ..

إن قيل: هذه الآيات تقتضي أن يكون الإنسان مؤاخذا بما تتحرك به الخواطر، وقول النبي – عليه الصلاة والسلام ينافيه في الظاهر " إن الله تجاوز عن أمتي عما حدثت به أنفسها " وكذلك قوله: من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه..

قيل: قد تقدم إن أول ما يعرض من حديث النفس السابح ثم الخاطر، ثم الإرادة والهم، ثم العزم وأن السابح والخاطر متجافي عنهما بكل وجه وأنه متى صار نية، فذلك عمل مأخوذ به وعلى هذا قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ ، وألهمه متى كانت من وسوسة الشيطان وتصدي الإنسان لدفعها وقمعها فهو المتجافي عنها بل هو الموعود بالإثابة على دفاعها، حيث قال عليه الصلاة والسلام: " جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم "،

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ٤٤٢/١

ومتى كانت نفس وإجماع من النفس، فذلك فعل منه، ولذلك قال **بعض الصالحين**: " عليكم". (١)

١٢١. ٨٢-"**بعض الصالحين**: كنت أطوف فخطر لي قوله: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)

ترى من أي شيء يأمن؟ فسمعت هاتفاً يقول: من النار.

وقيل (كَانَ آمِنًا) من بلايا الدنيا وأعراضها التي

تصيب من قال فيهم: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) .

ومنهم من حمل: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) على الحكم.

ثم اختلفوا. فمنهم من جعله خبراً، وقال: معناه أن من

دخله كان آمناً، وذلك كان في الجاهلية، لأنه لم يكن يُتعرض". (٢)

١٢٢. ٨٣-"إنى مهاجر إلى ربى. سَيَهْدِينِ سيرشدنى إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني، كما قال موسى عليه السلام كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ كأن الله وعده وقال له: سأهديك، فأجزى كلامه على سنن موعد ربه. أو بناء على عادة الله تعالى معه في هدايته وإرشاده.

أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله. ولو قصد الرجاء والطمع لقال، كما قال موسى عليه السلام عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ. هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ هب لي **بعض الصالحين**، يريد الولد، لأنّ لفظ الهبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى وَوَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا قال عزّ وجل وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى وقال على بن أبى طالب لابن عباس رضى الله عنهم- حين هنأه بولده علىّ أبى الأملاك-: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب. ولذلك وقعت التسمية بهبة الله، وبموهوب، ووهب، وموهب. وقد انطوت البشارة على ثلاث: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليما، وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح، فقال: ستجدني إن شاء الله من الصابرين، ثم استسلم لذلك. وقيل: ما نعت الله الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم، وذلك لعزة وجوده. ولقد نعت الله به إبراهيم في قوله إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ، إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ لأنّ الحادثة شهدت بحلمهما جميعا.

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ٥٩٥/١

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ٧٣٣/٢

[سورة الصافات (٣٧) : آية ١٠٢]

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)

فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه. فإن قلت: مَعَهُ بم يتعلق؟ قلت: لا يخلو إما أن يتعلق ببلغ، أو بالسعي، أو بمحذوف، فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حدّ السعى، ولا بالسعي لأنّ صلة المصدر لا تتقدم عليه، فبقى أن يكون بيانا، كأنه لما قال: فلما بلغ السعى أى الحدّ الذي يقدر فيه على السعى قيل: مع من؟ فقال مع أبيه. والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به، وأعطفهم عليه، وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله، لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده، وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة. والمراد: أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة، كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك الجواب الحكيم: أتى في المنام فقيل له: اذبح ابنك، ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى في اليقظة، فلهذا قال إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فذكر تأويل الرؤيا، كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب في سفينة: رأيت في المنام أنى ناج من هذه المحنة، وقيل: رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له: إنّ الله يأمرك بذبح". (١)

١٢٣. ٨٤-"قَوْله تَعَالَى: ﴿فَلَا تعجل عَلَيْهِم﴾ يَعْنِي: لَا تعجل بِطَلَب عقوبتهم.

وَقَوله: ﴿إِنَّمَا نعد لَهُم عدا﴾ قَالَ الْكَلْبِيّ: هُوَ عد الْأَيَّام. وَقَالَ غَيره: عد السَّاعَات.

وَعَن الْحسن: عد الأنفاس. وَقيل **لبَعض الصَّالِحين**: إِنَّمَا أيامك أنفاس مَعْدُودَة، فَقَالَ: من صِحَة الْعدَد أَخَاف.

وروى الْأَصْمَعِي عَن أَبِيه أَنه قَالَ: رَأَيْت رجلا على بَاب الْبَصْرَة أَيَّام الطَّاعُون يعد". (٢)

١٢٤. ٨٥-"حركة هي نهاية نهار في منطقة وبداية نهار في منطقة اخرى. . وبداية ليل في منطقة ونهاية ليل في منطقة اخرى.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٥٣/٤

(٢) تفسير السمعاني ٣١٣/٣

. ولذلك في كل لحظة ينتهي يوم ويبدأ يوم. . وهكذا فإن الكرة الارضية لو أخذتها بنظرة شاملة لا ينتهي عليها نهار أبدا. . ولا ينتهي عنها ليل أبدا. . إذن فاليوم نسبي بالنسبة لكل بقعة في الارض. . ولكنه في الحقيقة دائم الوجود على كل الكرة الارضية.

والله سبحانه وتعالى يريد أن يطمئن عباده. . أنهم إذا أصابهم ظلم في الدنيا. . فإن هناك يوم لا ظلم فيه. . وهذا اليوم الامر فيه لله وحده بدون أسباب. . فكل انسان لو لم يدركه العدل والقصاص في الدنيا فإن الآخرة تنتظره. . والذي أتبع منهج الله وقيد حركته في الحياة يخبره الله سبحانه وتعالى ان هناك يوم سيأخذ فيه أجره. . وعظمة الآخرة أنها تعطيك الجنة. . نعيم لا يفوتك ولا تفوته.

ولقد دخل أحد الأشخاص على رجل من الصالحين. . وقال له: أريد أن أعرف. . أأنا من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة؟ . . فقال له الرجل الصالح. . ان الله أرحم بعباده، فلم يجعل موازينهم في أيدي أمثالهم. . فميزان كل انسان في يد نفسه. . لماذا؟ . . لأنك تستطيع أن تغش الناس ولكنك لا تغش نفسك. . ميزانك في يديك. . تستطيع أن تعرف أأنت من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة.

قال الرجل كيف ذلك؟ فرد العبد الصالح: اذا دخل عليك من يعطيك مالا. . ودخل عليك من يأخذ منك صدقة. . فبأيهما تفرح؟ . . فسكت الرجل. . فقال العبد الصالح: اذا كنت تفرح بمن يعطيك مالا فأنت من اهل الدنيا. . واذا كنت تفرح بمن يأخذ منك صدقة فأنت من أهل الآخرة. . فإن الانسان يفرح بمن يقدم له ما يحبه. . فالذي يعطيني مالا يعطيني الدنيا. . والذي يأخذ مني صدقة يعطيني الآخرة. . فإن كنت من أهل الآخرة. . فافرح بمن يأخذ منك صدقة. . أكثر من فرحك بمن يعطيك مالا.

ولذلك كان **بعض الصالحين** اذا دخل عليه من يريد صدقة يقول مرحبا بمن جاء يحمل حسناتي الي الآخرة بغير أجر. . ويستقبله بالفرحة والترحاب.". (١)

١٢٥. ٨٦-"قوله تعالى: «فاذكروني» أي كل هذه النعم والفضل عليكم يجب ألا تنسوها. . أن تعيشوا دائما في ذكر من أنعم عليكم. . فالله سبحانه وتعالى يريد من عباده الذكر وهم كلما ذكروه سبحانه وشركوه شكرهم وزادهم. . والله سبحانه وتعالى يقول في حديث قدسي:

«أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني

---

(١) تفسير الشعراوي ٧٢/١

في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إليّ بشبر تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»

هذه هي رغبة الكريم في أن يعطي بشرط أن نكون أهلا للعطاء لأنه يريد أن يعطيك أكثر وأكثر. . فقوله تعالى: «اذكروني» أي اذكروا الله في كل شيء. في نعمه. في عطائه. في ستره. في رحمته. في توبته. يقول **بعض الصالحين**: سمعت فيمن سمع عن حبيبي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنك إذا ما أقبلت على شرب الماء فقسمه ثلاثا. . أول جرعة قبل باسم الله واشربها، ثم قل الحمد لله وابدأ شرب الجرعة الثانية وقل باسم الله وبعد الانتهاء منها قل الحمد لله. . ثم قل باسم الله واشرب الجرعة الثالثة واختمها بقولك الحمد لله. فمادام هذه الماء في جوفك فلن تحدثك ذرة من جسدك بمعصية الله. جربها يوما في نفسك وقل باسم الله واشرب، وقل الحمد لله وكررها ثلاث مرات فإنك تكون قد استقبلت النعمة بذكر المنعم وأبعدت عن نفسك حولك وقوتك، وأنهيت النعمة بحمد الله. ولكن لماذا الماء؟ لأن الماء في الجوف أشبع من أي شيء آخر.". (١)

١٢٦. ٨٧-"لك أن الصلاة تكون على كتفي مثل الجبل وأرتاح، نقول له أنت ترتاح بها ولا ترتاح منها؛ لأنك وقفت بين يدي الله المكلف، ومادام الإنسان واقفا أمام ربه فكل أمر شاق يصبح سهلا.

يقول أحد العابدين: أنا لا أواجه الله بعبوديتي ولكن أواجهه بربوبيته فأرتاح لأنه ربي ورب العالمين. . الذي له أب يعينه لا يحمل هما فما بالك بالذي له رب يعينه وينصره.

قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ الله مَعَ الصابرين﴾ أي أنه يطلب منك أن تواجه الحياة في معية الله؛ فأنت لو واجهت المشكلات في معية من تثق في قوته تواجه الأمور بشجاعة فما بالك إذا كنت في معية الله وكل شيء في الوجود خاضع لله، أيجرؤ شيء أن يقف أمامك وأنت مع الله؟

إن الأحداث لا تملأ الخلق بالفزع والهلع إلا ساعة الانفلات من حضانة ربهم. . وإنما من يعيش في حضانة ربه لا يجرؤ عليه الشيطان فالشيطان خناس. . ما معنى خناس؟ إذا سهوت عن الله اجترأ عليك وإذا ذكرت الله خنس وضعف؛ فهو لا قوة له. . وهو لا يدخل مع الله سبحانه وتعالى في معركة، وإنما يدخل مع خلق الله الذين ينسون الله ويبتعدون عنه يقول القرآن الكريم:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المخلصين﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣]

---

(١) تفسير الشعراوي ٦٤٦/١

ومادام الله سبحانه وتعالى مع الصابرين فلابد أن نعشق الصبر . وكيف لا نعشق ما يجعل الله معنا؟
يقول الحق جل جلاله في الحديث القدسي:
«يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده» يقول **بعض الصالحين**: اللهم إني استحي أن أسألك الشفاء والعافية". (١)

١٢٧. ٨٨-"هذه عقوبة الآخرة ولن يتركهم الله في الدنيا دون أن ينالهم العقاب.
وحتى الذين يظلمون ويتعسفون مع أنهم مسلمون لا يتركهم الله بلا عقاب في الدنيا حتى يأتيهم يوم القيامة بل لابد أن يجيء لهم من واقع دنياهم ما يخيف الناس من هذه الخواتيم حتى تستقيم حركة الحياة بين الناس جميعا، وإلا فسيكون الشقاء واقعا على الناس من هؤلاء ومن الذين لا يؤمنون بعقاب الآخرة.
وكان **بعض الصالحين** يقول: «اللهم إن القوم قد استبطأوا آخرتك وغرهم حلمك فخذهم أخذ عزيز مقتدر» ؛ لأنه سبحانه لو ترك عقابهم للآخرة لفسدوا وكانوا فتنة لغيرهم من المؤمنين. ولذلك شاء الله أن يجعل في منهج الإيمان تجريماً وعقوبة تقع في الدنيا، لماذا؟ حتى لا يستشري فساد من يشك في أمر الآخرة. وشدة عقاب الله لا يجعلها في الآخرة فقط، بل جعلها في الدنيا أيضاً؛ ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القيامة أعمى﴾ [طه: ١٢٤]
ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الحياة الدنيا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الذين آمَنُواْ والذين اتقوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ القيامة ... ﴾". (٢)

١٢٨. ٨٩-"﴿واتقوا الله وَيُعَلِّمُكُمُ الله﴾ [البقرة: ٢٨٢] .
علمت أن الله يستحق منك أكثر مما كلفك به؛ ولذلك **فبعض الصالحين** في أحد سبحاته قال: «اللهم إني أخشى ألا تثيبني على الطاعة لأنني أصبحت أشتهيها» . أي صارت شهوة نفس، فهو

---

(١) تفسير الشعراوي ٦٤٩/١
(٢) تفسير الشعراوي ٨٩٦/٢

خائف أن يفقد حلاوة التكليف والمشقة فيقول: يا رب إنني أصبحت أحبها، ومفروض منا أننا نمنع شهوات أنفسنا لكنها أصبحت شهوة فماذا أفعل؟

إذن فهذا الرجل قد دخل في مقام الإحسان واطمأنت نفسه ورضيت وأصبح هواه تبعا لما أمر به الله ورضيه.

ولذلك يجب أن نلحظ أن الحق سبحانه وتعالى حينما تكلم عن المتقين قال: ﴿إِنَّ المتقين فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَآ آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٥ - ١٦] .

لماذا هم محسنون يا رب؟ .

يقول الحق: ﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّن الليل مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧] .

وهل كلفني الله. ألا أهجع إلا قليلاً من الليل؟ إن الإنسان يصلي العشاء من أول الليل وينام حتى الفجر، هذا هو التكليف، لكن أن تحلو للمؤمن العبادة، ويزداد الإيمان في القلب والجوارح، ويأنس العبد بالقرب من الله، فالحق لا يَرُدَّ مثل هذا العبد بل إنّه يستقبله ويدخله في مقام الإحسان: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُواْ قَلِيلاً مِّن الليل مَا يَهْجَعُونَ". (١)

١٢٩. ٩٠-"يقول **بعض الصالحين**: «اللهم إني أخاف ألا تثيبني على طاعة، لأني أصبحت أشتهيها» كأنه عشق الطاعة بحيث لم يعد فيها مشقة أو تكليفاً، لذلك فهو خائف، وكأنه قد فهم أنه لابد ان توجد مشقة، ولمثل هذا لإنسان الصالح نقول: لقد فقدت الإحساس بمشقة التكليف لأنك عشقته فألفت العبادة كما ألفتك وعشقتك، وحدث الانجذاب بينك وبين الطاعة، وجعلت رسول الله مثلاً لك وقدوة، فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى أنه إذا نودي إلى الصلاة يقوم الناس إليها كسالى لكنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لبلال حينما يأتي وقت الصلاة: أرحنا بها يا بلال»
.

وهذا غير ما يقوله بعض ممن يؤدون الصلاة الآن حيث يقول الواحد منهم: هيا نصل لنزيحها من على ظهورنا، وهؤلاء يؤدونها بالتكليف لا بالمحبة والعشق. أما الذين ألفوا الراحة بالصلاة حينما يحزبهم ويشتد عليهم أمر خارج عن نطاق أسبابهم، ويقول الواحد منهم: مادامت الصلاة تريح القلب، فلأذهب إليها وألقى ربي زائداً على أمر تكليفه لى متقربا إليه بالنوافل، ولذلك كان رسول الله صَلَّى

(١) تفسير الشعراوي ٤/٢٢١٢

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمر قام إلى الصلاة. ومعنى حزبه أن الأسباب البشرية لا تنهض به. فيقوم إلى الصلاة، وهذا أمر منطقي، لله المثل الأعلى.

كان الإنسان منا وهو طفل إذا ما ضايقه أمر يذهب إلى أبيه، فما بالنا إذا ما ضايقنا أمر فوق الأسباب المعطاة لنا من الله فلمن نروح؟ إننا نلجأ لربنا ولقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمر قام إلى الصلاة.

إذن فعشق التكليف شيء يدل على أنك ذقت حلاوة الطاعة، وقد يجوز أنه شاق عليك؛ لأنه يخرجك أولاً عما ألفت من الاعتياد. فعندما يأتيك أمر فيه مشقة تقول: إن هذه المشقة إنما يريد بها لي حسن الجزاء، فإذا ما عشقت الصلاة صارت حبًا لك، وكان واحد من الصالحين - كما قلت - يخاف ألا يثاب على الصلاة لأنها أصبحت شهوة نفس، والإنسان مطالب بأن يحارب نفسه في شهواتها لكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضع لنا المثل فقال:

«لا يؤمن أحدكم حتى يصبح هواه تبعاً لما جئت به» أي يصبح ما يشتهيه موافقاً لمنهج الله، فإذا وصل وانتهى المؤمن إلى هذه المنزلة فهو نعم العبد السوي.

وهكذا عرفنا أن الهداية قسمان: هداية بمعنى الدلالة، وهداية بمعنى المعونة.". (١)

١٣٠. ٩١-"﴿وَأَوْحَيْنَآ إلى أُمِّ موسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليم ... ﴾ [القصص: ٧]

وأوحى سبحانه إلى الرسل جميعاً.

إذن: فسبحانه يوحي للجماد، ويوحي للحيوان، ويوحي للملائكة ويوحي للصالحين من غير الأنبياء، ويوحي للأنبياء وللرسل.

والوحي - كإعلام بخفاء - يقتضي مُعْلِماً، وهو الحق سبحانه وتعالى، ومُعْلَماً؛ وهو إما: الأرض، وإما النحل، وإما الملائكة، وإما إلى **بعض الصالحين** من غير الأنبياء، وإما إلى الرسل والأنبياء.

وقد يأتي الوحي من غير الله، فسبحانه يقول:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإنس والجن يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القول غُرُوراً ... ﴾ [الأنعام: ١١٢]

---

(١) تفسير الشعراوي ٣٩٢٧/٧

إذن: فالشياطين يُعلمون بعضهم البعض إعلاماً خفياً.
ويقول الحق: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ... ﴾ [النساء: ١٦٣]
والموحى إليه هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو وحي خاص بالرسول، فلا تقل: أنا لم أسمع ماذا أوحى إلى محمد، ولا أعرف كيف نزل". (١)

١٣١. ٩٢-"ثم يقول تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بالغدو والآصال﴾ [النور: ٣٦] .
فالمساجد جُعِلَتْ لتسبيح الله؛ لذلك كان **بعض الصالحين** إذا نزل بلداً يتحيل أن ينزلها في غير وقت الصلاة، ثم يذهب إلى المسجد فإنْ وجده عامراً في غير وقت الصلاة بالمسبحين علم أن هؤلاء ملتزمون بمنهج الله، حيث يجلسون قبل وقت الصلاة يُسبِّحون الله وينتظرون الصلاة، وإنْ وجد الحال غير ذلك انصرف عنها وعلم أنها بلد لا خيرَ فيها.
والغُدوُّ: يعني الصباح، والآصال: يعني المساء، فهي لا تخلو أبداً من ذكْر الله وتسبيحه، وقد وصف هؤلاء الذين يعمرون بيوت الله بالذكر والتسبيح بأنهم: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله﴾". (٢)

١٣٢. ٩٣-"تكليفه لك بالجحود؟ إن عبادة الله وطاعته لو لم تكن إلا شُكْراً له سبحانه على ما قدَّمه لك لكانت واجبة عليك.
وقوله تعالى: ﴿واشكروا ... ﴾ [العنكبوت: ١٧] لأن ربكم عَزَّ وَجَلَّ يريد أن يزيدكم، فجعل الشكر على النعمة مفتاحاً لهذه الزيادة، فقال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ... ﴾ [إبراهيم: ٧] فربُّك ينتظر منك كلمة الشكر، مجرد أن تستقبل النعمة بقولك الحمد لله فقد وجبت لك الزيادة.
حتى أن بعض العارفين يرى أن الحمد لا يكون على نِعَم الله التي لا تُعَدَّ ولا تُحصى فحسب، إنما يكون الحمد لله على أنه لا إله إلا الله، وإلا لو كان هناك إله آخر لَحِرْنا بينهما أيهما نتبع، فالوحدانية من أعظم نعم الواحد سبحانه التي تستوجب الشكر.
وقد أعطانا الحق سبحانه مثلاً لهذه المسألة بقوله سبحانه: ﴿ضَرَبَ الله مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ

---
(١) تفسير الشعراوي ٥٦٥٥/٩
(٢) تفسير الشعراوي ١٠٢٨٠/١٧

مُتَشَاكِسُونَ ... ﴾ [الزمر: ٢٩] يعني: مملوك لشركاء مختلفين، وليتهم متفقون ﴿وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ ... ﴾ [الزمر: ٢٩] أي: مِلْك لسيد واحد ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ... ﴾ [الزمر: ٢٩] فكذلك الموحِّد لِلّه، والمشرك به.

ولذلك يقول **بعض الصالحين** في قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ... ﴾ [البقرة: ١٧٢] فاللص الذي يأكل من الحرام يأكل رزقه، فهو رزقه لكنه من الحرام، ولو صبر على السرقة لأكله من الحلال ولسَاقه الله إليه.

فالمعنى أن الله خلقكم ورزقكم، ولا يعني هذا أنْ تُفلِتوا منه، فإنْ لم تُراعوا الجميل السابق فخافوا مما هو آتٍ.". (١)

١٣٣. ٩٤-"وأقوالهم ونياتهم وَالْقانِتِينَ المطيعين لله الخاضعين له وَالْمُنْفِقِينَ أموالهم في سبيل الله تعالى من الأرحام والقرابات، وسد الخلات، ومواساة ذوي الحاجات وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ. جمع سحر (بفتحتين وفتح وسكون) وهو الوقت الذي قبيل طلوع الفجر آخر الليل. وتسحّر إذا أكل في ذلك الوقت. قال الحرالّي: وفي إفهامه تهجدهم في الليل كما قال تعالى: كانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الذاريات: ١٧- ١٨] .

وقال الرازيّ: واعلم أن المراد منه من يصلي بالليل ثم يتبعه بالاستغفار والدعاء، لأن الإنسان لا يشتغل بالدعاء والاستغفار إلا أن يكون قد صلّى قبل ذلك.

فقوله: وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ يدل على أنهم كانوا قد صلوا بالليل- انتهى- وقد روى ابن أبي حاتم أن عبد الله بن عمر كان يصلي من الليل، ثم يقول: يا نافع! هل جاء السحر؟ فإذا قال: نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح. وروى ابن مردويه عن أنس بن مالك قال: كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة. وروى ابن جرير عن حاطب قال: سمعت رجلا في السحر في ناحية المسجد وهو يقول: يا رب أمرتني فأطعتك، وهذا السحر. فاغفر لي. فنظرت فإذا هو ابن مسعود.

وثبت في الصحيحين «١» وغيرهما من المسانيد والسنن من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: ينزل ربنا، تبارك وتعالى، كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى

---

(١) تفسير الشعراوي ١١١١٢/١٨

ثلث الليل الآخر. يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟
وفي رواية لمسلم: ثم يبسط يديه تبارك وتعالى ويقول: من يقرض غير عدوم ولا ظلوم؟
وفي رواية: حتى ينفجر الفجر.
قال الحافظ ابن كثير: وقد أفرد الحافظ أبو الحسن الدارقطنيّ في ذلك جزءا على حدة فرواه من طرق متعددة. ويروى أن **بعض الصالحين** قال لابنه: يا بنيّ! لا يكن الديك أحسن منك، ينادي بالأسحار وأنت نائم، والحكمة في تخصيص الأسحار كونه وقت غفلة الناس عن التعرض للنفحات الرحمانية، والألطاف السبحانية، وعند ذلك تكون العبادة أشق، والنية خالصة، والرغبة وافرة، مع قربه، تعالى وتقدس، من عباده. قال السيوطيّ: في الآية فضيلة الاستغفار في السحر، وأن

---

(١) أخرجه البخاريّ في: التهجد، ١٤- باب الدعاء والصلاة من آخر الليل حديث ٦٢٩، عن أبي هريرة.
ومسلم في: صلاة المسافرين وقصرها، حديث ١٦٨- ١٧٢.". (١)

١٣٤. ٩٥-"زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ قوله عز وجل: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ معناه أنه رضيها في النذر الذي نذرته بإخلاص العبادة في بيت المقدس. ﴿وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾ يعني أنشأها إنشاءً حسناً في غذائها وحسن تربيتها. ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قرأ أهل الكوفة ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بالتشديد ، ومعنى ذلك أنه دفع كفالتها إلى غيره. وقرأ الباقون: ﴿كَفَلَهَا﴾ بالتخفيف ، ومعنى ذلك أنه أخذ كفالتها إليه. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ وهو معروف ، وأصله أنه أكرم موضع في المجلس. ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الرزق الذي أتاها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي. والثاني: أنها لم تطعم ثدياً قط حتى تكلمت في المهد ، وإنما كان يأتيها رزقها من الجنة ، وهذا قول الحسن. واختلف في السبب الذي يأتيها هذا الرزق لأجله على قولين: أحدهما: أنه كان يأتيها بدعوة زكريا لها. والثاني: أنه كان ذلك يأتيها لنبوة المسيح عليه السلام. ﴿قَالَ: يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ فيه قولان:

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٢/٢٩٤

أحدهما: أن الله تعالى كان يأتيها بالرزق. والثاني: أن بعض الصالحين من عباده سخره الله تعالى لها لطفاً منه بها حتى يأتيها رزقها. والأول أشبه.". (١)

١٣٥. ٩٦-"الثاني: أنه انطياخوس الرومي ملك أرض نينوى، وهو قول مقاتل، وقيل إنه قتل منهم مائة ألف وثمانين ألفاً، وحرق التوراة وأخرب بيت المقدس ، ولم يزل على خرابه حتى بناه المسلمون. ﴿وليدخلوا المسجد كما دَخلوه أوّل مرّة﴾ يعني بيت المقدس. ﴿وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ فيه تأويلان: أحدهما: أنه الهلاك والدمار. الثاني: أنه الهدم والإخراب ، قاله قطرب ، ومنه قول لبيد:

(وما النَّاسُ إلا عَامِلان فَعَامِلٌ ... يُتَبِّرُ مَا يَبْنِي وَآخَرُ رَافِعٌ)

(

قوله عز وجل: ﴿عسى ربُّكم أن يرحمكم﴾ يعني مما حل بكم من الانتقام منكم. ﴿وإن عدتم عدنا﴾ فيه تأويلان: أحدهما: إن عدتم إلى الإساءة عدنا إلى الانتقام ، فعادوا. قال ابن عباس وقتادة: فبعث الله عليهم المؤمنين يذلونهم بالجزية والمحاربة إلى يوم القيامة. الثاني: إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى القبول ، قاله بعض الصالحين. ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ فيه تأويلان: أحدهما: يعني فراشاً ومهاداً ، قاله الحسن: مأخوذ من الحصير المفترش. الثاني: حبساً يحبسون فيه ، قاله قتادة ، مأخوذ من الحصر وهو الحبس. والعرب تسمي الملك حصيراً لأنه بالحجاب محصور ، قال لبيد:

(ومقامَةِ غُلْبِ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ ... جِنٌّ لَدَى بَابِ الحَصِيرِ قِيَامُ)". (٢)

١٣٦. ٩٧-"(فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أي فلا تسألني فى شيء ليس لك به علم صحيح، وقد سمى دعاءه سؤالا، لأنه تضمن ذكر الوعد بنجاة أهله، ومارتبه عليه من طلب نجاة ولده.

وفى الآية إيماء إلى أنه لا يجوز الدعاء بطلب ما هو مخالف لسنن الله فى خلقه بإرادة قلب نظام الكون لأجل الداعي، ولا بطلب ما هو محرم شرعا، وإنما يجوز الدعاء بتسخير الأسباب والتوفيق فيها والهداية إلى العلم بالمجهول من السنن والنظام، لنكثر من عمل الخير، ونزيد من عمل البر والإحسان.

(إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ) أي إنى أنهاك أن تكون من زمرة من يجهلون، فيسألونه تعالى أن

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون ٣٨٨/١

(٢) تفسير الماوردي = النكت والعيون ٢٣١/٣

يبطل حكمته وتقديره فى خلقه، إجابة لشهواتهم وأهوائهم فى أنفسهم أو أهليهم أو محبيهم.

وفى ذلك دليل على أن من أكبر الجهالات أن نسأل **بعض الصالحين** والأولياء ما نهى الله عنه نبيّا من أولى العزم من رسله أن يسأله إياه، فإن ذلك يقضى بأن الله يعطيهم ما لم يعط مثله لرسله.

ثم ذكر طلب نوح المغفرة من ربه على ما فرط منه من السؤال فقال حاكيا عنه:

(قالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ) أي قال نوح رب إنى ألتجئ إليك وأحتمى بك من أن أسألك بعد الآن شيئا لا أعلم أن حصوله مقتضى الحكمة، وإن لم تغفر لى ذنب هذا السؤال الذي سوّلته لى الرحمة الأبوية وطمعى فى الرحمة الربانية، وترحمنى بقبول توبتى برحمتك التي وسعت كل شيء- أكن من الخاسرين فيما حاولته من الربح بنجاة أولادى كلهم وسعادتهم بطاعتك وأنت أعلم بهم منى.

والعبرة فى الآية من وجوه:

(١) إن ما سأله نوح لابنه لم يكن معصية لله تعالى خالف فيها أمره أو نهيه، وإنما". (١)

١٣٧. ٩٨-"(فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ) أي إنهم لما تركوا ما ذكّرهم به الصالحون وأعرضوا عنه حتى صار كالمنسيّ فى كونه لا تأثير له.

(أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) أي أنجينا الذين ينهون عن العمل السيء وهما الفريقان الآخران.

(وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذابٍ بَئِيسٍ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ) أي وأخذنا الذين ظلموا أنفسهم بشديد العذاب بسبب تماديهم فى الفسق حتى صار ديدنهم وهجّيراهم.

والخلاصة- إنه لما ذكّر المذكّرون ولم يتذكر المعتدون أنجينا الأولين وأخذنا الآخرين.

وقد جرت سنة الله بألا يؤاخذ الظالم فى الدنيا بكل ما يقع منه من ظلم ولو كان قليلا فى الصفة أو العدد كما يدل على ذلك قوله: «وَلَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ» وقوله: «وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» ولكنه يؤاخذ الأمم والشعوب فى الدنيا قبل الآخرة بما يقع منها من ظلم يظهر أثره بالاستمرار عليه كما قال:

«وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» كما عاقب الله بنى إسرائيل كافّة بتنكيل البابليين ثم النصارى بهم وسلبهم ملكهم حين عم فسقهم ولم يدفع ذلك وجود **بعض الصالحين** فيهم.

---

(١) تفسير المراغي ٤١/١٢

وعلى الجملة فالآية صريحة فى هلاك الظالمين الفاسقين ونجاة الصالحين الذين نهوهم عن عمل السوء وارتكاب المنكر، وسكت عن الفرقة التي أنكرت على الواعظين وعظهم وإنكارهم، وهى ناجية أيضا لأنها كانت منكرة للمنكر مستقبحة له بدليل أنها تفعله، وإنما لم تنه عنه ليأسها من فائدة النهى واعتقادها أن القوم قد استحقوا عقاب الله بإصرارهم على الفسق فلا يفيدهم الوعظ وهذا رأى ابن عباس.
(فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ ما نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ) أي فلما تمردوا وتكبروا وأبوا أن يتركوا ما نهاهم عنه الواعظون قلنا لهم كونوا قردة صاغرين أذلاء بعداء عن الناس: أي تعلقت إرادتنا بأن يكونوا كذلك.". (١)

١٣٨. ٩٩-"شِرْكِهِمْ وَسَخَافَتِهِمْ فِيهِ، وَمُكَابَرَتِهِمْ فِي جُحُودِ الْحَقِّ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ الْوَحْيُ، أَيْ وَيَعْبُدُونَ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا مِنَ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا مِنْ دُونِ اللهِ أَيْ غَيْرِ اللهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهَا حَالَ كَوْنِهِمْ مُتَجَاوِزِينَ مَا يَجِبُ مِنْ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، لَا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهَا وَحْدَهَا، فَمَا مَعْنَى كَوْنِهِمْ مُشْرِكِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُ وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (١٢: ١٠٦) وَفِي وَصْفِهَا بِأَنَّهَا لَا تَضُرُّهُمْ وَلَا تَنْفَعُهُمْ إِيذَانٌ بِسَبَبِ عِبَادَتِهَا وَضَلَالِهِمْ فِيهِ، وَتَذْكِيرٌ بِأَنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى نَفْعِ مَنْ يَعْبُدُهُ، وَضُرِّ مَنْ يَكْفُرُهُ، وَيُشْرِكُ بِعِبَادَتِهِ غَيْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
وَأَصْلُ غَرِيزَةِ الْعِبَادَةِ الْفِطْرِيَّةِ فِي الْبَشَرِ، فِي سَذَاجَتِهِمُ الَّتِي لَا تَلْقِينَ فِيهَا لِحَقٍّ وَلَا
بَاطِلٍ، هِيَ الشُّعُورُ الْبَاطِنُ بِأَنَّ فِي الْوُجُودِ قُوَّةً غَيْبِيَّةً وَسُلْطَانًا عُلْوِيًّا عَلَى التَّصَرُّفِ فِي الْخَلْقِ بِالنَّفْعِ لِمَنْ شَاءَ، وَإِيقَاعِ الضُّرِّ عَلَى مَنْ شَاءَ وَكَشْفِهِ بَعْدَ وُقُوعِهِ عَمَّنْ شَاءَ، غَيْرَ مُقَيَّدٍ فِي ذَلِكَ بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُسَخَّرَةِ لِلنَّاسِ، فَمَنِ اطَّلَعَ عَلَى تَوَارِيخِ الْبَشَرِ فِي كُلِّ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِ حَيَاتِهِمُ الْبَدَوِيَّةِ وَالْحَضَرِيَّةِ، يَظْهَرُ لَهُ أَنَّ هَذَا هُوَ أَصْلُ التَّدَيُّنِ الْغَرِيزِيِّ فِيهِمْ، وَأَمَّا صُوَرُ التَّعَبُّدِ وَتَسْمِيَةُ الْمَعْبُودَاتِ فَمِنْهَا مَا هُوَ مِنِ اجْتِهَادِهِمْ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مِنْ تَلْقِينِ دُعَاةِ الدِّينِ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ. فَكُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ بِالرَّأْيِ وَالِاجْتِهَادِ، فَإِنَّمَا عَبَدَهُ مَنْ عَبَدَهُ لِشُبْهَةٍ فَهِمَ مِنْهَا قُدْرَتَهُ عَلَى النَّفْعِ وَالضُّرِّ بِسُلْطَانٍ لَهُ فَوْقَ الْأَسْبَابِ وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى أَوَّلُهَا تَفْسِيرُ الْعِبَادَةِ مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَأَوْسَطُهَا وَأَبْسَطُهَا تَفْسِيرُ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعَ أَبِيهِ آزَرَ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ، وَمِنْ آخِرِهَا فِي تَفْسِيرِ

---

(١) تفسير المراغي ٩/٩٥

هَذِهِ السُّورَةِ مَا جَاءَ فِي بَيَانِ الرُّكْنِ الْأَوَّلِ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ، وَفِي الْكَلَامِ عَلَى الْخَوَارِقِ مِنْ بَحْثِ الْوَحْيِ الِاسْتِطْرَادِيِّ.

فَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ كَوْنِ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ لَا تَضُرُّهُمْ وَلَا تَنْفَعُهُمْ - هُوَ بَيَانَ عَجْزِهَا عَنِ النَّفْعِ وَالضُّرِّ؛ لِأَنَّهَا إِمَّا جَمَادَاتٌ مَصْنُوعَةٌ كَالْأَوْثَانِ الْمُتَّخَذَةِ مِنَ الْحِجَارَةِ أَوِ الْخَشَبِ، وَالْأَصْنَامِ الْمُتَّخَذَةِ مِنَ الْمَعَادِنِ وَكَذَا الْحِجَارَةِ، أَوْ غَيْرُ مَصْنُوعَةٍ كَاللَّاتِ وَهِيَ صَخْرَةٌ كَانَتْ بِالطَّائِفِ يُلَتُّ عَلَيْهَا السَّوِيقُ ثُمَّ عُظِّمَتْ حَتَّى عُبِدَتْ، وَإِمَّا أَشْجَارٌ كَالْعُزَّى مَعْبُودَةِ قُرَيْشٍ، وَالشَّجَرَةِ الَّتِي قَطَعَهَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي نَجْدٍ، وَشَجَرَةِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي يَقْصِدُهَا النِّسَاءُ فِي مِصْرَ لِأَجْلِ الْحَبَلِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ قَدْ وُضِعَتْ ذِكْرَى **لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ** مِنَ الْبَشَرِ كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فِي أَصْنَامِ قَوْمِ نُوحٍ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ عِبَادَتُهُمْ إِلَى الْعَرَبِ، وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ فِيهَا أَرْوَاحًا مِنَ الْجِنِّ كَمَا رُوِيَ فِي حَدِيثِ قَطْعِ شَجَرَةِ الْعُزَّى أَوْ شَجَرَاتِهَا الثَّلَاثِ، إِذْ ظَهَرَتْ عِنْدَ قَطْعِهَا لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ عُرْيَانَةٌ نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا، كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهَا جِنِّيَّةٌ، فَأَرَادَتْ أَنْ تُوَاثِبَهُ وَتُخِيفَهُ فَقَتَلَهَا، فَهِيَ كَالْقُبُورِ الَّتِي تُشَرَّفُ وَتُجَصَّصُ وَيُوضَعُ عَلَيْهَا السُّتُورُ وَتُبْنَى عَلَيْهَا الْقِبَابُ، لِمِثْلِ السَّبَبِ الَّذِي وَضَعُوا لَهُ تَمَاثِيلَ الْأَوْثَانِ، وَعَبَدَةٌ". (١)

١٣٩. ١٠٠-"وَالْهِدَايَةِ إِلَى الْعِلْمِ بِالْمَجْهُولِ مِنَ السُّنَنِ وَالنِّظَامِ، مَعَ مَا يُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ - كَمَا فَصَّلْنَاهُ مِنْ قَبْلُ.

(إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) أَيْ أَنْهَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ زُمْرَةِ الْجَاهِلِينَ، الَّذِينَ يَسْأَلُونَ أَنْ يُبْطِلَ - تَعَالَى - تَشْرِيعَهُ أَوْ حِكْمَتَهُ وَتَقْدِيرَهُ فِي خَلْقِهِ إِجَابَةً لِشَهَوَاتِهِمْ

وَأَهْوَائِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ أَوْ أَهْلِيهِمْ وَمُحِبِّيهِمْ، وَأَجْهَلُ مِنْهُمْ وَأَضَلُّ سَبِيلًا مَنْ يَسْأَلُونَ **بَعْضَ الصَّالِحِينَ** عِنْدَهُمْ مَا نَهَى الله عَنْهُ نَبِيًّا مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنْ رُسُلِهِ أَنْ يَسْأَلَهُ إِيَّاهُ، كَأَنَّ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ يُعْطُونَهُمْ أَوْ يَتَوَسَّلُونَ إِلَى اللهِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مَا لَمْ يُعْطِ مِثْلَهُ لِرُسُلِهِ، بَلْ مَا عُدَّ طَلَبُهُ مِنْهُ ذَنْبًا مِنْ ذُنُوبِهِمْ أَمَرَهُمْ بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ وَعَدَمِ الْعَوْدَةِ إِلَى مِثْلِهِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْوَعْظُ هُنَا بِمَعُونَةِ قَوْلِهِ - تَعَالَى -: (يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٢٤: ١٧) وَتَقَدَّمَ مَعْنَى الْوَعْظِ فِي تَفْسِيرِ (يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (١٠: ٥٧) (ص ٣٢٨ ج ١١ ط

---

(١) تفسير المنار ٢٦٥/١١

الْهَيْئَةِ) .
(قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) أَيْ: إِنِّي أَعْتَصِمُ وَأَحْتَمِي بِكَ مِنْ أَنْ أَسْأَلَكَ بَعْدَ الْآنِ مَا لَيْسَ لِي عِلْمٌ صَحِيحٌ بِأَنَّهُ جَائِزٌ لَائِقٌ (وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي) أَيْ: وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لِي ذَنْبَ هَذَا السُّؤَالِ الَّذِي سَوَّلَتْهُ لِي رَحْمَتِي الْأَبَوِيَّةُ، وَطَمَعِي بِرَحْمَتِكَ الرَّبَّانِيَّةِ (وَتَرْحَمْنِي) بِقَبُولِ تَوْبَتِي الصَّادِقَةِ وَرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فِيمَا حَاوَلْتُهُ مِنَ الرِّبْحِ بِنَجَاةِ أَوْلَادِي كُلِّهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ بِطَاعَتِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنِّي، وَالْعِبْرَةُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنْ وُجُوهٍ: (أَوَّلُهَا) أَنَّ سُؤَالَ نُوحٍ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – مَا سَأَلَهُ لِابْنِهِ لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً لِلَّهِ – تَعَالَى – خَالَفَ فِيهَا أَمْرَهُ أَوْ نَهْيَهُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ خَطَأً فِي اجْتِهَادِ رَأْيٍ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ، وَإِنَّمَا عَدَّهَا اللهُ – تَعَالَى – ذَنْبًا لَهُ لِأَنَّهَا كَانَتْ دُونَ مَقَامِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ بِمَنْزِلَتِهِ مِنْ رَبِّهِ، هَبَطَتْ بِضَعْفِهِ الْبَشَرِيِّ وَمَا غُرِسَ فِي الْفِطْرَةِ مِنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِالْأَوْلَادِ إِلَى اتِّبَاعِ الظَّنِّ، وَمِثْلُ هَذَا الِاجْتِهَادِ لَمْ يُعْصَمْ مِنْهُ الْأَنْبِيَاءُ فَيَقَعُونَ فِيهِ أَحْيَانًا، لِيَشْعُرُوا بِحَاجَتِهِمْ إِلَى تَأْدِيبِ رَبِّهِمْ وَتَكْمِيلِهِ إِيَّاهُمْ آنًا بَعْدَ آنٍ، بِمَا يَصْعَدُونَ بِهِ فِي مَعَارِجِ الْعِرْفَانِ.
(ثَانِيهَا) أَنَّ الْإِيمَانَ وَالصَّلَاحَ لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِالْوِرَاثَةِ وَالْأَنْسَابِ، وَقَدْ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ اسْتِعْدَادِ الْأَفْرَادِ، وَمَا يُحِيطُ بِهِمْ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَمَا يَكُونُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْآرَاءِ وَالْأَعْمَالِ، وَلَوْ كَانَ بِالْوِرَاثَةِ لَكَانَ جَمِيعُ وَلَدِ آدَمَ كَأَبِيهِمْ، غَايَةُ مَا يَقَعُ مِنْهُمْ مَعْصِيَةٌ تَقَعُ عَنِ النِّسْيَانِ وَضَعْفِ الْعَزْمِ، وَتَتْبَعُهَا التَّوْبَةُ وَاجْتِبَاءُ الرَّبِّ، ثُمَّ لَكَانَ سَلَائِلُ أَبْنَاءِ نُوحٍ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ نَجَوْا مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ كُلُّهُمْ مُؤْمِنِينَ صَالِحِينَ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ نَسْلَ الْبَشَرِ انْحَصَرَ فِيهِمْ، وَقَدْ دَلَّتِ". (١)

١٤٠. ١٠١–"عَلَى أَنَّنَا نَقُولُ: إِنَّ مَا اشْتُهِرَ عَنِ الْعَرَبِ فِي مَسْأَلَةِ الْأَغْوَالِ وَاسْتِهْوَائِهَا بَعْضَ النَّاسِ فِي الْفَلَوَاتِ حَتَّى يَضِلُّوا الطُّرُقَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَصْلٌ عِنْدَهُمْ. وَالرَّاجِحُ الْمَعْقُولُ فِيهِ مَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – وَصَرَّحَ بِهِ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَنَّهُ تَخَيُّلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ فِي الْخَارِجِ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْهُ رُؤْيَةُ حَيَوَانٍ غَرِيبٍ كَبَعْضِ الْقِرَدَةِ. وَالْعَرَبُ تُطْلِقُ اسْمَ الشَّيْطَانِ عَلَى الْعَاتِي الْمُتَمَرِّدِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَعَلَى بَعْضِ الْحَيَوَانِ وَالْحَشَرَاتِ، وَعَلَى كُلِّ قَبِيحِ الصُّورَةِ. قَالَ تَعَالَى فِي شَجَرَةِ الزَّقُّومِ: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) (٣٧: ٦٥) قِيلَ هُوَ نَبَاتٌ قَبِيحٌ، وَقِيلَ: شَبَّهَهَا بِالْعَارِمِ مِنَ الْجِنِّ. قَالَ فِي التَّاجِ: وَقَالَ الزَّجَّاجُ فِي تَفْسِيرِهِ: وَجْهُهُ أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا اسْتُقْبِحَ شُبِّهَ بِالشَّيَاطِينِ، فَيُقَالُ: كَأَنَّهُ وَجْهُ

(١) تفسير المنار ٧٢/١٢

شَيْطَانٍ، وَكَأَنَّهُ رَأْسُ شَيْطَانٍ، وَالشَّيْطَانُ لَا يُرَى، وَلَكِنَّهُ يُسْتَشْعَرُ أَنَّهُ أَقْبَحُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَلَوْ رُئِيَ لَرُئِيَ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ. وَقِيلَ: كَأَنَّهُ رُءُوسُ حَيَّاتٍ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي بَعْضَ الْحَيَّاتِ شَيْطَانًا، وَأَوْرَدَ شَاهِدًا مِنَ الشِّعْرِ عَلَى ذَلِكَ، وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ حَيَّاتِ الْبُيُوتِ مِنَ الْجِنِّ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ عِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ وَالْحَاكِمِ وَغَيْرِهِمَا " الْجِنُّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ لَهُمْ أَجْنِحَةٌ يَطِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ، وَصِنْفٌ حَيَّاتٌ وَعَقَارِبُ، وَصِنْفٌ يَحِلُّونَ وَيَظْعَنُونَ ". قَالَ السُّهَيْلِيُّ: هَذَا الْأَخِيرُ هُمُ السَّعَالِي، وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُمْ أَجْنَاسٌ خَالِصُهُمْ رِيحٌ - أَيْ كَالرِّيحِ - لَا يَأْكُلُونَ،
وَلَا يَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَوَالَدُونَ، وَلَا يَمُوتُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْكُلُونَ. . إلَخْ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ اسْمَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ يُطْلَقُ عِنْدَ الْعَرَبِ عَلَى بَعْضِ الْحَشَرَاتِ، وَالْحَيَوَانَاتِ الضَّارَّةِ، أَوِ الْقَبِيحَةِ، وَعَلَى مَا يُؤْثَرُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَالَمِ الرُّوحِيِّ الْغَيْبِيِّ الَّذِي يُوَسْوِسُ لِلنَّاسِ فَيُزَيِّنُ لَهُمُ الشَّرَّ، وَيُلَابِسُ بَعْضَهُمْ أَحْيَانًا فَيُصَابُونَ بِالصَّرْعِ أَوِ الْجُنُونِ، وَيَتَمَثَّلُ لِلْكُهَّانِ وَغَيْرِهِمْ، وَيَرَاهُ الْأَنْبِيَاءُ **وَبَعْضُ الصَّالِحِينَ** مِنْ بَابِ الْكَرَامَةِ الْخَاصَّةِ. وَالْأَكَاذِيبُ عَنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَالشُّبُهَاتُ فِيهَا غَيْرُ قَلِيلَةٍ. وَلَكِنْ قَلَّ الْمُصَدِّقُونَ بِهَا فِي بِلَادِ الْعِلْمِ وَالْمَدَنِيَّةِ.
بَعْدَ هَذَا الشَّرْحِ نَقُولُ: إِنَّ لِلْمُفَسِّرِينَ قَوْلَيْنِ: تَفْسِيرُ (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ) أَشَرْنَا إِلَيْهِمَا فِي تَفْسِيرِ الِاسْتِهْوَاءِ:
(الْأَوَّلُ) أَنَّهُ تَشْبِيهٌ لِمَنْ يَرْتَدُّ مُشْرِكًا بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالْمُسْتَهَامِ الَّذِي يَضِلُّ فِي الْفَلَوَاتِ حَيْرَانَ لَا يَهْتَدِي، تَارِكًا رِفَاقَهُ عَلَى الْجَادَّةِ يُنَادُونَهُ: ائْتِنَا، عُدْ إِلَيْنَا، فَلَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ لِانْجِذَابِهِ وَرَاءَ مَا تَرَاءَى لَهُ مِنَ الْغِيلَانِ بِغَيْرِ عَقْلٍ وَلَا بَصِيرَةٍ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ مَرْوِيٌّ عَنِ السُّدِّيِّ، وَهُوَ إِحْدَى رِوَايَتَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ السُّدِّيُّ بَعْدَ بَيَانِ التَّشْبِيهِ: فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ تَبِعَكُمْ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ لِمُحَمَّدٍ، وَمُحَمَّدٌ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الطَّرِيقِ، وَالطَّرِيقُ هُوَ الْإِسْلَامُ. وَمِمَّا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ: " إِنَّ الْغُولَ تَدْعُوهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ، فَيَتْبَعُهَا وَيَرَى أَنَّهُ فِي شَيْءٍ، فَيُصْبِحُ وَقَدْ أَلْقَتْهُ فِي هَلَكَةٍ وَرُبَّمَا أَكَلَتْهُ، أَوْ تُلْقِيهِ فِي مُضِلَّةِ الْأَرْضِ يَهْلِكُ فِيهَا عَطَشًا " وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ يَرَى أَنَّ هَذَا". (١)

١٤١. ١٠٢-"قَالَ تَعَالَى: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (٢٩: ٥٠) وَهَذِهِ الْآيَةُ نَصٌّ فِي الْمَوْضُوعِ، وَفِي مَعْنَاهَا آيَاتٌ تَقَدَّمَ بَعْضُهَا فِيمَا فُسِّرَتَا مِنْ هَذِهِ

---

(١) تفسير المنار ٧/٤٣٩

السُّورَةِ (الْأَنْعَامِ) وَسَيَأْتِي فِي آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ مِنْهَا (قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ) (١٠٩) وَمِمَّا هُوَ بِمَعْنَاهَا قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ حِكَايَةِ

مَا اقْتَرَحَهُ كُفَّارُ مَكَّةَ عَلَى الرَّسُولِ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) (١٧: ٩٣) أَيْ فَأَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ بِصِفَتِي الْبَشَرِيَّةِ ؛ لِأَنَّنِي مِثْلُكُمْ فِيهَا، وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الرَّسُولِ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ هُوَ رَسُولٌ مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى.

لَوْلَا تَقْرِيرُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ لَمَا ظَهَرَتْ حِكْمَةُ تِلْكَ الْعِنَايَةِ بِتَكْرَارِ ذِكْرِ كُفْرِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، كَالْآيَاتِ الَّتِي فِي سُورَةِ مَرْيَمَ (١٩: ٤١ - ٤٨) وَكَذِكْرِ أَبِيهِ قَبْلَ قَوْمِهِ فِي خَبَرِ بَعْثَتِهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ (الْأَنْعَامِ) وَفِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ (٢١: ٥٢) إِلَخْ. وَسُورَةُ الشُّعَرَاءِ (٢٦: ٧٠) إِلَخْ. وَسُورَةُ الصَّافَّاتِ (٣٧: ٨٥. إِلَخْ. وَسُورَةُ الزُّخْرُفِ (٤٣: ٢٦) فَمَنْ تَأَمَّلَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا كَآيَةِ الِاسْتِغْفَارِ لَهُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ (٩: ١١٤) - وَتَقَدَّمَتْ آنِفًا - وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمُمْتَحِنَةِ: (لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ) (٦٠: ٣، ٤) مَنْ تَأَمَّلَ ذَلِكَ كُلَّهُ جَزَمَ بِمَا قُلْنَاهُ. وَأَجْدَرُ بِنَا - وَقَدْ وَفَّقَنَا اللهُ تَعَالَى إِلَى إِظْهَارِ الْحَقِّ بِهَذِهِ الشَّوَاهِدِ وَالْبَيِّنَاتِ - أَنْ نَدْعُوَ اللهَ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ الْمُتَمِّمِ لِهَذِهِ الْآيَاتِ، فَنَقُولُ: (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٦٠: ٤، ٥) .

هَذَا وَإِنَّ كَلَامَ بَعْضِ الَّذِينَ حَاوَلُوا إِثْبَاتَ إِيمَانِ جَمِيعِ آبَاءِ الْخَلِيلَيْنِ، أَوْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَإِيمَانِ أَبِي طَالِبٍ يَدُورُ عَلَى مَا يُقَابِلُ هَذَا الْأَصْلَ، وَهُوَ الْغُلُوُّ فِيهِمْ بِدَعْوَى أَنَّ كَرَامَتَهُمْ تَنْفَعُ أُولِي الْقُرْبَى مِنْهُمْ، فَتَكُونُ سَبَبًا لِهِدَايَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَلَا سِيَّمَا مَنْ يَسُوءُهُمْ وَيُؤْذِيهِمْ بَقَاؤُهُ عَلَى الْكُفْرِ، وَمَنْ يَدْعُوهُمْ أَوْ يَدْعُو بَعْضَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ لِجَلْبِ النَّفْعِ أَوْ لِكَشْفِ الضُّرِّ، يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَنَالُونَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالتَّوَسُّلِ بِذَوَاتِهِمْ، لَا بِمَا أَمَرَ اللهُ مِنِ اتِّبَاعِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَقْضُونَ الْحَوَائِجَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنْهُمْ بِأَشْخَاصِهِمْ، وَذَلِكَ مُصَادِمٌ لِتِلْكَ النُّصُوصِ كُلِّهَا وَلِمَا فِي مَعْنَاهَا مِنْ قَوَاعِدِ التَّوْحِيدِ، وَكَوْنِ الدُّعَاءِ عِبَادَةً لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ

الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) (١٧: ٥٦، ٥٧) .".
(١)

١٤٢. ١٠٣-"فِي سِلْكِ أُصُولِ الدِّينِ وَالِاعْتِقَادَاتِ، فَصَارُوا يَتَعَبَّدُونَ بِذَبْحِ الذَّبَائِحِ لِآلِهَتِهِمْ وَمَنْ قَدَّسُوا مِنْ رِجَالِ دِينِهِمْ، وَيُهِلُّونَ لَهُمْ
بِهَا عِنْدَ ذَبْحِهَا كَمَا يَأْتِي، وَهَذَا شِرْكٌ بِاللهِ لِأَنَّهُ عِبَادَةٌ تُوَجَّهُ إِلَى غَيْرِهِ سَوَاءٌ أَسَمَّى ذَلِكَ الْغَيْرُ إِلَهًا أَوْ مَعْبُودًا أَمْ لَا، وَقَدْ غَفَلَ عَنْ هَذَا بَعْضُ كِبَارِ الْمُفَسِّرِينَ فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهِ بِذَكَائِهِ وَعِلْمِهِ وَلَمْ يَرْوِهِ عَنْ غَيْرِهِ، فَاسْتَشْكَلَ هُوَ وَمَنْ تَبِعَهُ الْمَسْأَلَةَ وَقَالُوا: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَكُونُوا يُحَرِّمُونَ مَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَلَا يَمْتَنِعُونَ مِنْ أَكْلِهِ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ الْمَيْتَةَ أَيْضًا، فَكَيْفَ نَازَعَهُمْ فِي الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ وَسَكَتَ عَنِ الْمُخْتَلَفِ فِيهِ؟ وَأَجَابُوا عَنِ السُّؤَالِ بِاحْتِمَالِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُحَرِّمُونَ الْمُذَكَّاةَ، وَبِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِمَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ الِاقْتِصَارَ عَلَى الْمُذَكَّى دُونَ غَيْرِهِ فَيَكُونُ بِمَعْنَى تَحْرِيمِ الْمَيْتَةِ، وَكُلٌّ مِنَ الْوَجْهَيْنِ بَاطِلٌ وَلَا مَحَلَّ لَهُ هُنَا كَمَا عَلِمْتَ، وَقَدْ بَيَّنَّا مِنْ قَبْلُ أَنَّ سَبَبَ غَفْلَةِ أَذْكِيَاءِ الْمُفَسِّرِينَ عَنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ اقْتِصَارُهُمْ فِي أَخْذِ التَّفْسِيرِ عَلَى الرِّوَايَاتِ الْمَأْثُورَةِ وَمَدْلُولِ الْأَلْفَاظِ فِي اللُّغَةِ أَوْ فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ وَالْأُصُولِيِّينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِي حَدَثَ بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ بِزَمَنٍ طَوِيلٍ، وَلَا يُغْنِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنِ الِاسْتِعَانَةِ عَلَى فَهْمِ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي شُئُونِ الْبَشَرِ بِمَعْرِفَةِ الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ وَتَارِيخِ أَهْلِهَا وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي عَصْرِ التَّنْزِيلِ. وَقَدْ كَانَ مِنْ أَثَرِ تَقْصِيرِ الْمُفَسِّرِينَ وَعُلَمَاءِ الْعَقَائِدِ وَالْأَحْكَامِ فِي أَهَمِّ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُ الْمُرَادِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنْ وَقَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا كَانَ عَلَيْهِ أُولَئِكَ الضَّالُّونَ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، حَتَّى الذَّبْحِ **لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ** وَتَسْيِيبِ السَّوَائِبِ لَهُمْ كَعِجْلِ الْبَدَوِيِّ الْمَشْهُورِ أَمْرُهُ فِي أَرْيَافِ مِصْرَ، وَلَمَّا سَرَتْ هَذِهِ الضَّلَالَةُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ذَكَرَ الْفُقَهَاءِ حُكْمَهَا وَمَتَى تَكُونُ كُفْرًا كَمَا سَيَأْتِي، وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ أَنَّ مَسْأَلَةَ الذَّبَائِحِ مِنْ مَسَائِلِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي كَانَ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، ثُمَّ صَارُوا فِي عَهْدِ الْوَثَنِيَّةِ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى غَيْرِهِ وَذَلِكَ شِرْكٌ صَرِيحٌ، وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ لِذِكْرِهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ بَيْنَ مَسَائِلِ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ وَالشِّرْكِ وَالتَّوْحِيدِ.
(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) تَقُولُ الْعَرَبُ مَا لَكَ أَلَّا تَفْعَلَ كَذَا، وَهُوَ مِنْ مُوجَزِ الْكَلَامِ بِالْحَذْفِ وَالتَّقْدِيرِ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ هُنَا وَأَيُّ شَيْءٍ ثَبَتَ لَكُمْ مِنَ الْفَائِدَةِ فِي تَرْكِ الْأَكْلِ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ

(١) تفسير المنار ٤٥٦/٧

اللهِ عَلَيْهِ؟ وَكَلِمَةُ " فِي " تُحْذَفُ قَبْلَ أَنْ وَأَنَّ قِيَاسًا. وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَى الْجُمْلَةِ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ؟ وَإِنَّ هَذَا مَعْرُوفٌ فِي كَلَامِهِمْ، وَالتَّقْدِيرُ الْأَوَّلُ أَظْهَرُ وَأَبْعَدُ عَنِ التَّكْلِيفِ . وَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا لِلْإِنْكَارِ، أَيْ لَا فَائِدَةَ لَكُمْ أَلْبَتَّةَ فِي عَدَمِ الْأَكْلِ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ وَحْدَهُ عَلَيْهِ دُونَ مَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِهِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكُمْ (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) أَيْ وَالْحَالُ أَنَّهُ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَبَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ الْآتِي فِي هَذِهِ السُّورَةِ (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ) (١٤٥) أَيْ ذُكِرَ اسْمُ غَيْرِهِ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ كَأَسْمَاءِ الْأَصْنَامِ أَوِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ الَّذِينَ وُضِعَتِ الْأَصْنَامُ وَالتَّمَاثِيلُ ذِكْرَى لَهُمْ. وَالتَّفْصِيلُ وَالتَّبْيِينُ وَاحِدٌ، فَهُوَ فَصْلُ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ وَإِبَانَتُهَا مِنْ بَعْضٍ". (١)

١٤٣. ١٠٤-"قَدْ تَرَكُوا هِدَايَتَهُ، وَفُتِنُوا بِزِينَةِ أَهْلِ الْمَدَنِيَّةِ الْمَادِّيَّةِ وَقُوَّتِهِمْ. وَلَمْ يُجَارُوهُمْ فِي فُنُونِهِمْ وَصِنَاعَاتِهِمْ، فَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، وَلَوِ اعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ، وَعَادُوا إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ لَنَالُوا سِيَادَةَ الدُّنْيَا وَسَعَادَةَ الْآخِرَةِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ الزَّمَانُ قَدْ أَيْقَظَهُمْ مِنْ رُقَادِهِمْ، وَهَدَاهُمْ إِلَى السَّيْرِ عَلَى سُنَنِ أَجْدَادِهِمْ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ.

(لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) أَيْ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعَالَى فِي رُبُوبِيَّتِهِ فَيَسْتَحِقَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِكَةٌ مَا فِي عِبَادَتِهِ، بِأَنْ يُتَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَعَهُ لِأَجْلِ التَّأْثِيرِ فِي إِرَادَتِهِ، أَوْ تُذْبَحَ لَهُ النَّسَائِكُ لِأَجْلِ شَفَاعَتِهِ عِنْدَهُ (مَنْ ذَا

الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (٢: ٢٥٥) (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (٢١: ٢٨) وَبِذَلِكَ التَّجْرِيدِ فِي التَّوْحِيدِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ الْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ، أَمَرَنِي رَبِّي، وَلَا يُعْبَدُ الرَّبُّ إِلَّا بِمَا أَمَرَ، دُونَ أَهْوَاءِ الْأَنْفُسِ وَنَظَرِيَّاتِ الْعُقُولِ وَتَقَالِيدِ الْبَشَرِ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، أَيْ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي عُلُوِّ الدَّرَجَةِ وَالرُّتْبَةِ، وَأَوَّلُهُمْ فِي الزَّمَنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَبَيَانُ هَذَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ الْمُذْعِنِينَ لِأَمْرِ رَبِّهِ وَنَهْيِهِ، بِحَسَبِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى الَّتِي فَضَّلَهُ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ رُسُلِهِ، كَمَا أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ لَقَّنَهُ رَبُّهُ الْإِسْلَامَ، فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الشَّامِلَةِ دَعْوَتُهَا لِجَمِيعِ الْأَنَامِ، وَالْمَوْصُوفَةِ بَعْدَ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ بِأَنَّهَا خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَقَدْ يَسْتَلْزِمُ عُمُومُ بَعْثَتِهِ وَخَيْرِيَّةُ أُمَّتِهِ أَوَّلِيَّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَوَّلِيَّتُهُ بِالتَّقَدُّمِ عَلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ بُعِثُوا قَبْلَهُ أَيْضًا، فَيَكُونُ أَوَّلًا فِي كُلِّ

---

(١) تفسير المنار ٨/١٦

مِنْ مَزَايَاهُ الْخَاصَّةِ وَرِسَالَتِهِ الْعَامَّةِ الْمُتَعَدِّيَةِ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ لِلْأَوَّلِ مِمَّا فَتَحَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيَّ الْآنَ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ.

وَلَمَّا بَيَّنَ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ، انْتَقَلَ إِلَى بُرْهَانِهِ الْأَعْلَى وَهُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، بِمَا أَمَرَهُ بِهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: (قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) الِاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ وَالتَّعَجُّبِ، وَالْمَعْنَى: أَغَيْرَ اللهِ خَالِقِ الْخَلْقِ، وَسَيِّدِهِمْ وَمُرَبِّيهِمْ بِالْحَقِّ، أَطْلُبُ رَبًّا آخَرَ أُشْرِكُهُ فِي عِبَادَتِي لَهُ بِدُعَائِهِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ، أَوْ ذَبْحِ النَّسَائِكِ أَوْ نَذْرِهَا لَهُ، لِيَنْفَعَنِي أَوْ يَمْنَعَ الضُّرَّ عَنِّي، أَوْ لِيُقَرِّبَنِي إِلَيْهِ زُلْفَى وَيَشْفَعَ لِي عِنْدَهُ كَمَا تَفْعَلُونَ بِآلِهَتِكُمْ! وَالْحَالُ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا عُبِدَ وَمِمَّا لَمْ يُعْبَدْ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ وَخَوَاصَّ الْبَشَرِ كَالْمَسِيحِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْأَصْنَامِ الْمُذَكِّرَةِ **بِبَعْضِ الصَّالِحِينَ** وَصَانِعِيهَا (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (٣٧: ٩٦) ، فَإِذَا كَانَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقَ الْمُقَدِّرَ، وَهُوَ السَّيِّدَ الْمَالِكَ الْمُدَبِّرَ، وَهُوَ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، وَفَضَّلَ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى بَعْضٍ وَلَكِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، فَكَيْفَ أُسَفِّهُ نَفْسِي وَأَكْفُرُ رَبِّي بِجَعْلِ الْمَخْلُوقِ الْمَرْبُوبِ مِثْلِي رَبًّا لِي؟ ! وَقَدْ سَبَقَ تَقْرِيرُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِرَارًا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا، وَمِنْهُ أَنَّ جَمِيعَ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِأَنَّ مَعْبُودَاتِهِمْ". (١)

١٤٤. ١٠٥-"قَصَصُ الرُّسُلِ الْمَشْهُورِينَ مَعَ أَقْوَامِهِمْ

هَذَا سِيَاقٌ جَدِيدٌ فِي قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ الْمَشْهُورِ ذِكْرُهُمْ فِي الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالشُّعُوبِ الْمُجَاوِرَةِ لَهَا، قَدْ سَبَقَ التَّمْهِيدُ لَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ نِدَاءِ اللهِ تَعَالَى لِبَنِي آدَمَ بِقَوْلِهِ: (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) - إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ ٣٥ و٣٦ - وَمِنْهُ يُعْلَمُ وَجْهُ التَّنَاسُبِ وَاتِّصَالِ الْكَلَامِ.

قِصَّةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ تَعَالَى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) بَدَأَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْقِصَّةَ بِالْقَسَمِ لِتَأْكِيدِ خَبَرِهَا لِأَوَّلِ مَنْ وَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْخِطَابَ بِهَا، وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ وَمَنْ وَرَاءَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ إِذْ كَانُوا يُنْكِرُونَ الرِّسَالَةَ وَالْوَحْيَ، عَلَى كَوْنِهِمْ أُمِّيِّينَ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْ عُلُومِ الْأُمَمِ وَقَصَصِ الرُّسُلِ شَيْءٌ. إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَلِمَةً فِي بَيْتِ شِعْرٍ مَأْثُورٍ أَوْ عِبَارَةً نَاقِصَةً مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، حَيْثُ كَانُوا يَلْقَوْنَهُمْ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ أَوِ الشَّامِ أَوْ مِمَّنْ تَهَوَّدَ أَوْ تَنَصَّرَ مِنْهُمْ، وَكُلُّهُمْ أَوْ جُلُّهُمْ ظَلُّوا عَلَى أُمِّيَّتِهِمْ. وَالْقَسَمُ مَحْذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ لَامُهُ فِي بَدْءِ الْجُمْلَةِ، وَهِيَ لَا تَكَادُ تَجِيءُ إِلَّا مَعَ " قَدْ " لِأَنَّهَا مَظِنَّةُ التَّوَقُّعِ، وَنُوحٌ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى قَوْمٍ مُشْرِكِينَ

(١) تفسير المنار ٨/٢١٦

هُمْ قَوْمُهُ كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ وَغَيْرِهِ، وَتَقَدَّمَ التَّحْقِيقُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ عِنْدَ الْبَحْثِ فِي عَدَدِ الرُّسُلِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْقُرْآنِ وَهَلْ يُعَدُّ آدَمُ مِنْهُمْ أَمْ لَا؟ (ص٥٠١ وَمَا بَعْدَهَا ج ٧ طَبْعَةُ الْهَيْئَةِ) وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ هُمُ الَّذِينَ صَوَّرُوا **بَعْضَ الصَّالِحِينَ** مِنْهُمْ ثُمَّ وَضَعُوا لَهُمُ الصُّوَرَ وَالتَّمَاثِيلَ لِإِحْيَاءِ ذِكْرِهِمْ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ، ثُمَّ عَبَدُوا صُوَرَهُمْ وَتَمَاثِيلَهُمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ هَذَا فِي تَفْسِيرِ الْأَنْعَامِ (ص ٤٥٤ وَمَا بَعْدَهَا ج ٧ طَبْعَةُ الْهَيْئَةِ) وَغَيْرِهِ.

(فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) أَيْ فَنَادَاهُمْ بِصِفَةِ الْقَوْمِيَّةِ مُضَافَةً إِلَيْهِ اسْتِمَالَةً لَهُمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، مَعَ بَيَانِ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُهُ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ فِي عِبَادَتِهِمْ، بِدُعَاءٍ يَطْلُبُونَ بِهِ مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ بِكَسْبِهِمْ، وَمَا جَعَلَهُ اللهُ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا الْمَطَالِبُ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا هُوَ الَّذِي يَتَوَجَّهُ فِي طَلَبِهِ إِلَى الرَّبِّ الْخَالِقِ لِكُلِّ شَيْءٍ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهَذَا التَّوَجُّهُ وَالدُّعَاءُ هُوَ مُخُّ الْعِبَادَةِ وَلُبَابُهَا فَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ بِاللهِ تَعَالَى أَنْ يَتَوَجَّهَ فِيهِ إِلَى غَيْرِهِ أَلْبَتَّةَ – لَا اسْتِقْلَالًا وَلَا بِالتَّبَعِ لِلتَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِرَادَةِ التَّوَسُّطِ بِهِ عِنْدَهُ فَإِنَّ هَذَا عَيْنُ الشِّرْكِ، الَّذِي ضَلَّ بِهِ أَكْثَرُ مَنْ ضَلَّ مِنَ الْخَلْقِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (مِنْ إِلَهٍ) يُفِيدُ تَأْكِيدَ النَّفْيِ وَعُمُومَهُ، فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ " مَا عِنْدَنَا مِنْ طَعَامٍ". (١)

١٤٥. ١٠٦–"نَعْتَذِرُ بِهِ إِلَى رَبِّكُمْ عَنِ السُّكُوتِ عَلَى الْمُنْكَرِ، وَقَدْ أَمَرَنَا بِالتَّنَاهِي عَنْهُ، وَرَجَاءً فِي انْتِفَاعِهِمْ بِالْمَوْعِظَةِ، وَحَمْلِهَا عَلَى اتِّقَاءِ الِاعْتِدَاءِ الَّذِي اقْتَرَفُوهُ. أَيْ فَنَحْنُ لَمْ نَيْأَسْ مِنْ رُجُوعِهِمْ إِلَى الْحَقِّ يَأْسَكُمْ.

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَيْ فَلَمَّا نَسِيَ الْعَادُونَ الْمُذْنِبُونَ، مَا ذَكَّرَهُمْ وَوَعَظَهُمْ بِهِ إِخْوَانُهُمُ الْمُتَّقُونَ، بِأَنْ تَرَكُوهُ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ حَتَّى صَارَ كَالْمَنْسِيِّ فِي كَوْنِهِ لَا تَأْثِيرَ لَهُ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ أَيْ عَنِ الْعَمَلِ الَّذِي تَسُوءُ عَاقِبَتُهُ أَيْ: أَنْجَيْنَاهُمْ مِنَ الْعِقَابِ الَّذِي اسْتَحَقَّهُ فَاعِلُو السُّوءِ بِظُلْمِهِمْ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَحْدَهُمْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ أَيْ: شَدِيدٍ، مِنَ الْبَأْسِ وَهُوَ الشِّدَّةُ، أَوِ الْبُؤْسِ وَهُوَ الْمَكْرُوهُ أَوِ الْفَقْرُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ أَيْ بِسَبَبِ فِسْقِهِمُ الْمُسْتَمِرِّ لَا بِظُلْمِهِمْ فِي الِاعْتِدَاءِ فِي السَّبْتِ فَقَطْ. وَذَلِكَ أَنَّ وَصْفَهُمْ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا تَعْلِيلٌ لِأَخْذِهِمْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ، عَلَى قَاعِدَةِ كَوْنِ بِنَاءِ الْحُكْمِ أَوِ الْجَزَاءِ عَلَى الْمُشْتَقِّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُشْتَقَّ مِنْهُ عِلَّةٌ لَهُ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُؤَاخِذُ كُلَّ ظَالِمٍ فِي الدُّنْيَا بِكُلِّ ظُلْمٍ يَقَعُ مِنْهُ،

---

(١) تفسير المنار ٤٣٦/٨

وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا فِي الصِّفَةِ أَوِ الْعَدَدِ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْكَيْفِ أَوِ الْكَمِّ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ (٣٥: ٤٥) وَقَوْلِهِ: وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ وَإِنَّمَا يُؤَاخِذُ الْأُمَمَ وَالشُّعُوبَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ بِالظُّلْمِ وَالذُّنُوبِ الَّتِي يَظْهَرُ أَثَرُهَا فِيهَا بِالْإِصْرَارِ وَالِاسْتِمْرَارِ عَلَيْهَا، وَهُوَ مَا أَفَادَهُ هُنَا فِي هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِنَّمَا يَكُونُ الْعِقَابُ عَلَى بَعْضِ الذُّنُوبِ دُونَ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا خَاصًّا بِالْأَفْرَادِ أَوِالْجَمَّاعَاتِ الصَّغِيرَةِ مِنَ الْمُذْنِبِينَ كَأَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الَّذِينَ كَانُوا بَعْضَ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْ أُمَّةٍ كَبِيرَةٍ، وَأَمَّا الْأُمَمُ الْكَبِيرَةُ فَهِيَ الَّتِي تَصْدُقُ عَلَيْهَا سُنَنُ اللهِ فِي عِقَابِ الْأُمَمِ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْفِسْقُ وَالظُّلْمُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً (٨: ٢٥) إِلَّا أَنْ يُقَالَ إِنَّ الْفَاسِقِينَ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ كَانُوا أَقَلَّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ الْآخَرَيْنِ، وَقَدْ عَاقَبَ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَافَّةً بِتَنْكِيلِ الْبَابِلِيِّينَ ثُمَّ النَّصَارَى بِهِمْ وَسَلْبِهِمْ مُلْكَهُمْ، عِنْدَمَا عَمَّ فِسْقُهُمْ، وَلَمْ يَدْفَعْ ذَلِكَ عَنْهُمْ وُجُودُ بَعْضِ الصَّالِحِينَ فِيهِمْ، إِذْ لَمْ يَكُونُوا يَخْلَوْنَ مِنْهُمْ:.

وَالْآيَةُ نَاطِقَةٌ بِهَلَاكِ الظَّالِمِينَ الْفَاسِقِينَ، وَنَجَاةِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ نَهَوْهُمْ عَنْ عَمَلِ السُّوءِ وَارْتِكَابِ الْمُنْكَرِ، وَسَكَتَتْ عَنِ الْفِرْقَةِ الَّتِي أَنْكَرَتْ عَلَى الْوَاعِظِينَ وَعْظَهُمْ وَإِنْكَارَهُمْ، فَقِيلَ: إِنَّهَا لَمْ تَنْجُ ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ بَلْ أَنْكَرَتْ عَلَى الَّذِينَ نَهَوْا، وَقِيلَ: بَلْ نَجَتْ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُنْكِرَةً لِلْمُنْكَرِ مُسْتَقْبِحَةً لَهُ. وَلِذَلِكَ لَمْ تَفْعَلْهُ، وَإِنَّمَا لَمْ تَنْهَ عَنْهُ لِيَأْسِهَا مِنْ فَائِدَةِ النَّهْيِ، وَجَزْمِهَا بِأَنَّ الْقَوْمَ قَدِ اسْتَحَقُّوا عِقَابَ اللهِ بِإِصْرَارِهِمْ فَلَا يُفِيدُهُمُ الْوَعْظُ، وَرُوِيَ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِي هَذِهِ الْفِرْقَةِ حَتَّى أَقْنَعَهُ تِلْمِيذُهُ عِكْرِمَةُ بِنَجَاتِهَا. وَقَدْ رَجَّحَ الزَّمَخْشَرِيُّ وَغَيْرُهُ هَذَا قَالَ:.". (١)

١٤٦. ١٠٧-"الْبَيْتِ، أَوْ لِيَؤُمَّنَا رَبُّ الْبَيْتِ. أَوْ تَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ فِي كُرْسِيِّ صَاحِبِ الْبَيْتِ أَوْ عَلَى الْحَشْيَةِ الْخَاصَّةِ بِهِ: هَذِهِ تَكْرُمَةُ رَبِّ الْبَيْتِ، وَقَدْ نُهِينَا عَنِ الْجُلُوسِ عَلَيْهَا بِدُونِ إِذْنِهِ. وَقَالُوا: إِنَّ كَلِمَةَ الرَّبِّ مَعْرِفَةٌ خَاصَّةٌ بِهِ تَعَالَى. وَيَتَرَجَّحُ هَذَا الْقَوْلُ حَيْثُ لَا قَرِينَةَ تَصْرِفُ اللَّفْظَ إِلَى غَيْرِهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِهِ لِحَدِيثِ لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مِنَ الْفَتْحِ بَحْثَ انْعِقَادِ الْيَمِينِ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَابْنِ حَزْمٍ مُطْلَقًا ثُمَّ قَالَ: وَالْمَعْرُوفُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْأَسْمَاءَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: (أَحَدُهَا) مَا يَخْتَصُّ بِاللهِ تَعَالَى، كَاسْمِ الْجَلَالَةِ وَالرَّحْمَنِ وَرَبِّ الْعَالَمِينَ فَهَذَا يَنْعَقِدُ الْيَمِينُ بِهِ إِذَا أُطْلِقَ، وَلَوْ نَوَى بِهِ غَيْرَهُ (ثَانِيهَا) مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ،

---

(١) تفسير المنار ٣١٨/٩

وَلَكِنَّ الْغَالِبَ إِطْلَاقُهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُقَيَّدَ فِي حَقِّ غَيْرِهِ بِضَرْبٍ مِنَ التَّقْيِيدِ كَالْجَبَّارِ وَالْحَقِّ وَالرَّبِّ وَنَحْوِهَا، فَالْحَلِفُ بِهِ يَمِينٌ فَإِنْ نَوَى بِهِ غَيْرَ اللهِ فَلَيْسَ بِيَمِينٍ. (ثَالِثُهَا) مَا يُطْلَقُ فِي حَقِّ اللهِ وَحَقِّ غَيْرِهِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ. كَالْحَيِّ وَالْمُؤْمِنِ فَإِنْ نَوَى بِهِ غَيْرَ اللهِ أَوْ أَطْلَقَ فَلَيْسَ بِيَمِينٍ، وَإِنْ نَوَى اللهَ تَعَالَى فَوَجْهَانِ، صَحَّحَ النَّوَوِيُّ أَنَّهُ يَمِينٌ، وَكَذَا فِي الْمُحَرَّرِ. وَخَالَفَ فِي الشَّرْحَيْنِ فَصَحَّحَ أَنَّهُ لَيْسَ بِيَمِينٍ، وَاخْتَلَفَ الْحَنَابِلَةُ فَقَالَ

الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى: لَيْسَ بِيَمِينٍ، وَقَالَ الْمُجِدُّ ابْنُ تَيْمِيَةِ فِي الْمُحَرَّرِ: أَنَّهَا يَمِينٌ اهـ.

(٦) إِشْرَاكُ غَيْرِهِ تَعَالَى فِي مَعَانِي أَسْمَائِهِ الْخَاصَّةِ مَعَ تَغْيِيرِ اللَّفْظِ، كَإِطْلَاقِ لَفْظِ (الْوَسِيلَةِ) عَلَى **بَعْضِ الصَّالِحِينَ** بِمَعْنَى أَنَّهُ يُدْعَى مِنْ دُونِ اللهِ أَوْ مَعَ اللهِ سُبْحَانَهُ لِقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَرَفْعِ الْكُرُبَاتِ، وَكِفَايَةِ الْمُهِمَّاتِ، مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ الْأَسْبَابِ وَالْعَادَاتِ، كَطَلَبِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، فَلَفْظُ الْوَسِيلَةِ هُنَا بِمَعْنَى (الْإِلَهِ) إِذْ مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ، وَالدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ وَأَعْظَمُ أَرْكَانِهَا كَمَا بَيَّنَّا مِرَارًا، أَوِ (الرَّبِّ) الْمُدَبِّرِ لِلْأَمْرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ - فَهَذَا إِلْحَادٌ فِي مَعَانِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى لَا فِي أَلْفَاظِهَا.

(٧) إِشْرَاكُ غَيْرِهِ فِي كَمَالِ أَسْمَائِهِ التَّامِّ الَّذِي وُصِفَتْ لِأَجْلِهِ بِالْحُسْنَى، كَمَنْ يَزْعُمُ أَوْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِغَيْرِهِ تَعَالَى رَحْمَةً كَرَحْمَتِهِ وَرَأْفَةً أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي أَسْمَائِهِ كَالْمُجِيبِ مَثَلًا، قَالَ تَعَالَى وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (٢: ١٨٦) وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ رَسُولِهِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (١١: ٦١) وَأَنَّ بَعْضَ الَّذِينَ يَدْعُونَ غَيْرَ اللهِ مِنَ الْمَوْتَى يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ وَأَسْرَعُ فِي إِجَابَتِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَيَجْمَعُونَ بِذَلِكَ بَيْنَ الشِّرْكَيْنِ: شِرْكِ دُعَاءِ غَيْرِ اللهِ، مَعَ اعْتِقَادِ إِجَابَتِهِ لِلدُّعَاءِ - وَاللهُ يَقُولُ: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ (٢٧: ٦٢) أَيْ: لَا يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِلَّا اللهُ. فَهُوَ الْإِلَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، وَالْكُفْرُ بِهِ بِتَفْضِيلِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي سُرْعَةِ الْإِجَابَةِ، وَقَدْ سَمِعْتُ امْرَأَةً مِصْرِيَّةً تَدْعُو وَتَسْتَغِيثُ فِي". (١)

١٤٧. ١٠٨-"وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ المرسلين إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطعام وَيَمْشُونَ فِى الأسواق﴾ كسرت إن لأجل اللام في الخبر والجملة بعد إلا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين

(١) تفسير المنار ٣٧٤/٩

وماشين وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أي من المرسلين ونحوه وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ أَيُّ وَمَا مِنَّا أَحَدٌ قِيلَ هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق وتسلية للنبى عليه الصلاة والسلام ﴿وجعلنا بعضكم﴾

الفرقان (٢٣ – ٢٠)

﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيه في الأسواق يعني أنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على هذه الفتنة فتؤجروا أم لا تصبرون فيزداد غمكم وحكي أن **بعض الصالحين** تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا افرأى خصيا فى مواكب ومراكب فخطر بباله شئ فإذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصبراً ربنا أو جعلتك فتنة لهم لأنك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكانت طاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فإنما بعثناك فقيراً لتكون طاعى من يطيعك خالصة لنا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ عالماً بالصواب فيما يبتلي به أو بمن يصبر ويجزع". (١)

١٤٨. ١٠٩-"وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحى الذى لاَ يَمُوتُ﴾ اتخذ من لا يموت وكيلاً لا يكلك إلى من يموت ذليلاً يعني ثق به وأسند أمرك إليه في استكفاء شرورهم ولا تتكل على حي يموت وقرأها **بعض الصالحين** فقال لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق والتوكل والاعتماد عليه فى كل أمر ﴿وسبح﴾ عن أن يكل إلى غيره من توكل عليه ﴿بِحَمْدِهِ﴾ بتوفيقه الذي يوجب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده أو نزهه عن كل العيوب بالثناء عليه ﴿وكفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾ أي كفى الله خبيراً بذنوب عباده يعني أنه خبير بأحوالهم كافٍ في جزاء أعمالهم". (٢)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٥٣١/٢

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٥٤٥/٢

١٤٩. ١١٠-"رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصالحين﴾ **بعض الصالحين** يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في الولد". (١)

١٥٠. ١١١-"للوصول إلى المرتبة الرابعة في العلم والعمل، ثم إذا لم يجتهد في الوصول إلى كماله اللائق به فكأنه رد إلى أسفل سافلين الطبيعة، وإنما عبر عن العقل الهيولاني بالتين لضعف شجرته، ولأنه زمان الصبا واللهو والالتذاذ والاشتغال بالأمور التي لا طائل تحتها ولا درك فيها بخلاف زمان العقل بالملكة لقوة المعقولات فيها لكونه بحيث يطلب للأشياء حقائق ومعاني، وهي بمنزلة الزيت، وفي زمان العقل بالفعل يكون قد ازدادت المعاني رسوخا حتى صارت كالجبل المبارك، وفي آخر المراتب اجتمعت عنده صور الحقائق دفعة بمنزلة المدينة الفاضلة، ولعلنا قد كتبنا في هذا المعنى رسالة مفردة فلنقتصر في التفسير على هذا القدر من التأويل. ثم إن أكثر المفسرين قالوا: معنى فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ في أحسن تعديل شكلا وانتصابا. وقال الأصم: في أكمل عقل وفهم وبيان.

والأولون قالوا: لو حلف إنسان أن زوجته أحسن من القمر لم يحنث لأنه تعالى أعلم بخلقه لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وكان **بعض الصالحين** يقول: إلهنا أعطيتنا في الأول أحسن الأشكال فأعطنا في الآخرة أحسن الخصال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب. ومعنى أَسْفَلَ سافِلِينَ قال ابن عباس: أرذل العمر ومثله قول ابن قتيبة:

السافلون هم الضعفاء والزمنى ومن لا يستطيع حيلة ولا يجد سبيلا. قال الفراء: لو قيل «أسفل سافل» حملا على لفظ الإنسان كان صوابا أيضا. وقال مجاهد والحسن: هو النار ومثله ما

قال علي رضي الله عنه: أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض ويبدأ بالأسفل فيملأ.

وعلى هذا القول تقدير الكلام رددناه إلى أسفل سافلين أي في أسفل سافلين إِلَّا الَّذِينَ الآية. أي الذين استكملوا بحسب القوتين النظرية والعلمية فلهم ثواب دائم غير منقطع. إما بسبب صبرهم على ما ابتلوا به من الشيخوخة والهرم والمواظبة على الطاعات بقدر الإمكان مع ضعف البنية وفتور الآلات. أو بواسطة حصول الكمالات لهم. فهذا الاستثناء على القول الأول منقطع بمعنى لكن. وعلى الثاني متصل. ولا يبعد أن يكون أيضا متصلا والمعنى. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال الاستطاعة فلهم ثواب جزيل في حالة الشيخوخة والضعف وإن لم يقدروا على مثل تلك الأعمال. فكأنهم لم يردوا

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣/١٣٠

إلى أسفل من سفل. ثم خاطب الإنسان بقوله فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ يعني فأي شيء يلجئك بعد هذه البيانات إلى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء، لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب، ولا ريب أن خلق الإنسان من نطفة إلى أن يصير كاملا في الخلق والخلق، ثم تنكيسه إلى حال تخاذل القوى وتقويس الظهر وابيضاض الشعر وتناثره أوضح دليل على قدرة الصانع وحده، ومن قدر على هذا كله لم يعجز عن إعادة مخلوقه بعد تفرق أجزائه. هذا بالنظر إلى القدرة، وأما". (١)

١٥١. ١١٢-"أشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك يَوَدُّ أَحَدُهُمْ بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف اى يريد ويتمنى ويحب أحد هؤلاء المشركين لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ حكاية لودادهم ولو فيه معنى التمني كأنه قيل ليتنى اعمر وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله تعالى يود أحدهم كقولك حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه معمول يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي والمعنى تمنى أحدهم ان يعطى البقاء والعمر الف سنة وهي للمجوس وخص هذا العدد لانهم يقولون ذلك فيما بينهم عند العطاس والتحية عش الف سنة والف نوروز والف مهرجان وهي بالعجمية «زى هزار سال» وصح اطلاق المشركين على المجوس لانهم يقولون بالنور والظلمة وَما حجازية هُوَ اى أحدهم اسم ما بِمُزَحْزِحِهِ خبر ما والباء زائدة والزحزحة التبعيد والانجاء مِنَ الْعَذابِ من النار أَنْ يُعَمَّرَ فاعل مزحزحه اى تعميره وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به اى عليم بخفيات أعمالهم من الكفر والمعاصي لا يخفى عليه فهو مجازيهم بها لا محالة بالخزي والذل في الدنيا والعقوبة في العقبى وهذه الحياة العاجلة تنقضى سريعة وان عاش المرء الف سنة او أزيد عليها فمن أحب طول العمر للصلاح فقد فاز قال عليه السلام (طوبى لمن طال عمره وحسن عمله) ومن أحبه للفساد فقد ضل ولا ينجو مما يخلف فان الموت يجئ البتة واجتمعت الامة على ان الموت ليس له سن معلوم ولا أجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك وكان مستعدا لذلك **بعض الصالحين** ينادى بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى فقد صوته امير تلك المدينة فسأل عنه فقيل

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/٥٢٦

انه مات فقال

ما زال يلهج بالرحيل وذكره ... حتى أناخ ببابه الجمال

فأصابه متيقظا متشمرا ... ذا اهبة لم تلهه الآمال

بانك طبلت نمى كند بيدار ... تو مكر مرده نه در خوابى

تو چراغى نهاده در ره باد ... خانه در ممر سيلابى

فاصابة الموت حق وان كان العيش طويلا والعمر مديدا وهو ينزل بكل نفس راضية كانت او كارهة روى شارح الخطب عن وهب بن منبه انه قال مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع يا دانيال قف تر عجبا فلم ير شيأ ثم نودى الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فاذا سرير مرصع بالدر والياقوت فاذا النداء من السرير اصعد يا دانيال تر عجبا فارتقيت السرير فاذا فراش من ذهب مشحون بالمسك والعنبر فاذا عليه شاب ميت كأنه نائم وإذا عليه من الحلي والحلل ما لا يوصف وفي يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف أشد خضرة من البقل فاذا النداء من السرير ان احمل هذا السيف واقرأ ما عليه قال فاذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم وانى عشت الف عام وسبعمائة". (١)

١٥٢. ١١٣-"مسكين نصف صاع من بر أَوْ نُسُكٍ بضمتين جمع نسيكة وهي الذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة واو للتخيير فَإِذا أَمِنْتُمْ من خوفكم وبرئتم من مرضكم وكنتم في حال أمن وسعة لا في حال إحصار فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ اى فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره او من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الإحرام الى ان يحرم بالحج فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ اى فعليه دم تيسر عليه بسبب التمتع وهو هدى المتعة وهو نسك عند ابى حنيفة رحمه الله لا يذبحه الا يوم النحر ويأكل منه كالاضحية فَمَنْ لَمْ يَجِدْ اى الهدى فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ صيام مصدر أضيف الى ظرفه معنى وهو فى اللفظ مفعول به على الاتساع اى فعليه صيام ثلاثة ايام فِي الْحَجِّ اى في وقته واشهره بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج ان شاء متفرقة وان شاء متتابعة والأحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق وَسَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ اى نفرتم وفرغتم من اعمال الحج اطلق عليه الرجوع على طريق اطلاق اسم المسبب

---

(١) روح البيان ١٨٦/١

وارادة السبب الخاص وهو النفر والفراغ فانه سبب للرجوع تِلْكَ اى صيام ثلاثة وسبعة عَشَرَةٌ فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قوله تعالى مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلمان خير من علم فان اكثر العرب لا يحسنون الحساب فكان الرجل إذا خاطب صاحبه باعداد متفرقة جمعها له ليسرع فهمه إليها وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كامِلَةٌ صفة مؤكدة لعشرة فان الوصف قد يكون للتأكيد إذا أفاد الموصوف معنى ذلك الوصف نحو إلهين اثنين والتأكيد انما يصار اليه إذا كان الحكم المؤكد مما يهتم بشأنه والمحافظة عليه والمؤكد هاهنا هو رعاية هذا العدد في هذا الصوم آكده لبيان ان رعايته من المهمات التي لا يجوز إهمالها البتة ذلِكَ اشارة الى نفس التمتع عندنا والى حكم التمتع عند الشافعي وهو لزوم الهدى لمن يجده من المتمتع ولزوم بدله لمن لا يجده لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ اى لازم للذى لا يسكن مكة واهل الرجل أخص الناس اليه وانما ذكر الأهل لان الغالب ان الإنسان يسكن حيث يسكن اهله فعبر

بسكون الأهل عن سكون نفسه وحاضروا المسجد الحرام عندنا هم اهل مكة ومن كان منزله داخل المواقيت فلا متعة ولا قران لهم فمن تمتع او قرن منهم فعليه دم جناية لا يأكل منه وحاضروا المسجد الحرام ينبغى لهم ان يعتمروا في غير أشهر الحج ويفرد وأشهر الحج للحج والقارن والمتمتع الآفاقيان دمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي حاضروا المسجد الحرام اهل الحرم ومن هو على مسافة لا تقصر فيها الصلاة وَاتَّقُوا اللَّهَ فى المحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصا في الحج وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان: قال السعدي قدس سره مرو زير بار گنه اى پسر كه حمال عاجز بود در سفر تو پيش از عقوبت در عفو كوب كه سودى ندارد فغان زير چوب اعلم ان إتمام الحج كما يكون عن طريق الظاهر كذلك يكون عن طريق الباطن وعن **بعض الصالحين** انه حج فلما قضى نسكه قال لصاحبه هلم نتم حجنا ألم نسمع قول ذى الرمة". (١)

١٥٣. ١١٤-"هر كس از جلوه گل فهم معانى نكند ... شرح آن دفتر ننوشته ز بلبل بشنو تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها استئناف مبين لما له فضلت على ألف شهر واصل ينزل تتنزل بتاءين والظاهر أن المراد كلهم للاطلاق وقد سبق معنى الروح فى سورة النبأ وقال بعضهم انه ملك لو التقم

---

(١) روح البيان ٣١٢/١

السموات والأرضين كانت له لقمة واحدة او هو ملك رأسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الأرض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفى كل رأس ألف وجه وفى كل وجه ألف فم وفى كل فم ألف لسان يسبح الله بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد لكل لسان لغة لا تشبه الاخرى فاذا فتح أفواهه بالتسبيح خر كل ملائكة السموات سجدا مخافة ان يحرقهم نور أفواهه وانما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد عليه السلام بتلك الأفواه كلها الى طلوع الفجر او هو طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم الا يوم العيد او هو عيسى عليه السلام لأنه اسمه ينزل فى موافقة الملائكة ليطالع امة محمد عليه السلام.

ودر تفسير خواجه محمد پارسا رحمه الله مذكور است كه روح حضرت محمد صلى الله عليه وسلم فرود آيد. وفى الحديث لأنا أكرم على الله من ان يدعنى فى الأرض اكثر من ثلاث وكان الثلاث عشر مرات ثلاثين لأن الحسين رضى الله عنه قتل فى رأس الثلاثين سنة فغضب على اهل الأرض وعرج به الى عليين وقد رآه بعض الصالحين فى النوم فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمي اما ترى فتن أمتك فقال زادهم الله فتنة قتلوا الحسين ولم يحفظونى ولم يراعوا حقى فيه وعلى كل تقدير فالمعنى تنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة من كل سماء الى الأرض وهو الأظهر لأن الملائكة إذا نزلت فى سائر الأيام الى مجلس الذكر فلأن ينزلوا فى تلك الليلة مع علو شأنها اولى أو إلى السماء الدنيا قالوا ينزلون فوجا فوجا فمن نازل ومن صاعد كأهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك بأسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا لسبب مدت الى غاية طلوع الفجر وذكر لفظ تنزل المفيد للتدريج وبه يندفع ما يرد أن الملائكة لهم كثرة عظيمة لا تحتملها الأرض وكذا السماء على أن شأن الأرواح غير شأن الأجسام والملائكة وان كان لهم أجسام لطيفة يقال لهم الأرواح وقال بعضهم النازلون هم سكان سدرة المنتهى وفيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله ومقام جبرائيل فى وسطها ولا يدخلون اى الملائكة النازلون الكنائس وبيوت الأصنام والأماكن التي فيها الكلب والتصاوير والخبائث وفى بيوت فيها خمر او مدمن خمر او قاطع رحم او جنب او آكل لحم خنزير او متضمخ بالزعفران وغير ذلك والتضمخ بالفارسية بوى خوش بر خويشتن آلودن.

ويعدى بالباء كما فى تاج المصادر وقال فى القاموس التضمخ لطخ الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر قوله الروح معطوف على الملائكة والضمير لليلة القدر والجار متعلق بتنزل ويجوز ان يكون والروح فيها

جملة اسمية فى موقع الحال من فاعل تنزل والضمير للملائكة والاول هو الوجه لعدم احتياجه الى ضمير فيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ اى بأمره متعلق بتنزل وهو يدل". (١)

١٥٤. ١١٥-"ما قبله اى ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت فى إمكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وأنفسكم أعز عليكم من إخوانكم وأمرها أهم لديكم من أمرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت

ز پيش خطر تا توانى كريز ... وليكن مكن با قضا پنجه تيز

كرت زندگانى نبشتست دير ... نه مارت كز آيد نه شمشير وتير

واعلم ان الموت ليس له سن معلوم ولا أجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعدا لذلك وكان **بعض الصالحين** ينادى بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى فقد صوته امير تلك المدينة فسأل عنه فقيل انه مات فقال

ما زال يلهج بالرحيل وذكره ... حتى أناخ ببابه الجمال

فأصابه متيقظا متشمرا ... ذا أهبة لم تلهه الآمال

- روى- انه مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع مناديا يا دانيال قف ساعة ترعجبا فلم ير شيأ ثم نادى الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فاذا سرير مرصع بالدر والياقوت فاذا النداء من السرير اصعد يا دانيال ترعجبا فارتقيت السرير فاذا فراش من ذهب مشحون بالمسك والعنبر فاذا عليه شاب ميت كأنه نائم وإذا عليه من الحلي والحلل ما لا يوصف وفى يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف أشد خضرة من البقل فاذا النداء من السرير أن احمل هذا السيف واقرأ ما عليه قال فاذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم وانى عشت الف عام وسبعمائة وافتضضت اثنى عشر الف جارية وبنيت أربعين الف مدينة وهزمت سبعين الف جيش وفى كل جيش قائد مع كل قائد اثنا عشر الف مقاتل وباعدت الحكيم

---

(١) روح البيان ٤٨٤/١٠

وقربت السفيه وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الانصاف وكان يحمل مفاتيح الخزائن اربعمائة بغل وكان يحمل الى خراج الدنيا فلم ينازعنى أحد من اهل الدنيا فادعيت الربوبية فاصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بألف قفيز من درّ فلم اقدر عليه فمت جوعا يا اهل الدنيا اذكروا امواتكم ذكرا كثيرا واعتبروا بي ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى فان أهلي لم يحملوا من وزري شيأ. فعلى العاقل ان لا يركن الى الدنيا ويتذكر مرجعه ويتجنب عن المنافقة والظلم والجور ويتصف بالإخلاص والعدل والإحسان فانه هو المفيد: قال ابن الكمال

پرده دارى ميكند در طاق كسرى عنكبوت ... بوم نوبت ميزند بر قلعه افراسياب

تخم احسان را چه دارى برفشان اى بي خبر ... چونكه دانى دانه عمرت خورد اين آسياب

جعلنا الله وإياكم من المتيقظين الواصلين الى ذروة اليقين قبل حلول الاجل والحين وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً المراد بهم شهداء أحد وكانوا سبعين رجلا اربعة من". (١)

١٥٥. ١١٦-"ذلك الثواب فى غاية الشرف بقوله وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ اى حسن الجزاء على الطاعات قادر عليه وهو نعيم الجنة الباقي لا كنعيم الدنيا الفاني

نعيم آخرت باقيست اى دل ... خنك آنكس كه باشد عبد مقبل

ولا يخفى ان هذا الجزاء العظيم والاجر الجسيم للذين جمعوا بين المهاجرة والإخراج من الأوطان والتأذى فى سبيل الله والقتال والمقتولية. فعلى السالك ان يهاجر من وطن النفس والعمل السيئ والخلق الذميم ويخرج من ديار الطبيعة الى عالم الحقيقة حتى يدخل مقام العندية الخاصة فان ثمرات المجاهدات المشاهدات والعمل الصالح يستدل به على حسن العاقبة- روى- ان صفوان بن سليم كان يجتهد فى العبادة والقيام وكان يبيت على السطح فى ايام الشتاء لئلا يستريح من البرد وفى الصيف ينزل الى بيته ليعذب نفسه بحر الهولء وكان عادته ذلك الى ان مات فى سجدته ووصل الى رحمة الله وجنته فهذا هو الاجتهاد فعليك به فان احتالت نفسك عليك فى ذلك فحدثها بأخبار السلف وأحوالهم وحكاياتهم كى ترغب فى الطاعة والاجتهاد فان فى ذلك نفعا كليا وتأثيرا عظيما: قال الفاضل الجامى قدس سره

هجوم نفس وهوا كز سپاه شيطانند ... چوزور بر دل مرد خدا پرست آرد

---

(١) روح البيان ١٢٣/٢

بجز جنود حكايات رهنمايا خود ... چه تاب آنكه بران رهزنان شكست آرد

فان قالت النفس انهم كانوا رجالا أقوياء كيف يدانى بهم فى الطاعة من خلفهم فحدثها بأخبار النساء كيف كن إناثا ومع ذلك لم يتخلفن عن مجاهدات الرجال حتى وصلن الى ما وصلوا اليه كرابعة العدوية وغيرها: قال بعضهم

ولو كان النساء كمن ذكرنا ... لفضلت النساء على الرجال

فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال

: قال الشيخ السعدي قدس سره

زنانى كى طاعت برغبت برند ... ز مردان نا پارسا بگذرند

ترا شرم نايد ز مردئ خويش ... كه باشد زنانرا قبول از تو بيش

قال الحسن البصري رحمه الله يا عجبا لأقوام بلا زاد وقد نودوا بالرحيل وحبس أولهم لآخرهم وهم قعود يلعبون- حكى- ان ملك الموت دخل على **بعض الصالحين** ليقبض روحه فقال مرحبا انا والله منذ خمسين سنة أتأهب لك. ولما بلغ عبد الله بن المبارك النزع فتح عينه ثم ضحك فقال لمثل هذا فليعمل العاملون. قال بعض العلماء من أراد ان ينال الجنة فعليه ان يداوم على خمسة أشياء. الاول ان يمنع نفسه من المعاصي قال الله تعالى وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى والثاني ان يرضى باليسير من الدنيا لانه روى فى الخبر (ان ثمن الجنة الطاعة وترك الدنيا) . والثالث ان يكون حريصا على الطاعات ويتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب المغفرة ووجوب الجنة قال الله تعالى وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. والرابع ان يحب الصالحين". (١)

١٥٦. ١١٧-"ويؤمر بهم الى النار) قالوا يا رسول الله مصلين قال (نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون سنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه) قالت عائشة رضى الله عنها قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر على بطنه من السغب فقال (يا عائشة والذي نفسى بيده لو سألت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لا جراها حيث شئت من الأرض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد) - وروى- انه عليه السلام عرض

---

(١) روح البيان ١٥٢/٢

عليه عشار من النوق وهى الحوامل منها فاعرض عنها وغض بصره مع انها من أحب الأموال إليهم وأنفسها عندهم لانها كانت تجمع الظهر واللحم واللبن ولعظمتها فى قلوبهم قال الله عز وجل وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ فلما لم يلتفت إليها قيل له يا رسول الله هذه انفس أموالنا فلم لم تنظر إليها قال قد نهى الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ الآية هذا معاملته مع الدنيا. وفى التوجه الى الآخرة ما كان يريد الا الرفيق الأعلى قال صلى الله عليه وسلم (انا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم ومن دونه ولا فخر وانا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر) والمقصود ان فى الفقر والقناعة فضيلة وان الفقراء يدخلون الجنة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الأغنياء

اى قناعت توانگرم گردان ... كه وراى تو هيچ نعمت نيست

كنج صبر اختيار لقمانست ... هر كرا صبر نيست حكمت نيست

فعلى العبد العاقل ان يجتنب عن الدنيا وإخوانها ويرغب فى الآخرة وجنانها بل يترقى الى الوصول الى الله تعالى. قال ابو يزيد البسطامي قدس سره فى عباد الله عبد لواعطى الجنات بزينتها لهرب كما يهرب اهل النار من النار وهو الذي غلب عليه محبة الله فلا يميل الى غيره ومن ذلك المقام قال ابو يزيد غاب قلبى عنى ثمانين سنة فلما أردت ان آخذه قيل أتطلب غيرنا- وحكى- عن **بعض الصالحين** انه رأى فى المنام معروف الكرخي شاخصا بصره نحو العرش قد اشتغل عن الحور العين وقصور الجنة فسأل رضوان من هذا قال معروف الكرخي مات مشتاقا الى الله فاباح له ان ينظر اليه فمطمح نظر العارف الجنة المعنوية وهى جنة معرفة الله ووصوله التي هى خير من جنة الفردوس وأعلى عليين فليسارع السالك الى وصول هذه الجنة ودخولها قبل ادراك منيته وانقضاء عمره ومجيئ اجله

حضورى گر همى خواهى ازو غائب مشو حافظ ... متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهملها

أوصلنا الله وإياكم الى الحضور واليقين وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ نزلت فى عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل فى أربعين من نجران واثنين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذي مات فيه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه (اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم) فقالوا من هو قال (النجاشي) فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى

عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على". (١)

١٥٧. ١١٨-"كفرت لقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً. وكان **بعض الصالحين** له تلامذة وكان يخص واحدا منهم بإقباله عليه اكثر مما يقبل على غيره فقالوا له فى ذلك فقال أبين لكم فدفع لكل واحد من تلامذته طائرا وقال له اذبحه بحيث لا يراك أحد ودفع الى هذا ايضا فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طيره وجاء هذا بالطير حيا فقال له هلا ذبحته فقال أمرتني ان اذبحه بحيث لا يراه أحد ولم أجد موضعا لا يراه أحد فقال لهذا اخصه باقبالى عليه

جهان مرآت حسن شاهد ماست ... فشاهد وجهه فى كل ذرات

وَآتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ اليتامى جمع يتيم وهو من الناس المنفرد عن الأب بموته ومن سائر الحيوانات عن الام وحق هذا الاسم ان يقع على الصغير والكبير لبقاء معنى الانفراد عن الأب الا انه غلب استعماله فى الصغير لاستغناء الكبير بنفسه عن الكافل فكأنه خرج عن معنى اليتم وهو الانفراد والمراد بايتاء أموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل إليهم سالمة لا الإعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وإيناس الرشد وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغى ان يكون مرادهم بذلك إيصالها إليهم لا مجرد ترك التعرض لها والمعنى ايها الأولياء والأوصياء احفظوا اموال اليتامى ولا تتعرضوا لها بسوء وسلموها إليهم وقت استحقاقهم تسليمها إليهم وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ تبدل الشيء بالشيء واستبداله به أخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او فى شرف الحصول اى لا تستبدلوا الحلال المكتسب بالحرام المغتصب يعنى لا تستبدلوا مال اليتامى وهو حرام بالحلال وهو ما لكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبعوث فى الأرض فتأكلوه مكانه وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ المراد من الاكل التصرف لان أكل مال اليتيم كما يحرم فكذا سائر التصرفات المهلكة لتلك الأموال محرمة والدليل عليه ان فى المال ما لا يصح ان يؤكل وانما ذكر الاكل لانه معظم ما يقع لاجله التصرف والى بمعنى مع قال تعالى مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ اى مع الله والأصح ان المعنى لا تأكلوها مضمومة الى أموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا وإذا أكل مال اليتيم وله مال كان ذلك أقبح ولذا ورد النهى عن أكله مع مال نفسه بعد ان قال

---

(١) روح البيان ٢/١٥٥

ولا تتبدلوا إلخ إِنَّهُ اى الاكل المفهوم من النهى كانَ حُوباً كَبِيراً اى ذنبا عظيما عند الله فاجتنبوه- روى- ان رجلا من بنى غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي عليه السلام فنزلت هذه الآية فلما سمع العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم (من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره) يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه فى سبيل الله فقال عليه السلام (ثبت الاجر وبقي الوزر) فقالوا كيف بقي الوزر فقال (ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده) : قال الشيخ السعدي قدس سره

از زر وسيم راحتى برسان ... خويشتن هم تمتعى برگير

چونكه اين خانه از تو خواهد ماند ... خشتى از سيم وخشتى از زرگير". (١)

١٥٨. ١١٩-"عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلتك وان لم ادخل فذاك حين لا أراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم (والذي نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه وأبويه واهله وولده والناس أجمعين) فَأُولئِكَ اشارة الى المطيعين مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اى أتم الله عليهم النعمة وهذا ترغيب للمؤمنين فى الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الى الله وأرفعهم درجات عنده مِنَ النَّبِيِّينَ بيان للمنعم عليهم وهم الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل وَالصِّدِّيقِينَ المبالغين فى الصدق والإخلاص فى الأقوال والافعال الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هى عليها وَالشُّهَداءِ الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى إعلاء كلمة الله وَالصَّالِحِينَ الذين صرفوا أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد فى الدرجة لان التساوي بين الفاضل والمفضول لا يجوز ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أراد وان بعد ما بينهما من المسافة وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً فى معنى التعجب كأنه قيل وما احسن أولئك رفيقا اى النبيين ومن بعدهم ورفيقا تمييز وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوى فيه الواحد والمتعدد والرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب

---

(١) روح البيان ١٦١/٢

واللطافة فى المعاشرة قولا وفعلا ذٰلِكَ الْفَضْلُ مبتدأ والفضل صفته وهو اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم مِنَ اللَّهِ خبره اى لا من غيره وَكَفى بِاللَّهِ عَلِيماً بجزاء من أطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله. وهذه الآية عامة فى جميع المكلفين إذ خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ فكل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات والمراتب الشريفة عند الله تعالى- روى- عن **بعض الصالحين** انه قال أخذتني ذات ليلة سنة فنمت فرأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون فقوم يمضى بهم الى الجنة وقوم يمضى بهم الى النار قال فاتيت الجنة فناديت يا اهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنان فى محل الرضوان فقالوا لى بطاعة الرحمان ومخالفة الشيطان ثم أتيت باب النار فناديت يا اهل النار بماذا نلتم النار قالوا بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمان

كجا سر بر آريم ازين عار وننك ... كه با او بصلحيم وبا حق بجنك

نظر دوست تا در كند سوى تو ... چودر روى دشمن بود روى تو

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من ابى) قيل ومن ابى قال (من أطاعني دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى) فعلى المرء ان يتبع الرسول ويتبع اولياء الله فان الأنبياء لهم وحي الهى والأولياء لهم الهام ربانى والاتباع لهم لا يخلو عن الاتباع للرسول قال عليه السلام (المرء مع من أحب) فان أحب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين كان معهم فى الجنة. وفى الآية تنبيه على انه ينبغي للعبد ان لا يتأخر من مرتبة الصلاح بل يسعى فى تكميل الصلاح ثم يترقى الى مرتبة الشهادة ثم الى الصديقة وليس بين النبوة وبين الصديقية". (١)

١٥٩. ١٢٠-"كما لا يخفى- حكى- ان **بعض الصالحين** كان يتكلم على الناس ويعظهم فمر عليه فى بعض الأيام يهودى وهو يخوفهم ويقرأ قوله تعالى وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا فقال اليهودي ان كان هذا الكلام حقا فنحن وأنتم سواء فقال له الشيخ لا ما نحن سواء بل نحن نرد ونصدر وأنتم تردون ولا تصدرون ننجو نحن منها بالتقوى وتبقون أنتم فيها جثيا بالظلم ثم قرأ الآية الثانية ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا فقال اليهودي نحن المتقون فقال له الشيخ كلا بل نحن وتلا قوله تعالى وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ الى قوله تعالى

---

(١) روح البيان ٢٣٤/٢

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ فقال اليهودي هات برهانا على صدق هذا فقال له الشيخ البرهان حاضر يراه كل ناظر وهو ان تطرح ثيابى وثيابك فى النار فمن سلمت ثيابه فهو الناجي منها ومن أحرقت ثيابه فهو الباقي فيها فنزعا ثيابهما فاخذ الشيخ ثياب اليهودي ولفها ولف عليها ثيابه ورمى الجميع فى النار ثم دخل النار فاخذ الثياب ثم خرج من الجانب الآخر ثم فتحت الثياب فاذا ثياب الشيخ المسلم سالمة بيضاء قد نطفتها النار وأزالت عنها الوسخ وثياب اليهودي قد صارت حراقة مع انها مستورة وثياب الشيخ المسلم ظاهرة للنار فلما رأى ذلك اسلم والحمد لله فهذه الحكاية مناسبة لما ذكر من الآيات إذ كفار قريش كانوا من اهل الظلم والهوى فلم ينفعهم دعواهم فصاروا الى العذاب والمؤمنون كانوا من اهل العدل والبينة والهدى فانتج تقواهم ووصلوا الى جنات مفتحة لهم الأبواب ومن سلم لباسه من النار سلم وجوده بالطريق الاولى بل الثوب فى الحقيقة هو الوجود الظاهري الذي استتر به الروح الباطني فلا بد من تطهيره المؤدى الى تطهير الباطن يسره الله وَعِنْدَهُ اى الله تعالى خاصة مَفاتِحُ الْغَيْبِ اى خزائن غيوبه. جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن والكنز والاضافة من قبيل لجين الماء وهو المناسب للمقام كما فى حواشى سعدى چلبى المفتى ويجوز ان يكون جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح اى آلة الفتح فالمعنى ما يتوصل به الى الغيب شبه الغيب بالخزائن المستوثق بها بالاقفال واثبت لها مفاتح على سبيل التخييل ولما كان عنده تلك المفاتح كان المتوصل الى ما فى الخزائن من المغيبات هو لا غير كما فى حواشى ابن الشيخ لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ تأكيد لمضمون ما قبله قال فى تفسير الجلالين وهى الخمسة التي فى قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ الآية رواه البخاري قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (مفأتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم ما فى الأرحام الا الله ولا يعلم ما فى غد الا الله ولا يعلم متى يأتى المطر الا الله ولا يدرى بأى ارض تموت النفس الا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله) وَيَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثير افرادها وهو بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها عن ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء فى الجلاء وَما تَسْقُطُ مِنْ زائدة وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُها يريد ساقطة وثابتة يعنى يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه وهى مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات وَلا حَبَّةٍ عطف على ورقة وهى بالفارسية [دانه] فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ اى كائنة فى بطونها لا يعلمها قال

الكاشفى [مراد تخميست كه". (١)

١٦٠.   ١٢١-"كارى كنيم ور نه خجالت بر آورد ... روزى كه رخت جان بجهان دگر كشيم

وَلَقَدْ جِئْتُمُونا للحساب والجزاء وهو بمعنى المستقبل اى تجيئوننا وانما ابرز فى صورة الماضي لتحققه كقوله تعالى أَتى أَمْرُ اللَّهِ والخطاب لكفار قريش لانها نزلت حين قالوا افتخارا واستخفافا للفقراء نحن اكثر أموالا وأولادا فى الدنيا وما نحن بمعذبين فى الآخرة فُرادى جمع فرد اى منفردين عن الأموال والأولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بدل من فرادى اى على الهيئة التي ولدتم عليها فى الانفراد او حال من ضمير فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غر لا بهما اى ليس بهم شىء مما كان فى الدنيا نحو البرص والعرج كذا فى القاموس وفى الخبر (انهم يحشرون يوم القيامة عراة حفاة غرلا) قالت عائشة رضى الله عنها واسوءتاه الرجل والمرأة كذلك فقال عليه السلام (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض) وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة. والتخويل تمليك الخول اى الخدم والاتباع وأحدهم خائل او الإعطاء على غير جزاء وَراءَ ظُهُورِكُمْ ما قدمتم منه شيأ ولم تحملوا نقيرا بخلاف المؤمنين فانهم صرفوا همتهم الى العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة فبقيت معهم فى قبورهم وحضرت معهم فى محفل القيامة فهم فى الحقيقة ما حضروا فرادى

چون ازينجا وارهى آنجا روى ... در شكر خانه ابد شاكر شوى

وَما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الأصنام الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ اى شركاء لله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ اى وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اى أوقع الجمع بينهما قال الكاشفى [منقطع كشت آنچه ميان شما بود از وصلت ومودت] وَضَلَّ عَنْكُمْ اى بطل وضاع ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ انها شفعاؤكم فلم يقدروا على دفع شىء من العذاب عنكم أو أنها شركاؤكم لله فى ربوبيتكم وهو الأنسب لسياق النظم ألا ترى الى قوله تعالى الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ اعلم ان للانسان اعداء اربعة هى المال والأهل والأولاد والأصدقاء وهى لا تدخل فى القبر مع الميت فيبقى فريدا وحيدا منهم. وأصدقاء اربعة هى كلمة الشهادة والصلاة والصوم وذكر الله وهى تدخل فى القبر وتشفع عند الله تعالى فتصحب الميت فلا يبقى وحيدا فعلى العاقل ان يتفكر فى تجرده وتفرده فيسعى

---

(١) روح البيان ٤٢/٣

فى تحصيل لباس له هو التقوى ومصاحب هو العمل الصالح وفى الحديث (ان عمل الإنسان يدفن معه فى قبره فان كان العمل كريما أكرم صاحبه وان كان لئيما أسلمه وان كان عملا صالحا آنس صاحبه وبشره ووسع عليه قبره ونوره وحماه من الشدائد والأهوال والعذاب والوبال وان كان عملا سيئا فزع صاحبه وروّعه واظلم عليه قبره وضيقه وعذبه وخلى بينه وبين الشدائد والأهوال والعذاب والوبال) قال اليافعي وقد سمعت عن **بعض الصالحين** فى بعض بلاد اليمن انه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس سمع فى القبر صوتا ودقا عنيفا ثم خرج من القبر كلب اسود فقال له الشيخ الصالح ويحك ايش أنت فقال انا عمل الميت فقال فهذا الضرب فيك أم فيه قال بل فى وجدت عنده سورة يس وأخواتها فحالت بيني وبينه وضربت وطردت فانظر انه لما قوى عمله الصالح غلب على عمله الطالح". (١)

١٦١. ١٢٢-"زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ من الخير والشر والطاعة والمعصية باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ مالك أمرهم مَرْجِعُهُمْ اى رجوعهم بالبعث بعد الموت فَيُنَبِّئُهُمْ [پس خبر دهد ايشانرا] من غير تأخير بِما كانُوا يَعْمَلُونَ فى الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة وهى ان كل ما يظهر فى هذه النشأة من الأعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر فى النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت فى الدنيا بصورة يستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال عليه السلام (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) فاعمال الكفرة قد برزت لهم فى هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الطغاة وستظهر فى النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان أعمالهم ماذا فعبر عن إظهارها بصورها الحقيقية بالأخبار بها لما ان كلامنهما سبب للعلم بحقيقتها كما هى كذا فى تفسير الإرشاد ويظهر صور الأعمال القبيحة لاهل السلوك فى البرزخ الدنيوي فيجتهدون فى تبديلها- حكى- عن

الشيخ ابى بكر الضرير رحمه الله قال كان فى جوارى شاب حسن الوجه يصوم النهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءنى يوما وقال يا أستاذ انى نمت عن وردى الليلة فرأيت كأن محرابى قد انشق وكأنى بجوار قد خرجن من المحراب لم ار احسن وجها منهن وإذا فيهن واحدة شوهاء لم ار أقبح منها منظرا

---

(١) روح البيان ٦٩/٣

فقلت لمن أنتن ولمن هذه فقلن نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك فلو مت فى ليلتك هذه لكانت هذه حظك ثم انشأت الشوهاء تقول

اسأل لمولاك واردديني الى حالى ... فانت قبحتنى من بين اشكالى

وقد أردت بخير إذ وعظت بنا ... ابشر فانت من المولى على حال

قالت جارية من الحسان

نحن الليالى اللواتى كنت تسهرها ... تتلو القرآن بترجيع ورنات

وقد قال بعض الكبار انكشاف عيب النفس خير من انكشاف الملكوت إذا المقصود إصلاح الطبيعة والنفس والاكل والشرب والمنام من الصفات البهيمية التي هى مقتضى الطبيعة وفى التأويلات النجمية زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ من المقبولين اعمال اهل القبول ومن المردودين اعمال اهل الرد ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ اى باقدام تلك الأعمال كلا الفريقين يذهبون الى ربهم فَيُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ اما اهل القبول فيسلكون على أقدام الأعمال الصالحة طريق اللطف فينبئهم بالفضل والإحسان انهم كانوا يحسنون واما اهل الرد فيقطعون على أقدام المخالفات فى بوادي القهر والهلكات فينبئهم بالعدل والخسران انهم كانوا يسيئون انتهى وفى المثنوى

جمله دانند هين اگر تو نكروى ... هر چه مى كاريش روزى بدروى

وعن **بعض الصالحين** قال كانت فى جانبي عجوز قد أضنتها العبادة فسألتها ان ترفق بنفسها". (١)

١٦٢. ١٢٣-"وقال الحافظ

كر جان بدهد سنك سيه لعل نكردد ... با طينت أصلي چه كند بد كهر افتاد

واما قول المولوى قدس سره فى المثنوى

كر تو سنك خاره ومرمر شوى ... چون بصاحب دل رسى كوهر شوى

فاشارة الى المستبعد بحكم الأصل فان التربية تنفع فيه فجميع المعجزات من الأنبياء والكرامات من الأولياء علمية كانت او كونية تربية لمن فى زمانهم فمن حسن استعداده مال واهتدى ومن فسد اعرض وضل وترى كثيرا من المغرورين المشغولين باحكام طبائعهم الخبيثة ونفوسهم المتمردة يقولون كالطلبة لو انا صادفنا المرشد الكامل ورأينا منه العلامة واضحة لكنا أول من يسلك بطريقتهم ويتمسك بأذيال

---

(١) روح البيان ٨٤/٣

حقيقتهم فقل لهم ان الشمس شمس وان لم يرها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه الممرور والطالب المستعد لا يقع فى الامنية ولا يضيع نقد عمره بخسارة بل يجتهد كل حين بما أمكن له من الطاعات ويكون فى طريق الطلب فان ما لا يدرك كله لا يترك قله: قال فى المثنوى

كر كران وكر شتابنده بود ... عاقبت جوينده يابنده بود

ثم هذا الاستعداد وانشرح الصدر فى طريق الحق نور من الله تعالى يقذفه فى قلب أي عبد شاء وليس بحداثة السن ولا بالشيخوخة وكم رأيت وسمعت من غلبه الحال فى عنفوان عمره وعنوان امره وعن بعض الصالحين قال حججت سنة من السنين وكانت سنة كثيرة الحر والسموم فلما كان ذات يوم وقد توسطنا ارض الحجاز انقطعت عن الحاج وغفلت قليلا فلم أشعر ليلا الا وانا وحدي فى البرية فلاح لى شخص امامى فاسرعت اليه ولحقته وإذا به غلام امرد لا نبات بعارضيه كأنه القمر المنير والشمس الضاحية وعليه اثر الدلال والترف فقلت له السلام عليك يا غلام فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا ابراهيم فعجبت منه كل العجب ورابنى امره فلم أتمالك ان قلت له يا غلام سبحان الله من اين تعرفني ولم ترنى قبلها فقال لى يا ابراهيم ما جهلت مذ عرفت ولا قطعت مذ وصلت فقلت ما الذي اوقعك فى هذه البرية فى مثل هذه السنة الكثيرة الحر والقيظ فاجابنى يا ابراهيم ما آنس بسواه ولا رافقت غيره وانا منقطع اليه بالكلية مقر له بالعبودية فقلت له من اين المأكول والمشروب فقال لى تكفل به المحبوب فقلت والله انى خائف عليك لاجل ما ذكرت لك فاجابنى ودموعه تتحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب

فلو أجوع فذكر الله يشبعني ... ولا أكون بحمد الله عطشانا

وان ضعفت فوجد منه يحملنى ... من الحجاز الى أقصى خراسانا

فقلت له بالله عليك يا غلام ألا ما أعلمتني حقيقة عمرك فقال اثنتا عشرة سنة ثم رجوته فدعا لى باللحوق الى أصحابي فلما وقفنا بعرفة ودخلنا الحرم إذا انا بالغلام وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يبكى ويناجى ثم وقع ساجدا ومات الى رحمة الله تعالى ثم رأيته فى المنام فقلت ما الذي فعل بك إلهك فقال أوقفني بين يديه وقال لى ما بغيتك فقلت الهى وسيدى أنت بغيتي فقال لى". (١)

---

(١) روح البيان ٨٧/٣

١٦٣. ١٢٤-"لكونهم يرون فى صورة الرجال كما عبر به عن الجن فى قوله تعالى وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ لكونهم فى صورة الرجال يقولون حين أشرفوا على اهل النار ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين لانهم مكلفون كبنى آدم فلا ينكر ان يدعوا الله لانفسهم بالأمن والتاسع هم الشهداء الذين خرجوا الى الغزو وغزوا فى سبيل الله بغير اذن آبائهم فقتلوا شهداء فاعتقوا من النار بان قتلوا فى سبيل الله واحتبسوا عن الجنة بعصيانهم آباءهم والعاشر قوم رضى عنهم آباؤهم دون أمهاتهم او أمهاتهم دون آبائهم والحادي عشر انهم أولاد الزنى والثاني عشر أولاد المشركين والثالث عشر هم الذين ماتوا فى الفترة ولم يبدلوا دينهم وزمان الفترة هو الزمان الذي بين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما والرابع عشر هم قوم كانت لهم صغائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب فى الدنيا فوقفوا وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم فيقع فى مقابلة صغائرهم والخامس عشر هم الذين ذكرهم الله فى القرآن اصحاب الذنوب العظام من اهل القبلة- روى- عن **بعض الصالحين** انه

قال أخذتنى ذات ليلة سنة فنمت فرأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون فقوم يمضى بهم الى الجنة وقوم يمضى بهم الى النار قال فاتيت الى الجنة فناديت يا اهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنان فى محل الرضوان فقالوا لى بطاعة الرحمن ومخالفة الشيطان ثم أتيت الى باب النار فناديت يا اهل النار بماذا نلتم النار قالوا بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن قال فنظرت فاذا بقوم موقوفون بين الجنة والنار فقلت ما بالكم موقوفون بين الجنة والنار فقالوا لنا ذنوب جلت وحسنات قلت فالسيئات منعتنا من دخول الجنة والحسنات منعتنا من دخول النار وانشدوا

نحن قوم لنا ذنوب كبار ... منعتنا من الوصول اليه

تركتنا مذبذبين حيارى ... أمسكتنا عن القدوم عليه

هذا ما تيسر لى جمعه من الأقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال والاشارة ان بين اهل النار واهل الجنة حجابا وهو من أوصاف البشرية والأخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى اهل النار اهل الجنة من وراء ذلك الحجاب وبين اهل الجنة واهل الله وهم اصحاب الأعراف حجابا وهو من الأوصاف الخلقية والأخلاق الحميدة الروحانية فلا يرى اهل الجنة اهل الله من وراء ذلك الحجاب كما قال الله تعالى وَبَيْنَهُما حِجابٌ وَعَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ يعنى اصحاب الأعراف يعرفون اهل الجنة والنار بما يتوسمون فى سيماهم من آثار نور القلب وظلمته وسميت الأعراف اعرافا لانها مواطن

اهل المعرفة وانما سمى الله اهل المعرفة رجالا لانهم بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال فى النساء ولا يتصرف فيهم شيء منه كقوله رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وحيث ما ذكر الله الخواص ذكرهم برجال كقوله رِجالٌ صَدَقُوا وكقوله فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا لان وجه الامتياز بين الخواص والعوام بالرجولية فى طلب الحق وعلو الهمة فان اصحاب الأعراف بعلو هممهم ترقوا عن حضيض البشرية ودركات النيران وصعدوا على ذروة الروحانية ودرجات الجنان وما التفتوا الى نعيم الدارين وما ركنوا الى كمالات المنزلين حتى عبروا عن المكونات وأقاموا على الأعراف". (١)

١٦٤. ١٢٥-"والعجب النفساني وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ يعنى صفات القلب لاستخدام النفس وصفاتها وَفِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ يعنى فكان فى استخدام صفات القلب للنفس وصفاتها بان تعمل الصالحات رياء وسمعة لجلب المنافع الدنيوية لحظوظ النفس بلاء عظيم من ربكم فخلصكم منه لئلا تطلبوا غيره ولا تعبدوا سواه فلا تركنوا الى الروحانية والى المعقولات لكى تظفروا بمراتب الوصول ودرجات الوصال كذا فى التأويلات النجمية وعن بعض الكبار أول وصال العبد الحق هجرانه لنفسه وأول هجران الحق العبد مواصلته لنفسه وأول درجات القرب محو شواهد النفس واثبات شواهد الحق ومن طلب الدلالة فانها لا غاية لها ومن طلب الله عز وجل وحده باول خطوة يقصده بها: قال الحافظ

غرض ز مسجد وميخانه أم وصال شماست ... جز اين خيال ندارم خدا كواه منست

قال بعض الصالحين عرضت على الدنيا بزينتها فاعرضت عنها ثم عرضت الاخرى بحورها وقصورها وزينتها فاعرضت عنها فقيل لى لو أقبلت على الاولى حجبناك عن الاخرى ولو أقبلت على الاخرى حجبناك عنا فها نحن لك وقسمتك فى الدارين تأتيك وقال احمد بن حضرويه رأيت رب العزة فى المنام فقال لى يا احمد كل الناس يطلبون منى الا أبا يزيد فانه يطلبنى وقال ابراهيم بن أدهم رأيت جبريل عليه السلام فى المنام وبيده قرطاس فقلت ما تصنع به قال اكتب اسماء المحبين فقلت اكتب تحتهم محب المحبين ابراهيم بن أدهم فنودى يا جبريل اكتبه فى أولهم وَواعَدْنا الوعد عبارة عن الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها مُوسى اسم أعجمي لا اشتقاق فيه واما موسى الحديد فهو مفعل من اوسيت رأسه إذا حلقته او فعلى من ماس يميس إذا تبختر فى مشيه فسميت موسى لكثرة اضطرابها وتحركها وقت الخلق ثَلاثِينَ لَيْلَةً [سى شبانه روز چون مدار حساب شهور عرب برؤية هلالست وآن

---

(١) روح البيان ٣/١٦٨

بشب مرئى ميشود تاريخ را بشب مقيد كرد] وثلاثين مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اى تمام او مكث ثلاثين قال ابن الشيخ الموعود يجب ان يكون من فعل الواعد ونفس الثلاثين ليس كذلك فكأنه قيل وواعدنا موسى ما يتعلق بثلاثين ليلة وهو منا إنزال عند إتمام صوم الثلاثين ومن موسى صوم تلك المدة وإتيان الطور انتهى بتغيير عبارته فواعدنا ليس بمعنى وعدنا بل على بابه بناء على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ اى زدنا على تلك الثلاثين عشر ليال فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ ما وقت له فى الوقت الذي ضرب له والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات وقت تقدر لان يقع فيه عمل من الأعمال وان الوقت ما يقع فيه شيء سواء قدره مقدر لان يقع فيه ذلك الشيء أم لا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً حال من قوله ميقات ربه اى تم بالغا هذا العدد وقيل هو مفعول تم لانه بمعنى بلغ- روى- ان موسى عليه السلام وعد بنى إسرائيل وهم بمصر ان أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو ذو القعدة بتمامه ليكلمه ويوحى اليه ويكرمه بماتيم به امر نبوته فصامهن موسى عليه السلام على طريق المواصلة بين ليلهن ونهارهن وانما لم يجع فى تلك المدة وصبر ولم يصبر نصف". (١)

١٦٥. ١٢٦-"- وحكى- عن **بعض الصالحين** انه قال كنت ليلة فى وقت السحر فى غرفة لى على الطريق اقرأ سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه وإذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رأيت مكانها محوا ولم أر تحتها شيأ فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى ثوابا ولا أراها أثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا انا قد سمعنا مناديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت فى منامى فقلت لم فعلتم ذلك فقال مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها وفى الحديث (ان النار وأهلها يعجون من اهل الرياء) اى يتضرعون ويرفعون الصوت قيل يا رسول الله وكيف تعج النار قال (من ضر النار الذين يعذبون بها) فويل للمرائى فى عمله ومن الرياء التزيي بزى القوم تصنعا ودوران البلاد تفرجا ليتباهى بذلك على الاخوان كما يفعله اكثر المتسمين بالصوفية فى هذا الزمان فان مقصودهم ليس التقليد بلباس القوم تبركا مع التحقق بمعانيهم فهم محرومون من أنوار المعرفة واسرار الحقيقة خارجون عن دائرة الطريقة: قال الحافظ

---

(١) روح البيان ٣/٢٢٧

مدعى خواست كه آيد بتماشا كه راز ... دست غيب آمد وبر سينه نا محرم زد

فعلى العاقل اخلاص العمل وهو ارادة التقرب الى الله تعالى وتعظيم امره واجابة دعوته سواء كان من العبادات المالية او البدنية وفى التتارخانية لو افتتح الصلاة خالصا لله تعالى ثم دخل فى قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء انه لو خلا عن الناس لا يصلى ولو كان مع الناس يصلى فاما لو صلى مع الناس يحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب اصل الصلاة دون الإحسان ولا رياء فى الصوم الا ان يكون مراده من الرياضة اصفرار الوجه وهزال البدن ليظنه الناس رجلا صالحا متقيا مريدا للآخرة فانظر الى تعبه لاجل الناس ولو كان له عقل صحيح وفكر ثاقب لما فعل هذا وفى مثل هذا قالوا أخف حلما من عصفور قال حسان ابن ثابت الأنصاري رضى الله عنه

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم ... جسم البغال وأحلام العصافير

وما الدنيا حتى يطلبها العاقل بعمله ويضيع عمره الى حلول اجله وعن ابى الدرداء رضى الله عنه ان النبي عليه السلام مر بدمنة قوم فيها سخلة ميتة فقال مالاهلها فيها حاجة قالوا يا نبى الله لو كان لاهلها فيها حاجة ما نبذوها قال (فو الله الدنيا أهون على الله من هذه السخلة على أهلها) : قال السعدي قدس سره

وگر سيم اندوده باشد نحاس ... توان خرج كردن بر ناشناس

منه آب زرجان من بر پشيز ... كه صراف دانا نكيرد بچيز

چه قدر آورد بنده خورد پيس ... كه زير قبا دارد أندام پيس

نسأل الله تعالى ان يعصمنا من الزلل فى مسالك الدين ويوصلنا الى رضاه فى كل قول وعمل وهو المعين آمين بجاه النبي الامين وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ [آورده اند كه چون قريش از مكه برون آمده بحوالى منزل بنى كنانه رسيدند بجهت كيفيت قديمى كه". (١)

١٦٦.   ١٢٧-"السفل وآخر كل قدرة هو العجز فلا بد من تدارك الأمر بالتوبة والاستغفار قبل نزول ما نزل بالقوم الأشرار قال بعض الصالحين خرجت الى السوق ومعى جارية حبشية فاجلستها فى مكان وقلت لها لا تبرحي حتى أعود إليك فذهبت ثم عدت الى المكان فلم أجدها فيه فانصرفت الى منزلى وانا شديد الغضب عليها فجاءتنى وقالت لى يا مولاى لا تعجل علىّ فانك أجلستني بين قوم

---

(١) روح البيان ٣/٣٥٥

لا يذكرون الله تعالى فخشيت ان ينزل بهم خسف وانا معهم فقلت ان هذه امة قد رفع عنها الخسف إكراما لنبيها محمد صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفع عنها خسف المكان فما رفع عنها خسف القلوب يا من خسف بمعرفته وقلبه وهو فى غفلته من بلائه وكربه بادر الى حميتك ودوائك قبل موتك وفنائك وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والناس حوله (ايها الناس استحيوا من الله حق الحياء) فقال رجل يا رسول الله انا نستحيي من الله فقال (من كان منكم مستحييا فلا يبيتن ليلة الا واجله بين عينيه وليحفظ البطن وما وعى والرأس وما حوى وليذكر الموت والبلى وليترك زينة الدنيا) قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ولو أشاء ان ازينكما بزينة علم فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكنى از وى عنكما وكذلك افعل باوليائى وليس ذلك لهو انهم عليّ ولكن ليستكملوا حظهم من كرامتى

مهو جاهى از سلطنت بيش نيست ... كه ايمن تر از ملك درويش نيست

فقد تقرر حال اهل الدنيا وحال اهل الآخرة فالعاقل يعتبر ويتبصر الى ان يموت ويقبر وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ اى بعضهم على دين بعض فى الحق اى متفقون فى التوحيد وبعضهم معين بعض فى امر دينهم ودنياهم وبعضهم موصل بعض الى الدرجات العالية بسبب التربية وتزكية النفس وهم المرشدون فى طريق الله تعالى يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ اى جنس المعروف الشامل لكل خير ومنه الايمان والطاعة ويهيج بعضهم بعضا فى طلب الله وهو المعروف الحقيقي كما قال (فاحببت ان اعرف) وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ اى جنس المنكر المنتظم لكل شر ومنه الكفر والمعاصي التي تقطع العبد عن الله من الدنيا وغيرها وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ فلا يزالون يذكرون الله تعالى ويديمون مراقبة القلب وحضوره مع الله بحيث لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهم ارباب المكاشفة واصحاب القلوب وهذا بمقابلة ما سبق من قوله نسوا الله وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ بمقابلة قوله تعالى وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ فهم يؤدون الزكاة الواجبة بل ينفقون ما فضل عن كفافهم الضروري ويطهرون أنفسهم عن محبة الدنيا بالإنفاق وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ اى فى كل امر ونهى وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة قال فى التأويلات النجمية يشير الى الإخلاص فى معاملتهم فان المنافقين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ولكن لا يطيعون الله ورسوله فى ذلك وانما يطيعون النفس والهوى رعاية لمصالح دنياهم أُولئِكَ الموصوف بهذه الأوصاف الكريمة سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ اى يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة وينجيهم من العذاب الأليم

سواء كان عذاب النار او عذاب البعد من الملك الجبار بالادخال الى الجنة". (١)

١٦٧. ١٢٨-"العرش العظيم هو العرش المحيط الذي يقال له الملكوت وظاهره ما تحته من الاجرام ويقال له عالم الكون والفساد فظاهر العرش لكونه عالم الكون والفساد على التبدل والتغير وباطنه وهو العرش نفسه على حاله بخلاف العرش الكريم الذي هو الإنسان فان ظاهره من أول عمره الى آخره على الثبات وباطنه على التغير لان قلبه لا يخلو عن الافكار والتقلبات والله تعالى رب العرش العظيم ورب العرش الكريم فى الظاهر والباطن والاول والآخر هذا وقد ذكر فى فضائل هاتين الآيتين اللتين إحداهما لَقَدْ جاءَكُمْ الآية والاخرى فَإِنْ تَوَلَّوْا الآية- روى- ان أبا بكر بن مجاهد المقري رحمه الله اتى اليه أبو بكر الشبلي قدس سره فدخل عليه فى مسجده فقام اليه فتحدث اصحاب ابن مجاهد بحديثهما وقالوا أنت لم تقم لعلى بن عيسى الوزير وتقوم للشبلى فقال الا أقوم لمن يعظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى يا أبا بكر إذا كان فى غد فسيدخل عليك رجل من اهل الجنة فاذا دخل فاكرمه قال ابن مجاهد فلما كان بعد ذلك بليلتين رأيت النبي عليه السلام فقال لى يا أبا بكر أكرمك الله كما أكرمت رجلا من اهل الجنة قلت يا رسول الله بم استحق الشبلي هذا منك فقال هذا رجل يصلى خمس صلوات يذكرنى اثر كل صلاة ويقرأ لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ الى آخر السورة وذلك منذ ثمانين سنة أفلا أكرم من فعل هذا كذا فى عقد الدرر واللآلى وفيه ايضا حكى عن بعض الصالحين انه حصل له ضيق شديد فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له يا فلان لا تغتم ولا تحزن إذا كان الغد ادخل على على بن عيسى الوزير فاقرئه منى السلام وقل له بعلامة انك صليت على عند قبرى اربعة آلاف مرة يدفع لك مائة دينار عينا فلما أصبح ذهب اليه وقص عليه الرؤيا فاغر ورقت عينا علىّ بن عيسى بالدموع وقال صدق الله ورسوله وصدقت أنت يا رحل هذا شيء ما كان علم به الا الله ورسوله يا غلام هات الكيس فاحضره بين يديه فاخرج منه ثلاثمائة دينار وقال هذه المائة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه المائة الاخرى بشارة وهذه المائة الاخرى هدية لك فخرج الرجل من عنده ومعه ثلاثمائة دينار وقد زال همه وغمه ومن الله على الوزير المذكور

فترك الوزارة وعلو الرياسة وظلم السلطنة وعظمة الجبابرة وذهب الى مكة وجاور فيها ببركة ذكر النبي

(١) روح البيان ٣/٤٦٣

صلى الله عليه وسلم وتخصيصه بإرسال ذلك الرجل لما سبق له فى علم الله تعالى بما يؤول امره اليه من الخير وحسن الخاتمة خدايا بحق نبى فاطمه كه بر قول ايمان كنم خاتمه وعن أبيّ رضى الله عنه (ان آخر ما نزل هاتان الآيتان) وعن النبي صلى الله عليه وسلم (ما نزل القرآن عليّ الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله أحد فانهما أنزلتا عليّ ومعهما سبعون الف صف من الملائكة) واعلم ان الأحاديث التي ذكرها صاحب الكشاف فى اواخر السورة وتبعه القاضي البيضاوي والمولى ابو السعود رحمهم الله من اجلة المفسرين قد اكثر العلماء القول فيها فمن مثبت ومن ناف بناء على زعم وضعها كالامام الصغاني وغيره واللائح لهذا العبد الفقير سامحه الله القدير ان تلك الأحاديث لا تخلوا اما ان تكون صحيحة قوية او سقيمة ضعيفة او مكذوبة موضوعة فان كانت صحيحة قوية فلا كلام". (١)

١٦٨. ١٢٩-"المطر من السماء أربعين يوما بمياه كثيرة وامر عيون الأرض فانفجرت فكان الماءان سواء فى اللين غير ان ماء السماء كان مثل الثلج بياضا وبردا وماء الأرض مثل الحميم حرارة حتى ارتفع الماء على أعلى جبل فى الدنيا ثمانين ذراعا ثم امر الأرض فابتعلت ماءها وبقي ماء السماء لم تبتلعه الأرض فهذه البحور التي على وجه الأرض منها واما البحر المحيط فغير ذلك بل هو جزر عن الأرض حين خلق الله الأرض من زبده انتهى وَيا سَماءُ أَقْلِعِي اى أمسكي عن إرسال المطر يقال اقلع الرجل عن عمله إذا كف وأقلعت السماء إذا انقطع مطرها فالاقلاع يشترك بين الحيوانات والجمادات قال العلماء قيل مجاز مرسل عن الارادة كأنه قيل أريد ان يرتد ما انفجر من الأرض الى بطنها وان ينقطع طوفان السماء وذلك بعد أربعين يوما وليلة- روى- انه لا ينزل من السماء قطرة من ماء إلا بكيل معلوم ووزن معلوم الا ما كان يوم الطوفان فانزل بغير كيل ووزن. واصل الكلام قيل يا ارض ابلعي ماءك فبلغت ماءها ويا سماء أقلعي عن إرسال الماء فاقلعت عن إرساله وغيض الماء النازل من السماء فغاض وترك ذكره لظهور انفهامه من الكلام وَغِيضَ الْماءُ اى نقص ما بين السماء والأرض من الماء فظهرت الجبال والأرض والغيض النقصان يقال غاض الماء قل ونضب وغاضه الله نقصه يتعدى ويلزم وهو فى الآية من المتعدى لان الفعل لا يبنى للمفعول بغير واسطة حرف الجر الا إذا كان متعديا بنفسه وَقُضِيَ الْأَمْرُ اى أنجز الموعود من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين فالقضاء هاهنا بمعنى

---

(١) روح البيان ٥٤٧/٣

الفراغ كأنه قيل تم أمرهم وفرغ من إهلاكهم وإغراقهم قال فى المفتاح قيل الأمر دون ان يقال امر نوح لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك قال السيد اما لان اللام بدل من المضاف اليه كما هو مذهب الكوفية واما لانها تغنى غناء الاضافة فى الاشارة الى المعهود وَاسْتَوَتْ واستقرت الفلك واختير استوت على سويت اى

أقرت مع كونه انسب باخواته المبنية للمفعول اعتبارا لكون الفعل المقابل للاستقرار اعنى الجريان منسوبا الى السفينة على صيغة المبنى للفاعل فى قوله وهى تجرى بهم مع ان استوت اخصر من سويت عَلَى الْجُودِيِّ هو جبل بالجزيرة بقرب الموصل او بالشام او بآمد- وروى- فى الخبر ان الله تعالى اوحى الى الجبال انى انزل السفينة على جبل فتشامخت الجبال وتواضع الجودي لله تعالى فارست عليه السفينة: قال السعدي قدس سره

طريقت جز اين نيست درويش را ... كه افكنده دارد تن خويش را

بلنديت بايد تواضع كزين ... كه آن نام را نيست راهى جز اين

والتواضع آخر مقام ينتهى اليه رجال الله تعالى وحقيقته العلم بعبودية النفس ولا يصح مع العبودية رياسة أصلا لانها ضد لها ولهذا قال المشايخ قدس الله أسرارهم آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة ولا تظن ان هذا التواضع الظاهر على اكثر الناس وعلى **بعض الصالحين** تواضع وانما هو تملق لسبب غاب عنك وكل يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب منه فالتواضع سر من اسرار الله تعالى لا يهبه على الكمال الا لنبى او صديق كما فى المواقع وعن على رضى الله أشد الخلق الجبال الرواسي والحديد أشد منها إذ ينحت به الجبل والنار تغلب الحديد والماء يطفى". (١)

١٦٩. ١٣٠-"وتطويلها اللهم الا ان يفعل بعض الافعال كالاغتسال وزيارة الاخوان وتوسيع النفقة ونحوها من غير ان يخطر بباله التشبيه وعدمه كما إذا خرج بطريق التنزه والتفرج يوم نيروز النصارى او نيروز العجم واهدى شيأ الى بعض إخوانه بطريق الاتفاق او بمصلحة داعية اليه من غير ان يخطر بقلبه الموافقة فانه لا بأس به ومن قرأ يوم عاشوراء وأوائل المحرم مقتل الحسين رضى الله عنه فقد تشبه بالروافض خصوصا إذا كان بألفاظ مخلة بالتعظيم لاجل تحزين السامعين وفى كراهية القهستاني لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغى ان يذكر اولا مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافض انتهى قال حجة

---

(١) روح البيان ٤/١٣٥

الإسلام الغزالي يحرم على الواعظ وغيره راوية مقتل الحسين وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فانه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم اعلام الدين وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة ولعل ذلك لخطأ فى الاجتهاد لا لطلب الرياسة والدنيا كما لا يخفى وقال عز الدين بن عبد السلام فى فصل آفات اللسان الخوض فى الباطل هو الكلام فى المعاصي كحكاية احوال الوقاع ومجالس الخمور وتجبر الظلمة وكحكاية مذاهب اهل الأهواء وكذا حكاية ما جرى بين الصحابة رضى الله عنهم انتهى قال فى عقد الدرر ويح قاتل الحسين كيف حاله مع أبويه وجده وانشدوا

لا بد ان ترد القيامة فاطم ... وقميصها بدم الحسين ملطخ

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ... والصور فى يوم القيامة ينفخ

وفى الحديث (قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب اهل الدنيا) قال فى انسان العيون أرسل اهل الكوفة الى الحسين ان يأتيهم ليبايعوه فاراد الذهاب إليهم فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه الحسن فأبى الا ان يذهب فبكى ابن عباس رضى الله عنهما وقال واحسيناه ولم يبق بمكة الا من حزن على مسيره وقدم امامه الى الكوفة مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة للحسين اثنا عشر الفا وقيل اكثر من ذلك ولما شارف الكوفة جهز اليه أميرها من جانب يزيد وهو عبد الله بن زياد عشرين الف مقاتل وكان أكثرهم ممن بايع لاجل السحت العاجل على الخير الآجل فلما وصلوا اليه ورأى كثرة الجيوش طلب منهم احدى ثلاث اما ان يرجع من حيث جاء أو يذهب الى بعض الثغور او يذهب الى يزيد يفعل فيه ما أراد فابوا وطلبوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فابى فقاتلوه الى ان أثخنته الجراحة فسقط الى الأرض فحزوا رأسه وذلك يوم عاشوراء عام احدى وستين ووضع ذلك الرأس بين يدى عبد الله بن زياد قال فى روضة الأخيار قبر الحسين رضى الله عنه بكربلاء وهى من ارض العراق ورأسه بالشام فى مسجد دمشق على رأس اسطوانة وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم **بعض الصالحين** فى النوم فقال يا رسول الله بابى أنت وأمي ما ترى فتن أمتك فقال زادهم الله فتنة قتلوا الحسين ولم يحفظونى ولم يراعوا حقى فيه وعن الشعبي مر على رضى الله عنه بكربلاء عند مسيره الى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل كربلاء فبكى حتى بل الأرض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال (كان عندى

جبريل آنفا وأخبرني ان ولدي الحسين يقتل بشاطئ". (١)

١٧٠. ١٣١-"اذكر لك ما جرى فكتمت الحال فتاب الرجل واستغفر وتضرع الى الحق واعتدت المرأة ثم جدد العقد عليها ومن رأى الحق تعالى فى صورة يردها الدليل لزم ان يعبر تلك الصورة التي توجب النقصان ويردها الى الصورة الكمالية التي جاء بها الشرع فما لم يكن عليه لا ينسب اليه تعالى كما فى الأسماء فما لم يطلق الشرع عليه ما لنا ان ننسبه اليه وتلك الصورة التي ردها الدليل وجعلها مفتقرة الى التعبير ما فى حق حال الرائي يحسب مناسبته لتلك الصورة المردودة او المكان الذي يراه فيه او فى حقهما معا- حكى- ان **بعض الصالحين** فى بلاد الغرب رأى الحق تعالى فى المنام فى دهليز بيته فلم يلتفت اليه فلطمه فى وجهه فلما استيقظ قلق قلقا شديدا فاخبر الشيخ الأكبر قدس سره بما رأى وفعل فلما رأى الشيخ ما به من القلق العظيم قال له اين رأيته قال فى بيت لى قد اشتريته قال الشيخ ذلك الموضع مغصوب وهو حق للحق المشروع اشتريته ولم تراع حاله ولم تف بحق الشرع فيه فاستدركه فتفحص الرجل عن ذلك فاذا هو من وقف المسجد وقد بيع بغصب ولم يعلم الرجل ولم يلتفت الى امره فلما تحقق رده الى وقف المسجد واستغفر الله ولعل الشيخ علم من صلاح الرائي وشدة قلقه انه ليس من قبيل الرائي فسأله عن المكان الذي رأى فيه فمثل هذا إذا رؤى يجب تأويله. واما إذا كان التجلي فى الصورة النورية كصورة الشمس او غيرها من صور الأنوار كالنور الأبيض والأخضر وغير ذلك أبقينا تلك الصورة المرئية على ما رأينا كما نرى الحق فى الآخرة فان تلك الرؤية تكون على قدر استعدادنا فافهم المراتب والمواطن حتى لا تزل قدمك عن رعاية الظاهر والباطن وقد جاء فى الحديث (ان الحق يتجلى بصورة النقصان فينكرونه ثم يتحول ويتجلى بصورة الكمال والعظمة فيقبلونه ويسجدون له) فمن صورة مقبولة ومن صورة مردودة فما يحتاج الى التعبير ينبغى ان لا يترك على حاله فان موطن الرؤيا وهو عالم المثال يقتضى التعبير ولذا قال ملك مصر أَفْتُونِي فِي رُءْيايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ قالُوا استئناف بيانى فكأنه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هى أَضْغاثُ أَحْلامٍ تخاليطها اى أباطيلها وأكاذيبها من حديث نفس او وسوسة شيطان فان الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما حدث المرء نفسه على ما ورد فى الحديث. والأضغاث جمع ضغث قال فى القاموس الضغث بالكسر قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس وأضغاث أحلام رؤيا

---

(١) روح البيان ٤/١٤٣

لا يصح تأويلها لاختلاطها انتهى.
والأحلام جمع حلم بضم اللام وسكونها وهى الرؤيا الكاذبة لا حقيقة لها لقوله عليه السلام الرؤيا من الله والحلم من الشيطان واضافة الاضغاث الى الأحلام من قبيل لجين الماء وهو الظاهر كما فى حواشي سعد المفتى وجمعوا الضغث مع ان الرؤيا واحدة مبالغة فى وصفها بالبطلان فان لفظ الجمع كما يدل على كثرة الذوات يدل ايضا على المبالغة فى الاتصاف كما تقول فلان يركب الخيل لمن لا يركب إلا فرسا واحدا او لتضمنها أشياء مختلفة من السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الحضر والآخر اليابسات فتأمل حسن موضع الأضغاث مع السنابل فله در شأن التنزيل وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ اى المنامات الباطلة التي لا اصل لها بِعالِمِينَ لا لان لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تأويل لها وانما التأويل للمنامات". (١)

١٧١. ١٣٢-"وعن ابن عباس رضى الله عنهما

إذا كثر الطعام فحذرونى ... فان القلب يفسده الطعام

إذا كثر المنام فنبهونى ... فان العمر ينقصه المنام

إذا كثر الكلام فسكتونى ... فان الدين يهدمه الكلام

إذا كثر المشيب فحرّكونى ... فان الشيب يتبعه الحمام

وفى الخبر (إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فان قعد وذكر الله انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة اخرى وان صلى ركعتين انحلت العقد كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح كسلان خبيث النفس) وليل القائم يتنور بنور عبادته كوجهه- يحكى- عن شاب عابد انه قال نمت عن وردى ليلة فرأيت كأنّ محرابى قد انشق وكأنى بجوار قد خرجن من المحراب لم ار احسن وجها منهن وإذا واحدة فيهن شوهاء اى قبيحة لم ار أقبح منها منظرا فقلت لمن أنتن ولمن هذه فقلن نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك فلومت فى ليلتك هذه لكانت هذه حظك وكان **بعض الصالحين** يقوم الليل كله ويصلى صلاة الصبح بوضوء العشاء كأبى حنيفة رحمه الله ونحوه قال بعضهم لان أرى فى بيتي شيطانا أحب الى من ان ارى وسادة فانها تدعو الى النوم وقال بعض العارفين ان الله يطلع على قلوب المستيقظين بالأسحار فيملأها نورا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم الى

---

(١) روح البيان ٤/٢٦٧

قلوب الغافلين وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي القبر مُدْخَلَ صِدْقٍ اى ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات وَأَخْرِجْنِي منه عند البعث مُخْرَجَ صِدْقٍ اى إخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل على هذا المعنى ذكره اثر البعث. فالمدخل والمخرج مصدران بمعنى الإدخال والإخراج والاضافة الى الصدق لاجل المبالغة نحو حاتم الجود اى ادخالا يستأهل ان يسمى ادخالا ولا يرى فيه ما يكره لانه فى مقابلة مدخل سوء ومخرج سوء وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة فيكون نزولها حين امر بالهجرة ويدل عليه قوله تعالى وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ وقيل إدخاله فى كل ما يلابسه من مكان أو أمر وإخراجه منه ورجح الأكثرون هذا الوجه فالمعنى حيثما أدخلتني وأخرجتني فليكن بالصدق منى ولا تجعلنى ذا وجهين فان ذا الوجهين لا يجوز ان يكون أمينا وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ من خزائن نصرك ورحمتك سُلْطاناً برهانا وقهرا نَصِيراً ينصرنى من اعداء الدين او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الأرض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعل له وعنه عليه السلام انه استعمل عتاب بن أسيد على اهل مكة وقال (انطلق فقد استعملتك على اهل الله) وكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة فى جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال عليه السلام (انى رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب ابن أسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقها قلقا شديدا حتى فتح له فدخلها) فاعز الله الإسلام لنصرته المسلمين على". (١)

١٧٢. ١٣٣-"الى جزهم والى العماليق والى قبائل اليمن فى زمن أبيه ابراهيم عليهما السلام قال فى القاموس جرهم كقنفذ حى من اليمن تزوج فيهم إسماعيل نَبِيًّا يخبر عن الله وكان على شريعة أبيه ابراهيم ولم يكن له كتاب انزل اليه بإجماع العلماء وكذا لوط وإسحاق ويعقوب وَكانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ الخاص وهو من اتصل به بجهة الزوجية والولاد والعام وهو من اتصل به بجهة الدعوة وهم قومه ويجوز ان يرجح الاول لان الأهم ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه قال تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ.

---

(١) روح البيان ١٩٣/٥

قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً) فانهم إذا صلحوا صلح الكل وتزيى بزيهم فى الخير والصلاح بِالصَّلاةِ التي هى اشرف العبادات البدنية وَالزَّكاةِ التي هى أفضل العبادات المالية وفيه اشارة الى ان من حق الصالح ان ينصح للاقارب والأجانب ويحظيهم بالفوائد الدينية

اى صاحب كرامت شكرانه سلامت ... روزى تفقدى كن درويش بي نوا را

وَكانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا فى الأقوال والافعال والأحوال وفى الجلالين مرضيا لانه قد قام بطاعته انتهى

اى مرد اكرت رضاء دلبر بايد ... آن بايد كرد هر چه او فرمايد

كر كويد خون كرى مكو از چه سبب ... ور كويد جان بده مكو كه نايد

وعن بعض الصالحين انه قال نزل عندى أضياف وعلمت انهم من ابدال فقلت لهم او صونى بوصية بالغة حتى أخاف الله قالوا نوصيك بستة أشياء. أولها من كثر نومه فلا يطمع فى رقة قلبه. ومن كثرا كله فلا يطمع فى قيام الليل. ومن اختار صحبة ظالم فلا يطمع فى استقامة دينه. ومن كان الكذب والغيبة عادته فلا يطمع فى ان يخرج من الدنيا مع الايمان. ومن كثر اختلاطه بالناس فلا يطمع فى حلاوة العبادة. ومن طلب رضى الناس فلا يطمع فى رضى الله تعالى واعلم ان المرضى المطلق هو الإنسان الكامل الجامع لجميع الكمالات المحيط بحقائق جميع الأشياء والصفات واما من دونه فمرضى بوجه دون وجه وعلى حال دون حال نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من اهل الرضى واليقين والسكون والتمكين آمين وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِدْرِيسَ هو جد ابى نوح فان نوحا بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام ابن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم ولد وآدم حى قبل ان يموت بمائة سنة كذا فى روضة الخطيب وقال الكاشفى [در جامع الأصول آورده كه إدريس بصد سال بعد از وفات آدم متولد شده] هو أول من وضع الميزان والمكيال وأول من اتخذ السلاح وجاهد فى سبيل الله وسبى واسترق بنى قابيل وأول من خط بالقلم ونظر فى علم الحساب والنجوم وأول منى خاط الثياب وكانوا يلبسون الجلود وأول من لبس ثوب القطن واشتقاقه من الدرس يمنعه منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته إذ روى انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً ملازما للصدق فى جميع أحواله نَبِيًّا خبر آخر لكان مخصص للاول إذ ليس كل صديق نبيا قال عباس ابن عطاء ادنى منازل المرسلين أعلى مراتب النبيين وادنى

مراتب النبيين أعلى مرتب الصديقين". (١)

١٧٣. ١٣٤-"الى انه ليس للانبياء والأولياء الا الانذار والنصح وليس لهم اسماع الصم وهم الذين لعنهم الله فى الأزل بالطرد عن جوار الحضرة الى أسفل الدنيا واصمهم وأعمى أبصارهم بحبها وطلب شهواتها فلا يسمعون ما ينذرون به وانما الاسماع لله لا للخلق كما قال تعالى وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ [واكَر برسد بكفره] والمس اللمس ويقال فى كل ما ينال الإنسان من أذى نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ اى وبالله لئن أصابهم ادنى شيء من عذابه تعالى الذي ينذربه والنفحة من الريح الدفعة ومن العذاب القطعة كما فى القاموس وعلى الاولى حمل شارح الشهاب ما وقع فى قوله عليه السلام (ان لربكم فى ايام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها) قال فى بحر العلوم من نفحته الدابة إذا ضربته اى ضربة او من نفحت الريح إذا هبت اى هبة او من نفح الطيب إذا فاح اى فوحة كما يقال شمة وقال ابن جريج اى نصيب من نفحه فلان من ماله إذا أعطاه حظا منه لَيَقُولُنَّ من غاية الاضطراب والحيرة يا وَيْلَنا [واى بر ما] وقد سبق تحقيقه إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ اى لدعوا على أنفسهم بالويل والهلاك واعترفوا عليها بالظلم حين تصاموا واعرضوا وهو بيان لسرعة تأثرهم من مجيئ نفس الوعد اثر بيان عدم تأثرهم من مجيئ خبره وفيه اشارة الى ان اهل الغفلة والشقاوة لا تنتبهون بتنبيه الأنبياء ونصح الأولياء فى الدنيا حتى يمسهم اثر من آثار عذاب الله بعد الموت فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاعترفوا بذنوبهم ونادوا بالويل والثبور على أنفسهم بما كانوا ظالمين فالظلم يجلب النقم ويسلب النعم سواء كان ظلم الغير او ظلم النفس فليجتنب المؤمن من اسباب العذاب والنقمة وليأت الى باب النجاة والرحمة وذلك بالمجاهدة وقمع الهوى واختيار طريق الطاعة والتقوى- روى- ان **بعض الصالحين** قال لعجوز متعبدة ارفقى بنفسك فقالت ان رفقى بنفسي يغيبنى عن باب المولى ومن غاب عن باب المولى مشتغلا بالدنيا فقد عرض للمحن والبلوى ثم بكت وقالت وا سوأتاه من حسرة السباق وفجيعة الفراق اما حسرة السباق فاذا قاموا من قبورهم وركب الأبرار نجائب الأبرار وقدمت بين يديهم نجائب المقربين بقي المسبوق فى جملة المحرمين واما فجيعة الفراق فاذا جمع الخلق فى مقام واحد امر الله تعالى ملكا ينادى ايها الناس امتازوا فان المتقين قد فازوا كما قال تعالى وَامْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ فيمتاز الولد من والديه والزوج من زوجته والحبيب من حبيبه فهذا يحمل مبجلا الى رياض الجنة وهذا يساق

(١) روح البيان ٣٤١/٥

مسلسلا الى عذاب الجحيم فاين من يمسه العذاب ممن يصل اليه الثواب واعلم ان الانذار ابلغ فانه من باب التخلية فلابد للعاصى من التخوف على المعاصي والإصغاء الى الموعظة والنصيحة الموقظة فانه سوف يقول المعرضون لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ وهم الصم فى الحقيقة: قال الشيخ سعدى

بكوى آنچه دانى سخن سودمند ... وكر هيچ كس را نيايد پسند

كه فردا پشيمان بر آرد خروش ... كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ الموازين جمع ميزان: بالفارسية [ترازو] والقسط العدل اى نقيم الموازين العادلة التي نوزن بها صحائف الأعمال ونحضرها او الأعمال باعتبار التجوهر". (١)

١٧٤. ١٣٥-"كالمكرم بمعنى الإكرام: وبالفارسية [يعنى چون قرآن بر كافران خوانى اثر كراهت ونفرت در روى ايشان به بينى از فرط عناد ولجاج كه با حق دارند] واعلم ان الوجوه كالمرائى فكل صورة من الإقرار والإنكار تظهر فيها فهى اثر احوال الباطن وكل اناء يترشح بما فيه كتلون وجوه قوم صالح فما ظهر عليهم فى ظاهرهم الا حكم ما استقر فى باطنهم قال الفقير

هر كرا صورت بياض الوجوه بود ... صورت حال درونش رو نمود

كر سياه ويا كبودى بود رنك ... رنك او ظاهر شد از دل بى درنگ

يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا اى يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل أخذوها تقليدا من السطوة وهى البطش برفع اليد يقال سطابه قُلْ ردا عليهم وإقناطا مما يقصدونه من الإضرار بالمسلمين أَفَأُنَبِّئُكُمْ اى أخاطبكم فأخبركم بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ الذي فيكم من غيضكم على التالين وسطوتكم بهم النَّارُ اى هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ اى النار والمصير المرجع وفيه اشارة الى ان نار القطيعة والطرد والابعاد شر من الإنكار الذي فى قلوب المنكرين فعلى العاقل ان يجتنب عن كل ما يؤدى الى الشرك والإنكار ويصحب اهل التوحيد والإقرار ويقبل الحقائق والاسرار ويحب ارباب الولاية ويبغض اصحاب الضلالة وفى بعض الاخبار يقول الله تعالى غدا يا ابن آدم اما زهدك من الدنيا فانما طلبت الراحة لنفسك واما انقطاعك الى فانما طلبت العزة لنفسك ولكن هل عاديت لى عدوا او واليت لى وليا واعلم ان الكفر والإنكار

---

(١) روح البيان ٤٨٥/٥

يؤديان الى النار كما ان التوحيد والإقرار يفضيان الى الجنة وهما من أفضل النعم فان العبد يصل بسبب التوحيد الى السعادة الابدية ولذلك كل عمل يوزن الا شهادة ان لا اله الله وإذا رسخ التوحيد فى قلب المؤمن لم يجد بدا من الإقرار والذكر كلما وجد مجالا صالحا له- حكى- ان **بعض الصالحين** رأى زبيدة امرأة هارون الرشيد فى المنام بعد الموت وسأل عن حالها فقالت غفر لى ربى فقال ابالحياض التي حفرتها بين الحرمين الشريفين فقالت لافانها كانت أموالا مغصوبة فجعل ثوابها لاربابها فقال فبم قالت كنت فى مجلس شرب الخمر فامسكت عن ذلك حين اذن المؤذن وشهدت ما شهد المؤذن فقال الله تعالى لملائكته أمسكوا عن عذابها لو لم يكن التوحيد راسخا فى قلبها لما ذكرتنى عند السكر فغفر لى واحسن حالى واما اهل النار والمؤاخذة فالادنى منهم عذابا يتنعل من نار يغلى منه دماغه ولذلك قال الله تعالى (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) فانه لا راحة فيها لاحد عصمنا الله وإياكم من نار البعد وعذاب السعير انه خير عاصم ومجير يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ اى بين لكم حالة مستغربة او قصة بديعة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير فى الأمصار والاعصار فَاسْتَمِعُوا لَهُ اى للمثل استماع تدبر وتفكر: وبالفارسية [پس بشنويد آن مثل را بكوش هوش ودر ان تأمل كنيد وفى التأويلات النجمية يشير بقوله (يا أَيُّهَا النَّاسُ) الى اهل النسيان عن حقيقة الأمر بالعيان فلا بد لهم من ضرب مثل لعلهم ينبهون من نوم الغفلة فالخطاب لناسى عهد الميثاق عامة". (١)

١٧٥. ١٣٦-"أشهدك انى قد أجرته) قالوا وما زمهرير جهنم قال (بيت يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده) اى يتفرق ويتفسخ. وينبغى ان يذكر بكاء العصاة على الصراط عند رؤية نزول المطر من السماء قالت رابعة القيسية ما سمعت الاذان إلا ذكرت منادى يوم القيامة وما رأيت الثلوج الا ذكرت تطاير الكتب وما رأيت الجراد الا ذكرت الحشر. وان يذكر حمرة وجوه المشتاقين عند رؤية الريحان الأحمر. وبياض وجه المؤمنين عند رؤية الأبيض. وصفرة وجوه العصاة عند رؤية الأصفر. وغبرة وجوه الشبان والنسوان الحسان فى القبر بعد سبعة ايام عند رؤية الريحان الأكهب وهو ماله لون غبرة وفى كشف الاسرار [كل زرد طبيبى است براى شفاى عالم واو خود بيمار. كل سرخ كويى مست است از ديدار او همه هشيار كشته واو در خمار. كل سپيد كويى ستم رسيده ايست از دست روزكار جوانى بباد داده وعمر رسيده بكنار در وقت اعتدال سال دو آفتاب برآيد از مطلع غيب يكى

(١) روح البيان ٦/٦٠

خورشيد جمال فلكى ويكى خورشيد جمال ملكى آن يكى بر كل تابد كل شكفته كردد اين يكى بر دل تابد دل افروخته كردد چون كل شكفته شد بلبل برو عاشق شود دل كه افروخته شد نظر خالق درو حاضر بود. كل باخر بريزد بلبل در هجر او ماتم كيرد. دل كر بماند حق تعالى او را در كنف الطاف وكرم كيرد: قلب المؤمن لا يموت ابدا]

چشمى كه ترا ديد شد از درد معاف ... جانى كه ترا يافت شد از مرك مسلم

وخرج ابن السماك قدس سره ايام الربيع فنظر الى الأنوار فصاح وقال يا منور الأشجار بانواع الأنوار نور قلوبنا بذكرك وحسن طاعتك **وبعض الصالحين** كانوا يبكون ايام الربيع شوقا الى الله تعالى ومنهم من يبكى خوفا من الفراق- حكى- ان الشيخ الشبلي قدس سره خرج يوما فوجده أصحابه تحت شجرة يبكى فقيل له فى ذلك قال مررت بهذه الشجرة فقطع منها غصن ووقع على الأرض وهو بعد اخضر لا خبر له بقطعه من أصله فقلت يا نفس ماذا أنت صانعة ان لو قطعت من الحق ولا علم لك بذلك فجلس أصحابه يبكون ويقال الربيع يدل على نعيم الجنة وراحتها والإنسان الكامل فى الربيع يظهر تأسفا وحسرة فلا يدرى سبب ذلك وذلك ان الأرواح كلها

كانت فى صلب آدم عليه السلام حين كان فى الجنة فلما تفرقت فى انفس أولاده فاذا رأت شبه الجنة او زهرة او طيبا ذكرت نعيم الجنة فاسفت على مفارقتها وجزعت على الخروج منها ونظر بعض العلماء الى الورد فبكى وقال ان الميت يبكى فى الأرض الا بياض عينيه فاذا جاء الربيع وانفتح الورد انشق بياض عينيه وإذا تزوجت امرأته انشق قلبه بنصفين ويقال فى الآية كيف يحيي الأرض يعنى نفس المؤمن بعد يبوستها من الطاعات- روى- فى الخبر (من احيي أرضا ميتة فهى له) فالله تعالى احيي نفس المؤمن وقلبه فهو له لا للشيطان كذلك التائب إذا احيي نفسه بالطاعة فهو للجنة لا للنار ويقال يحيي النفوس بعد فترتها بصدق الإرادات ويحيي القلوب بعد غفلتها بانوار المحاضرات ويحيي الأرواح بعد حجبتها بدوام المشاهدات

أموت إذا ذكرتك ثم احيي ... فكم احيي عليك وكم أموت". (١)

١٧٦. ١٣٧-"وهو أعلى مقامات الطريق وآخر مقام ينتهى اليه رجال الله وحقيقة العلم بعبودية النفس ولا يصح من العبودية رياسة أصلا لانها ضد لها. ولهذا قال ابو مدين قدس سره آخر ما يخرج

---

(١) روح البيان ٥٣/٧

من قلوب الصديقين حب الرياسة ولا تظن ان هذا التواضع الظاهر على اكثر الناس وعلى بعض الصالحين تواضع وانما هو تملق بسبب غاب عنك وكل يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب منه فالتواضع شريف لا يقدر عليه كل أحد فانه موقوف على صاحب التمكين فى العالم والتحقق فى التخلق كذا فى مواقع النجوم لحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر- روى- ان لقمان كان نائما نصف النهار فنودى يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة فى الأرض وتحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم علىّ اى جزم فسمعا وطاعة فانى اعلم ان فعل بي ذلك أعانني وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان أصاب فبالحرى ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه ثم نام نومة اخرى فاعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها قال الكاشفى [حق سبحانه وتعالى او را بسنديد وحكمت را برو إفاضه كرد بمثابه كه ده هزار كلمه حكمت ازو منقولست كه هر كلمه بعالمى ارزد] فانظر الى قابليته وحسن استعداده لحسن حاله مع الله واما امية بن ابى الصلت الذي كان يأمل ان يكون نبى آخر الزمان وكان من بلغاء العرب فانه نام يوما فاتاه طائر وادخل منقاره فى فيه فلما استيقظ نسى جميع علومه لسوء حاله مع الله تعالى ثم نودى داود بعد لقمان فقبلها فلم يشترط ما اشترط لقمان فوقع منه بعض الزلات وكانت مغفورة له وكان لقمان يوازره بحكمته: يعنى [وزيرىء وى ميكند بحكمت] فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى واعطى داود الخلافة وابتلى بالبلية والفتنة

در قصر عافيت چهـ نشينيم اى سليم ... ما را كه هست معركهاى بلا نصيب

وقال

دائم كه شاد بودن من نيست مصلحت ... جز غم نصيب جان ودل ناتوان مباد

ولما كانت الحكمة من انعام الله تعالى على لقمان ونعمة من نعمه طالبه بشكره بقوله أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ اى قلنا له اشكر لله على نعمة الحكمة إذ آتاك الله إياها وأنت نائم غافل عنها جاهل بها وَمَنْ [وهر كه] يَشْكُرْ له تعالى على نعمه فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ لان منفعته التي هى دوام النعمة واستحقاق مزيدها عائدة إليها مقصورة عليها ولان الكفران من الوصف اللازم للانسان فانه ظلوم كفار والشكر من صفة الحق تعالى فان الله شاكر عليم فمن شكر فانما يشكر لنفسه بازالة صفة الكفران عنها واتصافها

بصفة ساكرية الحق تعالى وَمَنْ كَفَرَ نعمة ربه فعليه وبال كفره فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عنه وعن شكره حَمِيدٌ محمود فى ذاته وصفاته وأفعاله سواء حمده العباد وشكروه أم كفروه ولا يحصى عليه أحد ثناء كما يثنى هو على نفسه وعدم التعرض لكونه تعالى شكورا لما ان الحمد متضمن للشكر وهو رأسه". (١)

١٧٧. ١٣٨-"بعد الفناء فى الوحدة فيتكلموا بالحق عن الحق للحق فاذا سمع اهل الباطن كلامهم فى الحقائق من ربهم أنكر عليهم اهل الغفلة انه من الله

زد شيخ شهر طعنه بر اسرار اهل دل ... المرء لا يزال عدوا لما جهل «١»

ثم اضرب عنه الى بيان حقيقة ما أنكروه فقال بَلْ [نه چنين است كافران ميكويند بلكه] هُوَ اى القرآن الْحَقُّ [سخن درست وراست است فرآمده] مِنْ رَبِّكَ [از پروردگار تو] ثم بين غايته فقال لِتُنْذِرَ [تا بيم كنى از عذاب الهى] قَوْماً هم العرب ما نافية أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مخوف مِنْ قَبْلِكَ اى من قبل إنذارك او من قبل زمانك إذ كان قريش اهل الفطرة وأضل الناس وأحوجهم الى الهداية لكونهم امة أمية وفى الحديث (ليس بينى وبينه نبى) اى ليس بينى وبين عيسى نبى من العرب اما إسماعيل عليه السلام فكان نبيا قبل عيسى مبعوثا الى قومه خاصة وانقطعت نبوته بموته واما خالد بن سنان فكان نبيا بعد عيسى ولكنه إضاعة قومه فلم يعش الى ان يبلغ دعوته وقد سبقت قصته على التفصيل فعلم من هذا ان اهل الفطرة ألزمتهم

الحجة العقلية لانهم كانوا عقلاء قادرين على الاستدلال لكنهم لم تلزمهم الحجة الرسالية لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ بانذارك إياهم والترجي معتبر من جهته عليه السلام اى لتنذرهم راجيا لاهتدائهم الى التوحيد والإخلاص فعلم منه ان المقصود من البعثة تعريف طريق الحق وكل يهتدى بقدر استعداده الا ان لا يكون له استعداد أصلا كالمصرين فانهم لم يقبلوا التربية والتعريف وكذا من كان على جبلتهم الى يوم القيام

توان پاك كردن ز ژنك آينه ... وليكن نيايد ز سنك آينه

واما قول المثنوى

كر تو سنك صخره ومرمر شوى ... چون بصاحب دل رسى كوهر شوى

فلذلك فى حق المستعد فى الحقيقة ألا ترى ان أبا جهل رأى النبي عليه السلام ووصل اليه لكن لما رآه

---

(١) روح البيان ٧/٧٥

بعين الاحتقار وانه يتيم ابى طالب لابعين التعظيم وانه رسول الله ووصل اليه وصول عناد وانكار لا وصول قبول واقرار لم يصر جوهرا وهكذا حال ورثته مع المقرين والمنكرين ثم ان الاهتداء اما اهتداء الى الجنة ودرجاتها وذلك بالايمان والإخلاص واما اهتداء الى القربة والوصلة وذلك بالمحبة والترك والفناء والاول حال اهل العموم والثاني حال اهل الخصوص وهو أكمل من الاول فعليك بقبول الإرشاد لتصل الى المراد وإياك ومتابعة اهل الهوى فانهم ليسوا من اهل الهدى والميت لا يقدر على تلقين الحي وانما يقدر الحي تلقين الميت- روى- ان الشيخ نجم الدين الاصفهانى قدس سره خرج مع جنازة **بعض الصالحين** بمكة فلما دفنوه وجلس الملقن يلقنه ضحك الشيخ نجم الدين وكان من عادته لا يضحك فسأله بعض أصحابه عن ضحكه فزجره فلما كان بعد ذلك قال ما ضحكت الا انه لما جلس على القبر يلقن سمعت صاحب القبر يقول ألا تعجبون من ميت يلقن حيا قال الصائب

---

(١) در أوائل دفتر يكم در بيان منازعت كردن امرا با يكديكر را". (١)

١٧٨. ١٣٩-"فان كان العمل كريما أكرم صاحبه وان كان لئيما آلمه) اى ان كان عملا صالحا آنس صاحبه وبشره ووسع عليه قبره ونورّه وحماه من الشدائد والأهوال وان كان عملا سيئا فزع صاحبه وروّعه واظلم عليه قبره وضيقه وعذبه وخلى بينه وبين الشدائد والأهوال والعذاب والوبال كما جاء فى المثنوى

در زمانه مر ترا سه همره اند ... آن يكى وافى واين يك غدرمند

آن يكى ياران وديكر رخت ومال ... وآن سوم وافيست وان حسن الفعال

مال نايد با تو بيرون از قصور ... يار آيد ليك آيد تا بكور

چون ترا روز أجل آيد به پيش ... يار كويد از زبان حال خويش

تا بدينجا بيش همره نيستم ... بر سر كورت زمانى بيستم

فعل تو وافيست زو كن ملتحد ... كه در آيد با تو در قعر لحد

پس پيمبر كفت بهر اين طريق ... با وفاتر از عمل نبود رفيق

كر بود نيكو ابد يارت شود ... ور بود بد در لحد مارت شود

---

(١) روح البيان ١٠٧/٧

وعن بعض الصالحين فى بعض بلاد اليمن انه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس سمع فى القبر صوتا ودقا عنيفا ثم خرج من القبر كلب اسود فقال له الشيخ الصالح ويحك أىّ شيء أنت فقال انا عمل الميت قال فهذا الضرب فيك أم فيه قال فى وجدت عنده سورة يس وأخواتها فحالت بينه وبينى وضربت وطردت قال اليافعي قلت لما قوى عمله الصالح غلب عمله الصالح وطرد عنه بكرم الله ورحمته ولو كان عمله القبيح أقوى لغلبه وافزعه وعذبه نسأل الله الكريم الرحيم لطفه ورحمته وعفوه وعافيته لنا ولاحبابنا ولاخواننا المسلمين اللهم أجب دعانا بحرمة سورة يس تمت سورة يس فى ثانى ذى القعدة الشريف من الشهور المنسلكة فى سلك سنة عشر ومائة والف

تفسير سورة الصافات

احدى او اثنتان وثمانون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا الواو للقسم والصافات جمع صافة بمعنى جماعة صافة فالصافات بمعنى الجماعات الصافات ولو قيل والصافين وما بعدها بالتذكير لم يحتمل الجماعات. والصف ان يجعل الشيء على خط مستقيم كالناس والأشجار: وبالفارسية [رسته كردن] تقول صففت القوم من باب ردّ فاصطفوا إذا أقمتم على خط مستو لاداء الصلاة او لاجل الحرب. اقسم الله سبحانه بالملائكة الذين يصفون للعبادة فى السماء ويتراصون فى الصف اى بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد إيقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول واللاتي يقفن صفا صفا فى مقام العبودية والطاعة: وبالفارسية [وبحق فرشتكان صف بر كشيده در مقام عبوديت صف بر كشيدنى] او الصافات أنفسها اى الناظمات لها فى سلك الصفوف بقيامها فى مواقف الطاعة ومنازل الخدمة وفى الحديث (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم) قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال (يتمون الصفوف المقدّمة ويتراصون فى الصف) [والتراص: نيك در يكديكر بايستادن] وكان عمر بن الخطاب رضى الله". (١)

١٧٩. ١٤٠-"ولم يدخل عالم الحقيقة واسطى [كفت خليل از خلق بحق مى شد وحبيب از حق بخلق مى آمد او كه از خلق بحق شود حق را بدليل شناسد واو كه از حق بخلق آيد دليل را بحق شناسد]- روى- ان ابراهيم عليه السلام لما جعل الله النار عليه بردا وسلاما وأهلك عدوه النمرود

(١) روح البيان ٧/٤٤٤

وتزوج بسارة وكانت احسن النساء وجها وكانت تشبه حواء فى حسنها عزم الانتقال من ارض بابل الى الشام [وبالفارسية روى مبارك بشام نهاد ودر ان راه هاجر بدست ساره خاتون افتاد وآنرا بإبراهيم بخشيد و چون هاجر ملك يمين وى شد دعا كرده كه] رَبِّ [اى پروردگار من] هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ المراد ولد كامل الصلاح عظيم الشأن فيه اى **بعض الصالحين** يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني فى الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة على الإطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالأخ (فى قوله وَوَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا) ولقوله تعالى فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ فانه صريح فى ان المبشر به غير ما استوهبه عليه السلام. والغلام الطارّ الشارب والكهل ضد او من حين يولد الى ان يشيب كما فى القاموس وقال بعض اهل اللغة الغلام من جاوز العشر واما من دونها فصبى والحليم من لا يعجل فى الأمور ويتحمل المشاق ولا يضطرب عند إصابة المكروه ولا يحركه الغضب بسهولة. والمعنى بالفارسية [وبالفارسية مژده داديم او را بفرزندى بردبار يعنى چون ببلوغ رسد حليم بود] ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة انه غلام وانه يبلغ أوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم وانه يكون حليما وأي حلم يعادل حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فاستسلم قال الكاشفى [وبالفارسية خداى تعالى إسماعيل را از هاجر بوى ارزانى داشت وبحكم سبحانه از زمين شام هاجر يسر آورده را بمكة برد وإسماعيل آنجا نشو ونما يافت] فَلَمَّا بَلَغَ الغلام مَعَهُ مع ابراهيم السَّعْيَ الفاء فصيحة معربة عن مقدر اى فوهبنا له فنشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه فى أشغاله وحوائجه ومصالحه ومعه متعلق بالسعي وجاز لانه ظرف فيكفيه رائحة من الفعل لا يبلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولم يكن معا كذا فى بحر العلوم. وتخصيصه لان الأدب أكمل فى الرفق والاستصلاح فلا نستسعيه قبل أوانه لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قالَ ابراهيم يا بُنَيَّ [اى وبالفارسية پسرك من تصغير شفقت است] إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ قربانا لله تعالى اى ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روّى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله تعالى هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثمة سمى يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثمة سمى يوم عرفة ثم رأى فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر فَانْظُرْ ماذا منصوب بقوله تَرى من الرأى فيما ألقيت إليك: وبالفارسية [وبالفارسية در نكر درين كار چه چيزى بينى رأى تو چه تقاضا ميكند] فانما يسأله عما بيديه قلبه ورأيه أي شيء هل هو الإمضاء او التوقف فقوله ترى من الرأى الذي يخطر بالبال لا من رؤية العين وانما شاوره فيه وهو امر

محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فتثبت قدمه ان جزع ويأمن ان سلم ويكتسب". (١)

١٨٠. ١٤١-"الطلب وغلبات الشوق وذلك عند نزول مطر اللطف وماء الرحمة وعن بعض الصالحين قال رأيت سمنون فى الطواف وهو يتمايل فقبصت على يده وقلت له يا شيخ بموقفك بين يديه الا أخبرتني بالأمر الذي أوصلك اليه فلما سمع بذكر الموقف بين يديه سقط مغشيا عليه فلما أفاق انشد

ومكتئب لج السقام بجسمه ... كذا قلبه بين القلوب سقيم

يحق له لومات خوفا ولوعة ... فموقفه يوم الحساب عظيم

ثم قالى يا أخي أخذت نفسى بخصال أحكمتها فاما الخصلة الاولى أمت منى ما كان حيا وهو هوى النفس وأحييت منى ما كان ميتا وهو القلب واما الثانية فانى أحضرت ما كان عنى غائبا وهو حظى من الدار الآخرة وغيبت ما كان حاضرا عندى وهو نصيبي من الدنيا واما الثالثة فانى أبقيت ما كان فانيا عندى وهو التقى وأفنيت ما كان باقيا عندى وهو الهوى واما الرابعة فانى آنست بالأمر الذي منه تستوحشون وفررت من الأمر الذي اليه تسكنون أشار الى الاستئناس بالله وبذكره والى الاستيحاش مما سوى الله وهو المراد بحسن الخاتمة واما التوحش من الله والانس بما سواه فهو المراد بسوء العاقبة نعوذ بالله وربما كان سوء العاقبة بالخروج من الدنيا بغير ايمان وكان فى زمان حاتم الأصم نباش فحضر مجلس حاتم يوما فتاب على يده وأحياه الله بسبب نفس حاتم فقال له حاتم كم نبشت من القبور فقال سبعة آلاف قال فى كم سنة قال فى عشرين سنة فغشى على حاتم فلما أفاق قال قبور المسلمين أم قبور الكافرين قال بل قبور المسلمين فقال كم قبرا وجدت صاحبه على غير القبلة قال وجدت ثلاثمائة قبر صاحبه على القبلة والباقون على غير القبلة فغشى على حاتم وذلك لأن خوف كل أحد بحسب مقامه من المعرفة فاذا عرف المرء أن فى امامه موتا وابتلاء ثم حشرا وامتحانا لا يزال فى ناحية وربما يغلب عليه حاله فيغشى عليه قال بعضهم إذا عرج بروح المؤمن الى السماء قالت الملائكة سبحان الذي نجى هذا العبد من الشيطان يا ويحه كيف نجا ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة فلا بد من الاستقامة فى الله وادامة الذكر والاستعاذة بالله من كل شيطان مضل وفتنة مهلكة

---

(١) روح البيان ٤٧٣/٧

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ الإلحاد فى الأصل مطلق الميل والانحراف ومنه اللحد لأنه فى جانب القبر ثم خص فى العرف بالانحراف عن الحق الى الباطل اى يميلون عن الاستقامة فِي آياتِنا بالطعن فيها بأنها كذب او سحر او شعر وبتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا فنجازيهم بالحادهم ثم نبه على كيفية الجزاء فقال أَفَمَنْ آيا كسى كه يُلْقى فِي النَّارِ على وجهه وهم الكفرة بانواعهم خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً من النار يَوْمَ الْقِيامَةِ وهم المؤمنون على طبقاتهم قابل الإلقاء فى النار بالإتيان آمنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين بالتنصيص على انهم آمنون يوم القيامة من جميع المخاوف فلو قال أم من يدخل الجنة لجاز من طريق الاحتمال أن يبدلهم الله من بعد خوفهم أمنا ولك ان تقول الآية من الاحتباك حذف من الاول مقابل الثاني ومن الثاني مقابل الاول والتقدير أفمن يأتى خائفا ويلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا ويدخل الجنة يعنى ان الثاني خير". (١)

١٨١. ١٤٢-"الحمير اوله زفير وآخره شهيق لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالْحَقِّ فى الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وفى التأويلات النجمية لقد جئناكم بالدين القويم فلم تقبلوا لان اهل الطبيعة الانسانية أكثرهم يميلون الى الباطل كما قال وَلكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ اى حق كان كارِهُونَ اى لا يقبلون وينفرون منه لما فى طباعه من اتعاب النفس والجوارح واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه هكذا قالوا والظاهر ما أشار اليه فى التأويلات فاعرف والكراهة مصدر كره الشيء بالكسر اى لم يرده فهو كاره وفى الآية اشارة الى ان النفرة عن الحق من صفات الكفار فلا بد من قبول الحق حلو او مر او الى ان الله تعالى ما ترك الناس سدى بل ارشدهم الى طريق الحق بدلالات الأنبياء والأولياء لكن أكثرهم لم يقبلوا العلاج ثم ان أنفع العلاج هو التوحيد حكى عن الشبلي قدس سره انه اعتل فحمل الى البيمارستان وكتب على بن عيسى الوزير الى الخليفة فى ذلك فارسل الخليفة اليه مقدم الأطباء وكان نصرانيا ليداويه فما أنجحت مداواته فقال الطبيب للشبلى والله لو علمت ان مداواتك من قطعة لحم فى جسدى ما عسر على ذلك فقال الشبلي دوآئى فى دون ذلك قال الطبيب وما هو قال فى قطعك الزنار فقال الطبيب أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمد اعبده ورسوله فاخبر الخليفة بذلك فبكى وقال نفذنا طبيبا الى مريض وما علمنا انا نفذنا مريضا الى طبيب ونظيره ما حكى ان الشيخ

---

(١) روح البيان ٢٦٨/٨

نجم الدين الاصفهانى قدس سره خرج مع جنازة **بعض الصالحين** بمكة فلما دفنوه وجلس الملقن بلقنه ضحك الشيخ نجم الدين وكان من عادته لا يضحك فسأله بعض أصحابه عن ضحكه فزجره فلما كان بعد ذلك قال ما ضحكت الا لانه لما جلس على القبر يلقن سمعت صاحب القبر يقول الا تعجبون من ميت يلقن حيا أشار الى ان الملقن وان كان من زمرة الاحياء صورة لكنه فى زمرة الأموات حقيقة لممات قلبه بالغفلة عن الله تعالى فهو ماكث فى جهنم النفس معذب بعذاب الفرقة لا ينفع نفسه فكيف ينفع غيره بخلاف الذي لقنه فانه بعكس ذلك يعنى انه وان كان فى زمرة الأموات صورة لكن فى زمرة الاحياء حقيقة لان المؤمنين الكاملين لا يموتون بل ينقلون من دار الى دار فهو ماكث فى جنة القلب منعم بنعيم الوصال منتفع بأعماله وأحواله وله تأثير فى نفع الغير ايضا بالشفاعة ونحوها على ما أشار اليه قوله تعالى فالمدبرات امرا

مشو بمرك زامداد اهل دل نوميد ... كه خواب مردم آگاه عين بيداريست

فاذا عرفت حال ملقن القبر فقس عليه سائر ارباب التلقين من اهل النقصان واصحاب الدعوى والرياء فان الميت يحتاج فى احيائه الى نفخ روح حقيقى وأنى ذلك لمن فى حكم الأموات من النافحين فان نفخته عقيم إذ ليس من اهل الولادة الثانية نسأل الله سبحانه ان يجعلنا احياء بالعلم والمعرفة والشهود ويعصمنا من الجهل والغفلة والقيود أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً الإبرام احكام الأمر وأصله من إبرام الحبل وهو ترديد فتله وهو كلام مبتدأ وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هولاء والهمزة للانكار فان أريد بالابرام الاحكام حقيقة فهى لانكار الوقوع واستبعاده وان أريد الاحكام صورة". (١)

١٨٢. ١٤٣-"الى الخواص بذاته فقال الم تر الى ربك (روى) ان عليا رضى الله عنه صعد المنبر يوما فقال سلونى عمادون العرش فان ما بين الجوانح علم جم هذا لعاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى فمى هذا ما رزقنى الله من رسول الله رزقا فو الذي نفسى بيده لو اذن للتوراة والإنجيل ان يتكلما فأخبرت بما فيهما لصدقانى على ذلك وكان في المجلس رجل يمانى فقال ادعى هذا الرجل دعوى عريضة لافضحنه فقام وقال يا على اسأل قال سل نفقها ولا تسأل تعنتا فقال أنت حملتنى على ذلك هل رأيت ربك يا على قال ما كنت اعبد ربا لم أره فقال كيف رأيت قال لم تره العيون بمشاهدة العيان

---

(١) روح البيان ٣٩٤/٨

ولكن رأت القلوب بحقيقة الايمان ربى واحد لا شريك له أحد لا ثانى له فرد لا مثل له لا يحويه مكان ولا يداوله زمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس فسقط اليماني مغشيا عليه فلما أفاق قال عاهدت الله ان لا أسأل تعنتا (وحكى) عن **بعض الصالحين** انه رأى في المنام معروفا الكرخي شاخصا بصره نحو العرش قد اشتغل عن حور الجنة وقصورها فسألت رضوان من هذا قال معروف الكرخي مات مشتاقا الى الله فأباح له أن ينظر اليه وهذا النظر هناك من نتائج النظر بالقلب في الدنيا لقوله تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى واما النظر بالبصر في الدنيا فلما لم يحصل لموسى عليه السلام لم يحصل لغيره إذ ليس غيره أكمل قابلية منه الا ما حصل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقد كان في خارج حد الدنيا إذ كان فوق العرش والعرش من العالم الطبيعي وملاق لعالم الأرواح واعلم ان رؤية العوام في مرتبة العلم ورؤية الخواص في مرتبة العين ولهم مراتب في التوحيد كالافعال والصفات والذات فليجتهد العاقل في الترقي من مرتبة العلم الى مرتبة العين ومن الاستدلال الى الشهود والحضور وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ اى اسباب رزقكم على حذف المضاف يعنى به الشمس والقمر وسائر الكواكب واختلاف المطالع والمغارب التي يترتب عليه اختلاف الفصول التي هى مبادى حصول الأرزاق (كما قال الشيخ سعدى)

ابر وباد ومه وخورشيد وفلك در كارند ... تا تو نانى بكف آرى وبغفلت نخورى

همه از بهر تو سر كشته وفرمان برادر ... شرط انصاف نباشد كه تو فرمان نبرى

او في السماء تقدير رزقكم وقال ابن كيسان يعنى على رب السماء رزقكم كقوله تعالى ولاصلبنكم وفي جذوع النخل وَما تُوعَدُونَ من الثواب لان الجنة على ظهر السماء السابعة تحت العرش قرب سدرة المنتهى او أراد أن كل ما توعدون من الخير والشر والثواب والعقاب والشدة والرخاء وغيرها مكتوب مقتدر في السماء ودر تبيان كفته مكتوبست در لوحى كه در آسمان چهارم است يقول الفقير امر العقاب ينزل من السماء ونفسه ايضا كالصيحة والقذف والنار والطوفان على ما وقع في الأمم السالفة فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَالْأَرْضِ اقسم الله بنفسه وذكر الرب لانه في بيان التربية بالرزق إِنَّهُ اى ما توعدون او ما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة لَحَقٌّ هر آينه راستست وفي الحديث ابى ابن آدم ان يصدق ربه حتى اقسم له فقال فو رب إلخ وقال الحسن في هذه الآية بلغني ان رسول الله عليه السلام قال قاتل الله أقواما اقسم الله لهم بنفسه فلم يصدقوه انتهى ولو وعد".

(١)

١٨٣. ١٤٤-"سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الإسلام الآخر بدأ أوردا وفي الآية اشارة الى ان جنات السابقين المقربين صافية عن الكدورات المنغصة لساكنيها فارغة عن العاملات المعبسة لقاطنيها لا يقول أهلها الا مع الحق ولا يسمعون الا من الحق تجلى الحق لهم عن اسمه السلام المشتمل على السلامة من النقائص والآفات المتضمن للقربات والكرامات اعلم ان أعز السلام سلام الله على عباده كما قال سلام قولا من رب رحيم ثم سلاح الأرواح العالية كما حكى عن **بعض الصالحين** انه قال كان لى ابن استشهد فلم أره في المنام إلا ليلة توفى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو سابع الخلفاء الاثني عشر تراءى لى تلك الليلة فقلت يا بنى ألم تكن ميتا فقال لا ولكنى استشهدت وانا حى عند الله ارزق فقلت له ما جاء بك فقال نودى في اهل السماء ألا لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد الا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لا شهد الصلاة ثم جئتكم لا سلم عليكم يقول الفقير شاهدت في الحرمين الشريفين حضور الأرواح للصلوات والطواف وسلام بعضهم على بعض حتى سلمت انا في السحر الأعلى عند مقام جبرائيل على الخلفاء الاربعة والملائكة اربعة ولله الحمد على ذلك

سلام من الرحمن نحو جنابه ... لان سلامى لا يليق ببابه

وَأَصْحابُ الْيَمِينِ شروع في تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ خبره جملة قوله ما أَصْحابُ الْيَمِينِ اى لا تدرى ما لهم من الخير والبركة بسبب فواضل صفاتهم وكوامل محاسنهم فِي سِدْرٍ اى هم فى سدر مَخْضُودٍ ى غيرذى شوك لا كسدر الدنيا فان سدر الدنيا مخلوق بشوك وسدر الحنة بلا شوك كأنه خضد شوكه اى قطع ونزع عنه فقوله سدر مخضود اما من باب المبالغة في التشبيه او مجاز بعلاقة السببية فان الخضد سبب لانقطاع الشوك وقيل مخضود اى مثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب فمخضود على هذا الوجه من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والسدر شجر النبق وهو ثمر معروف محبوب عند العرب يتخذون من ورقة الحرض وفي المفردات السدر شجر قليل الغذاء عند الاكل وقد يخضد ويستظل به فجعل ذلك مثل لظل الجنة ونعيمها قال بعضهم ليس شيء من ثمر الجنة في غلف كما يكون في

(١) روح البيان ١٥٩/٩

الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ قد نضد حمله وتراكب بعضه على بعض من أسفله الى إعلاء ليست له سوق بارزة وهو شجر الموز وهو شجر له أوراق كبار وظل بارد كما ان أوراق السدر صغار أو هو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة يقصد العرب منه النزهة والزينة وان كان لا يؤكل منه شيء وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن مجاهد كان لاهل الطائف واد معجب فيه الطلح والسدر فقالوا يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي فنزلت هذه الآية وقد قال تعالى وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين فذكر لكل قوم ما يعجبهم ويحبون مثله وفضل طلح الجنة وسدرها على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ممتد". (١)

١٨٤. ١٤٥-"فى هذه الآية لرسول الله عليه السلام في صفة البيعة خصالا ستاهن اركان ما نهى عنه في الدين ولم يذكر اركان ما أمر به وهى ايضا ست الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهى عنها دائم في

كل زمان وكل حال فكان التنبيه على اشتراط الدائم أهم وآكد فَبايِعْهُنَّ جواب لاذا فهو العامل فيها فان الفاء لا تكون مانعة وهو امر من المبايعة اى فبايعهن على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته فى المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر اركان الدين وشعائر الإسلام اى بايعهن إذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء فان المبايعة من جهة الرسول هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته كما سبق وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة إليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن إليها وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ زيادة على ما في ضمن المبايعة من ضمان الثواب والاستغفار طلب المغفرة للذنوب والستر للعيوب إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اى مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن إذا وفين بما بايعن عليه بزركى فرمود مردمان ميكويند رحمت موقوفست بر ايمان يعنى تا بنده ايمان نيارد مستحق رحمت نشود ومن مى كويم كه ايمان موقوفست برحمت يعنى تا برحمت خود توفيق نبخشد كسى بدولت ايمان نرسد (مصراع) توفيق عزيزست بهر كس ندهند يقول الفقير الأمر بالاستغفار لهن اشارة الى قبول شفاعة حبيبه عليه السلام في حقهن فهو من رحمته الواسعة وقد عمم هذا الأمر في سورة الفتح فاستفاد جميع عباده وامائه الى يوم القيامة من بحر هذا الفضل ما يغنيهم

---

(١) روح البيان ٣٢٤/٩

ويرويهم وهو الفياض قال الامام الطيبي لعل المبالغة في الغفور باعتبار الكيفية وفي الغفار باعتبار الكمية كما قال **بعض الصالحين** انه غافر لانه يزيل معصيتك من ديوانك وغفور لانه ينسى الملائكة افعالك السوء وغفار لانه تعالى ينسيك ايضا ذنبك كيلا تستحيي وحظ العارف منه أن يستر من أخيه ما يحب ان يستر منه ولا يفشى منه الا احسن ما كان فيه ويتجاوز عما يندر عنه ويكافئ المسيئ اليه بالصفح عنه والانعام عليه نسأل الله سبحانه أن يجعلنا متخلقين بأخلاقه الكريمة ومتصفين بصفاته العظيمة انه هو الغفور الرحيم واختلف في كيفية مبايعته عليه السلام لهن يوم الفتح فروى انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا وشرع في بيعة النساء ودعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس أيديهن فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة خوفا من رسول الله أن يعرفها لما صنعته بحمزة رضى الله عنه يوم أحد من المثلة فلما قال عليه السلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيأ رفعت هند رأسها فقالت والله لقد عبدنا الأصنام وانك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الإسلام والجهاد فلما قال عليه السلام ولا يسرقن قالت ان أبا سفيان رجل شحيح وانى أصبت من ماله هنات اى شيئا يسيرا فما أدرى أيحل لى فقال ابو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك عليه السلام وقال أنت هند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فعفا عنها فقال ولا يزنين فقالت وهل نزنى الحرة فقال عمر رضى الله عنه لو كان قلب نساء العرب على قلب". (١)

١٨٥. ١٤٦-"عشرين سنة ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد الغفار رضى الله عنه وهو أجير لعمر رضى الله عنه يقود فرسه وسنان الجهني المنافق حليف ابن ابى رئيس المنافقين واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالأنصار فاعان جهجاه جعال بالكسر من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن أبي فقال لجعال وأنت هناك قال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا من هذا السفر الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل جانب المؤمنين فاسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به ثم قال لقوله ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد

---

(١) روح البيان ٩/٤٩٠

فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال

ابن أبي اسكت فانما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله بما قال ابن أبى فتغير وجه رسول الله فقال عمر رضى الله عنه دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال إذا ترغم انوفا كثيرة بيثرب يعنى المدينة ولعل تسميته لها بذلك ان كان بعد النهى لبيان الجواز قال عمر رضى الله عنه فان كرهت أن يقتله مهاجرى فائمر به أنصاريا فقال إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه السلام لابن أبي أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فقال الحاضرون شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام وعسى أن يكون قدوهم فروى ان رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأك سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت هذه الآية لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله صدقك وكذب المنافقين ورد الله عليهم مقالتهم بقوله وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ اى ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من المنافقين والكافرين. وعن بعض الصالحين وكان في هيئة رثة ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها اى كبرا فقال ليس ذلك بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية وقال بعض الكبار من كان في الدنيا عبدا محضا كان في الآخرة ملكا محضا ومن كان فى الدنيا يدعى الملك الشيء ولو من جوارحه نقص من ملكه في الآخرة بقدر ما ادعاه فى الدنيا فلا أعز في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية الذل في جناب الحق ولا أذل في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية العزة في نفسه ولو كان مصفوعا في الأسواق ولا أريد بعز الدنيا أن يكون من جهة الملوك فيها انما أريد أن يكون صفته في نفسه العزة وكذا القول في الذلة وقال الواسطي رحمه الله عزة الله أن لا يكون شيء الا بمشيئته وإرادته وعزة المرسلين انهم آمنون من زوال الايمان وغزة المؤمنين انهم آمنون من دوام العقوبة وقال عزة الله". (١)

١٨٦. ١٤٧-"والضحاك، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه القليل، قاله عكرمة، والشعبي. قال ابن قتيبة: البخس:

(١) روح البيان ٩/٥٣٨

الخسيس الذي بُخس به البائع. والثالث: الناقص، وكانت الدراهم عشرين درهماً في العدد، وهي تنقص عن عشرين في الميزان، قاله أبو سليمان الدمشقي «١» .

قوله تعالى: دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ قال الفراء: إنما قيل: «معدودة» ليُستدَل بها على القلَّة. وقال ابن قتيبة: أي: يسيرة، سهل عددها لقلَّتها، فلو كانت كثيرة لثقل عددها. وقال ابن عباس: كانوا في ذلك الزمان لا يَزِنُون أقل من أربعين درهماً، وقيل: إنما لم يَزِنُوها لزهدهم فيه. وفي عدد تلك الدراهم خمسة أقوال: أحدها: عشرون درهماً، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، وعكرمة في رواية، ونوف الشامي، ووهب بن منبِّه، والشعبي، وعطية، والسدي، ومقاتل في آخرين. والثاني: عشرون درهماً وحُلَّة، ونعلان، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: اثنان وعشرون درهماً، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والرابع: أربعون درهماً، قاله عكرمة في رواية، وابن إِسحاق. والخامس:

ثلاثون درهماً، ونعلان، وحُلَّة «٢» ، وكانوا قالوا له بالعبرانية: إما أن تُقرَّ لنا بالعبودية، وإما أن نأخذَك منهم فنقتلَك، قال: بل أُقرُّ لكم بالعبودية، ذكره إِسحاق بن بشر عن بعض أشياخه. قال المفسرون: اقتسموا ثمنه، فاشترَوا به نعالاً وخفافاً. وكان **بعض الصالحين** يقول: والله ما يوسف- وإن باعه أعداؤه- بأعجبَ منك في بيعكَ نفسَكَ بشهوةِ ساعةٍ من معاصيك.

قوله تعالى: وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ الزهد: قلَّة الرغبة في الشيء. وفي المشار إِليهم قولان «٣» : أحدهما: أنهم إخوته، قال ابن عباس فعلى هذا، في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إِلى يوسف، لأنهم لم يعلموا مكانه من الله تعالى، قاله الضحاك، وابن جريج. والثاني: أنها ترجع إِلى الثمن. وفي علَّة زهدهم قولان: أحدهما: رداءته. والثاني: أنهم قصدوا بُعد يوسف، لا الثمن.

والثاني: أنهم السيارة الذين اشترَوه. وفي علَّة زهدهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ارتابوا لقلة ثمنه. والثاني: أن إِخوته وصفوه عندهم بالخيانة والإباق. والثالث: لأنهم علموا أنه حرّ.

---

(١) وهو ما اختاره ابن كثير ٢/ ٥٨٢ فقال: وقيل: المراد بقوله: بَخْسٍ الحرام، وقيل: الظلم. وهذا وإن كان كذلك لكن ليس هو المراد هنا، لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد أن ثمنه حرام على كل حال، وعلى كل أحد، لأنه نبي ابن نبي ابن نبي، ابن خليل الرحمن فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، وإنما المراد هنا بالبخس: الناقص، أو الزيوف أو كلاهما، أي أنهم إخوته وقد باعوه، ومع هذا بأنقص الأثمان، ولهذا قال:

دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ١٧١: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة، لم يحدّ مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ولا وضع عليه دلالة في كتاب، ولا خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ... وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين، ولا في الجهل به دخول ضرّ فيه، والإيمان بظاهر التنزيل فرض وما عداه فموضوع عنا تكلّف علمه.

(٣) الضمير في «كانوا» يعود على الواردة الذين استخرجوه من البئر ثم باعوه بثمن بخس زهدا، فلا مكان لذكر الإخوة هاهنا، والله أعلم.". (١)

١٨٧. ١٤٨-"كحال من يخبط في ظلمات الضلالة ولا يهتدي إلى سبيل السعادة ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ أي أفلا تعتبرون وتتعظون؟ والغرض التفريق بين أهل الطاعة والإيمان، وأهل الجحود والعصيان.

البلاغة: ١ - ﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ إضافة العذاب إلى اليوم الكبير للتهويل والتفظيع.

٢ - ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بينهما طباقٌ وكذلك بين ﴿نَعْمَآءَ﴾ و ﴿ضَرَّآءَ﴾ وبين ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ .

٣ - ﴿يئُوسٌ كَفُورٌ﴾ من صيغ المبالغة أي شديد اليأس كثير الكفران.

٤ - ﴿كالأعمى والأصم﴾ فيه تشبيه مرسل مجمل لوجود أداة التشبيه وحذف وجه الشبه أي مثل الفريق الكافر كالأعمى والأصم في عدم البصر والسمع، ومثل الفريق المؤمن كالسميع والبصير.

لطيفَة: قال **بعض الصالحين**: الاستغفار بلا إقلاع عن الذنب توبة الكذابين.

تنبيه: التحدي بعشر سور جاء بعد التحدي بالقرآن الكريم، فلما عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن تحداهم بعشر سور، ثم لما عجزوا تحداهم بالإتيان بسورة مثله في البلاغة والفصاحة والاشتمال على المغيبات والأحكام التشريعية وأمثالها، وهي الأنواع التسعة وقد نظمها بعضهم بقوله:

ألا إنما القرآنُ تسعةُ أحرفٍ ... سأنبيكها في بيت شعر بلا مَلَل

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٢/٤٢٣

حلالٌ، حرامٌ، محكمٌ، متشابهٌ ... بشيرٌ، نذيرٌ، قصةٌ، عظةٌ، مَثَل". (١)

١٨٨. ١٤٩-"سورة العصر

قوله تعالى: (وَالْعَصْرِ) .

هو الدهر، وقيل: صلاة العصر.

الحسن: أحد طرفي النهار.

والعرب تسمي الغداة والعشي العصرين، واليوم والليل العصرين، والشتاء والصيف العصرين. وعن علي - رضي الله عنه -: ونوائب العصر. وقيل: أهل العصر.

قوله: (إِنَّ الْإِنْسَانَ) .

هو جواب القسم، والإنسان عام، ولهذا جاز استثناء الجمع منه بقوله: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) ".

قوله: (لَفِي خُسْرٍ (٢)

أي هلاك، وقيل: خسروا أهاليهم ومنازلهم في الجنة، وقيل: في عقوبة.

الغريب: في خسر من عمره، فقد قال **بعض الصالحين**: يا ابن آدم.

أنت في هدم عمرك منذ ولدت من بطن أمك، وقيل: الإنسان إذا تنفس تنقص. أبو أمامة عن أبي بن كعب قال: قرأت هذه السورة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: " أقسم ربك بآخر النهار إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ أبو جهلٍ "." . (٢)

١٨٩. ١٥٠-"ذعر شديد فبينا أنا كذلك إذ آتٍ جاءني من ورائي، فألقى عليّ جوخة فجعلها على أكتافي وأدارها على أفخاذي فسترني بها ولكن على غير هيئة لبس المخيط، قال: واستيقظت وأنا على ذلك فقصصته على **بعض الصالحين** فقال: أحمد الله على كونك من عصاة الأفعال، وأخذ من ستري بالجوخة على تلك الهيئة أني أحج، فبشرني بذلك فحججت في ذلك العام - والله تعالى

---

(١) صفوة التفاسير ٢/٩

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢/١٣٨٥

المسؤول في التوبة، فإنه الفعّال لما يريد ﴿فأما الذين آمنوا﴾ أي أقروا بالإيمان بألسنتهم ﴿وعملوا﴾ تصديقاً لإقرارهم ﴿الصالحات﴾ أي كلها.

ولما تقدم هنا ذكر عمارة الأرض وإصلاحها للنبات ووعظ من جعلها أكبر همه بأنها لم تدم له ولا أغنت عنه شيئاً، ذكر أنه جزى من أعرض عنها بقلبه لاتباع أمره سبحانه أعظم ما يرى من زهرتها ونضرتها وبهجتها على سبيل الدوام فقال: ﴿فهم﴾ أي خاصة ﴿في روضة﴾ أي لا أقل منها وهي أرض عظيمة جداً منبسطة واسعة ذات ماء غدق ونبات معجب بهج - هذا أصلها في اللغة وقال الطبري: ولا تجد أحسن منظراً ولا أطيب نشراً من الرياض. ﴿يحبرون*﴾ أي يسرون على سبيل التجدد كل وقت سروراً تشرق له الوجوه، وتبسم الأفواه، وتزهو العيون، فيظهر حسنها وبهجتها، فتظهر". (١)

١٩٠. ١-"يمنعانك مدخل السوء (١) وفي معنى هذا كل أمر يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الإحرام (٢) وركعتان عند ابتداء السفر (٣) وركعتان عند الرجوع من السفر (٤) في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين وإذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه

وبداية الأمور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهي على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر (٥)

الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد

الثالثة ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والإحرام وما يجري مجراه

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٥/٥٨

فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه فإنه نوع سفر قريب

السابعة صلاة الاستخارة فمن هم بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو في الإقدام عليه فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فإذا فرغ دعا وقال اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير أينما كان إنك على كل شيء قدير (٦) رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال صلى الله عليه وسلم إذا هم أحدكم بأمر فليصل ركعتين ثم ليسم الأمر ويدعو بما ذكرناه وقال بعض الحكماء من أعطي أربعا لم يمنع أربعا من أعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب

الثامنة صلاة الحاجة (٧) فمن ضاق عليه الأمر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روي عن وهيب بن الورد أنه قال إن من الدعاء الذي لا يرد أن يصلي العبد ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة

---

(١) حديث أبي هريرة إذا خرجت من منزلك فصلي ركعتين يمنعانك مخرج السوء وإذا دخلت منزلك الحديث أخرجه البيهقي في الشعب من رواية بسكر بن عمرو عن صفوان بن سليم قال بكر حسبته عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فإن الله جاعل له من ركعتيه خيرا قال ابن عدي وهو بهذا الإسناد منكر وقال البخاري لا أصل له

(٢) حديث ركعتي الإحرام أخرجه البخاري من حديث ابن عمر

(٣) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس ما استخلف في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن العبد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره الحديث وهو ضعيف

(٤) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجاه من حديث كعب بن مالك

(٥) حديث كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة

(٦) حديث صلاة الاستخارة أخرجه البخاري من حديث جابر قال أحمد حديث منكر

(٧) حديث ابن مسعود في صلاة الحاجة اثنتي عشرة ركعة أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسنادين ضعيفين جدا فيهما عمرو بن هارون البلحي كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة ركعتين رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن أبي أوفى وقال الترمذي حديث غريب وفي إسناده مقال". (١)

١٩١. ٢-"رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك أو رجل تزداد في قلبه بإظهارك الصدق فذلك الذي يريده أخوك لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه

الثالث هو أن العارف لا نظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية

والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال بل ينبغي أن يكون النظر مقصور على الواحد الفرد

حكي أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه أحد فانفرد كل واحد وذبح إلا ذلك المريد فإنه رد الدجاجة فسألهم فقالوا فعلنا ما أمرنا به الشيخ فقال الشيخ للمريد ما لك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال ذلك المريد لم أقدر على مكان لا يراني فيه أحد فإن الله يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل إليه لأنه لا يلتفت لغير الله عز وجل

الرابع أن الإظهار إقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله عز وجل من كتم ما أتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون

---

(١) إحياء علوم الدين ٢٠٦/١

الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم إذا أنعم الله علي عبد نعمة أحب أن ترى نعمته عليه (١) وأعطى رجل **بعض الصالحين** شيئا في السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم إذا أعطيت في الملأ فخذ ثم اردد في السر والشكر فيه محثوث عليه

قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل (٢) والشكر قائم مقام المكافأة حتى قال صلى الله عليه وسلم من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فأثنوا عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه ولما قال المهاجرين في الشكر يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال صلى الله عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به فهو مكافأة (٣)

فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا أنا لا نحكم حكما بتا بأن الإخفاء أفضل في كل حال أو الإظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الأحول والأشخاص فينبغي أن يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع أغلب في معاني الإخفاء منه في الإظهار مع أن له دخلا في كل واحد منهما فأما مدخل الخداع في الإسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه من في خفض الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بعين الازدراء وإلى المعطي بعين المنعم المحسن فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس وللشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد وهو أن يكون تألمه بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله فإنه إن كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن أو يتقي

---

(١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه أخرجه أحمد من حديث عمران بن حصين بسند صحيح وحسنه الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

(٢) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تقدم

(٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم الحديث أخرجه الترمذي

وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا أبو داود والنسائي في اليوم والليلة والحاكم وصححه ابن ماجه". (١)

١٩٢. ٣-"عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل (١) الآثار روي أن عمر رضي الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح ويقال إن سفيان الثوري رحمه الله شبع ليلة فقال إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن رحمه الله ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل له ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقدم **بعض الصالحين** من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا وكان عبد العزيز بن رواد إذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمو يده عليه ويقول إنك للين ووالله إن في الجنة لألين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل إني لأستقبل الليل من أوله فيهولني طوله فأفتتح القرآن فأصبح وما قضيت نهمتي وقال الحسن إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله فإذا كان في السحر قال إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إني لأضعف عن قيام الليل فقال له يا أخي لا تعص الله تعالى ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا المكتوبة قالوا نعم فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون إلا المكتوبة ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا وقال أبو الجويرية لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض وكان أبو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم

---

(١) إحياء علوم الدين ٣٢٨/١

فقالوا إن هذا يحيي الليل كله فقال إني أستحي أن أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويروى أنه ما كان له فراش بالليل ويقال إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول حرم شيبة مالك على النار إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأي الرجلين مالك وأي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار شهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أتحسن تقرأ فقلت نعم فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها

أألهتك اللذائذ والأماني ... عن البيض الأوانس في الجنان

تعيش مخلدا لا موت فيها ... وتلهو في الجنان مع الحسان

تنبه من منامك إن خيرا ... من النوم التهجد بالقران

وقيل حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجدا ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال رأيت في

---

(١) حديث عمر من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه بين صلاة والفجر والظهر كتب له كأنه قرأه من الليل رواه مسلم". (١)

١٩٣. ٤-"كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر

وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور الأول سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يجول إلا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال

يخبرني البواب أنك نائم ... وأنت إذا استيقظت أيضا فنائم

الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار

---

(١) إحياء علوم الدين ٣٥٥/١

نومه وعظم حذره كما قال طاوس إن ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال إن صهيبا إذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفي وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام وقال ذو النون المصري رحمه الله

منع القرآن بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها أن تهجعا

فهموا عن الملك الجليل كلامه ... فرقابهم ذلت إليه تخضعا

وأنشدوا أيضا

يا طويل الرقاد والغفلات ... كثرة النوم تورث الحسرات

إن في القبر إن نزلت إليه ... لرقادا يطول بعد الممات

ومهادا ممهدا لك فيه ... بذنوب عملت أو حسنات

أأمنت البيات من ملك المو ... ت وكم نال آمنا ببيات

وقال ابن المبارك

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الثالث أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي أن **بعض الصالحين** رجع من غزوته فمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إني كنت أتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتي شوقا إليها

الرابع وهو أشرف البواعث الحب لله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فإذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن يستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل فأما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله فإن

قلت إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وإن الله تعالى لا يرى فاعلم". (١)

١٩٤. ٥-"يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فأين آباؤنا وأمهاتنا فيقول الخزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون

قال فيتضاغون ويضجون على أبواب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بأيدي آبائهم فأدخلوهم الجنة (١)

وقال صلى الله عليه وسلم من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان (٣)

وحكي أن **بعض الصالحين** كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد أن يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس فمددت يدي إلى أحدهم وقلت اسقني فقد أجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسقي آباءنا فقلت ومن أنتم فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين

وأحد المعاني المذكورة في قوله تعالى ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم﴾ تقديم الأطفال إلى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد

الفائدة الثانية التحصن من الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله عليه السلام من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر وإليه الإشارة بقوله عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء وأكثر ما نقلناه من

---

(١) إحياء علوم الدين ٣٥٧/١

الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا المعنى دون الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضي تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لجعله وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة منالأكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الإرهاق إلى الإيلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت فهي منبهه على اللذات الموعودة في الجنان إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة

---

(١) حديث إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون أين آباؤنا وأمهاتنا الحديث بطوله لم أجد له أصلا يعتمد عليه

(٢) حديث من مات له اثنان من الولد احتظر بحظار من النار أخرجه البزار والطبراني من حديث زهير بن أبي علقمة جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إنه مات لي ابنان سوى هذا فقال لقد احتظرت من دون النار بحظار شديد ولمسلم من حديث أبي هريرة في المرأة التي قالت دفنت ثلاثة لقد احتظرت بحظار شديد من النار

(٣) حديث من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان أخرجه البخاري من حديث أنس دون ذكر الاثنين وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلفظ أيما امرأة بنحو منه". (١)

١٩٥. ٦-"الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله

فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التعبية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فإنه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٢٧

فيستحث على العبادة الموصلة إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الإنسان باطنا وظاهرا بل ذرات ملكوت السموات والأرض إلا وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ما تحار العقول فيها ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها بقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فإن الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام الفواحش وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ وإن كان ملجما بلجام التقوى فغايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يعرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الوقاع ما لو صرح به بين يدي أخس الخلق لاستحى منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمور للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن ينضاف إليه ضعف في البدن وفساد في المزاج ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح

وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها

قال قتادة في معنى قوله تعالى ﴿ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ هو الغلمة

وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا في معنى قوله تعالى ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ أنه لا يصبر عن النساء

وقال فياض بن نجيح

إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله

وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه

وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم وإليه أشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب منكن (١)

وإنما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي

وبصري وقلبي وشر مني (٢)

وقال أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي (٣)

فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان **بعض الصالحين** يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فأنكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفا في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي إلا نفذته فأستريح وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي معصية

وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له

---

(١) حديث ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب منكن أخرجه مسلم من حديث ابن عمر واتفقا عليه من حديث أبي سعيد ولم يسق مسلم لفظه

(٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر مني تقدم في الدعوات

(٣) حديث أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي أخرجه البيهقي في الدعوات من حديث أم سلمة بإسناد فيه لين". (١)

١٩٦. ٧-"كفاية في المقصود من غير محذور ولست أقول الجمع حرام لكنه مكروه بهذه المعاني وأعني بالكراهة تركه النظر لنفسه

الثالث أن يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق

قال تعالى ﴿ومتعوهن﴾ وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في أصل النكاح

كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلاقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداهما فنكست رأسها وتنكست وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٢٨

متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيري ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشرا ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فدخل عليه الحسن في بيته فعظمه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إلي فكنت أجيئك فقال الحاجة لنا

قال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعز علي منك ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني يسوءني ما ساءها ويسرني ما سرها وأنت مطلاق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته

سمعته وهو يمشي ويقول ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا في عنقي

وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته إن حسنا مطلاقا فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فإن أحب أمسك وإن شاء ترك فسر ذلك عليا وقال

لو كنت بوابا على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الأدب المخالفة ما أمكن فإن ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن ذاته والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته﴾

الرابع أن لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم (١)

ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة فقيل له ما الذي يريبك فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له

لم طلقتها فقال مالي ولا مرأة غيري فهذا بيان ما على الزوج القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها

والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أيما امرأة

---

(١) حديث الوعيد في إفشاء سر المرأة رواه مسلم من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أعظم الخيانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفشي سرها". (١)

١٩٧. ٨-"أن هذه الأمور قادحة في إيمانه وأن إيمانه رأس ماله في الآخرة لم يضيع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به أياما معدودة

وعن بعض التابعين أنه قال لو دخلت الجامع ومع وهو غاص بأهله وقيل لي من خير هؤلاء لقلت من أنصحهم لهم فإذا قالوا هذا قلت هو خيرهم

ولو قيل لي من شرهم قلت من أغشهم لهم فإذا قيل هذا قلت هو شرهم

والغش حرام في البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي أن يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب فبذلك يتخلص

وسأل رجل حداء بن سالم فقال كيف لي أن أسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سواء ولا تفضل اليمنى على الأخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق إحدى النعلين على الأخرى

ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه وإنما يحل للرفا إذا علم أنه يظهره أو أنه لا يريده للبيع

فإن قلت فلا تتم المعاملة مهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب المبيع فأقول ليس كذلك إذ شرط التاجر أن لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك

---

(١) إحياء علوم الدين ٥٦/٢

الله له فيه ولا يحتاج إلى تلبيس وإنما تعذر هذا لأنهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير إلا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فإن وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته

باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري أبرأ إليك من عيب فيها أنها تقلب العلف برجلها

وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري إنها تنخمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة أهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة

الثالث إلا يكتم في المقدار شيئا وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي أن يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجع إذا أعطى وينقص إذا أخذ إذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فإن من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه

وكان بعضهم يقول لا أشتري الويل من الله بحبة فكان إذا أخذ نقص نصف حبة وإذا أعطى زاد حبة

وكان يقول ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والأرض وما أخسر من باع طوبى بويل

وإنما بالغوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها إذ لا يعرف أصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدى حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وأرجح (١)

ونظر فضيل إلى ابنه وهو يغسل دينارا يريد أن يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك فقال يا بني فعلك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة

وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل

وقال سليمان عليه السلام لابنه يا بني كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين

وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له إنه كان فاسقا فسكت فأعيد عليه فقال كأنك قلت لي كان صاحب ميزانين يعطي بأحدهما ويأخذ بالأخر أشار به إلى أن فسقه مظلمة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه أبعد والتشديد في أمر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة

وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان أي لسان الميزان فإن النقصان والرجحان

(١) حديث قال للوزان زن وأرجح رواه أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم". (١)

١٩٨. ٩-"لا يدخل جوفه إلا طيبا وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطا فأدخل إصبعه وتقيأ وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة هو الورع وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه

وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله لم لا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو شربت منه

وقال سفيان الثوري رضي الله عنه من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال

وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء وأسنانه لقم الحلال

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرىء في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت

وقال من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالا ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة

ويقال من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ومائة ألف حتى بلغ إلى ستمائة ألف

وقال بعض السلف إن العبد يأكل أكله فيتقلب قلبه فينغل كما ينغل الأديم ولا يعود إلى حاله أبدا

وقال سهل رضي الله عنه من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أو لم يعلم

ومن كانت طعمته حلالا أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف إن أول لقمة يأكلها

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٧٧

العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنوبه ومن أقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر

وروي في آثار السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلاثا فإن كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سيء الطعمة فعن الهوى ينطق فإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه

وفي الأخبار المشهورة عن على عليه السلام وغيره إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب

وروي أن بعض الصالحين دفع طعاما إلى بعض الأبدال فلم يأكل فسأله عن ذلك فقال نحن لا نأكل إلا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف الملكوت ونشاهد الآخرة ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فإني أصوم الدهر وأختم القرآن في كل شهر ثلاثين مرة فقال له البدل هذه الشربة التي رأيتني شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين ختمة في ثلثمائة ركعة من أعمالك وكانت شربته من لبن ظبية وحشية

وقد كان بين أحمد بن حنبل ويحي بن معين صحبة طويلة فهجره أحمد إذ سمعه يقول إني لا أسأل أحدا شيئا ولو أعطاني الشيطان شيئا لأكلته حتى اعتذر يحي وقال كنت أمزح فقال تمزح بالدين أما علمت أن الأكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال ﴿كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾ وفي الخبر أنه مكتوب في التوراة من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النيران أدخله وعن علي رضي الله عنه أنه لم يأكل بعد قد قتل عثمان ونهب الدار طعاما إلا مختوما حذرا من الشبهة

واجتمع الفضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من أحب الطعام إلي إلا أني لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها فقال له". (١)

١٩٩. ١٠-"قلبه وضيع عمره

وقال ابن المبارك ما أحب حال من انقطع إلى الله تعالى ويروى عن بعض الصالحين أنه قال بينما أنا

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٩١

أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر إلي تنحى الى أصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر إليك فقال هذا إني أقمت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الإضطراب وألفه الوحدة والإنفراد فلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر الأول فإليك عني فإني أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال إليك عني يا دنيا لغيري فتزيني وأهلك فغري ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الإنقطاع إليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان وجمع همهم في ذكره فلا شيء ألذ عندهم من مناجاته

ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس

فإذا في الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل

وإني لأستغشى وما بي غشوة ... لعل خيالا منك يلقى خياليا

وأخرج من بين الجلوس لعلني ... أحدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض الحكماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة

وقد قيل الإستئناس من علامات الإفلاس فإذا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة

فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر

وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة

الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها

غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة الغيبة والنميمة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا

أما الغيبة فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون

فإن عادة الناس كافة التمضمض بأعراض الناس والتفكه بها والتنفل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة

فإن خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وإن سكت كنت شريكا والمستمع أحد المغتابين وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى غيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا إلى الإستخفاف والشتم

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله به وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يجره طلب الخلاص عنها إلى معاص هي أكبر مما نهى عنه ابتداء

وفي العزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق

وقدم قام أبو بكر رضي الله عند خطيبا وقال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية". (١)

٢٠٠. ١١-"من اتقاه الناس لشره (١) والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل وما القاطع قال قاطع بين الناس (٢) وهو النمام وقيل قاطع الرحم

وروي عن علي رضي الله عنه أن رجلا سعى إليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقا مقتناك وإن كنت كاذبا عاقبناك وإن شئت أن نقيلك أقلناك فقال أقلني يا أمير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي أي خصال المؤمن أوضع له فقال كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله ابن عامر وكان أميرا بلغني أن فلانا أعلم الأمير أني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتم نفسي بلساني وحسبي أني لم أصدقه فيما قال ولا أقطع عنك الوصال

وذكرت السعاية عند **بعض الصالحين** فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعي فلو كان صادقا في قوله

---

(١) إحياء علوم الدين ٢٢٨/٢

لكان لئيما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس إلى الناس لغير رشدة (٣) يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله إن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال قل فقال يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله إياه فإنهم لن يألوا في الأمة خسفا وفي الأمانة تضييعا والأعراض قطعا وانتهاكا أعلى قربهم البغي والنميمة وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وأنت مسئول عما أجرموا وليسوا المسئولين عما أجرمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الأعجم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل وقال

فأنت امرؤ إما ائتمنتك خاليا ... فخنت وإما قلت قولا بلا علم

فأنت من الأمر الذي كان بيننا ... بمنزلة بين الخيانة والإثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد إن الأسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره ولكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة إلى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها افضل من الربح ومعاذ الله أن نقبل مهتوكا في مستور ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثلك فتوق يا ملعون العيب فإن الله أعلم بالغيب الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان لابنه يا بني أوصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل

---

(١) حديث إن من شر الناس اتقاه الناس لشره متفق عليه من حديث عائشة نحوه

(٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم

(٣) حديث الساعي بالناس إلى الناس لغير رشدة أخرجه الحاكم من حديث أبي موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة أو فيه شيء منها وقال له أسانيد هذا أمثلها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه

ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال والحديث لا أصل له وقد ذكر ابن حبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبراني بلفظ لا يسعى على الناس إلا ولد بغى وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبي بردة أبا الوليد القرشي". (١)

٢٠١. ١٢-"الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي رحمه الله في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم قالوا أحباؤك جاءوك زائرين فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ ويقال أن امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك (١) قال الراوي فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرءوا القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وقد قيل الصبرالجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل الموت سواء ولأن البكاء توجع القلب على الميت فإن ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الإنسان إلى الموت ولذلك لما مات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال إن هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحما بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالمقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه إذا عظم ألمه وسيأتي

---

(١) ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فإذا هي قد أخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله أحوج إليها مني وروي عن بعضهم أنه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له أسقيك ماء فقال جرني قليلا إلى العدو واجعل الماء في الترس فإني صائم فإن عشت إلى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى

---

(١) إحياء علوم الدين ١٥٧/٣

فإن قلت فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى فإن كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في اختيار فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد أن ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روي عن الرميصاء أم سليم رحمها الله أنها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقمت فهيأت له إفطاره فجعل يأكل فقال كيف الصبي قلت بأحسن حال بحمد الله ومنه فإنه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته ثم قلت ألا تعجب من جيراننا قال ما لهم قلت أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما". (١)

٢٠٢. ١٣-"الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الخزي والنكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل إليه إلا بإخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فالأولى أن تدعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد (١)
والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه // حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه أخرجه مسلم من حديث جابر وقد تقدم
وقال تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري

---

(١) إحياء علوم الدين ٧٣/٤

الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه
وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لابنه عند الموت اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن حببني إلى عبادي فقال بماذا قال بأن تذكر لهم آلائي ونعمائي فإذن غاية السعادة أن يموت محبا لله تعالى وإنما تحصل المحبة بالمعرفة بإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن المانع من المحبوب ولذلك رأى **بعض الصالحين** أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أفلت فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له إنه مات البارحة
بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف

اعلم أن ما ذكرناه في حال الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى باليوم والآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف ولذلك قال علي كرم الله وجهه
من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر إلى الأنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والأنس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأنس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فإذن فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقتين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فإذا نظر الصبي إلى أبيه

(١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك الحديث أخرجه الترمذي من حديث معاذ وتقدم في الأذكار والدعوات". (١)

٢٠٣. ١٤-"حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا

وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد متزايدا

وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضر به البرد وإذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام وانه مات وهو ساجد وانه كان يقول اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي

وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما إليها فإذا هى تصلى صلاة الضحى وهى تقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكى وتدعو وتردد الآية فقمت حتى مللت وهى كما هى فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتى ثم أرجع ففرغت من حاجتى ثم رجعت وهى كما هى تردد الآية وتبكى وتدعو

وقال محمد بن إسحاق لما ورد علينا عبد الرحمن ابن الأسود حاجا اعتلت إحدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء

وقال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وكان عامر بن عبد القيس يقول إلهى خلقتنى ولم تؤامرنى وتميتنى ولا تعلمنى وخلقت معى عدوا وجعلته يجرى منى مجرى الدم وجعلته يرانى ولا أراه ثم قلت لى استمسك إلهى كيف أستمسك إن لم تمسكنى إلهى في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان إذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى الثلث الثانى صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض البصريين فقال

---

(١) إحياء علوم الدين ١٦٧/٤

لا تنظر الى صياحه ولكن انظر إلى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح وعن القاسم بن راشد الشيبانى قال كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلى ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع من ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى

وقال بعض الحكماء إن لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوم ثم ترجع ومعها طوائف من لطائف الفوائد وما لا يمكن واصفا أن يصفه فهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا

وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء

وقال **بعض الصالحين** بينما أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تجيبه لها دوى عال فاتبعت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا إلى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خر مغشيا عليه فقلت وا أسفاه هذا لشقائى

ثم انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إعراض الغافلين

ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين وإليك". (١)

٢٠٤. ١٥-"فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده فقال مالى وللدنيا وما للدنيا وما لى عليك يا دنيا بأبناء جنسك وألاف نعيمك إلى محبيك فاذهبي وإياهم فاخدعى ثم قال أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان يفنون فناديته يا عبد الله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت

---

(١) إحياء علوم الدين ٤١٢/٤

إلى نفسه أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ثم لها عنى ساعة وقرأ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت روحه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما خطرى هب لى إساءتى من فضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك فقلت له بالذى ترجوه لنفسك وتثق به إلا كلمتنى فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أو بقته ذنوبه إنى لفى هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدنى فلم يجد عونا على ليخرجنى مما أنا فيه غيرك فإليك عنى يا مخدوع فقد عطلت على لسانى وميلت إلى حديثك شعبة من قلبى وأنا أعوذ بالله من شرك ثم أرجو أن يعيذنى من سخطه ويتفضل على برحمته قال فقلت هذا ولى الله أخاف أن أشغله فأعاقب فى موضعى هذا فانصرفت وتركته

وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير في مسير لى إذ ملت إلى شجرة لأستريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد أشرف على فقال لى يا هذا قم فإن الموت لم يمت ثم هام على وجه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لى في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر إليك واملأ قلبى من المحبة لك وأجرنى من ذلك التوبيخ غدا عندك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع عن الإعراض عنك قم قال لولا حلمك لم يسعنى أجلى ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملى ثم مضى وتركنى

وقد أنشدوا في هذا المعنى

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ... تراه بقمة أو بطن وادى

ينوح على معاص فاضحات ... يكدر ثقلها صفو الرقاد

فإن هاجت مخاوفه وزادت ... فدعوته أغثنى يا عمادى

فأنت بما ألاقيه عليم

كثير الصفح عن زلل العباد وقيل أيضا

ألذ من التلذذ بالغوانى ... إذا أقبلن في حلل حسان

منيب فر من أهل ومال ... يسيح إلى مكان من مكان

ليخمل ذكره ويعيش فردا ... ويظهر في العبادة بالأمانى

تلذذه التلاوة أين ولى ... وذكر بالفؤاد وباللسان

وعند الموت يأتيه بشير ... يبشر بالنجاة من الهوان

فيدرك ما أراد وما تمنى ... من الراحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القرآن في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعنى أنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت". (١)

٢٠٥. ١٦-"ديارنا قال فكنت أسمع لها من الليل أنينا وشهيقا فقلت يوما لخادم لي أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فأشرف عليها فما رآها تصنع شيئيا غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال إلى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة أتراها تظن أنك لا ترى فعالها وأنت عليم خبير وأنت على كل شيء قدير وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي إذا سواد مقبل على وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني السواد اذا هي امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من أنت غير فزعة مني فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت ما الذي أبكاك فقلت قد وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع في نجاحه قالت فإن كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذاك قالت لأن البكاء راحة القلب فسكت متعجبا من قولها

وقال أحمد بن علي استأذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول اللهم إني أعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا أمة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراءكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمي أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فأصابه فتق في بطنه فيا ليت عفيرة إذا رفعت رأسها لم تعص ويا ليتها إذا عصت لم تعد وقال **بعض الصالحين** خرجت يوما

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/٤١٣

إلى السوق ومعى جارية حبشية فاحتبستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجى وقلت لا تبرحى حتى أنصرف إليك قال فانصرفت فلم أجدها في الموضع فانصرفت إلى منزلى وأنا شديد الغضب عليها فلما رأتنى عرفت الغضب في وجهى فقالت يا مولاى لا تعجل على إنك أجلستنى في موضع لم أر فيه ذاكرا لله تعالى فخفت أن يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها أنت حرة فقالت ما صنعت كنت أخدمك فيكون لى أجران وأما الآن فقد ذهب عنى أحدهما

وقال ابن العلاء السعدى كانت لى ابنة عم يقال لها بريرة تعبدت وكانت كثيرة القراءة في المصحف فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكى حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا إلى هذه المرأة حتى نعدلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا يا بريرة كيف أصبحت قالت أصبحنا أضيافا منيخين بأرض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها ما هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت إن يكن لعينى عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وإن كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا ثم أعرضت

قال فقال القوم قوموا بنا فهى والله في شىء غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية إذا جاء النهار تقول هذا يومى الذى أموت فيه فما تطعم حتى تمسى فإذا جاء الليل تقول هذه الليلة التى أموت فيها فتصلى حتى تصبح وقال أبو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت إلى محراب لها وقمت أنا إلى ناحية من البيت فلم تزل قائمة إلى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه أن تصوم له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها إلهى ما أشوقنى إلى لقائك وأعظم رجائى لجزائك وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين إلهى إن كان دنا أجلى ولم يقربنى منك عمل فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللى فإن عفوت فمن أولى منك بذلك وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك إلهى قد جرت على نفسى في النظر لها وبقى لها حسن نظرك فالويل لها إن لم تسعدها إلهى إنك لم تزل بى برا أيام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد مماتى". (١)

٢٠٦. ١٧-"قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعهما عند خروج الأمر من الاختيار إذا لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/٤١٥

الإبتدار فقد قال **بعض الصالحين** رأيت أخا لي في الله فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقولها يعني الحمد لله رب العالمين أحب إلى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونني فإن فلانا قد قام فصلى ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلي من الدنيا وما فيها

بيان أقاويلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر

وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق المتأخر وإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أقدم سقطا أحب إلي من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله (١) وإنما ذكر السقط تنبيها بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب

وقال زيد بن أسلم توفي ابن لداود عليك السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الأرض ذهبا قيل له فإن لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اثنان قال أو اثنان (٢) وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فإنه أرجى دعاء وأقربه إلى الإجابة

وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي

ووقف أبو سنان على قبر ولده فقال اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فإنك أجود وأكرم

ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك

ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر بعد وضعه في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعتني به ما

متعتني ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي اللهم ما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه

فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك ونظر رجل إلى امرأة في البصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله أني لفي حزن ما يشركني فيه أحد قال فكيف قالت أن زوجي ذبح شاة في يوم عيد الأضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا متشطحا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبل فرهقه ذئب فأكله فخرج أبوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فأرداني الدهر كما ترى

فأمثال هذه المصائب ينبغي أن تتذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة إلا ويتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكثر

---

(١) حديث لأن أقدم سقطا أحب إلى من أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله لم أجد فيه ذكر مائة فارس وروى بن ماجة من حديث أبي هريرة لسقط أقدمه بين يدي أحب إلي من فارس أخافه خلفي

(٢) حديث لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتبسهم الحديث تقدم في النكاح". (١)

٢٠٧. ١٨-"ممزوجا بكل ظروف الحياة الاجتماعية، العائلية منها والدينية والاقتصادية والحربية، والسلمية والمهنية من زراعية وصناعية.

واشتق من المعابد أماكن ملحقة بها تخصص لتخريج مختصين بالدعوة إلى الدين ينقطعون للعبادة، ويزهدون بالدنيا، وقد ذكر لنا القرآن هذه الفئة من الدعاة بقوله تعالى مشيرا إلى أتباع رسول الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام:

﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾ [الحديد: ٥٧/ ٢٧] .

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/٤٨٩

وهكذا كانت المعابد النواة الأولى للمدارس أو للتربة المقصودة، وكان رسل الله وأتباعهم المخلصون، الدعاة إلى دين الله، هم المعلمون الأوائل في هذه البشرية[1].

وقد وردت في القرآن إشارات إلى تربية بعض الرسل لأبنائهم، وما علموهم من توحيد الله وعبادته، كوصية يعقوب لبنيه، ووصية إبراهيم من قبله: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾ [البقرة: ٢/ ١٣٢-١٣٣] .

كما وردت إشارة إلى تربية **بعض الصالحين** لأبنائهم كوصية لقمان لابنه، وهو يعظه "سورة لقمان": [الآيات: من ١٣ حتى ١٩] .

ووردت إشارات كثيرة إلى حو ار طويل دار بين كل نبي وقومه، مثل: "نوح" و"شعيب" و"إبراهيم" و"موسى" و"صالح" و"لوط" حتى آمن من آمن، وكل هذه المحاولات يمكن اعتبارها مواقف تربوية، سنبسط بعضها عند ذكر "الطريقة الحوارية" في "أساليب التربية الإسلامية" في تمام هذا الباب إن شاء الله.

والذي يهمنا هنا هو مواقف هؤلاء الرسل التربوية، وما تبعهم عليه أتباعهم من أساليب الدعوة والتبشير بالدين، وما خصصوا من أماكن لتعليم الدين.

وهكذا استمر انتشار "دور التربية الدينية"، وكان ذلك بين مد وجزر؛ لأن الصراع كان دائما بين الكفر والإيمان، بين السحرة[1] والكهان والعرافين، يربون الناس على الباطل، والخرافات الوثنية، وبين الرسل وأتباعهم يربون الناس على التفكير الصحيح، وتوحيد الله، والحرية والمسئولية والكرامة الإنسانية، والعدل، والإحسان، وتعليل الأمور تعليلا منطقيا بعيدا عن الخرافة والشرك، كما رأينا في "أسس التربية الإسلامية" في فصل سابق.

---

[1] ولا حاجة إلى اعتبار ما يسمونه "مدرسة القبيلة"، واتخاذ دور "الكهان" أو "العرافين" فيها: نواة لنشوء المدرسة؛ لأن الأخبار عن القبائل متناقضة ضعيفة السند في هذا الشأن بينما تجمع الأخبار الصحيحة من الأديان السماوية على ما ذهبنا إليه إجماعا لا يرقى إليه الشك، والوحي أقدم من

الكهانة، والعرافة بصريح القرآن.". (١)

٢٠٨. ١٩-"يترفرف مثل النور ثم نلبسها.

وروى بإسناده عن بشار بن غالب البحراني قال: رأيت رابعة العدوية في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي: يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت: وكيف ذلك؟ قالت: هكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجب لهم جعل ذلك على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتي به إلى دعي له من الموتى فقيل: هذه هدية فلان إليك.

وبإسناده عن عمرو بن جرين قال: إذا دعا العبد لأخيه الميت أتاه ملك في قبره فقال له: يا صاحب القبر الغريب هدية من أخ شفيق عليك.

وبإسناده عن بشر بن منصور قال: كان رجل يختلف إلى الجبان زمن الطاعون فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال: آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجارز عن سيئاتكم وقل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال: فإذا أمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو قال: فبينما أنا نائم إذا أنا بخلق كثير قد جاؤوني فقلت لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: نحن أهل المقابر قلت: وما تريدون؟ قال: إنك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك قلت: وما هي؟ قال: الدعوات التي كنت تدعو بها قال: فقلت: إني أعود لذلك فما تركها بعد.

وبإسناده عن سفيان بن عيينة قال: كان يقال: الأموات أحوج إلى الدعاء من الأحياء إلى الطعام.

وبإسناده له عن بعض المتقدمين قال: مررت بالمقابر فترحمت عليهم فهتف هاتف: نعم فترحم عليهم فإن فيهم المهموم والمحزون.

وروى جعفر الخلدي عن العباس بن يعقوب بن صالح الأبياري سمعت أبي يقول: رأى **بعض الصالحين** أباه في النوم فقال: يا بني لم قطعتهم هديتكم عنا؟ قال: يا أبت وهل تعرف الأموات هدية الأحياء؟ قال: يا بني لولا الأحياء هلكت الأموات نسأل الله العفو والغفران.". (٢)

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ص/١١٧

(٢) أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ص/١٣٤

٢٠٩. ٢٠-"فرأى صاحب القبر في المنام فقال هذا إنكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل ولأن تكون ركعتان في صحيفتي أحب إلي من الدنيا وما فيها. وقال **بعض الصالحين** مات لي أخ في الله فرأيته في النوم فقلت له يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لي لأن أقدر أن أقولها يعني الحمد لله رب العالمين أحب إلي من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنوني فإن فلانا جاء فصلى ركعتين لأن أقدر أن أصليهما أحب إلي من الدنيا وما فيها. وذكر أبو سبرة أن منكرا ونكيرا أتيا رجلا إلى قبره وقالا إنا ضاربوك مائة ضربة فقال الميت إني كنت كذا وكذا وتشفع ببعض أعماله الصالحة حتى حطا عنه عشرا ولم يزل يتشفع حتى حطا الجميع إلا ضربة فضرباه ضربة فالتهب القبر عليه نارا فقال لم ضربتماني فقالا مررت بمظلوم فاستغاث بك فلم تغثه. وقال عبد الله بن عمر وجماعة من أهل بيته إنا كنا ندعو الله تعالى ليرينا عمر في المنام فرأيته في المنام بعد اثنتي عشرة سنة كأنه قد اغتسل وهو متلفع بإزار فقلت يا أمير المؤمنين كيف وجدت ربك وبأي حسناتك جازاك فقال يا عبد الله كم لي منذ فارقتكم فقلت اثنتي عشرة سنة فقال منذ فارقتكم كنت في الحساب وخفت أن أهلك إلا أن الله غفور رحيم جواد كريم فهذا حال عمر ولم يكن له في دنياه شيء من أسباب الولاية سوى درة.

وروي أنه زنى أبو شحمة ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجلده مائة جلدة فمات فلما كان بعد أربعين يوما قال حذيفة بن اليمان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وإذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرئ عمر مني السلام وقل له هكذا آمرك أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود وقال الغلام يا حذيفة أقرئ أبي مني السلام وقل له طهرك الله كما طهرني والسلام.

وروى عن أبي بكر بن أبي الدنيا عن أصحابه أنه قال لنباش بعد توبته ما سبب توبتك ورجوعك إلى الله قال نبشت إنسانا فوجدته قد سمر بمسامير في جميع جسده ومسمار كبير في رأسه وآخر في رجليه وقال الآخر ما سبب توبتك قال رأيت جمجمة إنسان قد صب فيها الرصاص.". (١)

٢١٠. ٢١-"ويروى أن بعض النباشين نبش ذات ليلة قبرا فلما كشف عن الميت إذا بنار تحرق الميت فأهوت إليه منها شرارة فهرب وتاب إلى الله تعالى وقيل رؤي الأوزاعي في المنام فقال ما رأيت هاهنا

(١) الاستعداد للموت وسؤال القبر ص/٣١

درجة أرفع من درجة العلماء ثم المحزونين. ورؤي أبو عبد الله النداد في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني وغفر لي كل ذنب أقررت به في الدنيا إلا واحدا استحييت أن أقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقيل له وما ذاك فقال نظرت إلى شخص جميل فاستحييت أن أذكره.
وروى عن هاشم بن حسان أنه قال مات لي ابن حدث فرأيته في النوم فإذا شيب رأسه فقلت يا بني ما هذا الشيب قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق أحد منا إلا شاب. وقيل لما مات كرز بن وبرة رؤي في المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض وقيل ما هذا؟ فقالوا إن أهل القبور كسوا لباسا جددا لقدوم كرز عليهم.
وروي أن بعض الصالحين قال كان لي ابن استشهد فلم أره في المنام إلى ليلة توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذ تراءى لي تلك الليلة فقلت يا بني ألم تك ميتا فقال لا ولكني استشهدت وأنا حي عند الله تعالى أرزق فقلت ما جاء بك فقال نودي في أهل السماوات أن لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لأشهد الصلاة ثم جئتكم لأسلم عليكم.
وروي أن عبد الواحد بن عبد المجيد الثقفي قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة رجال وامرأة فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة فصلينا عليها ودفناها فقلت للمرأة من كان هذا منك قالت ابني أو لم يكن لك جيران قالت نعم ولكنهم صغروا أمره فقلت وإيش كان هذا فقالت هو مخنث قال فرحمتها". (١)

٢١١. ٢٢-"فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله عز وجل. فيقال له: نم هنيا طبت حيا وميتا. وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرشه فراشا من الجنة ودثارا من الجنة،
ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم القيامة.
وقف بعض الحكماء على المقابر فقال: يا أهل القبور، أصبحتم نادمين على ما خلفتم في البيوت، وأصبحنا نقتتل على ما ندمتم عليه، فما أعجبنا وأعجبكم!
(يا أيها الواقف بالقبور ... بين أناس غيب حضور)
(قد أسكنوا في خرب مغمور ... بين الثرى وجندل الصخور)
(ينتظرون صيحة النشور ... لا تك عن حظك في غرور)

(١) الاستعداد للموت وسؤال القبر ص/٣٢

قال **بعض الصالحين**: صليت ركعتين في الليل ثم وضعت رأسي على قبر ثم نمت، فإذا صاحب القبر يقول: لقد آذيتني منذ الليلة، إنكم تعلمون ولا تعملون، ونحن نعلم ولا نعمل ولا نقدر على العمل، إن الركعتين اللتين ركعتهما خير من الدنيا وما فيها. ثم قال: جزى الله أهل الدنيا عنا خيرا أقرئهم منا السلام فإنه يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال.

كان الربيع بن أبي راشد يخرج إلى الجبان فيقيم طول النهار ويرجع مكتئبا فيقول له إخوانه وأهله: أين كنت؟ فيقول: كنت في المقابر، نظرت إلى قوم قد منعوا ما نحن فيه.

(طالما صعروا الخدود وهزوا ... الأرض في يوم محفل وركوب)

(ثم أمسوا وفد القبور سكان أطباق ... الثرى تحت جندل منصوب)

(كم كريم منهم يرى الوعد بخلا ... مستقل لكثرة الموهوب)

(رد عني غرب الملام خليلي ... إن نفسي صارت علي حسيبي)

(وتنحيت عن طريق اللاهي ... والملاهي وقلت للنفس توبي)". (١)

٢١٢. ٢٣-"(وقد قاموا فلا يهجع ... من قد ذاق ما ذاقوا)

قال عبد الواحد بن زيد: هجمنا مرة على نفر من العباد في بعض السواحل فتفرقوا حين رأونا فارتقينا على تلك الجزيرة وبتنا تلك الليلة، فما كنا نسمع عامة الليل إلا الصراخ والنفور من النار، فلما أصبحنا طلبناهم وتبعنا آثارهم فلم نر أحدا!

نفذت أبصار بصائرهم بنور الغيب إلى مشاهدة موصوف الوعد، تعلقت أكف الآمال بما عاينت نواظر القلوب، فأخمصوا البطون وغضوا الجفون، وأهملوا الدموع على تململ ملسوع، لو رأيتهم من خوف البين على أرجاء الرجا، الدموع كالسيل والليل قد دجا، ذكروا ظلم النفوس والظلام قد سجا، فمال القلب إلى اليأس بفتوى الحجا، فهب عليهم نسيم الظن فرجا فرجا.

(وقفنا فمن باك أجابت دموعه ... ومعتصم بالصبر لم يملك الصبرا)

(ومن سائر أجفانه بيمينه ... وملق على أحشائه يده اليسرى)

(ومن طائش لم يسعد الدمع وجده ... وشر البكا ما استنفد الأدمع العزرا)

(وقد ملقت خوص الركاب لبيننا ... فلم تستطن ضعفا لشاردها زجرا)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٤٨٥/١

قال **بعض الصالحين**: لقيت غلاما في طريق مكة يمشي وحده فقلت له: ما معك مؤنس؟ قال: بلى. قلت: أين هو؟ قال: أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي؟ قلت: أما معك زاد؟ قال: بلى. قلت: أين هو؟ قال: الإخلاص والتوحيد والإيمان والتوكل. قلت: هل لك في مرافقتي؟ فقال: الرفيق يشغل على الله عز وجل ولا أحب أن أرافق من يشغلني عنه طرفة عين. قلت أما تستوحش في هذه البرية؟ قال: إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة، فلو كنت بين السباع ما خفتها. قلت: ألك حاجة؛ قال: نعم إذا رأيتني فلا تكلمني فقلت: ادع لي. قال: حجب الله طرفك عن كل معصية وألهم قلبك الفكر فيما يرضيه. قلت: حبيبي أين ألقاك؟ قال: أما في الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائي، وأما الآخرة فإنها تجمع المتقين فإن طلبتني هناك فاطلبني في زمرة الناظرين إلى الله عز وجل. قلت: وكيف علمت؟ قال: بغض طرفي له". (١)

٢١٣. ٢٤-"الاغترار بها، والسكون إليها، لقطعه عنها.

ولقد أحسن من قال:

اذكر الموت هادم اللذات ... وتجهز لمصرع سوف يأتي

وقال غيره:

واذكر الموت تجد راحة ... في إذكار الموت تقصير الآمل

وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم.

وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مستعدا لذلك.

وكان **بعض الصالحين** ينادي بليل على سور المدينة: الرحيل.

الرحيل.

فلما توفي فقد صوته أمير المدينة فسأل عنه.

فقيل: إنه قد مات فقال:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره ... حتى أناخ ببابه الجمال

فأصابه متيقظا متشمرا ... ذا أهبة لم تلهه الآمال

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد، من ذا يترضى عنك ربك الموت؟ ثم يقول: أيها الناس

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٥٠٣/١

ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه والقبر بيته.

والتراب فراشه.

والدود أنيسه.

وهو". (١)

٢١٤. ٢٥-"قال ابن عباس: أدخل الله أصحاب الأعراف الجنة، وفي رواية سعيد بن جبير عن عبد الله بن مسعود وكانوا آخر أهل الجنة دخولا الجنة.

قال ابن عطية: وتمنى سالم مولى أبي حذيفة أن يكون من أصحاب الأعراف لأن مذهبه أنهم مذنبون.

الحادي عشر: أنهم أولاد الزنا.

ذكره أبو نصر القشيري عن ابن عباس.

الثاني عشر: أنهم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل دخالهم الجنة والنار.

قاله أبو مجلز لاحق بن حميد، فقيل له: لا يقال للملائكة رجال فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث فلا يبعد إيقاع لفظ الرجال عليهم كما وضع على الجن في قوله تعالى ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ .

والأعراف: سور بين الجنة والنار.

قيل: هو جبل أحد يوضع هناك.

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق أنس وغيره ذكره أبو عمر بن عبد البر وغيره حسب ما ذكرناه في كتاب جامع أحكام القرآن من سورة الأعراف والحمد لله.

حكاية

روي عن **بعض الصالحين** رضي الله عنه أنه قال: أخذتني ذات ليلة سنة فنمت". (٢)

٢١٥. ٢٦-"لعلك لا تفعل من وعد فقد أوجب، وفي أنيس المنقطعين أنه قيل **لبعض الصالحين** وقد أصبح صائما تطوعا افطر فإن المتطوع أمير نفسه فقال أني لاستحي من ربي عزوجل أن أعده وعدا

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص/١٢٤

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص/٧٣٨

وهو أن أصوم ولا أوفي له بوعدي، ثم قال النووي قال يعني ابن العربي وذهبت المالكية مذهبا ثالثا إلى أنه ارتبط الوعد بسبب كقوله تزوج ولك كذا، أو أحلف إنك لا تشتمني ولك كذا وجب الوفاء بالوعد ونحو ذلك وإن كان وعدا مطلقا لم يجب. انتهى وخرج بعضهم الخلاف على أن الهبة هل تملك بالقبض أو قبله". (١)

٢١٦. ٢٧-"وقتل لبعض الصالحين ولد في سبيل الله عز وجل فبكى فقيل له أتبكي وقد استشهد

فقال إنما أبكي كيف كان رضاه عن الله عز وجل حين أخذته السيوف

فإن قيل قد يتصور الصبر فأما الرضا بالمكروه فكيف يتصور

فالجواب أن نفور الطبع من المنافي لا يضاد رضى القلب بالقدر فإنما نرضى بالقضاء وإن كرهنا المقضى

فصل في ذكر أخبار جماعة من الصابرين والراضين

أخبرنا ابن الحصين قال أخبرنا ابن المذهب قال أخبرنا أحمد بن جعفر قال حدثنا عبد الله ابن أحمد قال حدثني أبي قال حدثنا بهز قال حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال

مات ولد لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه قال فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم قال لا فقالت فاحتسب ابنك". (٢)

٢١٧. ٢٨-"المكتسب من العقل الدنيوي والأخروي

العقل المكتسب ضربان:

أحدهما: التجارب الدنيوية والمعارف الكسبية.

والثاني: العلوم الأخروية والمعارف الإلهية.

وطريقهما متنافيان، وقد ضرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- لذلك ثلاثة أمثلة فقال: " إن مثل الدنيا والآخرة ككفتي الميزان لا ترجح إحداهما إلا بنقصان الأخرى، وكالمشرق والمغرب

---

(١) التماس السعد في الوفاء بالوعد ص/٥٨

(٢) الثبات عند الممات ص/٣٦

كل من قرب من أحدهما بعد عن الآخر، وكالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى "، ولذلك نرى أقواما أكياسا في تدبير الدنيا وسياستها بلهاء في تدبير أمور الآخرة، وقوما بلهاء في أمور الدنيا أكياسا في أمور الآخرة،

حتى قال عليه الصلاة والسلام: " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ".

وقال لمن نسب **بعض الصالحين** إلى بعض البله: " أكثر أهل الجنة البله ".

ولاختلاف طريقهما قال الحسن - رحمه الله -: " لقد أدركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم: مجانين، ولو رأوكم لقالوا: شياطين ".

ولقلة الاعتداد بالمعارف الدنيوية قال رجل لمن وصف نصرانيا بالعقل: مه، إنما العاقل من وحد الله تعالى وعمل بطاعته، وقال تعالى حكاية عن أهل النار: (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير (١٠) .

ومن تصور اختلاف الطريقين - أعني طريق الدنيا وطريق الآخرة - لم تعرض له الشبهة التي عرضت لقوم قالوا: لو أن هاهنا حقا لما جهله الذين لم يلحق شأوهم في تدبير الدنيا ودقائق الصناعات وواضعو الحكم والسياسات، وذلك أنه كما أن من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما لا يوجد إلا في المغرب، أو يظفر سالك طريق الغرب بما لا يوجد إلا في الشرق، كذلك من المحال أن يظفر سالك طريق معارف الدنيا". (١)

٢١٨. ٢٩-"من شكرك، فإنه لا زوال لنعمة إذا شكرت، ولا دوام لها إذا كفرت " (١) وقال بعض أهل العلم: كل نعمة يمكن شكرها إلا نعمة الله تعالى فإن شكر نعمته نعمة منه، فيحتاج العبد أن يشكر الثاني كشكره الأول، وكذلك الحال في الثالث والرابع، وهذا يؤدي إلى ما لا يتناهى، ولذلك قال موسى - صلى الله عليه وسلم -: " اللهم أمرتني بالشكر على
نعمتك، وشكري إياك نعمة من نعمك " ومن هذا أخذ الشاعر فقال:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

ولهذا قيل: غاية شكر الله تعالى الاعتراف بالعجز عنه، بل قد قال تعالى: (وإن تعدوا نعمت الله لا

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/١٣٦

تحصوها) وأيضا فكل ما يفعل الله بعبده فهو منه

نعمة وإن كان قد يعد ذلك بلية، ولذلك قال **بعض الصالحين**: يا من منعه عطاء وبلاؤه نعماء؛

ولأجل صعوبة شكره قال تعالى: (وقليل من عبادي الشكور (١٣)

ولم يثن بالشكر على أوليائه إلا على اثنين منهم، قال في إبراهيم: (شاكرا لأنعمه)

فخص الله تعالى لفظ الأنعم الدال على أدنى العدد، وقال في نوح:

(إنه كان عبدا شكورا (٣) .

واعلم أن الشكر والصبر جماع الإيمان، كما روي في الخبر، وقد روي: " الصبر نصف الإيمان ".

لكن قد قال بعض المتصوفة: الشكر أفضل من الصبر، فإن الصبر

حبس النفس على مسالمة البلاء، والشكر أن لا تلتفت إلى البلاء، بل يراه من النعماء، فمن صبر فقد ترك إظهار الجزع، ومن شكر فقد تجاوز إلى إظهار السرور بما جزع له الصابر، وأيضا فالصبر هو ترك للعمل السيئ، والشكر إظهار الفعل الحسن، وليس من ترك قبيحا كمن فعل حسنا وجميلا، وقابل تعالى الشكر بالمجازاة، فعل الحبيب بحبيبه، فقال تعالى: (وسنجزي الشاكرين (١٤٥)

وقابل الصبر

---

(١) هذا بلفظه ليس بحديث، وهي عبارة أوردها ابن المقفع في الأدب الكبير (٤٩) نقلا عن التوراة. انظر محمد يوسف موسى فلسفة الأخلاق (٣١) . وقد روى أحمد في مسنده: (التحدث بنعمة الله شكر،

وتركها كفر ... " مسند أحمد (٤ / ٢٧٨) .". (١)

٢١٩. ٣٠-"وإن كان غمه لجهله بماله ومآله عند ربه، فمداواته بالعلم والمعرفة الحقيقية التي تريه حال ما للإنسان بعد الموت كما قال حارثة للنبي - صلى الله عليه وسلم -: "كأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاوون فيها ".

وإن كان غمه خوفا لما قدم من عصيانه؛ فدواؤه المبادرة بالتوبة، ويكفيه إن كان ذا بصيرة ما جعل الله له إليه سبيلا من تلافي ما فرط منه ووعد به التائبين إليه.

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/١٩٩

أحوال الناس في محبة الموت والاحتيال لقلة المبالاة به

الناس في ذلك على ثلاثة أضرب:

فالأول: حكيم يعلم أن الحياة تسترقه والموت يعتقه، وأن الإنسان في هذا العالم وإن طال فيه لبثه فهو كخطفة برق لمعت في أكناف السماء ثم خفيت، وأنه في دنياه

كمبعوث إلى ثغر يحرسه وبلد يسوسه فيراعي من ذلك ما استرعى ويفرح ويسر إذا استدعى، ولا ينكأه خروجه منها إلا بقدر ما يفوته من خدمة ربه والازدياد من التقرب إليه، والإشفاق مما يقال له كما قال **بعض الصالحين** وقد رؤي منه جزع عند الموت فقيل

له في ذلك، فقال: إنما جزعي لأني أسلك طريقا لم أعهده، وأقدم على رب لم أره ولا أدري ما أقول ولا ما يقال لي.

والثاني: رجل أنس بهذا العالم فألفه، وإن كرهه فسبيله سبيل من ألف بيتا مظلما قذرا ولم ير غيره يكره الخروج منه وإن كان يكره الكون فيه كما قال الشاعر:

دخلنا كارهين لها فلما ... ألفناها خرجنا مكرهينا

وما حب البلاد بنا ولكن ... أمر العيش فرقة من هوينا

وحق ما قيل: لو رضي الناس بأرزاقهم رضاهم بأوطانهم لما شكا أحد فقره، فهذا متى خرج عن دنياه واطلع على ما أعد الله للصالحين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر سر بخلاصه كما حكى الله – عز وجل – عمن استقر بهم القرار في جنات النعيم حيث قالوا: (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (٣٤) الذي أحلنا دار المقامة من فضله) .". (١)

٢٢٠. ٣١-"ثم صار أمره إلى ما صار ، وقيل: حجم جنيد الحجام داود الطائي ، فأعطاه دينارا ، فقيل له: هذا إسراف ، فقال: لا عبادة لمن لا مروءة له.

وكان يقول بالليل: إلهي ، همك عطل على الهموم الدنيوية وحال بيني وبين الرقاد.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي ، يقول: حدثنا محمد بن يوسف ، قال: حدثنا سعيد بن عمرو ، قال: حدثنا علي بن حرب الموصلي ، قال: حدثنا إسماعيل بن زياد الطائي ، قال: قالت دابة داود الطائي له: أما تشتهي الخبز؟ فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية.

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٢٣٧

ولما توفي داود رآه **بعض الصالحين** في المنام وهو يعدو فقال له: مالك؟ فقال: الساعة تخلصت من السجن فاستيقظ الرجل من منامه ، فارتفع الصياح بقول الناس مات داود الطائي.

وقال له رجل: أوصني ، فقال: عسكر الموت ينتظرونك ودخل بعضهم عليه ، فرأى جرة ماء انبسطت عليها الشمس ، فقال له: ألا تحولها إلى الظل ، فقال: حين وضعتها لم يكن شمس ، وأنا أستحي أن يراني الله أمشى لما فيه حظ نفسي.

ودخل عليه بعضهم فجعل ينظر إليه ، فقال: أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام.

أخبرنا عن عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيي المزكي ، قال: حدثنا قاسم بن أحمد ، قال: سمعت ميمونا الغزال ، قال: قال أبو الربيع الواسطي: قلت لداود الطائي: أوصني.

قال: صم عن الدنيا ، واجعل فطرك الموت ، وفر من الناس كفرارك من السبع.". (١)

٢٢١. ٣٢-"باب الخلوة والعزلة

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال حدثنا عبد العزيز بن معاوية قال حدثنا القعنبي قال حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن بعجة بن عبد الله بن بدر الجهني، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من خير معايش الناس كلهم رجلا آخذا بعنان فرسه في سبيل الله إن سمع قرعة أو هيعة كان على متن فرسه يبتغي الموت أو القتل في مظانه أو رجلا في غنيمة له في رأس شعفة من هذه الشعاف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير

قال الأستاذ: الخلوة صفة أهل الصفوة، والعزلة من أمارات الوصلة، ولابد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه ومن حق العبد إذا آثر العزلة أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق فإن الأول من القسمين نتيجة استصغار نفسه والثاني شهود مزينة على الخلق، ومن استصغر نفسه فهو متواضع، ومن رأى لنفسه مزية على أحد فهو متكبر.

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٤/١

ورؤي بعض الرهبان فقيل له: إنك راهب؟ فقال: لا، بل أنا حارس كلب إن نفسي كلب يعقر الخلق أخرجتها من بينهم ليسلموا منها.

ومر إنسان **ببعض الصالحين** فجمع ذلك الشيخ ثيابه منه فقال: الرجل لم تجمع عني ثيابك؟ ليست ثيابي نجسة". (١)

٢٢٢. ٣٣-"وقال ذو النون المصري: إذا خرج المريد عن استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء. سمعت الأستاذ أبا علي يقول في قوله عز وجل: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء: ٨٣] قال: لم يقل: ارحمني لأنه حفظ آداب الخطاب وكذلك عيسى عليه السلام حيث قال: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ [المائدة: ١١٨] وقال: ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾ [المائدة: ١١٦] ولم يقل لم أقل رعاية لآداب الحضرة.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت أبا الطيب بن الفرحان يقول: سمعت الجنيد يقول جاءني **بعض الصالحين** يوم الجمعة فقال لي: ابعث معي فقيرا يدخل على سرورا ويأكل معى شيئا فالتفت فإذا أنا بفقير شهدت فيه الفاقة فدعوته وقلت له: امض مع هذا الشيخ وأدخل عليه سرورا فمضى فلم ألبث أن جاءني الرجل وقال لي: يا أبا القاسم لم يأكل ذلك الرجل إلا لقمة وخرج فقلت: لعلك قلت: كلمة جفاء عليه فقال لي: لم أقل له شيئا فالتفت فإذا أنا بالفقير جالس فقلت له: لم تتم عليه السرور فقال: يا سيدي خرجت من الكوفة وقدمت بغداد ولم آكل شيئا وكرهت أن يبدو سوء أدب مني من جهة الفاقة في حضرتك فلما دعوتني سررت إذ جرى ذلك ابتداء منك فمضيت وأنا لا أرضى له الجنان فلما جلست على مائدته سوى لقمة وقال كل فهذا أحب إلي من عشرة آلاف درهم لما سمعت هذا منه علمت أنه دنيء الهمة فتظرفت أن آكل طعامه فقال الجنيد: ألم أقل لك إنك أسأت أدبك معه فقال: يا أبا القاسم التوبة فسأله أن يمضي معه ويفرحه.". (٢)

٢٢٣. ٣٤-"وهم يلعبون ".

وقيل في المعنى شعر:

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٢٢/١

(٢) الرسالة القشيرية ٤٤٩/٢

لو يعلم الخلق ما يراد بهم ... وأيما مورد غدا يردوا

ما استعذبوا لذة الحياة ولا ... طاب لهم عيشهم ولا رقدوا

خوفا من العرض والصراط على ... نار تلظي وحرها يقد

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: " دخلت على بعض إخواني أعوده، فجعل يتنفس ويتأسف، فقلت له: على ماذا تتنفس وتتأسف؟ فقال: ما تأسفي على البقاء في الدنيا، ولكن تأسفي على ليلة نمتها، ويوم افطرته، وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى "..

وقال الجنيد رضي الله عنه: " لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا ".

وقال بعض الصالحين: " لي أربعون سنة ما غمني إلا طلوع الفجر ".

وقيل لزيد بن هارون: "كم تصلي في الليل؟ فقال: أو أنام منه شيئا إذا لا أنام الله لي منه عينا أبدا ". (١)

٢٢٤. ٣٥-"وكانت أم سليمان رضي الله عنها، على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام تقول له: " يا بني، لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيرا يوم القيامة. يا بني، من يرد الله لا ينام الليل لأن من نام الليل ندم بالنهار ".

وقيل في المعنى شعر:

يا أيها الغافل جد في الرحيل ... وأنت في لهو وزاد قليل

لو كنت تدري ما تلاقي غدا ... لذبت من فيض البكاء والعويل

فاخلص التوبة تحظى بها ... فما بقي في العمر إلا القليل

ولا تنم إن كنت ذا غبطة ... فإن قدامك نوم طويل

وقال بعض الصالحين رضي الله عنه: "كانت رابعة العدوية رضي الله عنها تقوم الليل، وتهجع عند السحر، فإذا انتبهت قالت: يا نفس، كم تنامي؟ يوشك أن تنامي فلا تقومي إلى يوم القيامة ".

وروي عن يحي بن زكريا عليهما السلام، أنه شبع ليلة من خبز الشعير، فنام عن حزبه، فأوحى الله تعالى إليه: " يا يحيى، هل وجدت دارا خيرا من داري، أو جوارا خيرا من جواري، وعزتي وجلالي لو اطلعت على الفردوس إطلاعة لذاب جسمك وذهبت نفسك، ولو اطلعت على وجهي إطلاعة

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/١٦

لتبكين الصديد بدل الدموع، ولتلبس الحديد بدل المسوح ".

وقيل: أوحى الله تعالى. إلى داود عليه السلام: " يا داود، إذا حدثتك نفسك بالنوم فاذكر مصرع أهل النار، وصول الزبانية، وغلق أبواب جهنم،". (١)

٢٢٥. ٣٦-"وقيل: إن حسان بن ثابت رضي الله عنه خرج يوم عيد، فصلى ثم عاد إلى زوجته، فقالت له: يا حسان، كم رأيت من وجه مليح؟ فقال: والله رفعت. طرفي ولا علمت ما كان من الناس، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من نظر إلى ما لا يحل له حرم الله عليه النظر إلى وجهه وألقاه في النار ".

وقيل: إن أبا عبيدة التراز - وأنه أبو عبد الله الرزاز - رضي الله عنه، رؤي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك، فقال: أوقفني بين يديه وغفر لي كل ذنب عملته إلا ذنبا واحدا استحيت أن أذكره، فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي، فقيل: وما هو؟ فقال: نظرت إلى شخص جميل فاستحيت أن أذكره.

وقيل: إن راهبا تعبد في صومعته ستين سنة، فقال في نفسه: لو نزلت إلى الأرض ومشيت فيها لأنظر إلى ثمارها وأنهارها، فنزل ومعه رغيف، فتعرضت له امرأة فلم يملك نفسه إلى أن واقعها، ورأى كل سائلا فأعطاه الرغيف ومات في تلك الحالة، فجيء بعمل ستين سنة فوضع في كفة من الميزان، ثم جيء بالخطيئة فوضعت في الكفة الأخرى، فرجحت على عمل الستين، ثم جيء بالرغيف فوضع في أعماله فرجحت أعماله على خطيئته.

وقيل: إن **بعض الصالحين** تعرضت له امرأة في طريقه فلم يلتفت إليها، فلما كان الليل كتبت له رقعة وهي تقول فيها: الله الله في أمري، فكل عضو مني مشغول بحبك فلما وقف على الرقعة تشوش باطنه. وكتب إليها: إن الله تعالى إذا عصاه العبد أول مرة حلم عليه، وإذا عصاه ثاني مرة ستره، وإذا عصاه ثالث مرة غضب عليه غضبا تضيق منه السموات والأرض، فمن ذا يطيق غضب الله سبحانه وتعالى. فلما وقفت على الرقعة لزمت بيتها وتابت إلى الله تعالى.". (٢)

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/١٩

(٢) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٣١

٢٢٦. ٣٧-"وحكي أن رجلا خلا مع امرأة، فقال لها: إغلقي الأبواب وارخي الستور، ففعلت ذلك، فلما دنا منها قالت له: إنه بقي باب لم أغلقه، فقال لها: وأي باب هو؟ فقالت له: الذي بينك وبين الله تعالى. فصاح الرجل صيحة، فخرجت روحه فيها.

وقال بعض الصالحين: رأيت حدادا وهو يخرج الحديد من النار بيده ويقلبها باصابعه، فقلت في نفسي: هذا عبد صالح، فدنوت منه وسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت له: يا سيدي، بالذي عليك بهذه المنزلة ألا ما دعوت الله لي، فبكى وقال: يا أخي، ما أنا من القوم الذين تزعم، ولكن أحدثك أمري، وذلك أني كنت كثير المعاصي والذنوب، فوقعت على امرأة من أحسن الناس وجها، فقالت لي: هل عندك شيء لله تعالى، فأخذت قلبي؟ فقلت لها أمضي معي إلى البيت وادفع لك ما يكفيك، فتركتني وذهبت ثم عادت وهي تبكي، وقالت: والله لقد أحوجني الوقت إلى أن رجعت إليك، فأخذتها ومضيت بها إلى البيت ثم أجلستها، وتقدمت أليها، فإذا هي تضطرب كالسفينة في الريح العاصف، فقلت: مم اضطرابك، فقالت: خوفا من الله تعالى أن يرانا على هذه الحالة، فإن تركتني ولم تصبني فلا أحرقك الله بناره لا في الدنيا ولا في الآخرة.

فقمت عنها ودفعت لها ما كان عندي لله تعالى، فخرجت من عندي، وأغمي علي، فرأيت في النوم امرأة أحسن منها، فقلت لها: من أنت؟ فقالت: أنا أم الصبية التي جاءت إليك، هي من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن يا أخي جزاك الله عني خيرا، ولا أحرقك الله بناره لا في الدنيا ولا في الاخرة، فإنتبهت وأنا فرح مسرور فأنا من ذلك اليوم تركت ما كنت عليه من المعاصي، ورجعت إلى الله تعالى.". (١)

٢٢٧. ٣٨-"إياك مخالفة الله في أمره

وقال بعض الصالحين: رأيت غلاما قد انقطع عن الناس وهو قائم يصلي، فانتظرته حتى فرغ من صلاته، فسلمت عليه وقلت له: أما معك مؤنس؟ قال: نعم، قلت: وأين هو؟ قال: أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، ومن تحتي، فقلت في نفسي: إن عنده معرفة، فقلت له: هل عندك زاد؟ قال: نعم، فقلت: وأين هو؟ قال: الإخلاص لله عز وجل والتوحيد، والإقرار لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، قلت له: يا سيدي: إن لي عندك حاجة، قال: وما هي؟ فقلت: أن تدعو الله

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٣٢

تعالى لي، فقال: حجب الله طرفك من كل معصية وألهمك بفكرة فيما يرضيه حتى لا يكون لك همة إلا هو، قلت: يا سيدي، متى ألقاك؟ قال لي: أما اللقاء في الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائي، وأما الآخرة فإنها لجميع المتقين، وإياك أن تخالف الله تعالى فيما أمرك به وندبك إليه، وإياك إن كنت تبتغي لقائي فاطلبني مع الناظرين إليه، قلت له: وكيف ذلك، قال: بتغضيض بصري عن كل محرم واجتنابي عن كل مسكر، وقد سألت الله تعالى أن يجعل جنتي النظر إليه، ثم صاح يسعى وأقبل يسعى، حتى غاب عن بصري.

وقال الأصمعي رضي الله تعالى عنه: رأيت، أعرابيا في الطواف وهو أرمد العينين والقذى يسبل من عينيه وهو لم يزل قذاهما، فقلت له: ما بالك لا تزيل القذى من عينيك؟ فقال: إن الطبيب زجرني عن ذلك، ولا خير فيمن لا يزجر بالطبيب، إذا نهاه فلا ينتهي، فقلت له: أي شيء تشتهي؟ فقال: أشتهي لكن أحتمي، لأني رأيت أهل الجنة غلبت حميتهم على شهوتهم، فهم لا يشتهون بعدها أبدا. ورأيت أهل النار غلبت شهوتهم على حميتهم فلذلك افتضحوا وشقوا شقاوة لا يسعدون بعدها أبدا.

وحكي عن الحسن البصري رضي الله عنه انه مشى خلف جزارة، فلما بلغ". (١)

٢٢٨. ٣٩-"ودخلت في غير اختيار تحته ... فالعبد محكوم عليه وإن عدى

فأقبل بفضلك توبتي لك مخلصا ... فارحم فإني قد بسطت لك اليدا

وحكي عن بعض الصالحين أنه كان يقول في مناجاته: إلهي، كيف أفرح وقد عصيتك؟ وكيف أحزن وقد عرفتك؟ وكيف أدعوك وأنا خاطئ، وكيفا لا أدعوك وأنت كريم؟ وقيل في المعنى شعر:

ذنوبي وإن فكرت فيها عظيمة ... ورحمة ربي من ذنوبي أوسع

وما طمعي في صالح قد عملته ... ولكنني في رحمة الله أطمع

وقال آخر:

إلهي أنت ذو فضل ومن ... وإني ذو الخطايا فاعف عني

فظني فيك يا ربي جميل ... فحقق يا إلهي فيك ظني

يظن الناس بي خيرا وإني ... أشر الناس إن لم تعف عني

وقيل: أذنب عبد لعبد العزيز بن عمر رضي الله عنهما ذنبا، فأوقفه بين يديه وأمر بضربه، فقال له:

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٣٣

يا مولاي، أما بينك وبين الله تعالى ذنب فأمهلك فيه، فقال: وأي ذنب ما أمهلني، فقال: بالذي أمهلك إلا ما أمهلتني. فعفا عنه وتركه.

ثم أذنب ثانيا، فأوقفه بين يديه وأمر بضربه، فقال: مولاي، أما عصيت الله تعالى ثانيا فأمهلك، قال: بلى، فقال: يا مولاي، بالذي أمهلك إلا ما أمهلتني، فعفا عنه وتركه.

ثم أذنب ثالثا، فأوقفه بين يديه وأمر بضربه، فاطرق برأسه إلى الأرض ولم يتكلم، فقال له سيده: ما بالك لا تقول القول الذي كنت تقوله في كل مرة،". (١)

٢٢٩. ٤٠-"فقال: يا سيدي، منعني الحياء من كثرة ما أتوب ثم أعود.

وقيل في المعنى شعر:

عصيت مولاك يا سعيد ... ما هكذا تفعل العبيد

فراقب الله واتقيه ... يا عبد سوء غدا الوعيد

قال الحسن البصري رضي الله عنه: رأيت رب العزة في المنام، فقلت له: اللهم اغفر لي، فقال: إن أحسنت فيما بقي غفرت لك فيما مضى، وإن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي.

وقال **بعض الصالحين**: رأيت شابا وهو يقول: يا قديم الإحسان إحسانك القديم، فقلت له يوما: أراك لا تغفل عن هذه الكلمة، فقال لي: لذلك سبب عجيب، وذلك أن من عادتي إذا كانت ضيافة أو عرس أبرز مثل النساء فاتزر وأتقنع وأدخل بينهن وأجلس، فاتفق أن كأن عرس في دار الأمير، فحضرت على العادة فضاعت جوهرة في دار الأمير، فأمر الأمير بتفتيش النساء، فكشفوا عن اقنعتهن، وأنا كنت اقول: يا قديم الإحسان إحسانك القديم، ونذرت مع الله نذرا إن سترني لا أعود إلى ذلك أبدا، فلما وصلوا إلي نودي في القوم: أن اتركوا البقية فقد وجدنا الدرة. قال: فتبت من ذلك اليوم وعاهدت الله أن لا أعود.

وقيل في المعنى شعر:

لا عدت أفعل ما قد كنت أفعله ... جهلا فخذ بيدي يا خير من رحما

هذا مقام ظلوم خائف وجل ... لم يظلم الناس لكن نفسه ظلما

فاصفح بعفوك عمن جاء معتذرا ... بذلة سبقت منه وقد ندما

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٣٨

مالي سقاك ولا علم ولا عمل ... فامنن بعفوك يا من عفوه كرما". (١)

٢٣٠. ٤١-"وقال **بعض الصالحين**: رأيت كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس يساقون إلى الحساب، وأنا مع طائفة منهم عليهم الحلل والتيجان، فمروا إلى ساحل بحر فجلسوا، فأردت أن أجلس معهم، فقالوا: إليك عنا، فلست منا أطلب أصحابك المذنبين، فسرت قليلا وإذا أنا بأقوام على كراسي من نور فأردت أن أجلس معهم، فقال لي قائل منهم: لا تجلس معنا اطلب أصحابك المذنبين، فمشيت قليلا وإذا أنا بأقوام عليهم ثياب رثة، ووجوه غيره مصفرة، فقالوا: إجلس معنا فأنت منا، فقلت: من أنتم؟ قالوا: " أصحابك المذنبين، فجلست معهم وبقيت متفكرا في أمري، وإذا بسفينة من الذهب الأحمر، وشراعها من السندس الأخضر، وإذا بمناد ينادي ويقول: هذه سفينة الأبرار المستغفرين بالأسحار، فقامت طائفة وقالت: لبيك داعي ربنا وسعديك، ثم ركبوا فرحين مستبشرين حتى غابوا عن أعيينا، ثم أقبلت سفينة من لؤلؤة بيضاء شراعها من السندس الأخضر، وإذا مناد ينادي ويقول: أين العلماء ورثة الأنبياء، فقالوا: لبيك داعي ربنا وسعديك، فركبوا حامدين شاكرين فرحين مستبشرين حتى غابوا من أعيننا ولم يبق على ساحل البحر غيرنا.
فبينما نحن في كرب شديد وغم وحزن ما عليه من مزيد، وإذا بسفينة قد أقبلت، وهي من الياقوت الأحمر وشراعها من السندس الأخضر، فتأملت الشراع فإذا هي مكتوب عليها: (ورحمتي وسعت كل شيء) ، ومناد ينادي ويقول: هذه سفينة الرحمة والتعطف، أين أهل العصيان والتخلف؟ فركبنا مستغفرين ذاكرين الله تعالى.
ولم نزل في الرجاء والامتنان حتى أشرفنا على وادي العفو والغفران، فجاءنا توفيق من الكريم المنان قد غفر لنا، فلما غفر لنا ما غفر لنا، وسر لنا ما سر لنا، ووهب لنا ما وهب لنا، حمدنا الله تعالى غلى منه وكرمه.". (٢)

٢٣١. ٤٢-"إني ضعيف عن عذابك سيدي ... ومقصر عن حمل قبيح ذنوبي
قال: فأطرق الشيخ رأسه متعجبا لأمره، وإذا امرأة قد قامت وقالت: يا سيدي، أنا من الخاطئات

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٣٩
(٢) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٤٠

المذنيات، وأنا أكثر ذنوبا من هذا الشيخ، وقد تحملت ذنوبه مع ذنوبي أقدم بها على ربي، فقال الشيخ الشبلي رحمه الله تعالى: فما استتمت كلامها حتى هتف في المجلس هاتف، وهو يقول: يا شبلي: قد غفرنا لمن في المجلس كلهم لأجل هذه المرأة لحسن ظنها بنا.

وقيل في المعنى شعر:

يا ذا المكارم والعلا إن ... يا ذا الجلال الأوحد

إن العصاة تجمعوا ... لوجود عفوك سيدي

قصدتك كل قبيلة ... فلمن يروح ويغتدي

حطو إليك رحالهم ... يستشفعون بأحمد

قال **بعض الصالحين** رضي الله عنهم: رأيت جارية تطوف حول البيت وهي تقول: أتراك تقبلني وتغفر زلتي، فقلت لها: ما فعلت؟ فقالت: أنا امرأة عاصية فخرجت يوما أتحدث مع أعرابي، إذ مر بي هاتف وهو يقول: يا ملعونة، كيف تقتني عباد الله؟ فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الرقيب، ما في صحيفتك قط عندي حسنة، وهذا العبد قد امتلأت صحيفته من السيئات، فقلت له: إذا أنا تبت يقبلني؟ فقال: وهل التوبة إلا لمثلك، فخرجت من وقتي وساعتي، ولبست هذا الثوب الشعر، وقلت: عسى يقبل توبتي، وقد تبت إليه عما كان مني.

قال: فبينما هي تكلمني وإذا بهاتف يقول: لقد قبلناك وقبلنا توبتك، ثم شهقت شهقة عظيمة وفارقت الدنيا. فرحمة الله عليها.

وقال وهب بن الوردي رضي الله عنه: بينما امرأة تطوف وهي تقول: يا رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات، يا رب مالك عقوبة إلا النار، أما في عفوك ما". (١)

٢٣٢. ٤٣-"قويته عليك،.فقلت: أخبريني عن الشيخ الذي مررت به، قالت: ذلك عملك الصالح أضعفته فلم يكن له قوة ولا طاقة بعملك السوء، فقلت لها: وما الذي تصنعون ههنا؟ قالت: نحن أطفال المؤمنين قد أسكننا الله تعالى في هذا الجبل ننتظر قدومكم علينا فنشفع لكم، فانتبهت فرحا مسرورا.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام، يا داود: ليس كل الأولاد أولادا صلحاء، منهم ولد

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٤٣

يسعر على والديه نارا، وولد يشفع في أبويه فيدخله الجنة.

يا داود، كم من مملوك عندي أقرب من سيده، وكم من ولد أطهر من أبيه.

يا داود، إن السعيد عندي هو السعيد أبدا وربما حال إلى الشقاوة، وإن الشقي عندي هو الشقي أبدا ولربما حال إلى السعادة، ثم لا راد لحكمي ولا دافع لقضائي.

وقال **بعض الصالحين** رضي الله عنهم: كان بجواري رجل مدمن على الخمر فمات، فسالت الله أن أراه في المنام، فرأيته بعد ستة أعوام وعليه حلة خضراء، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: يا سيدي، لما مت دفعت إلى جهنم، فضربوني بسياط من نار، بكل كأس شربته ألف ضربة. وكنت تركت زوجتي حاملا، فولدت لي غلام فلما تكلم وقال: لا إله إلا الله أعتقني الله من النار.

فلما تم له خسة أعوام دخل المكتب فلقنه المعلم: بسم الله الرحمن الرحيم، فقالها فأدخلني الله تعالى الجنة وأعطاني فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

قال صلى الله عليه وسلم: " ما من شفيع أفضل عند الله منزلة يوم القيامة من القران ".". (١)

٢٣٣. ٤٤-"وقال سفيان رضي الله عنه: والله لقد بلغني أن أهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى عليهم نور تضييء منه الجنان الثمانية، فيظنون أن ذلك نور الحق سبحانه وتعالى، فيخرون ساجدين، فينادون: ارفعوا رؤوسكم، ليس الذي تظنون، إنما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها من أهل عليين.

وقال الربيع بن خيثم رضي الله عنه: رأيت في المنام قائلا يقول لي: يا ربيع، إن ميمونة السوداء زوجتك في الجنة، فلما أصبحت سألت عنها؟ فقيل لي: هي تسكن الشام، فقصدتها، فوجدتها ترعى غنما، فسلمت عليها، فقالت: يا ربيع، ليس المأوى ههنا، فقلت لها: ما أكثر كلابك، وأقل غنمك، فقالت: ما هم كلاب ولكنهم ذئاب، فقلت لها: كيف تجمعي الذئاب مع الغنم؟ فقالت: أصلحت ما بيني وبين مولاي فأصلح الله ما بين الذئاب والغنم.

وقال الأصمعي رحمه الله تعالى: دخلت على حي من أحياء العرب، فإذا بجارية فاستوقفني حسنها، فقلت: فاز من هذه له، فإذا برجل قبيح المنظر، فإذا هو أتاها وأخذ بيدها، فقلت: ما هذا منك؟ قالت: بعلي، فقلت لها: أترضين لهذا الوجه الجميل لمثل هذا، فقلت: بسبب ما قلت، لعله أحسن

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٤٦

فيما بينه وبين الله فجعلني ثوابه، ولعلي أسأت فيما بيني وبين الله فجعله عقوبتي.

وحكي عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنهم أنه رأى رجلا يبكي خلف جنازة امرأة، فقال له: يا أخي، ما هذه منك؟ قال: زوجتي، قلت: كم لها في صحبتك؟ قال: أربعين سنة. قلت: فما كان سبب زواجك لها؟ قال: كنت كثير الصلاة في مسجد يحيى بن نعيم، فلما كان في بعض الأيام خرجت من المسجد، وإذا بي لمحتها، فوقعت في نفسي ووقعت في نفسها، فلم أزل حتى تزوجت بها، فلما دخلت معي في البيت، قلت لها: ما جزاء من جمع بيننا ومن علينا بالاجتماع، قالت: نقوم له هذه الليلة شكرا إلى السحر. معا.

ففعلنا ذلك، فلما صلينا الصبح، قالت: ما جزاء من من علينا بالاجتماع حلالا لا حراما، فقلت لها: نصوم هذا اليوم شكرا لله تعالى، ولم نزل هكذا". (١)

٢٣٤. ٤٥-"أربعين سنة.

وقال بعض الصالحين رضي الله عنهم: رأيت بعض الصالحين في النوم بعد وفاته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: أدخلني الجنة، قلت: أي الأعمال أفضل عندهم، قال: التوكل، وقصر الأمل.

وقيل: مكث عيسى عليه السلام سبعين صباحا يناجي ربه، فلم يأكل شيئا، فخطر بباله الأكل، فانقطعت عنه المناجاة، فقعد يبكي، وإذا بشيخ قد أقبل، فقال له عيسى عليه السلام: يا شيخ، إدع الله لي، فإني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني تلك الحالة، فقال الشيخ: اللهم إن كان الأكل خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي.

كرامات الأولياء

وقال عبد الله الكناني رضي الله عنه: جاءني فقير وهو يبكي، فسألته عن حاله؟ فقال لي: إني مكثت عشرة أيام لم آكل فيها شيئا، فشكوت إلى بعضهم الجوع، ثم مررت ببعض الأزقة، فوجدت درهما مطروحا فأخذته، فإذا عليه مكتوب: أما كان الله عالما بجوعك حين قلت: إني جائع.

وقيل قي المعنى شعر:

ليت شعري ما الذي قلت لنا ... ليلة أمرت فيها أمرنا

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٤٩

إن رضيني سيدي عبدا له ... أو مألى حيث الغيث الخنا

أو دعاني أمره عن إذنه ... عبد سوء أنت لم تصلح لنا

هكذا يا عبد سوء هكذا ... بعدما أوصلتنا قطعتنا

قد دعوناك فلم تعجب بنا ... واخترناك فما أعجبتنا

وقيل إن أبا يزيد البسطامي رضي الله عنه أقام إثني عشر يوما في الخلوة فلم". (١)

٢٣٥. ٤٦-"من أين؟ فقالت: من عنده، قلت: ما الذي صنعت؟ قالت: إستوهبتك منه، قلت: إن صدق منامي فإني أجدها ميتة، فلما أصبحت وجدتها ميتة.

قال عمر بن ا " فطاب رضي الله عنه: يصيح صائح يوم القيامة يقول: أين الذين أكرموا الفقراء والمساكين في الدنيا، ادخلوا الجنة لا خوف عليكم اليوم ولا أشتم تحزنون.

وقال بعض السادة الصالحين: رأيت أحمد بن طولون بعد موته في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: لما قبضت روحي ساقني سائق عنيف، فمررت على جهنم، وقد فتحت أبوابها وارتفع دخانها، فخفت خوفا شديدا وأيقنت بالهلاك، وإذا بجارية جميلة طيبة الرائحة قد أتت إلي، وقالت: يا أحمد لا تخف فقد وهبت لي، ثم وقفت بيني وبين النار فأنكف عني لهيبها، فقلت لها: من أنت؟ فقالت: صدقتك التي كنت تخفيها يمينا وشمالا. ثم نادى مناد من تحت العرلش،: ادخلوه الجنة من باب المغفرة، فأدخلت الجنة وصرت إلى ما ترى، فقلت: ما هذه الكتابة التي طهرت عليك، فقال حياء مما كان.

وقال **بعض الصالحين**: مات أخ لي فرأيته في المنام، فقلت له: يا أخي، كيف ترى حالك حين وضعت في قبرك؟ قال: يا أخي، أتأني بشهاب من نار. فلولا أن دعا داع لي لهلكت.

وقيل في المعنى شعر:

تقينت أبي مذنب ومحاسب ... ولم أدر مجروم أنا أو معاقب

وما أنا إلا بين الأمرين واقف ... فأما سعيد أم بذنبي مطالب

وقد سبقت مني ذنوب عظيمة ... فيا ليت شعري ما تكون العواقب

فيا منقذ الغرقى ويا كاشف البل ... ويا من له عند الممات مواهب

أغثنا بغفران فإنك لم تزل مجيبا ... لمن ضاقت عليه المذاهب

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٥٠

وقال مغيث بن شيبة رضي الله عنه: أوصتني والدتي عند موتها، فقالت: يا". (١)

٢٣٦. ٤٧-"بني، إذا أنت دفنتني فقم على قبري وقيل: يا أم شيبة قولي لا إله إلا الله، ففعلت ذلك ثم انصرفت إلى منزلي، فلما كان الليل رأيتها في المنام، فقالت: يا ولدي، جزاك الله عني خيرا، فلولا أنك أدركتني بقولك لا إله إلا الله محمد رسول الله لهلكت.

وقال **بعض الصالحين**: كان رجل يصلي في الصحراء، فجعل في محرابه سبعة أحجار وكان يقول إذا فرغ من صلاته للأحجار: يا أحجار أشهدكم أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فلما مات رأيته في المنام فسألته عن حاله؟ فقال: أمر بي إلى النار فذهب بي إلى الباب الثاني، وإذا بالباب الآخر قد سده حجر أخر ولم أزل من باب إلى باب حتى سدت السبعة أحجار أبواب جهنم السبعة عني.

وقال عبد الله الواحي رضي الله عنه: حضرت ذات يوم مجلس الواعظ القشيري لعلي انتفع به وبوعظه وأعمل على كل كلمة من لفظه، قال: فبينما هو يعظ وأنا أسمع إذ غلبني النوم، فنمت في المجلس، فرأيت كأن القيامة قد قامت والناس قد عرضوا على الحساب، فحوسب من حوسب ونجا من نجا، وهلك من هلك، وإذا بالقشيري الذي أنا في مجلسه قد أمر به، فحوسب فوجدت له سيئات كثيرة، فأمر به إلى النار، فأخذته الزبانية، فلما ذهبوا به. قال الله عز وجل: ردوا عبدي، فرجعوا به بين يديه، فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لولا أنك كنت تجمع الناس إلى ذكري وتبشرهم برحمتي لأدخلتك النار، انطلقوا بعبدي إلى الجنة. فانتبهت لعظم ما رأيت فزعا مرجوفا، فإذا الشيخ القشيري على المنبر ينشد ويقول هذه الأبيات:

حاسبونا فدققوا ... ثم منوا فاعتقوا

هكذا سيمة الملو ... ك بالمماليك يرفقوا

إن قلبي يقول لي ... ولساني يصدق". (٢)

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٥٢

(٢) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٥٣

٢٣٧. ٤٨-"روحي وصرت ترابا رميما، ومرت علي السنين والأعوام جعلت جبا، فلم تنفك عني سكرة الموت ولا مرارته.

وقيل: إن رجلا كان خائفا من الموت كثير الجزع والخوف، دائم الفكرة وكثير البكاء، قاداه الجزع إلى أن خرج يطوف في الأرض من غير حاجة، فلقيه ملك الموت، فقال له: يا هذا أتعرفني؟ فقال: لا أعرفك، فقال: أنا ملك الموت، فشخص الرجل وخر مغشيا عليه، فلما أفاق، قال له ملك الموت: إرجع إلى أهلك وعد المرضى، فإن رأيتني عند رجلي المريض فصف له الدواء فإنه يبرأ، وإن رأيتني عند رأسه فاعلم أن أجله قد قرب، فلا تصف له شيئا من الدواء، وإنك عن قريب ستراني عند رأسك، فاستعد لذلك اليوم.

فرجع الرجل إلى أهله. فكان يعود المرضى ويأخذ في طبهم، فبينما هو ذات يوم عند أهله، إذ رأى ملك الموت عند رأسه، فشخص الرجل ببصره ونادى بأهله: عجلوا بصحيفة أكتبها لكم، فإني رأيت كل من كنت أخافه وأخوف الناس منه. فقال ملك الموت: الآمر أعجل من ذلك، وإنما كنت حذرتك قبل هذا اليوم لتنظر لنفسك، وألان قد انقضت مدتك، وانقطعت أيامك. فقبض روحه من قبل أن يكتب وصيته.

وقيل في المعنى شعر:

يا ساهيا يا غافلا عما يراد له ... حان الرحيل فما أعددت من زاد

تضن أنك تبقى سرمدا أبدا ... هيهات أنت غدا فيمن غدا غادي

مالي سوى أنني أرجو الإله لما ... أهمني فهو أرجو يوم ميعاد

احزن في الدنيا تفرح في الآخرة

وقال **بعض الصالحين**: لما مات عطاء السلمي رضي الله عنه، رأيته في المنام تلك الليلة فقلت له: ما الذي صرت إليه بعد الموت، فقال: والله إلى خير كثير". (١)

٢٣٨. ٤٩-"ورب غفور، قلت له: لقد كنت طويل الحزن في الدنيا.. فتبسم وقال:، غد أعقبني بذلك بشارة وسرورا دائما.

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٥٩

وقال سفيان الثوري رضي الله عنه: مات أخ لي، فرأيته في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال رضي عني وأدخلني الجنة، وقال: إفرح كما كنت تحزن.

وقال **بعض الصالحين** رضي الله عنهم: لما مات عطاء السلمي رأيته تلك الليلة في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ غفر لي، وقال: يا هذا كم استحيت مني؟ لقد كنت تخافني كل الخوف، وعزني وجلالي لقد توفيتك يوم وفاتك وما على وجه الأرض أحب إلي منك.

وحكي أن أبا الفتح الموصلي رؤي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: قربني وأدناني، وقال: يا أبا الفتح، وعزتي وجلالي لقد صعد إلى المكان الموكلان بك أربعين سنة وما في صحيفتك خطيئة.

وقال عليه الصلاة والسلام: " ما من أحد يأتي يوم القيامة إلا وله من الذنوب، ما خلا يحيى بن زكريا، فإنه يلقى الله ولا ذنب عليه ".

وحكي عن بشر الحافي رضي الله عنه أنه رؤي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رضي عني وأتحفني ورحمني وزوجني، وأطعمني طعاما طيبا، وسقاني شرابا لذيذا، وفرش لي فرشا رطبا، وقال لي: نم كما كنت تسهر، واسرح كما كنت تشب، وافرح كما كنت تحزن، واشبع كما كنت تجوع،! واروى كما كنت تظمأ.

وقال عاصم رضي الله عنه: رأيت داود بن يحيي في المنام، فقلت: ما فعل الله بأحمد بن حنبل، وعبد الوهاب بن الوراق، قال: تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى، يأكلان ويشربان على مائدة من موائد الجنة من نور. قلت: فما فعل الله". (١)

٢٣٩. ٥٠-"ولأعصين عواذلي في حبه ... ولأهجرن لنائذي ورقادي

ولأجعلن نزاهتي فيه البكا ... ولأكحلن مدامعي بسهادي

ولأحفرن لسره بين الحشا ... قبرا ولم يعلم بذاك فؤادي

ولاحلفن يمين صدق أنني ... اخلصت فيه محبتي وودادي

هو غايتي هو منيتي هو بغيتي ... هو سيدي يا سادتي ومرادي

والحمد لله الذي خلق الورى ... حمدا له يبقى على الآباد

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٦٠

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، عجبا لمن أحبني، كيف يهوى قلبه سواي؟!!
يا داود، قل لبني إسرائيل، لو رأيتم الجنة وما أعددت فيها لأوليائي من النعيم المقيم لما ذقتم طعاما بشهوة، أين المشتاقون إلى لذيذ الطعام والشراب؟ أين الذين جعلوا موضع الضحك بكاء خوفا مني؟ فطالما صلوا والناس نيام.

يا داود، وعزتي وجلالي إني رضيت عنهم، ولولاهم ما رضيت على أهل الدنيا.

وقال **بعض الصالحين**: مات رجل من جيراني، فرأيته في المنام وهو على زي أهل النار، ثم رأيته بعد ذلك وهو في الجنة، فقلت له: بماذا؟ قال: دفن عندنا رجل من الصالحين فشفع في أربعين من جيرانه، فكنت أنا من جملتهم.

لا تغفل عن ذكر الله

وحكي عن مالك بن دينار رضي الله عنه: أنه مشى خلف جنازة أخيه وهو يبكي، فقال: والله لا تقر لي عين حتى أعلم ما صرت إليه، والله لا أعلمه ما دمت حيا.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ألا أخبركم بفقري يوم أوضع في قبري.

وقال سفيان الثوري رضي الله عنه: من أكثر من ذكر الموت وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار.". (١)

٢٤٠. ٥١-"وكان الربع بن خيثم قد حفر له قبرا في داره لنفسه، وكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه واضطجع ومكث ساعة، ثم يقول: رب أرجمني لعلي أعمل صالحا فيما تركت، ثم يقول: يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل أن لا ترجع.

وقيل: أوحى الله تعالى إن داود عليه السلام: يا داود، نح على نفسك وكن كأنك أحضرت في القيامة، فلما حاسبتك رددتك إلى الدنيا وقلت لك: إعمل صالحا أشكرك عليه.

يا داود، قل لبني إسرائيل: لو أمتكم ثم بعثتكم، ثم بعثتكم واريتكم القيامة، ثم رددتكم إلى الدنيا ما ازددتم إلا خسارا.

وحكي عن **بعض الصالحين** رضي الله عنه أنه رأى أستاذه في النوم، فقال له: أي الحسرة أعظم

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٦٢

عندكم؟ قال: حسرة الغافلين.

قال بعض الصالحين رضي الله عنهم: مررت بساحل البحر، فرأيت صيادا بصيد السمك وإلى جانبه إبنه، وكلما صاد سمكة تركها في قفته فيأخذها الصبي فيرميها في البحر، فالتفت الرجل فلم ير شيئا، فقال لابنه: لأي شيء فعلت بالسمك كذا ألقيته في البحر؟ وما حملك على هذا؟ ومن علمك ذلك؟ قال: يا أبت، أليس سمعتك تقول: لا تقع سمكة في شبكة صياد إلا إذ غفلت عن ذكر الله، فلا حاجة لنا شيء ممن يغفل عن ذكر الله تعالى. فخرج الرجل هائما على وجهه وتاب إلى الله تعالى.

وقيل: إن عابدا من عباد بني إسرائيل قال: إلهي، عصيتك فلا تؤاخذني، فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان: أخبره كم نعمة لي فيه وهو لا يدري قساوة قلبه، وجحود عينه عقوبة مني لو غفل.

وقيل في المعنى شعر:

أيها المعرض عنا ... إن أعراضك منا". (١)

٢٤١. ٥٢-"لو أردناك جعلنا ... كلما فيك يردنا

علامة حب الله للعبد

وقيل: إن موسى عليه السلام، قال: يا رب، ما علامة من أحببت؟ قال: يا موسى، إذا أحببت عبدا من عبادي جعلت فيه علامتين، قال: يا رب وما هما؟ قال: ألهمته ذكري لكي أذكره في ملكوت السموات والارض، وأعصمه من محارمي وسخطي لئلا يحل عليه عذابي، وأحول بينه وبين نفسه لكيلا يقع في محارمي وسخطي فيحل عليه غضبي.

وقال بعض الصالحين: بينما أنا أطوف بالكعبة وإذا أنا بجارية وهي تقول: يا كريم، عهدك القديم، فإني على عهدك مقيمة، فقلت لها: يا جارية، وما العهد الذي بينك وبينه؟ قالت: يا أخي، أمر عجيب وذلك أنني كنت في البحر، فعصفت بنا ريح قد دمرت كل من في السفينة، وغرق كل من كان فيها ولم ينج منها أحد غيري وهذا الطفل، وبقيت على لوح ورجل أسود على لوح آخر، فلما أصبح الصبح دخل الأسود إلي وجعل يدافع الماء بذراعيه حتى وصل إلي واستوى معنا علا اللوح، وجعل يراودني عن نفسي، فقلت له: يا عبد الله، نحن في بلية لا نرجو السلامة منها بطاعة، فكيف

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٦٣

بالمعصية؟ فقال: دعيني، فو الله لا بد من ذلك.

ومد يده وأخذ الطفل مني ورمى به في البحر، فرفعت طرفي إلى السماء، وقلت: يا من يحول بين المرء وقلبه، حل بيني وبين هذا الأسود بحولك وقوتك إنك على كل شيء قدير، وإذا بدابة من دواب البحر قد فتحت فاها والتقمت الأسود وغابت في البحر، فبقيت الأمواج ترميني يمينا وشمالا حتى ألقتني إلى جزيرة من جزائر العرب، فقصصت لهم قصتي وما جرى لي فتعجبوا من ذلك، وأطرقوا رؤوسهم، وقالوا: لقد أخبرتينا بأمر عجيب، ونحن نخبرك بعجيبين:". (١)

٢٤٢. ٥٣-"من ذلك، فقال: يا رب، بم أسقيتنا ولم يخرج أحد من بيننا؟ فقال: يا موسى، الذي منعتم به قد تاب إلي ورجع، فقال: يا رب دلني عليه، فقال: يا موسى، أنهاكم عن النميمة وأكون نماما.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، لا تجالسوا المغتابين، ولا تصحبوا الأمين، ولا تحلفوا باسمي كاذبين ولا صادقين، فمن حلف باسمي صادقا أورثته الفقر؟ ومن حلف باسمي كاذبا أورثته العمى.

وقيل: إن الله تعالى خلق ملكا عرض شحمة أذنه مسيرة خمسمائة عام، يقول في تسبيحه: سبحانك من عظيم، ما أعظمك، فيقول الله سبحانه وتعالى: قل ذلك لمن يحف بي كذبا.

وقال عليه الصلاة والسلام: " من مات تائبا من الغيبة فهو أول من يدخل الجنة، ومن مات وهو مصر عليها فهو أول من يدخل النار وهو يبكي ".

وقال عليه الصلاة والسلام: " من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي ".

وحكي عن بعض الصالحين أنه رأى رجلا وهو يضحك ضحكا شديدا، فقال له: يا هذا، هل ذقت الموت؟ قال: لا، قال: فهل أمنت مكروها؟ قال: لا، قال: فهل رجح ميزاتك؟ قال: لا،. قال: فهل جزت الصراط؟ قال: لا، قال، فلأي شيء هذا الضحك والفرح؟ قال: فبكى الرجل وقال: لله علي نذر أن لا أضحك بعدها أبدا.

وحكي عن بعض الصالحين أن غلاما دخل على أمه وهو ابن سبع سنين وهو باك كئيب حزين،

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٦٤

وقال لها: يا اماه، دخلت مجلس واعظ فسمعته وهو يقول:". (١)

٢٤٣. ٥٤-"وقيل: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهاره صائم وليله قائم، فرآه ولده في المنام بعد موته، فقال: يا بني، منذ كم فارقتكم؟ قال: يا أبت منذ عشرين سنة، فقال: الان لجا خرجت من الحساب كأن عرشي يهوي لولا أني لقيت ربا كريما.

وقال **بعض الصالحين**: رأيت بهلولا وهو يبكي راكبا على قصبة وهو يغدو إلى المقابر، فقلت له: إلى أين؟ فقال: إلى العرض على الله تعالى، فمضى ساعة، ثم عاد وهو يبكي، فقلت له: وما يبكيك؟ قال: من عظم ما أصابني، عرضت بين يديه، فلما عرفني طردني.

وقيل في المعنى شعر:

قد سودت وجهي المعاصي ... وأثقلت ظهري الذنوب

وأورثني ذكرها سقاما ... وليس لي في الورى طبيب

يا شؤم نفسي غداة عرضي ... إذا أحاطت بي الكروب

والداعي لما دعاني باسمي ... أنت تقرأ وما يجيب

هذا كتاب الذنوب فاقرأ ... فعندها تظهر العيوب

وقال **بعض الصالحين**: رأيت صبيا ليلة الخميس وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: يا عم، هذا يوم الخميس أتاني، وهو يوم العرض، واعرض على المعلم وأنا أخاف من زلة أو غلطة، فقلت في نفسي: هذا صبي صغير خائف من عرضه على معلمه، وهو بشر مثله، كيف حال من يعرض على مولاه بالقبائح والزلات.

وقيل في المعنى شعر:

سوف تأتي عليك ساعة هول ... حين تعطى صحائف الأعمال". (٢)

٢٤٤. ٥٥-"وقال ذو النون رضي الله عنه: ثق بالله وأرض من م لله، فكل شيء بقضاء الله، ولو علم الإنسان قرب الله منه ما عصى الله.

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٦٦

(٢) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٧٠

وقيل في المعنى شعر موال:

إن كنت صوفي فعجل ... إن وقتك سيف

وإن تهاونت ضيعت ... الشتاء والصيف

واعلم بأن ابن آدم ... من أهله كالضيف

دنا الرحيل فقل ... كيف حالي كيف

داوم على حساب نفسك

وقال **بعض الصالحين** رضي الله عنه: سألت بعض الرهبان: ألكم عيد؟ قال: نعم، كل يوم لا تعصى الله فيه فهو عيد. قلت: فما بالكم تلبسون السواد؟ فقال: هذا لباس أهل المصائب. قلت: وأي مصيبة عندكم أعظم، فقال: وأي مصيبة أعظم من ارتكاب المعاصي؟ قال: فتأملته فإذا هو في كمه الأيمن حصى أبيض، وفي كمه الأخر حصى أسود، فقلت: ماذا الحصى الأبيض والأسود؟ قال: كلما عملت نفسي حسنة أخذت حصاة بيضاء ورميتها في الأسود، وكلما عملت نفسي سيئة أخذت حصاة سوداء ورميتها في الأبيض، فإذا كان الليل حاسبتها، فإذا كان الأسود أكثر من الأبيض علمت أنها سيئات، فأرجع إلى نفسي فأعاقبها وأقطع عنها الأكل والشرب. وإذا كان الأبيض أكثر من الأسود علمت أنها حسنات عملتها فأنعمها وأطعمها وأسقيها، وهذا دأبي معها إلى أن أفارقها وأنطرح.

وقيل: كان **بعض الصالحين** رضي الله عنهم كلما عمل شيئا كتبه في لوح، فإذا كان الليل وضع اللوح بين يديه وحاسب نفسه، فلا يزال باكيا نادما إلى الصباح، وأقام علما ذلك بقية عمره.". (١)

٢٤٥. ٥٦-"وقال عليه الصلاة والسلام: - " ما من أحد يموت إلا ويندم، أن كان محسنا ندم أن لا يكون قد زاد فيه، وان كان مسيئا ندم أن لا كان أقلع منه " قال **بعض الصالحين**: حضرت رجلا عند الموت، فقلت له: قل لا إله إلا الله، فقال: كلمة كنت أقولها منذ سبعين سنة، وألان قد بدا لي أن لا أقولها.

وقال بعض السادة الصالحين رضي الله عنهم: بكى عمر الجويني رضي الله عنه ذات ليلة بكاء شديدا،

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٧٢

فقالت له أمه: ما يبكيك؟ ألا تشكر صلاتك وصيامك؟ قال: دعيني يا امي، فوالله ما أدري ما يختم لي به.

وقال ابن عجلان رضي الله عنه: حضرنا في نزع رجل عالم من العلماء، ما رأيت أشد خشية لله تعالى منه، فلقناه الشهادة، فلما هم أن يقولها فلم يستطع أن يقولها، فسألناه عن ذلك؟ فقال: حبل بيني وبينها، وذلك أني قتلت نفسا في شبابي، فنعوذ بالله من مكره.". (١)

٢٤٦. ٥٧-"لا تغرنك الدنيا

وحكي أن داود عليه السلام بينما هو يسبح في الجبال إذا أتى على غار فنظ، فأذا فيه رجل عظيم الخلقة من بني آدم، وإذا عند رأسه حجر مكتوب عليه: " أنا وسيم، ملك الصنع، ملكت الدنيا ألف عام، وفتحت ألف مدينة، وهزمت ألف جيش، وبكرت ألف بكر من بنات الملوك، وقتلت ألف جبار، فمن رآني لا يغتر بالدنيا، فما كانت إلا كحلمة نائم، ثم صار أمري إلى ما ترى، صار التراب فراشي، والحجارة وسادتي، فمن رابي فلا تغره الدنيا كما غرتني ".

وقيل: مر عيسى عليه السلام بقرية، فنادى أهلها، فإذا هو بنسر قائم عل فنائها، فقال له عيسى عليه السلام: كم لك في هذه القرية، فقال: خمسمائة عام، فقال: هل رأيت أحدا فيها، فقال: لا يا روح الله، فنادى عيسى عليه السلام: يا أرض، أين أهلك وأصحابك وسكانك؟ فأمرها الله تعالى أن تجيبه وتكلمه، فقالت: لقطعتهم من منازلهم آجالهم، وأحاطت بهم أعمالهم، وصارت ذنوبهم قلائد في أعناقهم، ووقفت أرواحهم بين يدي الخلاق، فلحومهم فانية، وعظامهم بالية، فإما إلى جنة عاليه، وإما إلى نار حامية. فبكى عيسى عليه السلام، وبكى أصحابه، وقال: هذا عاقبة الدنيا، فالويل لمن ركن إليها.

وقيل في المعنى شعر:

لا تأسفن على الدنيا وما فيها ... فالموت لاشك يفنينا ويفنيها

وأعمل لدار البقاء رضوان خازنها ... والجار أحمد والجبار بانيها

كيفية تعبد أبو الحسن الثوري

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٧٤

قال **بعض الصالحين**: تعبد أبو الحسن الثوري رضي الله عنه من صغره، فلما بلغ خمس عشرة سنة، قال لأمه: هبيني لله عز وجل، فقالت: يا بني، إنما يهدي للملوك – من يصلح لهم ويخضع لهم، وما فيك شيء يصلح لله عز وجل، فبكى ودخل بيتا وتعبد فيه مدة خمس سنين، فظهرت عليه أنوار الخلوة فدخلت عليه". (١)

٢٤٧. ٥٨-"مناجاة الصالحين

وكان **بعض الصالحين** يقول في مناجاته: " وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك، وما عصيت إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولا مستخف بأمرك، ولكن سولت لي نفسي وأعانتني عليها شقاوتي، وغرني سترك المرخى علي، عصيتك بجهلي، وخالفتك بسفهي، فالان من ينقذني من عذابك، واعتصم بحبل من أقطعت حبلك عني.

فوا أسفاه.. ووا أسفاه من الذنوب، غدا بين يديك إذا قبل للمخفين جوزوا مع المخفين، وللمثقلين حطوا، أمع المثقلين أحط أم مع المخفين أجوز، وكلما كبر سني كثرت ذنوبي، وكلما طال عمري عظمت المعاصي، فكم أثوب وكم أعود؟ أما آن لي أن استحي من ربي؟!! وقيل في المعنى شعر:

يا عظيم الجلال أنت ملاذي ... حين أحي وغايتي لمعادي

بك أرجو النجاة من كل كرب ... فارحم اليوم عبرتي وسهادي

لست أدري ماذا تحاول ... نفسي من فساد يا منقذي من فسادي

خف ربك يوم الحساب

قيل: كان في بني إسرائيل رجل مسرف على نفسه، فلما حضرته الوفاة، قال لولده: يا بني إن طاعتي عليك ميتا كطاعتي عليك حيا، فإذا أنا مت فاجعلني في حصير وأحرقني بالنار واسحقني كسحق الكحل الناعم، فإذا ارتفعت الرياح العواصف فذر نصفي في الجبال، ونصفي في البحار، فإني خائف من ربي أن يعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، قال: ففعل به ذلك، فأقامه الله تعالى في أسرع كل طرفة عين، وأوقفه بين يديه، وقال: يا عبدي، عصيتني حيا وكفرت بي ميتا، فقال: يا رب خفت من هذا المقام، فغفر له بذلك.

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٧٩

وقيل في المعنى شعر: -". (١)

٢٤٨. ٥٩-"" أصغر الذنب عند الله تعالى أعظمها عند الناس، وأعظم الذنوب عند الله أصغرها عند الناس ".

وقيل في المعنى شعر:

لا تحقرن من الذنوب أقلها ... إن القليل إلى القليل كثير

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها، ورضي عن آبها: " إياكم ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبا ".

قوله عز وجل: (إنه كان للأوابين غفورا) .

قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: " معناه: أن الرجل يذنب ثم يتوب، ثم يذنب، ثم يتوب ".

بادر بالتوبة فان الموت يأتي بغتة

قال لقمان لابنه وهو يعظه: " يا بني، لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة ".

وأنشد في المعنى شعر:

لا تأمن الدنيا وإن سلمت ... فإنها خوانة غادرة

وبادر العمر وخف فوته ... فالكيس الحازم من بادره

وقل لمن أمسى على عزة ... ما أقرب الدنيا من الآخرة

قال بعض الصالحين رضي الله عنهم: " الذنوب ضعف في البدن، وظلمة في القلب، وإن الحسنات قوة في البدن ونور في القلب ".". (٢)

٢٤٩. ٦٠-"كن لله مطيعا ولا تشتغل بالدنيا

قال ذو النون المصري رضي الله عنه: يقول الله تبارك وتعالى في بعضن كتبه المنزلة: " من كان لي مطيعا كنت له وليا، وعزتي وجلالي لو سألني في زوال الدنيا لا زلتها ".

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٨٢

(٢) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٨٤

قال **بعض الصالحين**: " علامة مقت الله للعبد أن يراه مشتغلا بما لا يعنيه من أمر نفسه يطلب الجنة بلا عمل، ويذنب وينتظر الشفاعة ".

وقيل لمعروف الكرخي رضي الله عنه: بأي شيء حصل للطائعين الطاعة؟ قال: " بإخراج الدنيا من قلوبهم، ولو كان في قلوبهم منها مثقال ذرة واحدة، ما تقيل الله منهم سجدة واحدة ".

وقيل: إن رجلا جاء إلى أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه وقال له: عظني، فقال له: أنظر إلى السماء بحال، فنظر إليها، فقال: أتدري من خلقها؟ قال: الله تعالى، فقال له: إن الذي خلقها مطلع عليك حيث كنت فأحذره.

قال أبو يزيد رضي الله عنه: رأيت ربي في المنام، فقلت له: أين أجدك؟ فقال: " فارق نفسك وتعالى تجدني ".

وقيل: " إن الليل مطية المحبين، فإذا قاموا بين يديه سقاهم من صافي الوداد، فإذا أنزهه لهم وكربوا طابت نفوسهم وجالت قلوبهم في الملكوت حبا إلى الله تعالى وشوقا إليه، فيقطعون ليلهم بمناجاتهم ".

وقيل في المعنى شعر:

غرست الحب غرسا في فؤادي ... فلا أسلو إلى يوم التنادي

مزقت القلب مني باتصال ... فشوقي زائد والحب بادي

سقاني شربة أحي فؤادي ... فكأس الحب من بحر الوداد

فلولا الله يحفظ عارضيه ... لهم العابدون بكل واد". (١)

٢٥٠. ٦١-"ثمرة الأكل من الحلال

قال الشبلي رحمه الله تعالى: " عزمت أن لا آكل إلا حلالا وأنا أطوف بالبراري، فرأيت شجرة فمددت يدي إليها فنادتني الشجرة: تأدب يا شبلي مع الله تعالى فإني لرجل يهودي، فتركتها وانصرفت ".

وعن الفضيل العسقلاتي رضي الله عنه انه اشتهى سمكا منذ مدة سنين وعاهد نفسه أنه لا يأكله إلا حلالا، فمد يده ليأكل منه، وإذا بشوكة قد أصابت يده، فقال: " إذا كان هذا حال من مد يده إلى حلال، فكيف حال من يده إلى حرام ". فحلف أن لا يأكله بقية عمره.

وحكي أن أويس القرني رضي الله عنه مكث ثلاثة أيام لا يأكل شيئا، ثم مشى فرأى دينارا في الأرض،

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٨٧

فرفعه إليه وقال: هم وغم، ثم ألقاه من يده؟ فبينما هو كذلك، إذا بشاة في فمها رغيف ساخن، فقال في نفسه: لعل هذه الشاة أخذته من راعيها، فأنطقها الله تعالى وقالت: " يا أويس، هذا رزق من عند الله تعالى، أتاني به جبريل عليه السلام، وأمرني بدفعه لك ".

وكان **بعض الصالحين** رضي الله عنهم إذا جاء أوان الفواكه ذهب إلى السوق فيشتري منها ويذهب بها إلى الكتاتيب، فمن أشار إليه أطعمه من تلك الفواكه، ويقول للمعلم: " هل عندك فقير أو يتيم؟ فيقول هذا وهذا، فيعطيهم من تلك الفواكه، فلما مات الرجل رؤي في المنام وهو في بستان عظيم كثير الفواكه، وهو يأكل منها ما أحب، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أطعمنا له فأطعمنا ".

وقال أبو بكر رضي الله عنه: دخلت على أبي مسلم في يوم عيد، فرأيت عليه قميصا مرقعا، وبين يديه خروف وهو يأكل منه، فقلت: يا أبا مسلم، فقال: لا تنظر إلى الخروف ولكن انظر إذا سألني ربي، من أين لك هذا؟ فأي جواب أقوله وما اعتذاري.

وعن أبي موسى بن إبراهيم رضي الله عنه، أنه قال: رأيت فتح الموصلي يوم". (١)

٢٥١. ٦٢-"وقال ابن منبه رضي الله عنه: فقد زكريا ولده عليهما للسلام، فوجده بعد ثلاثة أيام على قبر يبكي، فقال له: يا بني، ما يبكيك؟ فقال له: إنك أخبرتني أن جبريل عليه السلام أخبرك أن بين الجنة والنار مغارة لا يطفيء حرها إلا الدموع، فقال: إبك يا بني ".

وقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، أيدخل من أمتك الجنة بغير حساب؟ قال: " من كثرت ذنوبه فبكى عليها ".

وقيل: إن فتى من الأنصار رضي الله عنه، دخل خوف النار في قلبه، حتى حبسه في بيته. فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم واعتنقه، فخر ميتا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " جهزوا صاحبكم، فإن خوف النار فتت كبده ".

وكان محمد بن المنكدر إذا بكى مسح وجهه بدموعه، ويقول: إن النار لا تأكل موضعا مسحته الدموع ".

وقيل **لبعض الصالحين** رضي الله عنه: إن كثرة البكاء تذهب البطر، فبكى عمره حتى عمي.

وقال الحسن رضي الله عنه: " رأيت بعض إخواني في المنام وهو شديد البياض، ومجاري دموعه تبرق،

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٨٨

فقلت له: مت؟ قال: نعم، قلت له: إلى ماذا صرت وكنت طويل الحزن في إلدنيا؟ فتبسم وقال: " رفع الله لنا بذلك الحزن علم الهداية إلى منازل الأبرار، فحللنا مساكن المتقين ". قلت له: بماذا تأمرني؟ فقال: " يا أخي، أطول الناس حزنا في الدنيا أكثرهم فرحا في الآخرة ".
وقال رسول صلى الله عليه وسلم:". (١)

٢٥٢. ٦٣-"قال **بعض الصالحين**: " دخلت ديوان التحقيق، فرأيت جماعة من العمال بأيديهم صحائف الأعمال والأعوان وقوف وقد نصبت الموازين، ونشرت الدواوين، وجرت الأوامر بتحرير العمال واستخراج الأعمال، فوقفت أتأمل ووجهي يتململ وقد حضروا بثلاثة نفربريء، ومقصر، وجان، وقد عرضوا للحساب. فتقدم الأول، فقيل له: أين أعمالك التي قدمتها وحسناتك التي أخرجتها؟ فقال وهو ذليل: حسابي منتظم مستطر، وعملي حاضر، فعرضت أعماله على البصير، وأطلع عليها العالم الخبير، فقيل له: هنيئا لك من خادم، بحق سعد في أحواله، ووقف فطولع، فخرج الأمر بإكرامه وإجلاله، وكتب له القبول وخلعت عليه خالع الوصول.
وقدم الثاني، وهو المخلط المتواني عن مثل تلك المعاني، وحوسب فظهر أنه فرط في البعض، وشقي بحسابه يوم العرض، فلما دقق عليه ونوقش وشدد عليه، وحقق بعد حاصلة، وارتعدت مفاصله، فلم يزل يتردد بين لعل وسوف، والوقوف بين الرجاء والخوف، إلى أن خرج الأمر بتسليم لم ما في يده، وأن يسقط ما بقي عليه، ثم قيل له: إياك أن تعود إلى التخليط، وأحذر من أن تأتي بتفريط، وكن مطيعا سامعا، فما كل وقت تجد شافعا.
ثم جيء بالثالث وهو الجاني الساكت، فتلجلج في الجواب، إذا لم يكن معه عمل ولا حسنات، فقيل له: ما الذي دهاك وغرك ولهاك، فقال: شغلني جرمي ومصابي عن نظم حسابي، وانقطع زماني بالشهوات والأماني، فقيل له: ما بهذا أمرت ولا عليه عوملت، يا قليل الفلاح، هذه أعمالك القباح، ألك ما ينجيك؟ آلك عمل يوفيك؟ فقال: والله ما لي ذخيرة، ولو كنت أعقل أمري ما انهتك اليوم ستري، فحوسب بأعماله فحرج الأمر بنكاله، فخرج يتعثر في أذياله، متحيرا لسوء أفعاله، فحمل إلى ضيق السجون وهو على حاله، متحسر مغبون ". وهذا مثل مضروب لتصغي إليه أرباب العقول.

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٩٧

وقيل في المعنى شعر:". (١)

٢٥٣. ٦٤-"يا ويح قلبي ما له لا يلين ... قد أتعب القراء والواعظين

يا نفس كم تبيتين من مرة ... وكم تقولين ولا تفعلين

وكم تنادي فلا تسمعي ... وكم تقالين فلا ترجعين

حتى متى يا نفس حتى متى ... يراك مولاك مع الغافلين

فاستغفري الله لما قد مضى ثم ... أستحي من خالق العالمين

وقال عليه الصلاة والسلام: " التوبة معلقة ما بين السماء والأرض تقول من يقبلني قبل أن يعذب إلى أن تطلع الشمس من مغربها ".

وقيل لبعض الرهبان: " لأي شيء قست قلوبنا وكثرت ذنوبنا ولا نتوب إلى ربنا؟ قال: لأنكم تركتم الاخرة، وأعمالكم خاسرة، وظهر منكم الظلم، وضيعتم ع الأمانة، وأظهرتم الخيانة، ودخلكم الكبر، وظهر فيكم الغدر، وضيعتم الصلاة، ومنعتم الزكاة، ومشيتم بالغيبة والنميمة، وظلمتم الأيتام، وجرتم في الأحكام، وعصيتم الرحمن، وأطعتم النساء والشيطان، وأكلتم الربا، وتركتم ما أمرتم به، وملتم إلي الفجور، وشهدتم الزور، وتواضعتم للأغنياء، وتكبرتم على الفقراء، فقست قلوبكم، وكثرت ذنوبكم، فلا واعظ زاجرا، ولا خائف حاذر كلامكم حلو، وفعلكم مر، وألسنتكم فاشية، وقلوبكم قاسية، فلا من الله تستحون، ولا إليه تتوبون، ولكن سوف تبعثون وتسألون عما كنتم تعملون.

قال بعض الصالحين: مر بنان رضي الله تعالى عنه ببعض الأسواق، فرأى رجلا ذا ثروة وعنده بناؤون وفعلة، ويعطي كل شخص أجرته، فمد يده بنان من جلة الأيدي، فقال الرجل: هذه اليد لم تعمل لنا عملا، فبكى بنان وخر مغشيا عليه، وحمل من عنده، فلما أفاق قال: " إذا كان لا يأخذ إلا من عمل فمن يجود على الفقراء والمساكين.". (٢)

٢٥٤. ٦٥-"عليه قوله: «هلا شققت عن قلبه» قال أسامة حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت يومئذ فإنه لم يتمن الكفر ولا تأخير إسلامه حقيقة إلى بعد هذه الواقعة، وإنما تمنى سبق هذه الفعلة منه

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/١١٣

(٢) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/١١٤

لإسلامه حتى يكفرها الإسلام فتأمل ذلك.

قيل: ولما بعد عن العلم أقوام لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم من الألطاف ما يشبه الكرامات انبسطوا بالدعاوى، ولم يتبعوا طريق السلف الصالح في ترك الدعاوى رأسا حتى نقل عن بعضهم أنه قال: وددت أن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم، فسأله رجل: ولم ذلك؟ فقال: إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد فأكون رحمة للخلق.

وهذا من أقبح الكلام وأفحشه لأنه يتضمن تحقير ما عظم الله شأنه من أمر النار، فإنه تعالى بالغ في وصفها فقال: ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ [البقرة: ٢٤] وقال تعالى: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ [الفرقان: ١٢] .

وفي الحديث الصحيح عند مسلم وغيره: «ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من جهنم قالوا والله إن كانت نارنا لكفاية يا رسول الله. قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها» .

وفي الحديث الصحيح أيضا: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» .

ولقد وقع **لبعض الصالحين** أنه كان جالسا وعنده سراج فخطرت له معصية فقال لنفسه: أنا أجعل أصبعي في هذه الفتيلة فإن صبرت عليها أطعتك في هذه المعصية، ثم أدخل أصبعه في النار فصاح صيحة مزعجة فقال: يا عدوة الله إذا لم تصبري على نار الدنيا هذه التي طفئت سبعين مرة فكيف تصبرين على نار جهنم؟ وعن عمر – رضي الله عنه – أنه قال لكعب الأحبار: خوفنا يا كعب، فقال: يا أمير المؤمنين لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملك مما ترى، فأطرق عمر مليا ثم أفاق فقال: زدنا يا كعب. قال: يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق، ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها، فأطرق عمر مليا، ثم أفاق فقال: زدنا يا كعب قال: يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا". (١)

٢٥٥. ٦٦-"والترمذي: «لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به» ، والسحت بضم فسكون أو ضم: الحرام، وقيل الخبيث من المكاسب.

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٣٩/١

وفي رواية بسند حسن: «لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام» .

تنبيه: عد هذا كبيرة هو صريح ما في هذه الأحاديث وهو ظاهر لأنه من أكل أموال الناس بالباطل. قال بعضهم: قال العلماء - رضي الله عنهم -: ويدخل في هذا الباب المكاس والخائن والسارق والبطاط وآكل الربا وموكله وآكل مال اليتيم وشاهد الزور، ومن استعار شيئا فجحده، وآكل الرشوة، ومنتقص الكيل والوزن، ومن باع شيئا فيه عيب فغطاه، والمقامر والساحر والمنجم والمصور والزانية والنائحة والدلال إذا أخذ أجرته بغير إذن البائع، ومخبر المشتري بالزائد، ومن باع حرا فأكل ثمنه انتهى. وهذا يؤيد ما قدمته في تفسير الآية من أن الباطل فيها يعم هذه الأشياء كلها وما في معناها من كل شيء أخذ بغير وجهه الشرعي.

ورد أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: «يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبال تهامة حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباء منثورا ثم يقذف بهم في النار. قيل يا رسول الله كيف ذلك؟ قال كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم» .

ورئي **بعض الصالحين** في النوم فقيل له ما فعل الله بك؟ قال خيرا غير أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها ولم أردها. وقال سفيان الثوري: من أنفق الحرام في الطاعة فهو كمن طهر الثوب بالبول. وقال عمر - رضي الله عنه -: كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة من الوقوع في الحرام.

وقال بلتعة بن الورد: لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل في بطنك. وروي في حديث: «إن ملكا على بيت المعذبين ينادي كل يوم أو كل ليلة: من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل» . وقال ابن المبارك: لأن أرد درهما من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف.

وفي حديث: «من حج بمال حرام فقال لبيك، قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك» .

وقال ابن أسباط: إذا تعبد الشاب قال الشيطان". (١)

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٣٨٦/١

٢٥٦. ٦٧-"وروي أن رجلا جاء إلى عمر - رضي الله عنه - ليشكو إليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف قائلا: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي، فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال له عمر: يا أخي إني احتملتها لحقوق لها علي، إنها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي وليس ذلك بواجب عليها ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك، فقال الرجل: يا أمير المومنين وكذلك زوجتي قال: فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة.

وكان لبعض الصالحين أخ صالح يزوره كل سنة مرة، فجاء مرة لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته: من؟ فقال: أخو زوجك في الله جاء لزيارته فقالت ذهب يحتطب لا رده الله وبالغت في شتمه وسبه، فبينما هو كذلك وإذا بأخيه قد حمل الأسد حزمة حطب وهو مقبل به، فلما وصل سلم عليه ورحب به، ثم أنزل الحطب عن ظهر الأسد وقال له: اذهب بارك الله فيك ثم أدخل أخاه وهي تسبه فلا يجيبها فأطعمه ثم ودعه وانصرف على غاية التعجب من صبره عليها ثم جاء في العام الثاني فدق الباب فقالت امرأة: من؟ قال أخو زوجك جاء يزوره. قالت: مرحبا وبالغت في الثناء عليهما وأمرته بانتظاره، فجاء أخوه والحطب على ظهره فأدخله وأطعمه وهي تبالغ في الثناء عليهما، فلما أراد مفارقته سأله عما رأى من تلك ومن هذه ومن حمل الأسد حطبه زمن تلك البذيئة اللسان القليلة الإحسان، وحمله له على ظهره زمن هذه السهلة اللينة المثنية المؤمنة فما السبب؟ قال يا أخي توفيت تلك الشرسة وكنت صابرا على شؤمها وتعبها فسخر الله - تعالى - لي الأسد الذي رأيته يحمل الحطب لصبري عليها، ثم تزوجت هذه الصالحة وأنا في راحة معها فانقطع عني الأسد فاحتجت أن أحمل على ظهري لأجل راحتي مع هذه الصالحة.

تنبيه: عد النشوز كبيرة هو ما صرح به جمع ولم يرد الشيخان بقولهما: امتناع المرأة من زوجها بلا سبب كبيرة خصوصة، بل نبها به على سائر صور النشوز وقدمت ما يشمله، لكن لما في هذا مما بسطته فيه أفردته بالذكر. ومر أن فيه وعيدا شديدا كلعن الملائكة لها إذا أبت من زوجها بلا عذر شرعي.

قال الجلال البلقيني: وكان". (١)

٢٥٧. ٦٨-"وأحمد وابن أبي الدنيا، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وصححه. واعترض بأن فيه انقطاعا: «اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم» .

وعشق بعض العرب امرأة وأنفق عليها أموالا كثيرة حتى مكنته من نفسها فلما جلس بين شعبتيها وأراد الفعل ألهم التوفيق ففكر ثم أراد القيام عنها، فقالت له ما شأنك؟ فقال إن من يبيع جنة عرضها السموات والأرض بقدر فتر لقليل الخبرة بالمساحة ثم تركها وذهب. ووقع لبعض الصالحين أن نفسه حدثته بفاحشة وكان عنده فتيلة، فقال لنفسه يا نفس إني أدخل أصبعي في هذه الفتيلة فإن صبرت على حرها مكنتك مما تريدين، ثم أدخل أصبعه في نار الفتيلة حتى أحست نفسه أن الروح كادت تزهق منه من شدة حرها في قلبه وهو يتجلد على ذلك ويقول لنفسه هل تصبرين؟ وإذا لم تصبري على هذه النار اليسيرة التي طفئت بالماء سبعين مرة حتى قدر أهل الدنيا على مقابلتها فكيف تصبرين على حر نار جهنم المتضاعفة حرارتها على هذه سبعين ضعفا؟ فرجعت نفسه عن ذلك الخاطر ولم يخطر لها بعد.

[الكبيرة التاسعة والخمسون والستون والحادية والستون بعد الثلاثمائة اللواط وإتيان البهيمة]

(الكبيرة التاسعة والخمسون والستون والحادية والستون بعد الثلاثمائة: اللواط وإتيان البهيمة، والمرأة الأجنبية في دبرها) . أخرج ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب، والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط» .

والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم: «ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر» .

وابن ماجه «أقبل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا معشر المهاجرين خمس خصال

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٨٠/٢

إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها". (١)

٢٥٨. ٦٩-"وجاء عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساود شربة يتساقط منها لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها فإذا شربها يتساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار، ألا وإن شاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها شركاء في إثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا فإن ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم، ألا وكل مسكر حرام وكل خمر حرام» . وروي «أن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط تخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوا من الخمر شربة من نهر الخبال، فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لاحترقت السموات من حرها نعوذ بالله منها» .

وجاء فيها آثار عن السلف، فعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: إذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم اصلبوني على خشبة ثم انبشوا عنه قبره فإن لو تروا وجهه مصروفا عن القبلة وإلا فاتركوني مصلوبا. وعن الفضيل بن عياض – رضي الله عنه – أنه حضر عند تلميذ له حضره الموت فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فكررها عليه فقال لا أقولها وأنا بريء منها ثم مات فخرج الفضيل من عنده وهو يبكي ثم رآه بعد مدة في منامه وهو يسحب به في النار فقال له يا مسكين بم نزعت منك المعرفة؟ فقال: يا أستاذ كان بي علة فأتيت بعض الأطباء فقال لي تشرب في كل سنة قدحا من الخمر وإن لم تفعل تبق بك علتك فكنت أشربها في كل سنة؛ لأجل التداوي فهذا حال من شربها للتداوي فكيف حال من يشربها لغير ذلك نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة.

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتا مصروفين عن القبلة فسألت أهاليهم عنهم فقالوا كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة. وقال **بعض الصالحين**: مات لي ولد فلما دفنته رأيته بعد مدة في المنام وقد شاب رأسه فقلت يا ولدي دفنتك صغيرا فما الذي شيبك؟ فقال: يا أبت لما دفنتني دفن إلى جانبي رجل كان يشرب الخمر في الدنيا فزفرت النار

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢٢٨/٢

لقدومه إلى قبره زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها.". (١)

٢٥٩. ٧٠-"إحداهما: إذا سئلوا من خير ملتكم؟ قالوا أصحاب موسى، وكذلك النصارى قالوا خير ملتنا أصحاب عيسى. وسئلت الرافضة من شر ملتكم؟ قالوا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -.

والثانية: أن اليهود والنصارى يستغفرون لمتقدميهم، والرافضة أمروا بالاستغفار للصحابة - رضوان الله عليهم - فسبوهم والسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا يثبت لهم قدم ولا تقوم لهم حجة ولا تجتمع لهم كلمة دعوتهم مدحورة وحجتهم داحضة وكلامهم مختلف وجمعهم متفرق ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين﴾ [المائدة: ٦٤] .

قال **بعض الصالحين**: خرجت أنا وجماعة إلى زيارة قبر علي كرم الله وجهه فنزلنا على نقيب من نقباء الأشراف العلويين، وكان له خادم يهودي يتولى أمر خدمته داخلا وخارجا وكان قد عرف بيننا وبينه رجل هاشمي صديق لي فأكرمنا ذلك النقيب وأحسن إلينا، فقال صديقي الهاشمي: أيها النقيب: إن أمورك كلها حسنة قد جمعت الشرف والمروءة والكرم إلا أنا أنكرنا استخدامك لهذا اليهودي مع مخالفته لدينك ودين جدك، فقال النقيب: إني قد اشتريت غلمانا كثيرة وجواري فما رأيت أحدا منهم وافقني وما وجدت فيهم أمانة ونصحا مثل هذا اليهودي يقوم بأموري كلها ظاهرها وباطنها وفيه الأمانة والكفاية، فقال بعض الجماعة الحاضرين: أيها النقيب فإذا كان بهذه الصفة فاعرض عليه الإسلام لعل الله أن يهديه بك فأرسل إليه من دعاه فجاء. وقال: الله لقد عرفت لماذا دعوتموني، فقال له بعض الجماعة: أيها اليهودي إن هذا النقيب الذي أنت في خدمته قد عرفت فضله ورئاسته وشرفه وهو يحبك ويثني عليك بالأمانة وحسن الرعاية.

فقال اليهودي: وأنا أيضا أحبه، قلنا: فلم لا تتبعه على دينه وتسلم؟ فقال اليهودي: أيها الجماعة أنا أعتقد أن عزيرا نبي كريم وكذلك موسى - عليهما الصلاة والسلام -، ولو علمت أن في اليهود من يتهم زوجة نبي ويسب أباها ويسب أصحابه لما تبعت دينهم، فإذا أسلمت أنا فمن أتبع؟ قلنا تتبع هذا النقيب الذي أنت في خدمته، فقال اليهودي: ما أرضى هذا لنفسي، قلنا: ولم؟ قال لأن هذا النقيب يقول في عائشة زوجة نبيه ما يقول ويسب أباها وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - فلا

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/٢٦٢

أرضى لنفسي أن أتبع دين محمد وأقذف أزواجه وأسب أصحابه". (١)

٢٦٠. ٧١-"يذكر عن الأسود الحبشي أنه كان يلتفت يمينا وشمالا فقيل له ما هذا الالتفات قال انظر ملك الموت من أين يأتيني وأنشد بعضهم من كلمة

وألبس لهذا الموت جبة خائف ... قد ضاق عنه مسلك ومقام

لا نأمنن عليك من إقدامه ... فله على هذا الورى إقدام

وأكحل جفونك بالرقاد لأجله ... فالسهد حل والمنام حرام

إلا غرارا كالغذاء تناله ... لولا الضرورة ما وجدت تنام

ومن العجائب أن تراه نائما ... من طالبوه ساهرون ينام

وكان **بعض الصالحين** يقول ما أحسبني إلا رجلا قد أقعد ليقتل وجرد السيف عليه ومدت عنقه فهو ينتظر أن يضرب فيلقى رأسه بين يديه فشتان ما بين الرجلين

وآخر قد مد في عمره وطول في أمله فازداد في كسله ودخل الوهن في عمله

ورجل آخر قد جعل التقوى بضاعته والعبادة صناعته ولم يتجاوز بأمله ساعته بل جعل الموت نصب عينيه ومثالا قائما بين يديه وسيفا مصلتا عليه فهو مرتقب له مستعد لنزوله لا يشغله عن ارتقابه شاغل ولا يصرفه عن الاستعداد له صارف قد ملأ قلبه وجلا وعمره عملا وعد يوما واحدا يعيشه بقاء ومهلا وغنيمة تملأ نفسه سرورا وجذلا لازدياده فيه من الخير وادخاره فيه من الأجر واكتسابه عند الله عز وجل من جميل الذكر

ومثل هذا قد رفع التوفيق عليه لواءه وألبسه رداءه وأعطاه جماله وبهاءه

فانظر رحمك الله تعالى أي الرجلين تريد أن تكون وأي العملين تريد أن تعمل وبأي الرداءين تريد أن تشتمل وبأيهما تريد أن تتزين وتتجمل فلست تلبس هناك إلا ما لبسته هنا ولا تحشر هناك إلا فيما كنت فيه هنا إن". (٢)

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/٣٨٤

(٢) العاقبة في ذكر الموت ص/٧٢

٢٦١. ٧٢-"وتملقه فلما وصلنا إلى المدينة شرفها الله تعالى مرض مرضا شديدا وانفرد عنا فسرت إليه مع جماعة من أصحابنا نتعرف خبره فلما رأينا شدة ما به قال بعضنا لو أحضرنا له طبيبا ينظر إليه ويرى علته فلعله يكون عنده دواء فاستمع الشاب مقالته فتبسم من ذلك وقال يا مشايخي ويا أحبابي ما أقبح المخالفة بعد الموافقة من أراد الله له حالا وأراد هو غيرها أليس قد خالف الله في إرادته قال أبو يعقوب فخجلنا من كلامه فنظر إلينا وقال لو علمتم داء القتيل لطلبتم لدائه دواء إن الأمراض والأسقام فيها تطهير وتكفير وتذكير ودواء القتيل مشاهدة النفس وموافقة الهوى

ثم أنشأ يقول

بيد الله دوائي ... وبعلم الله دائي

إنما أظلم نفسي ... باتباعي لهوائي

كلما داويت دائي ... غلب الداء دوائي

فقمنا من عنده وتركناه يريد بقوله داء القتيل الداء الذي يقتل صاحبه وهو اتباع الهوى

وقيل لحسان بن أبي سنان في مرضه كيف تجدك قال أجدني بخير إن نجوت من النار

وقال بعض الصالحين دخلنا على مغيرة الخراز وهو مريض فقلنا له كيف تجدك فقال أجدني موقرا بالآثام فقلنا له فما تشتكي قال الحسرة على طول الغفلة قلنا فما تشتهي قال الإنابة إلى ما عند الله والنقلة عما يكرهه الله قال فبكى القوم جميعا

ودخل الحسن البصري على عطاء السلمي وهو مريض فوجده قد علاه الغبار والصفار فقال يا عطاء لو خرجت إلى صحن الدار فكان يضربك". (١)

٢٦٢. ٧٣-"وحق لمثلي بالبكا عند موته ... ومالي لا أبكي وموتي قد اقترب

ولي عمل في اللوح أحصاه خالقي ... فإن لم يجد بالعفو صرت إلى العطب

وقال عبد الله بن العلاء شهدت أعرابيا قد نزل به الموت فشخص ببصره ثم قال

كل آت فإنه سوف يأتي ... أنت يا يموت هاذم اللذات

يرحم الله أعظما باليات ... أصبحت في عساكر الأموات

ويروى أن ابن المنكدر رحمه الله عندما نزل به الموت بكى فقيل له ما يبكيك فقال والله ما أبكي

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/١٢٠

لذنب أعلم أني أتيته ولكني أخاف أن أكون قد أذنبت ذنبا حسبته هينا وهو عند الله عظيم

وقد روى عنه كلام آخر يدل على علو منزلته وارتفاع درجته

وقيل لجابر بن زيد عند موته ما تشتهي فقال نظرة إلى الحسن فجاء الحسن فلما دخل عليه قيل له هذا الحسن فرفع طرفه وقال يا إخوتاه الساعة أفارقكم إما إلى الجنة وإما إلى النار

وقال الحجاج بن يوسف الثقفي عند موته اللهم اغفر لي فإنهم يزعمون أنك لا تفعل فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة

وذكر ذلك للحسن البصري فقال أقالها قالوا نعم قال عسى

وقال سليمان التيمي دخلت على بعض أصحابنا وهو في الموت فرأيت من جزعه ما ساءني فقلت هذا الجزع كله لماذا وقد كنت تحمد الله على كذا يعني على حالة صالحة فقال ومالي لا أجزع ومن أحق مني بالجزع والله لو أتتني المغفرة من الله عز وجل لأهمني الحياء منه فيما أفضيت به إليه

وقال بعض الصالحين لغلامه وقد حضره الموت يا غلام شد كتافي وعفر بالتراب خدي ففعل الغلام ثم قال دنا الرحيل اللهم لا براءة لي من ذنب ولا عذر لي فأعتذر به ولا قوة فانتصر بها ثم قال أنت لي ثلاثا ثم صاح صيحة ومات". (١)

٢٦٣. ٧٤-"وقيل له قل لا إله إلا الله فقال ما نسيته فأذكره

ولما نزل الموت ببشر الحافي وكان على عليائه من العبادة والزهادة شق عليه وساءه ذلك فقيل له أتحب الحياة يا فلان فقال يا قوم القدوم على الله شديد

ولما حضر أبا سليمان الداراني الموت قال له أصحابه أبشر فإنك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير

فأبو سليمان هذا غلب عليه الخوف في هذه الحالة فتكلم عن حاله

وقيل لرويم عند الموت قل لا إله إلا الله فقال ما أحسن غيرها وكان رويم هذا من الصالحين ويروى أنه كان يدعو الطير فتجيبه

واحتضر بعض الصالحين فبكت امرأته فقال ما يبكيك قالت عليك أبكي قال إن كنت باكية فابكي على نفسك فأما أنا فقد بكيت على هذا اليوم منذ أربعين سنة

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/١٣٢

ولما حضرت أبا علي الروذباري الوفاة وكان رأسه في حجر ابنته فاطمة ففتح عينيه ثم قال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زخرفت وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم قال

وحقك لانظرت إلى سواك ... بعين مودة حتى أراك

أراك معذبي بفتور لحظ ... وبالخد المورد من حياك

أراك منعمي بجميل ظن ... وبالأمن المكرم من رضاك

فلو قطعتني في الحب إربا ... لما نظر الفؤاد إلى سواك

وكان أبو علي هذا ممن يعبد الله لذاته وكان يقول لا أريد الجنة ونعيمها إنما أريدك يا رب". (١)

٢٦٤. ٧٥-"وكذلك كان ممشاد الدينوري لما نزل به الموت جعل بعض المشايخ يدعو له فضحك وقال منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما نظرت إليها

ويروى أن **بعض الصالحين** ضحك عند موته وقال صادق يا وفي وفيت لي وما وفيت لك

ويروى عن عبد الله بن المبارك أنه لما احتضر نظر إلى السماء فضحك ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون

ومثل هذا يروى عن بعض أصحاب ابن فورك وكان من الصالحين الكبار المجتهدين أنه لما نزل به الموت شخص ببصره إلى السماء ثم قال يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون

وفتح ابن بنان عينيه عند الموت فقال ارتع فهذا مرتع الأحباب وخرجت روحه

ولما نزل الموت بأبي يعقوب النهرجوري رحمه الله قال له أبو الحسن المزين قل لا إله إلا الله فتبسم أبو يعقوب وقال إياي تعني وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه إلا حجاب العزة ثم خرجت روحه من ساعته

وكان أبو الحسن يأخذ بلحية نفسه ويقول يا حجام مثلك يلقن أولياء الله الشهادة وكان إذا ذكر هذه القصة بكى

وقال الجنيد دخلت على سري السقطي رحمه الله تعالى عند الموت وكان ممن أحرق قلبه الخوف فقلت له كيف تجدك فقال كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي قد أصابني من طبيبي

قال الجنيد فأخذت المروحة لأروح عليه فقال كيف يجد روح المروحة من قلبه يحترق ثم أنشد

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/١٣٤

القلب محترق والدمع مستبق ... والكرب مجتمع والصبر مفترق

كيف القرار على من لا قرار له ... مما جناه الأسى والشوق والقلق

ثم ذكر الله تعالى ومات رحمه الله

وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي فقال أشتهي أن أعرفه تبارك وتعالى قبل موتي بلحظة". [١]

٢٦٥. ٧٦-"وقال المعتمر بن سليمان قال لي أبي عند موته يا معتمر حدثني بالرخص لعلي أن ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به

وكانوا يستعجبون أن يذكروا العبد بمحاسن عمله عند موته كي يحسن الظن بربه

وقال الفضيل بن عياض ما دمت حيا فلا يكن شيء عندك أخوف من الله عز وجل وإذا نزل بك الموت فلا يكن عندك شيء أرجى من الله عز وجل

ويروى أن حذيفة بن اليمان لما نزل به الموت قال حبيب جاء على فاقة قد كنت قبل اليوم أخشاك وأما اليوم أرجوك

ويروى عن الحسن بن الليث قال رأيت محمد بن محمد الرازي في المنام فقلت له يا أبا عبد الله ما فعل الله بك قال غفر لي قلت بم قال برجائي له منذ ثمانين سنة

ودخل واثلة بن الأسقع على رجل فوجده في الموت فقال اخبرني كيف ظنك بالله تعالى فقال الرجل اغرقتني ذنوبي وأشرفت بي على الهلكة ولكن أرجو رحمة الله تعالى فكبر واثلة وكبر أهل البيت لتكبيره وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا ما شاء

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال عليه السلام لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه الذي يخاف أخرجه الترمذي

ورأى **بعض الصالحين** الحسن بن هانيء بعد موته في النوم فقال له ما فعل الله بك قال غفر لي قال بماذا قال بأربعة أبيات قلتهن في طي فراشي فمشى الرجل إلى دار الحسن فالتمسها فوجدها وهي".

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/١٣٥

(١)

٢٦٦. ٧٧-"يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم

أدعوك رب كما أمرت تضرعا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذي يرجو المسيء المجرم

مالي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل ظني ثم أني مسلم

وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت أمه تعظه وتقول له يا بني إن لك يوما فاذكر يومك وإن لك مصرعا فاذكر مصرعك فلما نزل به أمر الله تعالى اكبت عليه أمه فجعلت تقول أي بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا فقال لها يا أمة إن لي ربا كثير المعروف وإني لأرجو أن لا يعذبني بكرمه ورحمته قال ثابت فرحمه الله عز وجل بحس ظنه بربه أخبر بذلك في النوم أو أخبر به عنه

وقال جابر بن عبد الله كان شاب به زهو فنزل به الموت فقالت أمه يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمي ادفنيني به فإن فيه ذكر الله تعالى فلعله يرحمني فلما دفن رئي في المنام فقال اخبروا أمي أن الله قد غفر لي

وقال ذو النون المصري رحمه الله كان في جواري شاب مسرف على نفسه كثير الخطايا فمرض فدخلت عليه أعوده فإذا هو قد مات وأوصى أن يكتب على قبره شيء فرأيته في منامي فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي فقلت بماذا قال فكرت في جرمي وفي عفوه فرأيت عفوه أكثر من جرمي قال ذو النون فلما أصبحت جئت إلى قبره فإذا عليه مكتوب

حسن ظني بك يا ... رب جرأني عليك

فارحم اللهم عبدا ... صار رهنا في يديك

ويروى عن بعض الصالحين قال قال مالك بن دينار رأيت مسلم بن يسار في". (٢)

٢٦٧. ٧٨-"سابق لم يدر كيف جرى ... في القضاء الحتم والقدر

وأمور في الورى خفيت ... عن ذوي الألباب والنظر

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/١٤٦

(٢) العاقبة في ذكر الموت ص/١٤٧

فدع الأنفاس صاعدة ... ودموع العين تنحدر

وابك لا جفت دموعك ما ... ضاع من أيامك الغرر

وقد قيل لا تكف دمعك حتى ترى في المعاد ربعك وقيل لا تكحل عينك بنوم حتى ترى حالك بعد اليوم

وقيل لا تبت وأنت مسرور حتى تعلم عاقبة الأمور

وقيل لا يخصب لك الجناب ولا تأنس بكعاب حتى ترى ما خط لك في أم الكتاب وتستبين العاقبة والمآب

وأنشد

حاسب النفس قبل يوم الحساب ... وأذقها العذاب قبل العذاب

وأصبها من الأسى بشواظ ... ينضج اللحم قبل نضج الإهاب

وإذا ما بكيت يوما بدمع ... فبدمع من الفؤاد مشاب

وحذار حذار أن تتهنا ... بطعام تناله أو شراب

أو منام تنام بالليل حتى ... تستبين المآل يوم المآب

وقيل يا ابن آدم الأقلام عليك تجري وأنت في غفلة لا تدري يا ابن آدم دع المغاني والأوطار والمنازل والديار والتنافس في هذه الدار حتى ترى ما فعلت في أمرك الأقدار

وسمع **بعض الصالحين** منشدا ينشد

أيا راهبي نجران ما فعلت هند". (١)

٢٦٨. ٧٩-"وقال إذا كان الرضا والغضب صفة أزلية فما تنفع الأذيال المقصرة والأقدام المورمة والوجوه المصفرة

وقيل يا ابن آدم أي شيء يمنعك وأي مكان يعصمك إذا كانت الأقدار تطلبك

ومر على **بعض الصالحين** بيهودي ميت قد أوصى أن يدفن ببيت المقدس فقال أيكابر هؤلاء الأقدار أما علموا أنهم لو دفنوا في الفردوس الأعلى لجاءت لظى بأنكالها حتى تأخذه إليها وتنطلق به معها

وقال آخر من حكم له بالسعادة لا يشقى أبدا وإن ألح غاويه وكثر معاديه وأحيط به من جميع نواحيه

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/١٧٦

ومن حكم له بالشقاوة لا يسعد أبدا وإن عمر ناديه وأخصب واديه وحسنت أواخره ومباديه كم من عابد ظهرت عليه أنوار العبادة وآثار الإرادة وبدت منه مخايل السعادة وارتفع صيته وانتشر في الآفاق ذكره وعظم في الناس شأنه وقدره جمحت الأقدار به جمحة ردته على عقبيه وسلبته ما كان في يديه وأخذت بناءه من قواعده فألقته عليه فنعوذ بالله من درك الشقاء وجهد البلاء وشماتة الأعداء برحمته وأعلم رحمك الله أن لسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسبابا ولها طرق وأبواب أعظمها الإكباب على الدنيا والإعراض عن الأخرى والإقدام بالمعصية على الله تعالى

وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية وجانب من الإعراض ونصيب من الافتراء فملك قلبه وسبى عقله وأطفأ نوره وأرسل عليه حجبه فلم تنفع فيه تذكرة ولا نجعت فيه موعظة فربما جاءه الموت على ذلك فسمع النداء من مكان بعيد فلم يتبين المراد ولا علم ما أراد وان أعاد عليه وأعاد

يروى أن بعض رجال الناصر بن علناس نزل به الموت فجعل ابنه يقول له قل لا إله إلا الله فقال الناصر يا مولاي فأعاد عليه فأعاد هو ثم أصابته". (١)

٢٦٩. ٨٠-"الباب السابع تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له وقراءة القرآن عنده وذكر محاسنه والسكوت عن مساوئه

يروى عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات أحدكم فسويتم التراب عليه فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوي جالسا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكنكم لا تسمعون فيقول اذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما

فإن منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجهما دونه فقال رجل يا رسول الله فإن لم تعرف أمه قال ينسبه إلى أمه حواء ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حضر جنازة رجل فلما دفن قال سلوا الله لأخيكم التثبيت

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/١٧٨

فإنه الآن يسأل

وعن بعض الصالحين أنه قال مات أخ لي فرأيته في النوم فقلت يا أخي ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لي لهلكت". (١)

٢٧٠. ٨١-"سبيل الله لما قيل له ما تشتهي قال أريد أن أرجع إلى الدنيا فأقاتل فأقتل مرة أخرى وذلك لما يرى من فضل الشهادة وازدحام الحور العين عليه حال قتله

وقال غيره رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت وقالوا يا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل

وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت إلا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع أخرجه الترمذي

ويروى أن رجلا جاء إلى القبور وصلى ركعتين ثم اضطجع على شقه فنام فرأى صاحب القبر في المنام فقال له يا هذا إنكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل ولأن تكون ركعتاك في صحيفتي أحب إلي من الدنيا وما فيها

وقال بعض الصالحين مات أخ لي في الله فرأيته في النوم فقلت له يا فلان ما فعل الله بك عشت الحمد لله رب العالمين قال لي لأن أقدر يعني علي أن أقول الحمد لله رب العالمين أحب إلي من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونني فإن فلانا جاء فصلى ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلي من الدنيا وما فيها

ألا ترى رحمك الله إلى ندمهم على تفريطهم وتأسفهم على تضييعهم ندموا والله حيث لا ينفع الندم وطلبوا مالا يمكن وسألوا فيما لا يجوز فتركوا على حالهم ولم يسعفوا في سؤالهم وبقي كل واحد منهم فيما هو فيه

ولما أشرف بعضهم على الآخرة وأخذ في الانحدار إلى أوديتها والتدلي في مهاويها وأراد التمسك فلم يمكنه ذلك وأراد التثبيت فلم يقدر عليه والرجوع فلم يجد إليه سبيلا أمر أن يكتب على قبره كذا ويرسم عليه كذا ليكون تذكرة لمن رآه وموعظة لمن مر به كما قال القائل". (٢)

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/١٨٢

(٢) العاقبة في ذكر الموت ص/٢٠٣

٢٧١. ٨٢-"الباب العاشر ذكر منامات رئيت لبعض الصالحين تدل على ما هم فيه من الخير وحسن العاقبة

قال صلى الله عليه وسلم إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي قال فشق ذلك على الناس فقال لكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة وقد فسر قوله تبارك وتعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا أنها الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ذكر الحديثين الترمذي
وروى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الرؤيا الصالحة بشرى من الله
ومن حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءا من النبوة ذكر هذا الحديث مسلم وغيره
وقال صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وإذا ثبت صلاح العبد صدقت رؤياه وإلا فهي تسر ولا تضر والله أعلم بمن يثبت صلاحه وبمن يصدق كل ما يراه وليس هذا موضع الكلام وسأذكر لك جملا من هذه الأخبار". (١)

٢٧٢. ٨٣-"كانت تلبسه قالت عبدة فرأيتها في منامي بعد دفنها وعليها حلة استبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر قط شيئا أحسن منهما قالت فقلت لها يا رابعة ما فعلت تلك الجبة التي كنا كفناك فيها والخمار الصوف قالت إنما والله نزعا مني واستبدلت بهما هذا الذي ترين علي وطويا وختم عليهما ورفعا في عليين ليكمل ثوابهما إلى يوم القيامة قلت لها فما فعلت عبيدة بنت أبي كلاب قالت هيهات هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى قلت لها وبم وقد كنت أنت عند الناس أكبر منها قالت إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا ولا أمست قلت فما فعل ضيغم بن مالك قالت يزور الله عز وجل متى شاء قلت فما فعل بشر بن منصور قالت بخ بخ أعطي والله فوق ما كان يأمل
قالت فقلت لها فيم تأمرينني أن أتقرب إلى الله عز وجل فقالت عليك بذكر الله فيوشك أن تغتبطي

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/٢٢١

بذلك في قبرك

وقال بعض الصالحين رأيت بشر بن منصور في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فأعرض عني فقلت له فضيغم بن مالك قال ركب إلى الله الساعة

وقال ابن ثعلبة العابد رأيت ضيغم بن مالك في النوم بعد وفاته فقال لي يا ابن ثعلبة أما صليت علي فذكرت له شيئا منعني فقال أما أنك لو صليت علي لربحت رأسك يقول لنجوت وغفر لك

وقال أبو جعفر السقاء صاحب بشر بن الحارث رأيت بشر بن الحارث ومعروفا الكرخي رحمة الله عليهما وهما جائيان وكأنهما في قبة أو كما قال فقلت من أين قالا من جنة الفردوس زرنا كليم الله موسى عليه السلام

ولما احتضر حجاج الزاهد قيل له ما تشتهي قال الله ثم خرجت نفسه فرآه بعض إخوانه في النوم يمشي على حائط قال فرفعت رأسي إليه وأنا أمشي بالأرض فقلت له أبا يوسف كيف حالك وكيف أنت وعلام". (١)

٢٧٣. ٨٤-"قدمت قال فضحك وقال ما الأمر إلا سهل ما رأيت شيئا مما كنت أخافه والحمد لله رب العالمين

وعن سعيد بن أسد أن رجلا كان من دعائه اللهم سهل علي الموت ويسر علي الحساب وبارك لي في اللقاء وأعذني من جهد البلاء فمات فرئي في النوم فقيل له ما فعلت فقال لقيت خيرا وكل شيء سألت الله أن يعطينيه أعطانيه

وقال بعض الصالحين رأيت بشر بن الحارث في النوم وما كنت رأيته في اليقظة ولا كلمته قط فرأيت كأني واقف بين يدي الله عز وجل أسمع كلاما ولا أرى أحدا وهو يقول يا بشر قد قبلناك وقبلنا ما كان منك فسمعت بشرا يقول ومن تبعني يا رب قال قد غفرت لهم

وقال عاصم الجزري رأيت في النوم كأني لقيت بشر بن الحارث فقلت من أين يا أبا نصر فقال من عليين قال فقلت له ما فعل أحمد بن حنبل قال تركته الساعة مع عبد الوهاب الوراق بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان قلت له فأنت قال علم الله قلة رغبتي في الطعام فأباحني النظر إليه

وقال أبو جعفر السقاء رأيت بشر بن الحارث في النوم بعد موته فقلت له يا أبا نصر ما فعل الله بك

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/٢٢٥

فقال ألطفني ورحمني وقال لي يا بشر لو سجدت لي في الدنيا على الجمر ما أديت شكر ما حشوت قلوب عبادي منك وأباح لي نصف الجنة فأسرح فيها حيث شئت ووعدني أن يغفر لمن تبع جنازتي فقلت له ما فعل أبو نصر التمار قال ذاك فوق الناس لصبره على بلائه وفقره لعله أراد بقوله أباح لي نصف الجنة نصف نعيم الجنة لأن نعيم الجنة نصفان نصف روحاني ونصف جسماني فيتنعمون أولا بالروحاني ثم إذا ردت الأرواح إلى الأجساد أضيف لهم النعيم الجسماني إلى النعيم الروحاني والله أعلم بما أراد". (١)

٢٧٤. ٨٥-"وذكر **بعض الصالحين** قال رئي بشر بن الحارث في النوم وهو يهرول ويقول الساعة انطلقنا من السجن

وقال أبو الحسن المالكي صحبت خيرا النساج سنين كثيرة فقال لي قبل موته بثمانية أيام أنا أموت يوم الخميس قبل المغرب وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة وستنسى هذا فلا تنس قال فنسيته إلى يوم الجمعة فلقيت من أخبرني بموته فخرجت لأحضر جنازته فوجدت الناس قد أخرجوا جنازته قبل الصلاة كما قال فسألت من حضر وفاته فقال إنه غشي عليه ثم أفاق فالتفت إلى ناحية البيت وقال قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور والذي أمرت به أنت لا يفوتك والذي أمرت به أنا يفوتني ثم دعا بماء فجدد الوضوء ثم صلى ثم تمدد وغمض عينيه ومات رحمه الله فرئي في المنام فقيل له كيف حالك فقال لا تسأل ولكني تخلصت من دنياكم الوضرة

وكان من دعاء **بعض الصالحين** اللهم يا سيدي حبست من شئت عن خدمتك وأطلقت لها من أحببت من خلقك غير ظالم ولا مسئول عن فعلك وقد تقدمت لي فيك آمال فلا تجمع علي المنع من الطاعة وخيبة الأمل فيك يا كريم فكان هذا خاتمة دعائه فلما مات رئي في المنام في الجنة فقيل له بم نلت هذا قال بذلك التضرع والاستغاثة في الأسحار قيل ورئي عليه حلة قال الرائي فما رأيت شبها لها وعليها مكتوب بالذهب انعم فقد نلت الأمل فقلت له ما هذا الكتاب على ثيابك قال هذا خاتمة تضرعي وأملي الذي كنت أؤمله من سيدي

وقال **بعض الصالحين** رأيت أبا بكر الشبلي رحمه الله في المنام وكأني قاعد في مجلس الرصافة بالموضع الذي كان يقعد فيه وإذا به قد أقبل وعليه ثياب حسان قال فقمت إليه وسلمت عليه وجلست بين

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/٢٢٦

يديه فقلت له يا سيدي من أقرب أصحابك إليك فقال مسرعا ألهجهم بذكر الله وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة في مرضاة الله". (١)

٢٧٥. ٨٦-"وقال أبو عبد الرحمن الساحلي رأيت ميسرة بن سلم في المنام بعد موته فقلت له أصلحك الله طالت غيبتك فقال السفر طويل قلت فما الذي قدمت عليه فقال رخص لنا لأننا كنا نفتي بالرخص فقلت له فما تأمرني به فقال اتباع الآثار وصحبة الأخيار ينجيان من النار ويقربان من الجبار

وروي عن شعيب بن حرب قال كانت بمكة امرأة من الصالحات من أهل القرآن فرأت فيما يرى النائم حول الكعبة وصائف بأيديهن الرياحين وعليهن المعصفرات فقالت سبحان الله أحول الكعبة يكون هذا فقيل لها أما علمت أن عبد العزيز بن أبي رواد تزوج الليلة قالت فاستيقظت فإذا عبد العزيز بن أبي رواد قد مات في تلك الليلة

قال **بعض الصالحين** رأيت في النوم كأني في السماء ولأهل السماء ضجيج وحركة وهم يقولون جاء المحسن جعفر بن الزبير فانتبهت فمشيت إلى منزله فوجدته قد مات

ويروى عن أبي جعفر الضرير أنه قال رأيت عيسى بن زادان في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فأنشأ يقول

لو رأيت الحسان في الخلد حولي ... وأكاويبها بصافي الشراب

يترنمن بالقرآن جميعا ... يتمشين مسبلات الثياب

وقال عبود المعلم وكان يعرف بوجه الجنة رأيت أبا عبد الله الفزاري المعلم في النوم بعد موته فقلت له كيف وجدت الأمر قال أسهل مما تذكرون وأصعب مما تصفون فقلت له صاحبك سهل الوراق أمعك هو قال يدي في يده ويده في يدي يعني في الجنة ولكنه أطول مني قامة

وقوله أطول مني قامة يريد أرفع مني مرتبة وكان قد رآه بعد موته

ويروى عن معوذ بن داود الباكرتي وكان من الصالحين أنه قال رأيت أبا حفص عمر بن عبادل الرعيني

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/٢٢٧

الزاهد بعد موته فقلت له ما فعل الله بك". (١)

٢٧٦. ٨٧-"في دارك قال فرفع ابن سيرين يده من الطعام وقال أعظم الله أجري في نفسي وإن كثر البقاء فإلى سبع فكان كذلك

ويروى عن عمرو بن عمر بن صفوان عن بعض مشيخته قال رأيت في النوم كأني جئت إلى هذه المقبرة التي بمكة فرأيت على عامتها سرادقات ورأيت منها قبرا عليه سرادق وفسطاط وسدرة فجئت حتى دخلت وإذا مسلم بن خالد الزنجي فسلمت عليه وقلت يا أبا خالد ما بال هذه القبور عليها سرادق وقبرك عليه سرادق وفسطاط وفيه سدرة فقال إني كنت كثير الصيام فقلت له يا أبا خالد أين قبر ابن جريج دلني عليه فقد كنت أجالسه وأنا أحب أن أسلم عليه فقال هكذا بيده هيهات وأدار أصبعه السبابة وقال وأين قبر ابن جريج رفعت صحيفته في عليين

ويروى عن **بعض الصالحين** قال رأيت بعض جيراني في النوم فقلت له ما حالك فذكر شيئا قلت فما حال عبد الله بن المبارك قال ذلك مشهور في الجنة

ورئي حماد بن سلمة في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال لي طال ما كددت نفسك في الدنيا فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعبين

وعن أسلم بن زرعة العباداني قال كان عندنا بالساحل رجل له فضل بارع كان يعذب له الماء المالح قال قال لي يوما رأيت البارحة فيما يرى النائم كأن رجلا يقول لي قد فرغنا من بناء دارك ولو رأيتها لقرت عيناك وقد أمرنا أن ننجزها لك والفراغ منها إلى سبعة أيام واسمها السرور فأبشر بخير قال فلما كان في اليوم السابع بكر للوضوء ونزل للنهر وقد هدأ فزلق فغرق فمات فأخرجناه فدفناه قال فأريته بعد ثالثة وهو يكبر وعليه حلل خضر فقال لي يا أبا الرضى أنزلني الكريم دار السرور وماذا أعد لي فيها فقلت صف لي هذا فقال هيهات يعجز الواصفون أن تنطق ألسنتهم بما فيها فيا ليت عيالي". (٢)

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/٢٢٨

(٢) العاقبة في ذكر الموت ص/٢٣٠

٢٧٧. ٨٨-"يعلمون أنه قد هيء لهم منازل معي فيها كل ما اشتهت أنفسهم ولذت أعينهم نعم وإخواني وأنت معهم إن شاء الله قال ثم انتبهت

وقال أبو محمد اللباد الفقيه رحمه الله رأيت ربيعا العطار في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال في الجنة فقلت وكيف حالكم فيها قال تارة تزخرف لنا الجنان وتارة تشرف علينا الحور العين وتارة تصطك لنا الحجب قال فقلت له فمن أعلى منزلة أنت أم فلان وسمي له رجلا معروفا عندهم قال فتبسم وقال كلنا جمعنا في حديقة واحدة يعني في جنة واحدة

ورأى بعض من يوثق به رجلا كان يعرف بالخير والعفاف بعد موته وعليه عمامة خز فأنكرها عليه وكأنه قال له أتلبسها ولباس الخز مكروه فقال له هو عندنا في هذه الدار مباح

ورئي غيره شابا وكان في الدنيا أشيب فقيل له نراك دون شيب فقال لا يشيب أحد في هذه الدار

وقال **بعض الصالحين** كان لي ولد فاستشهد فرأيته في النوم ليلة مات عمر بن عبد العزيز فقلت له يا بني ألست ميتا قال لا ولكني حي أرزق فقلت فما جاء بك قال نودي في أهل السماء لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فحضرت ثم جئت لأسلم عليكم وأراكم

والأخبار في هذا الباب لا تحصى". (١)

٢٧٨. ٨٩-"وعرقوبيه بالحجارة حتى أدماه فقلت من هذا الشاب قالوا هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم أن الله أرسله قلت ومن هذا الآخر وراءه قالوا عمه أبو لهب

وسوء حال أبي لهب أوضح من أن يحتاج فيه إلى شاهد ولكني أردت إلا أخلي هذا الباب من ذكره أو ذكر مثله

وليعلم أيضا أن الكافر لا يغني عنه من الله شيء وأنه ليس له من دون الله ولي ولا نصير وهذا التخفيف الذي ذكر إن كان فإنما هو في البرزخ وأما في الآخرة فلا تخفيف ولا تفتير ولا راحة نعوذ بالله من عذابه

يروى عن **بعض الصالحين** من أهل القيروان قال كان لي جار يذكر أنه ليس بمسلم فمات فرأيت في النوم حجرا ململما يتدحرج حتى وصل إلى باب ذلك الرجل فدنوت منه فإذا بالحجر قد انفرج فخرج

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/٢٣١

منه رجل هو ذلك الرجل فقلت له ما هذا فقال هكذا نحن نعذب وذكر سوء حاله فقلت لعل الله أن يغفر لك قال وكيف يغفر لي وأنا قد مت على غير الإسلام

ويروى عن هشام بن حسان قال قال مات ابن لي شاب فرأيته في النوم وهو أشيب فقلت له يا بني ما هذا الشيب قال قدم فلان فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منا أحد إلا شاب

ويروى أن رجلا رئي في المنام شاحب اللون متغير الوجه وقد غلت يداه إلى عنقه فقيل له ما فعل الله بك فأنشأ يقول

تولى زمان لعبنا به ... وهذا زمان بنا يلعب

ويروى أن دلف بن أبي دلف العجلي رأى أباه في النوم وكأنه في بيت مظلم حيطانه وسقفه مسودة من الدخان وهو جالس في صدر البيت فقال له يا أبت كيف حالك فقال يا بني الأمر صعب والحساب دقيق ثم أنشأ يقول

ولو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي". (١)

٢٧٩. ٩٠-"وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتا مصروفين عن القبلة فسألت أهليهم عنهم فقالوا كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة وقال **بعض الصالحين** مات لي ولد صغير فلما دفنته رأيته بعد موته في المنام وقد شاب رأسه فقلت يا ولدي دفنتك وأنت صغير فما الذي شيبك فقال يا أبتي دفن إلى جانبي رجل ممن كان يشرب الخمر في الدنيا فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها نعوذ بالله منها ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب في الآخرة فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على أشر حالة فيلقى في النار نعوذ بالله منها

فصل

والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة وقد توقف بعض العلماء المتأخرين في حدها ورأى أن أكلتها تعزر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/٢٣٣

من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاما وليس كذلك بل أكلتها ينشون ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر حتى لا يصبروا عنها وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها مع ما فيها من الدياثة والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك لكن لما كانت جامدة مطعومة ليست شرابا تنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب الإمام أحمد وغيره فقيل هي نجسة كالخمر المشروبة وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل لا لجمودها وقيل يفرق بين جامدها ومائعها وبكل حال فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظا ومعنى قال أبو موسى يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن البتع وهو من العسل ينبذ". (١)

٢٨٠. ٩١-"والزانية والنائحة والعشرية والدلال إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع ومخبر المشتري بالزائد ومن باع حرا فأكل ثمنه

فصل

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباء منثورا ثم يقذف بهم في النار فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم وعن **بعض الصالحين** أنه رؤي بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال خيرا غير أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم رؤوف رحيم

موعظة

عباد الله أما الليالي والأيام تهدم الآجال أما مآل المقيم في الدنيا إلى الزوال أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال أما غاية السلامة نقصان الكمال أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال أما بانت لكم العبر وضربت لكم الأمثال

وعزيز ناعم ذل له

كل صعب المرتقى وعر المرام ... فكساه بعد لين ملبس

خشنا بالرغم منه في الرغام ... ووجوه ناضرات بدلت

---

(١) الكبائر للذهبي ص/٨٦

بعد لون الحسن لونا كالقتام ... وشموس طالعات أفلت

بعد ذاك النور منها بالظلام ... ومنيف شامخ بنيانه

لين الأعطاف مهتز القوام ... أف للدنيا فما شيمتها

غير نقض العقد أو خفر الذمام ... فاستعدوا الزاد تنجوا واعملوا

صالحا من قبل تقويض الخيام". (١)

٢٨١. ٩٢-"لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون وقوله صلى الله عليه وسلم عوان أي أسيرات جمع عانية وهي الأسيرة شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة في دخولها تحت حكم الرجل بالأسير وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لأهله وفي رواية خيركم ألطفكم بأهله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد اللطف بالنساء وقال صلى الله عليه وسلم أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وقد روي أن رجلا جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل راجعا وقال إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين فكيف حالي فخرج عمر فرآه موليا عن بابه فناداه وقال ما حاجتك يا رجل فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي فقال عمر يا أخي إني احتملتها لحقوق لها علي إنها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي وليس ذلك كله بواجب عليها ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال عمر فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة وحكي أن **بعض الصالحين** كان له أخ في الله وكان من الصالحين يزوره في كل". (٢)

---

(١) الكبائر للذهبي ص/١٢١

(٢) الكبائر للذهبي ص/١٧٩

٢٨٢. ٩٣-"أضيق المحابس أين الرافل في أثوابه عرى في ترابه عن الملابس أين الغافل في أمله عن أجله سلبه كف المخالس أين حارس المال أخذ المحروس وقتل الحارس

يا مضمرا حب الدنيا إضمار الجمل الحقود نبعث منقاش اللوم وما يصل إلى شظايا المحبة الدنيا جيفة قد أراحت ومزكوم الغفلة ما يدري سوق فيها ضجيج الهوى فمن يسمع المواعظ

(علمتني بهجرها الصبر عنها ... فهي مشكورة على التقبيح)

إذا أردت دواء حبها فما قل في الشربة صبر انفرد في صومعة الزهد واحفر خندق الحذر وأقم حارس الورع ولا تطلع من خوخة مسامحة فإن البغي في الفتى صناع

لصردر

(النجاء النجاء من أرض نجد ... قبل أن يعلق الفؤاد بوجد)

(كم خلى غدا إليه وأمسى ... وهو يهوى بعلوة وبهند)

حصن حصن التقى بسور القناعة فإن لص الحرص يطلب ثلمة غريم الطبع متقاض ملح والشره شرك وخمار المنى داء قاتل بينا الحرص يمد وتر الأمل انقطع هل العيش إلا كأس مشوبة بالكدر ثم رسوبها الموت ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾

قال محمد بن واسع لو رأيتم رجلا في الجنة يبكي أما كنتم تعجبون قالوا بلى قال فاعجب منه في الدنيا رجل يضحك ولا يدري إلى ما يصير ضحك **بعض الصالحين** يوما ثم انتبه لنفسه فقال تضحكين وما جزت العقبة والله لا ضحكت بعدها حتى أعلم بماذا تقع الواقعة

(يا نسيم الشمال بالله بلغ ... ما يقول المتيم المستهام)". (١)

٢٨٣. ٩٤-"(يقول صحبي أترى آثارهم ... نعم ولكن لا أرى القطينا)

(لو لم تجد ربوعهم كوجدنا ... للبين لم تبل كما بلينا)

(أكلما لاح لعيني بارق ... بكت فابدت سرى المصونا)

(لا تأخذوا قلبي بذنب مقلتي ... وعذبوا الخائن لا الأمينا)

دارت قلوب القوم في دائرة الخوف دوران الكرة تحت الصولجان فهاموا في فلوات القلق فمن خايف مستجير ومن واحد يقول ومن سكران يبث

(١) المدهش ص/٢٢١

(إذا لعب الرجال بكل شيء ... رأيت الحب يلعب بالرجال)

طالت عليهم بادية الرياضة ثم بدت بعدها الرياض استوطنوا فردوس الأنس في قلة طور الطلب

(شقينا في الهوى زمنا فلما ... تلاقينا كأنا ما شقينا)

(سخطنا عندما جنت الليالي ... فما زالت بنا حتى رضينا)

(فمن لم يحي بعد الموت يوما ... فإنا بعد ما متنا حيينا)

وقفت على قبر **بعض الصالحين** فقلت يا فلان بماذا نلت تردد الأقدام إليك فقال أقدمت على رد الهوى بلا تردد فترددت إلى الأقدام كان عطر إخلاصي خالصا فعبق نشره بالأرواح للمهيار

(جرت مع الرسم لي محاورة ... فهمت منها ما قاله الرسم)

(هل لك بالنازلين أرض منى ... يا علم الشوق بعدنا علم)

أدلج القوم طول الليل في السرى وخافوا عوز الماء فتمموا المزاد بالبكاء

(سلو غير طرفي إن سألتم عن الكرى ... فما لجفون العاشقين منام)". (١)

٢٨٤. ٩٥-"(عجبت لما رأتني ... أندب الربع المحيلا)

(واقفا في الدار أبكي ... لا أرى إلا الطلولا)

(كيف نبكي لأناس ... لا يملون الذميلا)

(كلما قلت إطمأنت ... دارهم صاحوا الرحيلا)

كان **بعض الصالحين** يتستر بإظهار الجنون فتبعه مريد فقال له والله ما أبرح حتى تكلمني بشيء ينفعني فإني قد عرفت تسترك فسجد وجعل يقول في سجوده اللهم سترك فمات

(أسميك سعدى في نسيبي تارة ... وآونة اسما وآونة لبنى)

(حذارا من الواشين أن يسمعوا بنا ... وإلا فمن سعدى لديك ومن لبنا)". (٢)

---

(١) المدهش ص/٢٢٦

(٢) المدهش ص/٢٣٩

.٢٨٥ ٩٦-"- ٢ -

كان الباعث لي على تصنيف هذا الكتاب وتأليفه أمران:

الأول: ما رأيته -ورآه غيري- من عزوف كثير من (طلبة العلم!!) -لا سواهم- عن إيلاء كتب العلم مكانتها، وإنزالها منزلتها، فاشتغلوا عنها بغيرها.

فجماعة منهم ظنوا أنهم قد بلغوا من العلم ما لا يحتاج معه إلى مزيد قراءة واطلاع، فقنعوا بما أحرزوه من ألقاب!! وشهادات!! ومناصب ووجاهة!!.

فما هو إلا أن حاز ((اللقب)) حتى أعرض عن الطلب، وقد كان يدعي العكس، يقول: دعوني أضع هم ((اللقب)) ثم أمعن في الطلب! فما باله انقلب!!.

ويا ليته وقف هنا فحسب، لكنه اتكأ على أريكته وعرض الوساد، وتنمر على العباد، وانسلخ من طلب العلم إلى طلب الدنيا، فأصبح ((اللقب)) حينئذ خديعة يخدع بها المرء نفسه وغيره.

ولو كانت الألقاب تؤخذ عن أهلية واستحقاق، لهان الخطب وانقطع الخطاب، لكن العكس هو الواقع، فأصبحت أحيانا تباع وتشترى، وأحيانا تعطى لبحوث هزيلة، وأحيانا لبحوث منقولة عن غيرها، وهكذا في سلسلة نكدة من التخاذل العلمي، فهل يوثق بعد هذا بشهادة أو لقب (١) ؟!.

---

(١) لكن **بعض الصالحين** لم يستطع التخلص من ضغط الواقع في اعتبار هذه (الألقاب السحرية!!) كل شيء، فمع يقينه أنها لا شيء إلا أنه -دائما- لا يستطيع أن =". (١)

.٢٨٦ ٩٧-"الفصل السادس

إخواني: انتبهوا من غفلتكم، فنوم الغفلة ثقيل، وشمروا لآخرتكم، فإنما الدنيا منزل، وفي طريقها مقيل. جاء في بعض الأخبار، أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: يا نبيي، شتان بين من عصاني وخالف أمري، وبين من قطع عمره في معاملتي وذكري ولزوم الوقوف ببابي، ومرغ خده على أعتابي، فيا خجلة الخاطئين، ويا ندامة البطالين.

وأنشدوا:

اخلوا بنفسك إن أردت تقربا ... ودع الأنام بمعزل يا عاني

---

(١) المشوق إلى القراءة وطلب العلم ص/٧

واعمل على قطع العلائق جملة ... في العيش في خرق الحجاب الفاني

وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه: "يا أصحابي، أتدرون من المفلس؟ " قالوا: يا رسول الله، المفلس عندنا من ليس له دينار ولا درهم. فقال لهم: "ليس هو ذلك، إنما المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وصدقة، ثم يأتي وقد شتم هذا، ولطم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا كذلك، حتى تفنى حسناته قبل أن يؤدي ما عليه، فتؤخذ خطاياهم، فتحمل على خطاياه، ويقذف به في النار، فهذا هو المفلس". نعوذ بالله من الحرمان.

قال بعض الصالحين رضي الله عنهم: أتيت إبراهيم بن أدهم لأزوره، فطلبته في المسجد، فلم أجده، فقيل لي: انه خرج الآن من المسجد، فخرجت في طلبه، فوجدته في بطن واد نائما في زمان الحر، وحية عظيمة عند رأسه، وفي فم الحية غصن من الياسمين، وهي تشرد عنه الذباب، فبقيت متعجبا من ذلك، وإذا بالحية". (١)

٢٨٧. ٩٨-"(فلا تسمح) فلا ترضى (نفسه بأن يأكل أو يتصدق منه) محافظة على غرض التلذذ (وهذا) السبب (مرض للقلب عسير العلاج) ؛ لأنه من خبث الطبع (لا سيما في كبر السن) ؛ لأنه يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الأمل، الحديث.

(فإن قبل العلاج فبكثرة التأمل فيما ورد) من الآيات والأحاديث (من ذم البخل والبخلاء ونفور الطبع عنهم وذم المال وآفاته) قال الله تعالى ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [التغابن: ١٥]- وروي عنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - أنه قال «اللهم من أحبني فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضني فأكثر ماله وولده» وروي أنه مات في بني إسرائيل رجل وخلف ابنين، وقصرا فتخاصما في قسمته فتكلمت لبنة من القصر بأن لا تخاصموا لأجلي فلقد كنت ملكا عمرت ثلاثمائة وسبعين سنة ثم مت فبقيت في القبر مائة وثلاثين سنة ثم رفع ترابي وجعل مني آنية فبقيت أربعين سنة ثم انكسرت ورميت في الطريق مائة وثلاثين سنة ثم ضربت لبنة ووضعت في هذا القصر منذ ثلاثمائة وثلاثين سنة أفتخاصمون وستصيرون مثلي فاعتبروا بي.

وعنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - «لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال، وأفضل أموال الدنيا الدرهم

---

(١) بحر الدموع ص/٣٣

والدينار وآخر الأول هم وآخر الثاني هو النار» (ومدح السخاء) كما مر، وفي المواقف أنه اشتهر أن عليا – رضي الله تعالى عنه – كان يؤثر المحاويج والمساكين على نفسه، وأهله حتى تصدق في الصلاة بخاتمه ونزل – ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ [الإنسان: ٨] .

وفي حاشية المولى حسن جلبي روي أنه مرض الحسن والحسين فنذر علي، وفاطمة وجاريتهما إن عوفيا صيام ثلاثة أيام فعوفيا، ولم يكن عندهما شيء فاستقرض علي ثلاثة أصواع شعير من يهودي وطحنت فاطمة صاعا وخبزت خمسة أقراص على عددهم فعند الإفطار قال سائل يا أهل بيت رسول الله أنا مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه به وباتوا، ولم يطعموا شيئا فأصبحوا صياما، وفي الليلة الثانية خبزت خمسة أقراص من الصاع الثاني فعند الإفطار سأل يتيم فآثروه به، ولم يطعموا شيئا فأصبحوا صياما، وفي الليلة الثالثة خبزت خمسة أقراص من الصاع الثالث فعند الإفطار سأل أسير فآثروه به فنزل قوله تعالى – ﴿يوفون بالنذر﴾ [الإنسان: ٧]– الآيات لكن هذه الرواية مدخولة عند بعض أهل الحديث (و) مدح (الزهد) هو ما نقل عن الجنيد استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب.

وعنه أيضا هو خلو اليد من الملك والقلب من التتبع، وعند الشبلي هو أن تزهد فيما سوى الله تعالى. وقال عبد الواحد بن زيد هو ترك الدنيا والدينار والدرهم كذا في القشيرية وروي عن ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه – ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا قال بعض الصحابة لبعض التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله، وهم كانوا خيرا منكم لكونهم أزهد منكم في الدنيا فمقادير الأعمال من طاعة، وإن كانت قليلة في الحسن فهي كثيرة في التحقق، وعمل راغبي الدنيا، وإن كثيرا في الحس قليل في الحقيقة لعدم سلامتهم من قوادح الخلوص، وعن معروف الكرخي القدرة على الطاعة إنما تمكن بإخراج الدنيا من القلب، وعن أبي عبد الله القرشي شكا بعض الناس إلى **بعض الصالحين** أنه يعمل أعمال البر، ولا يجد حلاوة في قلبه قال؛ لأن عندك بنت إبليس، وهي الدنيا، ولا بد للأب أن يزور بنته في بيتها، وهو قلبك، ولا يؤثر دخوله إلا فسادا.

وقال سهل بن عبد الله يعطى الزاهد ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعماله كذا في شرح الحكم (و) بكثرة (البذل تكلفا) لكونه على خلاف طبعه (حتى يصير) بالمداومة (طبعا له.

والثالث: حب الشهوات واللذات العاجلة قبل الموت التي لا وصول لها إلا بالمال، وهو المسمى بحب

الدنيا) كاللباس الفاخر والأبنية العالية والأطعمة النفيسة والمراكب والحدائق.

حاصل الكل حب الدنيا التي هي رأس كل خطيئة كما روي عن مالك بن دينار، وإن كان". (١)

٢٨٨. ٩٩-"والاكتواء ومعاطاة أسباب المعيشة (فلا منافاة) بين الأحاديث أو نقول الأولان للخواص والأخير للعوام إذ حاله - عليه الصلاة والسلام - بالخواص غير حاله بالعوام؛ ولهذا ترى حال الصالحين أكثر في التفويض.

قال في المنهاج عن بعض الصالحين إنه كان في البادية فوسوس إليه الشيطان بأنك متجرد، وهذه بادية لا عمران فيها، ولا ناس فعزم على نفسه أن يمضي على تجرده، وأن يترك الطريق حتى لا يقعدها بأحد، ولا يأكل شيئا حتى يجعل في فيه السمن والعسل ثم عدل عن الشارع ومر على وجهه قال - رحمه الله - فسرت ما شاء الله فإذا بقافلة قد ضلت الطريق فلما أبصرتهم رميت بنفسي إلى الأرض لعلهم لا يبصرونني فسيرهم الله حتى وقفوا علي فغمضت عيني فدنوا مني، وقالوا هذا منقطع قد غشي عليه من الجوع والعطش فهاتوا سمنا وعسلا نجعله في فيه لعله يفيق فأتوا بعسل وسمن فسددت فمي وأسناني فأتوا بسكين فعالجوا فمي حتى فتحوا فضحكت، وفتحت فاي فقالوا أنت مجنون فأخبرتهم القصة، وفي المنهاج أيضا، وعن بعض مشايخنا كنت متجردا في مسجد فوسوس إلي الشيطان بأن هذا مسجد بعيد من الناس، ولو صرت إلى مسجد بين الناس لزارك أهله، وقاموا بكفايتك فعهدت على الله أن لا آكل شيئا إلا الحلوى، ولا آكله حتى يوضع في في لقمة لقمة وصليت، وأغلقت الباب فلما مضى صدر من الليل إذا أنا بإنسان يدق الباب ومعه سراج فلما أكثر الدق فتحت الباب فإذا بعجوز قد دخلت فوضعت بين يدي طبقا من الخبيص، وقالت هذا الشاب، ولدي صنعت له هذا الخبيص وجرى مني كلام فحلفت أن لا يأكل حتى يأكل معه رجل غريب فكل رحمك الله فأخذت تضع في فمي لقمة، وفي فم ولدها لقمة.

ففي أمثالهما فوائد أن الرزق لا يفوت من قدر له والتوكل أمر مهم لازم وللشيطان فيه غوائل لا يتخلص من غائلته المنتهي فضلا عن المبتدئ (فظهر أن مباشرة الأسباب الظاهرة) العادية (المظنونة الوصول إلى المسببات لا تنافي التوكل) بشرط عدم اعتقاد التأثير لتلك الأسباب العادية لاختلاف داعيهما ومحلهما إذ داعي الأول اليقين ومحله الباطن وداعي الثاني عدم اليقين ومحله الظاهر (أصلا)

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ١٤/٣

لا في أصله، ولا في كماله لعل في الأخير نوع خفاء يعرف بالرجوع إلى نحو ما ذكر آنفا (فلذا فرض الكسب) لحديث ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه – «طلب الكسب فريضة على كل مسلم» كما أن طلب العلم فريضة كما في التتارخانية (للمحتاج) ، وقال فيه أيضا حاصله هو فرض على قدر ما يقوم به صلب نفسه أو عياله والزائد عليه مباح إذا لم يرد الفخر ثم كل الكسب مباح خلافا لمن جعل الزراعة مذمومة والأصح أنها أفضل من التجارة، وأما الاكتساب بغسل الميت فإن تعين ليس له أجر خلافا لحفر القبر وحمل الميت، وأما أجر ضرب الطبل فإن للغزاة والقافلة جاز، وإن للهو لا وضابطه كل ما أخذ بمقابلة المعصية معصية فيجب الرد أو التصدق إن لم يعرف وما تأخذه النائحة والمغني ونحوهما بالرضا وبلا عقد ليس بحرام وما جمع بأمر السلطان ومن الغرامات فلا يؤكل ديانة ويسع حكما إن لم يكن عين المغصوب والرشوة. انتهى ملخصا.

(ولو سؤالا) ؛ لأنه آخر المكاسب حتى لو مات ولم يسأل يأثم وما في التتارخانية عن الينابيع وما جمع السائل من المال فهو خبيث فعند عدم الاحتياج (و) وجب (الأكل لدفع الهلاك) فلو امتنع عن الأكل حتى مات دخل النار بخلاف المريض الممتنع من التداوي (وأمر بأخذ الحذر) من العدو قال الله تعالى «خذوا حذركم» (والسلاح) «خذوا أسلحتكم» ، وقد فعل ذلك سيد المتوكلين – صلى الله تعالى عليه وسلم – فظاهر بين درعين وتحصن من العدو في الخندق لعدم تنافيه التوكل لكونه من الأسباب المظنونة.". (١)

٢٨٩. ١٠٠-"وقد يقال في المنع عن الخروج طبا إن الطاعون هواء فإصابته ليست لظاهر بل لباطن كالقلب والرئة والكبد فظهوره في الظاهر يعني البدن كثير أما بعد زمان مديد فلا يفيد الخروج نعم يحتمل كون إصابته عند بقائه بلا خروج لكن وهمي، ومع هذا ينضم إلى الخروج تعطيل أحوال المطعونين بل تحقيق إهلاكهم عند عدم بقاء أحد من الأصحاء وخلاصهم منتظر، وفي منع الدخول أيضا أن الهواء لم يؤثر بباطنه ولم يكن لأهل البلد حاجة إليه وإلا فلا يمنع بل يندب، على أنه يجوز الإقدام على الضرر الموهوم لتخلص الضرر المقطوع عن المطعونين.

(فائدة)

في الأشباه أن الطاعون من النوازل الشديدة، وفي فتح القدير أن القنوت في كل الصلوات مشروع عند

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ٨٩/٣

النوازل، وفي الطحاوي ولا يقنت في الفجر عندنا من غير بلية إلى آخره وأيضا الطاعون من عموم المرض، وفيه يصلوا وحدانا كما في منية المفتي فتسن له ركعتان فرادى كالخسوف ويتضرع كل واحد لنفسه كما في الزيلعي كما في الريح الشديد والزلازل والصواعق والثلوج والأمطار الدائمة والخوف الغالب من العدو ونحو ذلك فيجتمعون كالخسوف ويصلون ويدعون، ثم قال وحاصله أن العبد ينبغي له أن يفزع إلى الصلاة عند كل حادثة انتهى إجمالا.

أقول: لا يخفى إن كان ذلك بدعاء نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شهادة ورحمة ومغفرة لمن مات منه فكيف يجوز الدعاء برفعه؟ وكيف يصح القياس في معرض النص؟ وكيف يدخل في تلك العمومات؟ ولو سلم شمولها فيجب تخصيص ذلك من تلك العمومات، وقد نقل عن السيوطي أن الدعاء برفعه بدعة حتى قيل لمعاذ ادع الله يرفع عنا هذا الرجز فقال ليس برجز ولكن دعوة نبيكم وموت الصالحين وشهادة يختص الله بها من يشاء منكم اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفر من هذه الرحمة.

قيل وما وقع عن الرافعي والنووي من مشروعية القنوت للوباء فعام مخصوص؛ لأن الوباء أعم من الطاعون لعدم ثبوته هنا أقول لعل التحقيق أن ذلك مختلف باختلاف الأشخاص والأغراض فلا يجوز الدعاء برفعه للخواص كالمتوكلين الكاملين ويجوز للعوام كما روي عن الشافعي أحسن ما يداوى به الطاعون التسبيح، وعن **بعض الصالحين** كثرة الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز أن يدعو برفعه لا مطلقا بل من هذا العاجل مثلا إذ قد سمعت أن طول عمر المؤمن لا يعادله عمل كيف، وقد سمعت دعاءه – صلى الله تعالى عليه وسلم – «اللهم اجعل فناء أمتي قتلا في سبيلك بالطعن أي بجهاد الكفار والطاعون الجن» فكما يجوز الدعاء للجهاد فليجز للجن وإن الدعاء لرفع ما يوجب الشهادة كالبطن والاستسقاء والشفاء للنفساء جائز اتفاقا فليجز للطاعون وأنه لا يمنع أحد الدواء والمعالجة في الطاعون فإذا جاز ذلك فليجز ذاك فليتأمل بدقة وليتبع بجهد فإن المقام من وراء حجاب الآن.

(و) من آفات الرجل (المشي في ملك الغير بلا إذنه) إذ لا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك أحد بلا إذنه حتى لا تجوز إجابة دعوة من سكن في دار مغصوبة، وكذا عيادته (دارا أو بستانا أو كرما أو أرضا مزروعة أو مكروبة) فلو لم يقدر على المشي في الطريق للزحام فيمشي في الزرع لكن يتقي وطء الزرع بقدر الممكن، وكذا من خفي عليه الطريق كما في الأسروشني (وإن) كان (أرضا جرزا) وهي

الأرض الغليظة التي لا نبات فيها وانقطع ماؤها والمراد الأرض الخالية (بلا حائط) أي جدار وحريم (ولا خندق) محيط للأرض لمنع كل داخل حيوانا أو آدميا (وكان المرور لحاجة من غير ضرر يرجى الجواز) ، وفي قوله لحاجة إشارة إلى عدم الدخول عند عدم الحاجة؛ لأنه أبيح للضرورة وما أبيح للضرورة بقدرها ولذا جاز دخول بيت غيره إذا سقط متاعه فيه وخاف صاحبه أنه لو طلبه منه لأخفاه (لوجود الإذن دلالة وعادة) قيد بعدم الخندق والحائط لما نقل عن أبي حنيفة من عدم حل المرور حينئذ، وكذا النزول فيها فيه إشارة إلى عدم المرور عند كون المنع معلوما صريحا أو دلالة كما في الأشباه". (١)

٢٩٠. ١٠١-"لأنه ليس من جوارح العبد أشد ذنبا من اللسان لأن كلمة يتكلم بها العبد أو الأمة تكون سببا لدخول النار

٩٧ - ترك الغيبة والنميمة

وقد كان بعض الخائفين إذا أصبح أخذ لوحا ودواة وجعلهما بجواره فإذا تكلم كلمة كتبها في اللوح ويقول لنفسه هكذا أثبتها عليك الملك بأمر الملك فإذا غربت الشمس وصلى صلاة المغرب وضع اللوح بين يديه وجعل يقرأ ويبكي ويقول في بكائه ونحيبه وتقريره لنفسه يا نفس كأني بك وقد سئلت عن هذا عند جواز الصراط يا نفس تراك بأي كلمة من هذه تدخليني النار فلا يزال يبكي حتى لا يجد بكاء وتفرغ دموعه فيغشى عليه فإذا أفاق مما هو فيه أخرج اللوح وكتب ما فيه بقرطاس وهو يقول متضرعا يا الله عفوا ورفقا ولطفا بعبدك

فلم يزل هذا دأبه حتى مات فرآه **بعض الصالحين** في المنام في حالة حسنة فسأله عما لقي من الله تعالى فقال ما يلقى من الكريم إلا الكرم جعل محاسبتي لنفسي في الدنيا بدلا عن الحساب في الآخرة وجعل دموعي التي بكيت في الدنيا أنهارا ترويني يوم العطش الأكبر وتفضل الكريم علي بدخول الجنة وبجواز الصراط ومن علي بالفضيلة العظيمة والزيارة الكبرى إلى وجهه الكريم

٩٨ - كلمة الشر وعذابها

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ٤/ ١٢٣

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن الرجل ليتكلم بالكلمة فينزل بها في النار بعد ما بين المشرق والمغرب فإذا أراد الله تبارك وتعالى بعبده خيرا أعانه على حفظ لسانه وشغله بعيوب نفسه عن عيوب غيره

قيل مر رجل على رجل فسلم عليه فقال له الرجل الذي سلم عليه يا أخي لو كشفت لك عن حالي ما سلمت علي فقال له الرجل الذي سلم عليه يا أخي لو كشفت لي عيوبك لكان في عيوبي ما يشغلني عن جميع عيوبك

فجلس كل منهما يبكي في ناحية حتى بل كل واحد منهما الأرض بدموعه ثم تفرقا". (١)

٢٩١. ١٠٢-"(ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس)

فاعلموا يا معشر بني آدم أن الموت لا يترك منكم أحدا ولا يرحم والدا ولا ولدا فاجعلوه بين أعينكم منصوبا فإنه لا يترك الفرح كئيبا مكروبا فيقيننا يقين من يموت وأعمالنا أعمال من لا يموت كأن يقيننا بالموت مشوبا بالشك وكأن إيماننا بالبعث ممزوجا بالإفك ما هذه حال من أيقن بالحمام يعصي مولاه في الليالي والأيام

وأنشدوا

(نحن من العمر في ظنون ... وفي يقين من المنون)

(ثمت لا نذكر المنايا ... أليس ذا غاية الجنون)

٢٨٣ - مثل الدنيا والموت

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال رأيت في المنام رجلا وهو في برية وأمامه غزالة وهو يجري خلفها وهي تفر منه وأسد كأعظم ما يكون خلقة وقد هم أن يلحقه والرجل يرد رأسه وينظر إلى الأسد فلا يجزع منه ثم يجري خلف الغزالة حتى لحق به الأسد فقتله فوقفت الغزالة تنظر إليه وهو مقتول إذ جاء رجل آخر قد فعل ما فعله المقتول فقتله الأسد ولم يدرك الغزالة فخرج آخر ففعل كذلك قال فما زلت أعد واحدا بعد واحد حتى عددت مائة رجل صرعى والغزالة واقفة فقلت إن هذا لعجب فقال الأسد مم تعجب أو ما تدري من أنا ومن هذه الغزالة فقلت لا فقال أنا ملك الموت وهذه الغزالة الدنيا

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٥٨

وهؤلاء أهلها يجدون في طلبها وأنا أقتلهم واحدا بعد واحد حتى آتي على آخرهن فاستيقظت فزعا مرعوبا وأنشدوا

(حتى متى وإلى متى نتوانى ... وأظن هذا كله نسيانا)

(والموت يطلبنا حثيثا مسرعا ... إن لم يزرنا بكرة مسانا)

(إنا لنوعظ بكرة وعشية ... وكأنما يعني بذاك سوانا)

(غلب اليقين على التشكك في الردى ... حتى كأني قد أراه عيانا)

(يا من يصير غدا إلى دار البلى ... ويفارق الإخوان والخلانا)

(إن الأماكن في المعاد عزيزة ... فاختر لنفسك إن عقلت مكانا)

(وانظر لنفسك إن أردت تعزها ... قبل الممات ولا تكن مهوانا)". (١)

٢٩٢. ١٠٣-"(فيا سوأتا قد آن وقت ترحلي ... وها أنا في الميدان ألهو وألعب)

(فإن لم تجد بالعفو منك عن الذي ... جنته يدي إني إذا لمخيب)

ذكر أنه كان بالبصرة فتى وكان مسرفا على نفسه ما ترك ذنبا إلا ارتكبه ولا شرا إلا اكتسبه فلما مرض لم يعده أحد من جيرانه فدعا بعضهم وقال إنه قد نزل بي ما ترى فإذا مت فادفني في زاوية من زوايا بيتي فقد أذيت جيراني في حياتي وما أحب أن أضر بالموتى بعد وفاتي

فرؤي بعد موته في المنام في حالة حسنة فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال يا عبدي هجروك جيرانك حنقا عليك وضيقوا مسالك الرحمة بين يديك فوعزتي وجلالي وجودي ومجدي وارتفاعي فوق علو مكاني ما ضاقت رحمتي عنك عبدي هذه خلع مغفرتي ومنازل جنتي وخاتم أماني وسجل إحساني وأنا الغفور الرحيم

٣٠٢ - حكاية عن الحسن

قال الحسن رحمه الله قد علم الله منا قبل أن يخلقنا أننا نذنب ونعصيه ولم يمنعه ذلك منا أن جعلنا مسلمين

فالله الله يا أهل الذنوب مثلي بادروا قبل نزول السكرات ووقوع الحسرات واجتهدوا فإن الموت آت

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/١٦٦

وكل آت فهو قريب

قد آن وكلما آن فقد حان

وأنشدوا

(أآمل أن أخلد والمنايا ... يثبن إلي من كل النواحي)

(ولا أدري إذا أمسيت حيا ... لعلي لا أعيش إلى الصباح)

عباد الله أيامكم مراحل تقطعونها وساعاتكم مناهل تردونها والموت يطوف عليكم بالليل والنهار لا يؤخر من فقدت ساعاته وفرغت أيامه وأوقاته

٣٠٣ - حكاية عن **بعض الصالحين**

يحكى عن بعض السادة الأخيار أنه قال خرجت يوما لزيارة القبور فإذا بقوم يحملون جنازة فتقدمت إليها وصليت بهم ثم شهدت دفنها فنعست نعسه فأتاني آت فقال لي قد غفر الله لهذا الميت على ظلمة ذنوبه فانتبهت مرعوبا فأخبرت بذلك أم الميت فقالت الحمد لله رب العالمين والله لقد كان مسرفا على نفسه فلما نزل به الموت بكى وقال لي يا أماه ضعي خدي على الأرض والتراب ففعلت ذلك فقال ضعي قدمك على خدي وادعي الله واستوهبيني منه فلعله يرحمني وإقلعي". (١)

٢٩٣. ١٠٤-"(ماذا لقيتم وماذا بعد قيل لكم ... لما فقدتم من الأجساد أرواحا)

(يعزز علي بأبدان منعمة ... أمسى بها الدود جوالا وسواحا)

(الناس في غفلة عما يراد بهم ... من كان ذا بصر فالصبح قد لاحا)

٣٢٨ - حكاية عن ابن السماك

حكي عن ابن السماك رحمه الله أنه حضر يوما جنازة فلما نظر إلى القبور بكى وقال لأصحابه معشر الإخوان ألا متأهب لموت يوصف له يراه أمامه ألا مستعد ليوم فقره ونزوله إلى حفرته وقبره ألا شاب عازم قد بارز لمنيته ألا من ليس يغيره شباب متنه ولا شدة قوته إلا شيخ قد بادر لانقضاء مدته فشمر السير فيما بقي من رمقه ماذا ينتظر من دفن أباه وقر أمه وأخاه ما فرح من القبر مأواه والتراب فراشه

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/١٧٩

وغطاه

وأنشدوا

(ألا إنما الدنيا بلاء وفتنة ... وبينا الفتى فيها مهاب مسود)

(إذا انقلبت عنه وزال نعيمها ... فاصبح من ترب القبور يمهد)

(فكن خائفا للموت والقبر بعده ... ولا تك ممن غره اليوم أو غد)

حكي عن بعض الصالحين رحمه الله أنه قال دخلت على مريض وهو في شدة السكرات فقلت له كيف تجدك فبكى ثم قال

(رحلت عن الدنيا وقامت قيامتي ... غداة أقل الحاملون جنازتي)

(وعجل أهلي حفر قبري وصيروا ... خروجي وتعجيلي إليه كرامتي)

(كأنهم لم يعرفوا قط صورتي ... غداة أتى يومي علي وساعتي)

إخواني ما هذا لمن مضى بل والله لمن مضى ولم بقي لا بد من القبر ووحشته ومن الموت وسكرته فانظروا لأنفسكم ما دام ينفعكم وتفكروا في وحشة القبر ما دام التفكر يباح لكم من قبل وقوع السكرة ونزول الحسرة وحيث لا تقال العثرة

فإن الأيام غرور وهي طريق إلى القبور

وأنشدوا

(ما للمقابر لا تجيب ... إذا دعاهن اللبيب)

(حفر يستر فوقهن من ... الجنادل والكثيب)

(فيهن أطفال وولدان ... وشبان وشيب)

كم من حميم لم يكن ... نفسي بفرقته تطيب)". (١)

٢٩٤. ١٠٥-"(غادرته في بعضهن ... مجندلا وهو الحبيب)

٣٢٩ - حكاية عن بعض الصالحين

حكي أن رجلا من الصالحين رحمه الله حضر جنازة فلما وضعوها في قبرها وانصرف أهلها وقف على

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٢٠١

قبر صديق له فناداه يا حبيب

يا فلان الصديق فلم يجبه أحد فأنشأ يقول

(أحبيب مالك لا تجيب مناديا ... أنسيت بعدي جملة الأحباب)

فأجابه مجيب يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول

(قال الحبيب وكيف لي بجوابكم ... وأنا رهين جنادل وتراب)

(أكل التراب محاسني ونسيتكم ... وحجبت عن أهلي وعن أحبابي)

(فعليكم مني السلام تقطعت ... مني ومنكم عقدة الأنساب)

يا مسكين فهذه صفتكم وصفة إخوانكم وأحبابكم وجيرانكم وأصحابكم فاعتبروا بهم وعظوا أنفسكم وأبكوا طول حياتكم أيام وحشتكم وبعد رقدتكم وطول غربتكم وانفرادكم في قبوركم ووحدتكم فعسى الله مولاكم أن يرحمكم فيؤنسكم فيها بأنس كرامته وينورها بنور مغفرته ويجعلها لكم أول منزلة من منازل الجنة وينجيكم فيها من كل عذاب ومحنة إنه المنان الكريم المتفضل الرحيم

٣٣٠ - موعظة ابن عباس

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ارحم ما يكون المولى جل جلاله بعبده إذا دخل قبره وتفرق الناس وأهله فمن أكثر من ذكره وجده روضة من رياض الجنة

وما من يوم إلا والأرض تنادي بخمس كلمات يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك إلى بطني يا ابن آدم تضحك على ظهري وسوف تبكي في بطني يا ابن آدم تفرح على ظهري سوف تحزن في بطني يا ابن آدم تذنب على ظهري وسوف تعذب في بطني يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهري وسوف يأكلك الدود في بطني يا ابن آدم كم من محسود في حياته يود إذا نزل في حفرته لو كان كل ما جمعه وخلفه لأعدائه وحساده فكم من تارك لعياله ما يصلحهم لمعادهم". (١)

٢٩٥. ١٠٦-"(وما للنفس عندك مستقر ... إذا ما استكملت أجلا ورزقا)

تفكروا في الملوك العتاة والجبابرة والطغاة الذين عمروا الدنيا وملكوها وأقطارها وسكنوا المشيد من قصورها كانوا أشد منكم قوة وآثارا واقوى أجساما وأطول أعمارا خلفوا ما كسبوا للأهل والأحباب

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٢٠٢

وعمر ديارهم من بعدهم الأصحاب وانصرم عنهم الليل والنهار ونزلوا على ما عملوا من الأوزار فلو أبصرتموهم بعد قليل في ظلمات القبور وقد تقطعت منهم الجلود وتمزقت الخدود وضيقت على أبدانهم اللحود واتخذ الخليل من بعدهم خليلا وصارت أبدانهم للدود مقيلا

فتفكر يا أخي وكن إلى التوبة مسرعا عجولا ولا تطع الشيطان إنه كان للإنسان خذولا وكو نوا أولياء الرحمن ولا تكونوا أولياء الشيطان

فعسى الله أن ينجيكم من عذاب النيران ويدخلكم برحمته الجنان

وأنشدوا

(اعمل لمثواك في الضريح ... واندم على فعلك القبيح)

(ولا تقصر وفيك روح ... فسوف تبقى بغير روح)

(واقرح الخد من دموع ... بالجد من قلبك القريح)

(والتمس الصفح قبل يوم ... تنقل فيه إلى الصفيح)

(يا نفس إني غدا طريح ... والترب يحثى على الطريح)

(نوحي فلو قد حواك قبر ... لم تقدري فيه أن تنوحي)

أحبابي قوموا بنا إلى الحزن والبكاء وإلى طول الأسف والأسى لعل الله يرحمنا في ظلمات القبر وعسى فإن القبر ينادي في الصباح والمسا

قيل وقف **بعض الصالحين** في المقابر وأنشأ يقول

(أغضاب أحبابنا أم رقود ... فإلى كم يكون هذا الصدود)

(إن تكونوا قوما نياما فهبوا ... كم تناموا عنا ونحن قعود)

(أو تكونوا هجرتمونا بذنب ... كان منا فإننا لا نعود)

حكي عن بعضهم رضي الله عنه أنه قال مات لي صديق فاغتممت عليه لما كان فيه من الصلاح والخير وحسن الطريقة فرأيته بعد موته في المنام فسألته عن حاله فأنشأ يقول". (١)

٢٩٦. ١٠٧-"والأيام المنهي عن صيامها ستة يوم الفطر ويوم الأضحية وثلاثة أيام بعد أيام التشريق ويوم الشك

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٢٠٤

٣٤٤ - الصوم اللغوي

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) البقرة ١٨٣ الصوم ضربان صوم لغوي وصوم شرعي فالصوم في اللغة هو الإمساك وكل ممسك عن شيء فهو صائم

وذم أعرابي قوما فقال يصومون عن المعروف ويفطرون على الفواحش

قال الله تعالى إخبارا عن مريم عليها السلام ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوما﴾ مريم ٢٦ يعني صمتا

يقال صام النهار إذا ارتفعت الشمس ويقال صامت الخيل وهو قيامها من غير علف ولا حركة

قال الشاعر

(خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وخيل تعلك اللجما)

أي خيل تصهل وخيل لا تصهل

٣٤٥ - صيام الجوارح

وكذلك حقيقة الصيام ترجع إلى اللغة لأن ما من جارحة في بدن الإنسان إلا ويلزمه الصوم في رمضان وفي غير رمضان فصوم اللسان ترك الكلام إلا في ذكر الله تعالى وصوم السمع ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى ما لا يحل سماعه وصيام العينين ترك النظر والغض عن محارم الله تعالى لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من نظر إلى امرأة نظرة حراما حشا الله عينيه يوم القيامة بمسامير من نار حتى يقضي الله بين الخلق ثم يؤمر به إلى النار إلا أن يتوب) وعلى كل نظرة لفحة من لفحات جهنم

٣٤٦ - عقاب نظرة في الحرام

ذكر عن **بعض الصالحين** أنه نظر على وجهه لمعة سوداء فسئل عنها فقال نظرت يوما إلى امرأة فتابعت النظرة بأخرى فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وقد نشر الخلائق في صعيد واحد وجيء بجهنم ونصب الصراط على متنها وقال الله تعالى لي جز يا عبدي فاقتحمت الصراط فخرج لسان من نار جهنم فأحرق وجهي فأثر فيه هذه اللمعة فقال الله تعالى يا عبدي نظرة بنظرة ولو زدت لزدناك هذا في المنام من نظرة فكيف بمن تابع النظر ولم يغض البصر وصيام اليدين أن تقبضهما عما ليس

لك بحق ولا ملك وأن لا تبسطهما إلا بما هو لله عز وجل". (١)

٢٩٧. ١٠٨-"عطشان وأتى الله حتى سقاه من شراب الجنة وذبح ذبحا وسبيت حرمه وحملن مكشفات الرؤوس على الأكف بغير وطاء حتى دخلن دمشق ورأس الحسين بينهن على رمح إذا بكت إحداهن عند رؤيته ضربها حارس بسوطه ووقف أهل الذمة لهن في سوق دمشق يصفقون في وجوههن حتى وقفن بباب يزيد فأمر براس الحسين فنصب على الباب وجميع حرمه حوله ووكل به الحرس وقال إذا بكت منهن باكية فالطموها

فظللن ورأس الحسين بينهن مصلوب تسع ساعات من النهار وإن أم كلثوم رفعت رأسها فرأت رأس الحسين فبكت وقالت يا جداه تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رأس حبيبك الحسين مصلوب وبكت فرفع يده بعض الحرس ولطمها لطمة حصر وجهها وشلت يده مكانه وفي هذا يقول الأزدي

(لقد ضل قوم أصبحوا في تلدد ... سباياهم في الحرب آل محمد)

(كما ضل سعي الناكبين بعجلهم ... فأعقبهم لعنا بدين التهود)

(وموسى وعيسى بشرا بمحمد ... عليه سلام الله من متهجد)

(أيا أمة الإسلام يا أمة الذي ... هدى الله منا بالنبي كل مهتد)

(وثوب لأبناء النبي فلو ترى ... بنو اللعن إذ عنوا لهم بالتهدد)

(بسوق دمشق يصفقون وجوههم ... فداء لها نفسي وما ملكت يدي)

(فما جرى دمعي يا حبيبي بناضب ... ولا زند ودي للحسين بمصلد)

٤٢٠ - عمرو بن الليث

وقيل إن عمرو بن الليث عرض عليه جنوده يوما فرأى كثرة عسكره وكان يحمل بين يديه إثنا عشر ألف عمود من ذهب تحت كل عمود قائد من حشمه تحت يده ألف فارس فلما رأى ذلك اغرورقت عيناه بالبكاء وقال في نفسه يا ليتني وقت قتل الحسين بن علي مع هؤلاء فكنت أفديه بنفسي ومالي وحشمي فرأى **بعض الصالحين** في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قل لعمرو بن الليث أطلعنا على ما خطر بقلبك وقبلنا منك وأعطاك الله تعالى على نيتك وقولك الثواب الجزيل فجاءه

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٢١٧

فأخبره فبكى بكاء شديدا

٤٢١ - من فضائل عاشوراء

ومن فضائل يوم عاشوراء ما ذكره وهب بن منبه قال وهب بن منبه أنزل". (١)

٢٩٨. ١٠٩-"٤٥٦ - حكاية نساخ أكثر من الصلاة

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال كان لي جار نساخ فمات فرايته في المنام في حالة حسنه فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي على ما كان مني فقلت له بم كان ذلك فقال كنت إذا كتبت اسم النبي صلى الله عليه وسلم صليت عليه صلى الله عليه وسلم فغفر لي بذلك وأعطاني ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فأكثروا من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

وأنشدوا

(نور النبي علا على الأنوار ... فهو الدليل لسبل دار قرار)

(صلوا عليه لعلكم تنجوا به ... يوم الحساب وكشفة الأسرار)

(صلوا على القمر المنير إذا بدا ... فهو الحبيب لربنا الجبار)

(صلوا على نور تكون بالهدى ... فهو الشفيع لصاحب الأوزار)

عباد الله ارغبوا بما رغبكم فيما الملك القهار من فضل الصلاة على نبيه محمد المختار ولا تغفلوا عن الصلاة عليه بالليل والنهار فإن الله ينجيكم بها من عذاب النار ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار

الصلاة على النبي فضيلة جزيلة والصلاة على أصحابه سنة وفضيلة والصلاة على الملائكة قربة ووسيلة

صلوا رحمكم الله على النبي الرفيع والنور البديع والحبيب الشفيع

أكرم من ولد وأعز من فقد

وأنشدوا

(صلاة رب ماجد وهاب ... على النبي الصادق الأواب)

(صلوا على المختار أنوار الهدى ... صلوا عليه معشر الأحباب)

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٢٦٤

(صلوا على النور البهي محمد ... صلوا عليه جماعة الأصحاب)

٤٥٧ - عدد الصلاة عليه

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه مائة مرة ومن صلى علي مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى علي الفا حرمه الله على النار وأدخله الجنة وثبته بالقول الثابت في القبر عند المسألة وجاءت صلاته علي نورا يضيء له الصراط مسيرة خمسمائة". (١)

٢٩٩. ١١٠-"القبور يا فلان هذه منازل الأعمال، أما أصحاب السندس فهم أصحاب الخلق الحسن، وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء، وأما أصحاب الريحان فهم الصائمون، وأما أصحاب السرور فهم المتحابون في الله، وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون.

قال اليافعي: رؤية الموتى في خير أو شر نوع من الكشف يظهره الله تبشيرا أو موعظة أو لمصلحة الميت أو إسداء خير له، أو قضاء دين أو غير ذلك، ثم هذه الرؤية قد تكون في النوم وهو الغالب، وقد تكون في اليقظة انتهى.

قال في كفاية المعتقد: أخبرنا بعض الأخيار عن **بعض الصالحين** أنه كان يأتي والده في بعض الأوقات ويتحدث معه.

وعن يحيى بن معين، قال لي حفار: أعجب ما رأيت من هذه المقابر أني سمعت من قبر أنينا كأنين المريض، وسمعت من قبر والمؤذن يؤذن وهو يجيبه من القبر.

ذكر صلاة الموتى في قبورهم

عن جبير قال: أما والله الذي لا إله إلا هو لقد أدخلت ثابتا البناني في لحده ومعي حميد الطويل، فلما سوينا عليه". (٢)

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٢٩٤

(٢) بشرى الكئيب بلقاء الحبيب ص/٤٤

٣٠٠. ١١١-"ونقل السهيلي في دلائل النبوة عن بعض الصحابة: أنه حفر قبرا في موطن فانفتحت طاقة، فإذا شخص على سرير وبين يديه مصحف يقرأ فيه، وأمامه روضة خضراء وذلك بأحد، وعلم أنه من الشهداء لأنه رأى ررأبى في صفحة وجهه جرحا. وأورد ذلك ابن ابن حبان في تفسيره.

وحكى اليافعي في روضة الرياحين عن **بعض الصالحين** قال: حفرت قبر رجل من العباد ولحدته، فبينما أنا أسوي إذ سقطت لبنة من لحد يليه، فنظرت فإذا شيخ جالس في القبر عليه ثياب بيض تقعقع، وفي حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب وهو يقرأ فيه، فرفع رأسه إلي وقال لي: أقامت القيامة؟ فقلت: لا، فقال: رد اللبنة إلى موضعها عافاك الله تعالى فرددتها.

وقال اليافعي أيضا: روينا عمن حفر القبور من الثقات أنه حفر قبرا فأشرف منه على إنسان جالس على سريره وبيده مصحف يقرأ فيه، وتحته نهر فغشي عليه، وأخرج من القبر يدور ولم يتمالك مما أصابه فلم يفق إلا في اليوم الثالث.". (١)

٣٠١. ١١٢-"فإن غفرت فقد مننت، وإن عاقبت فما ظلمت، لا إله إلا أنت.

وقال سليمان التيمي: دخلت على بعض أصحابنا وهو في النزع، فرأيت من جزعه ما ساءني، فقلت له: هذا الجزع كله، لماذا، وقد كنت بحمد الله على حالة صالحة؟! فقال: ومالي لا أجزع؟ ومن أحق مني بالجزع؟ والله، لو أتتني المغفرة من الله عز وجل، لأهمني الحياء منه فما أفضيت به إليه.

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة، جعل يقول: والله لوددت أني عبد لرجل من تهامة أرعى غنيمات في جبالها، ولم أل.

وذكر محمد الطائي الهمذاني في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين، ذكر بإسناده إلى المزني، قال: دخلت على الشافعي - رحمه الله - في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلا، ولإخواني مفارقا، ولسوء فعلي ملاقيا، وبكأس المنية شاربا، وعلى الله عز وجل واردا، فو الله ما أدري أروحي تسير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها؟! ثم بكى وأنشد:

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما

تعاظمني ذنبي، فلما قرنته ... بعفوك ربي، كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفومن الذنب، لم تزل ...

---

(١) بشرى الكئيب بلقاء الحبيب ص/٤٧

... تجود، وتعفو منة وتكرما

فلولاك، لم يقو بإبليس عالم ...

... وكيف، وقد أغوى ضعيفك آدما؟

وقال بعض الصالحين لخادمه، وقد حضرته الوفاة: يا غلام، شد كتافي، وعفر خدي في التراب، ففعل الغلام به ذلك، ثم قال: دنا الرحيل، ثم قال: اللهم لا براءة لي من ذنب، ولا عذر أعتذر به، ولا قوة فأنتصر بها ثم قال: أنت لي، أنت لي، ثم صاح صيحة، فمات فسمعوا صوتا يقول: اشتكى العبد لمولاه، فقبله.

فصل . في البشارات الهائلة لمن أصيب بمصيبة وإن لم تكن في ولده

ومن المطالب العالية، والبشارات الهائلة، لمن أصيب بمصيبة، وقد تقدم غالبه، ثم نذكر من لم يقدم من ولده شيئا.". (١)

٣٠٢. ١١٣-"الذي قبض فيه، وكان عندهم في العز كأنفسهم، فجعل أبو مسلم يكبر، فقال أبو الدرداء: أجل، فهكذا فقولوا، فإن الله إذا قضى بقضاء، أحب أن يرضى به.

وذكر ابن أبي الدنيا، في قوله تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ ، قال علقمة بن أبي وقاص: هي المصيبة، تصيب الرجل، فيعلم أنها من عند الله، ويسلم لها ويرضى.

وقال: حدثنا الحسين، حدثنا عبد الله، حدثنا علي بن الحسن العامري، حدثنا أبوه بدر، حدثنا عمر بن ذر، قال: بلغنا أن أم الدرداء كانت تقول: إن الراضين بقضاء الله، الذين ما قضى الله لهم رضوا به، لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة.

وبهذا الإسناد، عن سليمان بن المغيرة، قال: كان فيما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام، إنك لن تلقاني بعمل، هو أرضى لي عنك، ولا أحط لوزرك، من الرضا بقضائي، ولن تلقاني بعمل، هو أعظم لوزرك، ولا أشد لسخطي عليك، من البطر، فإياك يا داود والبطر.

وقال الشافعي: سمعت ابن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: أرجو أن أكون رزقت من الرضا طرفا، لو أدخلني النار لكنت بذلك راضيا.

---

(١) تسلية أهل المصائب ص/٨٨

وقال ابن زيد: نظر علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إلى عدي بن حاتم كئيبا، فقال: يا عدي مالي أراك كئيبا حزينا؟ قال: وما يمنعني، وقد قتل أبنائي، وفقئت عيني؟! فقال يا عدي، من رضي بقضاء الله كان له أجر، ومن لم يرض بقضاء الله حبط عمله.

ذكره ابن أبي الدنيا.

وقال أبو عبد الله البراثي: من وهب له الرضا فقد بلغ أقصى الدرجات.

فإن قيل: غالب الناس يصبرون ولا يرضون، فكيف يتصور الرضى بالمكروه؟ يقال: إن نفور الطبع عن المصائب، لا ينافي رضا القلب بالمقدور، فإنا نرضى القضاء، وإن كرهنا المقتضى!

قيل لبعض الصالحين: قتل ولدك في سبيل الله! فبكى، فقيل له: أتبكي وقد". (١)

٣٠٣. ١١٤-"عمل يعمل؟ قال الزراعة.

قال: هل علمت لأي شيء ضربك؟ قال: لا.

قال: فلعله حين أصبح وتوجه إلى الزرع وهو راكب الحمار، والثيران بين يديه والكلب من خلفه، وهو لا يحسن القرآن فتغنى وتعرضت له في ذلك الوقت، فظن أنك بقرة، فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك

وعن ثابت البناني رحمه الله تعالى ، قال: روي أن رجلا كان يضرب أباه في موضع، فقيل له ما هذا؟ فقال الأب خلوا عنه، فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع، فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع، هذا بذاك ولا لوم عليه.

قال بعض الحكماء: من عصى والديه لم ير السرور من ولده، ومن لم يستشر في الأمور لم يصل إلى حاجته، ومن لم يدار أهله ذهبت لذة عيشه

١٥٣ - وروى الشعبي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: «رحم الله والدا أعان ولده على بره» يعني لا يأمره بأمر يخاف منه أن يعصيه فيه.

وروي عن بعض الصالحين أنه كان لا يأمر ابنه بأمر، وكان إذا احتاج إلى شيء يأمر غيره.

فسئل عن ذلك فقال: إني أخاف أني لو أمرت ابني بذلك يعصيني في ذلك، فيستوجب النار، وأنا لا أحرق ابني بالنار.

---

(١) تسلية أهل المصائب ص/١٥٣

وروي عن خلف بن أيوب نحو هذا.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى.

تمام المروءة من بر والديه ووصل رحمه وأكرم إخوانه وحسن خلقه مع أهله وولده وخدمه، وأحرز دينه وأصلح ماله وأنفق من فضله وحفظ لسانه ولزم بيته.

يعني يكون مقبلا على عمله ولا يجلس مع أهل الفضول.

١٥٤ - وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: " أربع من سعادة المرء: أن تكون زوجته صالحة، وأولاده أبرارا، وخلطاؤه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده "". (١)

٣٠٤. ١١٥-"[الوصية الشرعية لكل مسلم]

الوصية الشرعية لكل مسلم قال صلى الله عليه وسلم: «ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصي فيه، إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه» .

قال ابن عمر: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله قال ذلك، إلا وعندي وصيتي " رواه الشيخان ".

١ - أوصي بمبلغ () تنفق على الأقارب والجيران الفقراء والكتب الإسلامية، (لا تزيد على الثلث، ولا تكون لوارث) .

٢ - أن يحضرني في أثناء مرض الموت **بعض الصالحين**، ليذكروني بحسن الظن بالله.

٣ - تلقيني كلمة التوحيد قبل الموت لا بعده، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» رواه مسلم «ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» .

" حسن رواه الحاكم ".

٤ - أن يدعو لي الحاضرون بعد الموت: اللهم اغفر له، وارفع درجته وارحمه. . وهكذا.". (٢)

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/١٣١

(٢) توجيهات إسلامية لمحمد بن جميل زينو ص/١٣٣

٣٠٥.   ١١٦-"وقد روينا عن **بعض الصالحين** أنه انقطع شسع نعله في عدوه إلى الجمعة فقال إنما انقطع لأني لم أغتسل للجمعة

فتفكر وفقك الله في أن الذنوب تنقضي لذتها وتبقى تبعتها كما أخبرنا المبارك بن علي قال أنبأنا علي بن محمد قال أنبأنا عبد الملك ابن بشران قال أنبأنا أحمد بن إبراهيم قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا عباس الدوري قال سمعت بعض أصحابنا يقول كان سفيان الثوري كثيرا ما يتمثل

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

قال محمد بن جعفر وأنشدني أبو جعفر العدوي للحسين بن مطير

ونفسك أكرم عن أشايا كثيرة ... فما لك نفس بعدها تستعيرها

ولا تقرب الأمر الحرام فإنه ... حلاوته تفنى ويبقى مريرها

ثم تفكر وفقك الله فيما أكسبك الذنب من الخجل فقد قيل للأسود ابن يزيد عند موته أبشر بالمغفرة فقال وأين الخجل مما المغفرة منه

وكان بعض الحكماء يقول إن استطعت أن لا تسيء إلى من تحب فافعل

قيل له كيف يسيء الإنسان إلى من يحب فقال إذا عصيت الله أسأت إلى نفسك وهي أكبر محبوباتك". (١)

٣٠٦.   ١١٧-"٧٣٧- ولقد حدثني **بعض الصالحين** المجاورين بجامع المنصور: أن رجلا اسمه كثير دخل عليهم الجامع، فقال: إني عاهدت الله على أمر ونقضته، وقد جعلت عقوبتي لنفسي ألا آكل شيئا أربعين يوما! قال: فمكث منها عشرة أيام قريب الحال، يصلي في جماعة، ثم في العشر الثاني بأن ضعفه، وكان يداري الأمر، ثم صار في العشر الثالث يصلي قاعدا، ثم استطرح١ في العشر الرابع، فلما تمت الأربعون، جيء بنقوع٢، فشربه، فسمعنا صوته في حلقة مثلما يقع الماء على المقلاة٣، ثم مات بعد أيام. فقلت: يا لله! العجب! انظروا ما فعل الجهل بأهله، ظاهر هذا أنه في النار؛ إلا أن يعفى عنه، ولو فهم العلم وسأل العلماء، لعرفوه أنه يجب عليه أن يأكل، وأن ما فعله بنفسه حرام، ولكن، من أعظم الجهل استبداد الإنسان بعلمه!

---

(١) ذم الهوى ص/١٨٦

٧٣٨- وكل هذه الحوادث نشأت قليلا قليلا حتى تمكنت، فأما السرب الأول، فلم يكن فيه من هذا شيء، وما كانت الصحابة تفعل شيئا من هذه الأشياء، وقد كانوا يؤثرون، ويأكلون دون الشبع، ويصبرون إذا لم يجدوا، فمن أراد الاقتداء؛ فعليه برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ففي ذلك الشفاء والمطلوب.

٧٣٩- ولا ينبغي أن يخلد العاقل إلى تقليد معظم شاع اسمه، فيقول: قال أبو يزيد، وقال الثوري، فإن المقلد أعمى. وكم قد رأينا أعمى يأنف من حمل عصا! فمن فهم هذا المشار إليه، طلب الأفضل والأعلى. والله الموفق.

---

١ استطرح: وقع على الأرض لا يقدر على الحركة.

٢ النقوع: ماء ينقع به زبيب أو تمر ويصنع منه شراب، وهو حرف ما زال مستعملا عندنا في الشام.

٣ صوت المقلاة: يسمى النشيش.". (١)

٣٠٧. ١١٨-"٢٦٥- فصل: زيارة المقابر ومفاوضة الكتب

١٢١٤- كان المريد في بداية الزمان إذا أظلم قلبه أو مرض لبه، قصد زيارة **بعض الصالحين**، فانجلى ما أظلم. واليوم، متى حصلت ذرة من الصدق لمريد، فردته في بيت عزلة، ووجد نسيما من روح العافية، ونورا في باطن قلبه، وكاد همه يجتمع وشتاته ينتظم، فخرج، فلقي من يومأ إليه بعلم أو زهد، رأى عنده البطالين، يجري معهم في مسلك الهذيان، الذي لا ينفع، ورأى صورته صورة منمس١،

---

١ المنمس: المحتال المخادع.". (٢)

٣٠٨. ١١٩-"٢٩٤- فصل: تحذير العلماء من مخالطة السلاطين

١٣١٦- رأيت خلقا من العلماء والقصاص تضيق عليهم الدنيا، فيفزعون إلى مخالطة السلاطين، لينالوا من أموالهم، وهم يعلمون أن السلاطين لا يكادون يأخذون الدنيا من وجهها ولا يخرجونها في

---

(١) صيد الخاطر ص/٢٣٩

(٢) صيد الخاطر ص/٣٦٩

حقها.

فإن أكثرهم: إذا حصل له خراج١ ينبغي أن يصرف إلى المصالح؛ وهبه لشاعر! وربما كان معه جندي يصلح أن تكون مشاهرته٢ عشرة دنانير، فأعطاه عشرة آلاف! وربما غزا، فأخذ ما ينبغي أن يقسم على الجيش فاصطفاه لنفسه! هذا غير ما يجري من الظلم في المعاملات.

وأول ما يجري على ذاك العالم أنه قد حرم النفع بعلمه. وقد رأى **بعض الصالحين** رجلا عالما يخرج من دار يحيى بن خالد٣ البرمكي، فقال: أعوذ بالله من علم لا ينفع.

---

١ الخراج: ضريبة مفروضة على البلاد التي فتحت صلحا.

٢ مشاهرته: الأجرة التي يستحقها كل شهر.

٣ الوزير الكبير، أحد رجال الدهر حزما ورأيا وسياسة وعقلا، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه ويثقفه؛ فلما استخلف رفع قدره، وصير أولاده ملوكا، ثم نكبهم وسجن خالدا، فمات في السجن سنة "١٩٠هـ" وله سبعون سنة.". (١)

٣٠٩. ١٢٠-"وفي المسند وصحيح ابن حبان عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - «عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال رجلان من أمتي يقوم أحدهما من الليل فيعالج نفسه إلى الطهور وعليه عقد فيتوضأ، فإذا وضأ يديه انحلت عقدة، وإذا وضأ وجهه انحلت عقدة، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة، فيقول الرب عز وجل للذين وراء الحجاب انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه ما سألني عبدي هذا فهو له» وتقدم في آداب الأذكار في طرفي النهار حديث الصحيحين في العقد فلا حاجة إلى إعادته. .

وفي الصحيحين «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال نعم الرجل عبد الله، يعني ابن عمر لو كان يصلي من الليل، فكان عبد الله لا ينام بعد ذلك من الليل إلا قليلا» .

قال الحافظ ابن رجب في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى: ومما يجزى به المتهجدون في الليل كثرة الأزواج من الحور العين في الجنة، فإن المتهجد قد ترك لذة النوم بالليل ولذة التمتع بأزواجه طلبا لما عند الله عز وجل، فعوضه الله تعالى خيرا مما تركه وهو الحور العين في الجنة. ومن هنا قال بعضهم:

---

(١) صيد الخاطر ص/٤٠٠

طول التهجد مهور الحور العين في الجنة. كان بعض السلف يحيي الليل في صلاة ففتر عن ذلك فأتاه آت في منامه فقال له: قد كنت يا فلان تدأب في الخطبة فما الذي قصر بك عن ذلك؟ قال: وما ذاك؟ قال كنت تقوم من الليل أو ما علمت أن المتهجد إذا قام إلى التهجد قالت الملائكة قد قام الخاطب إلى خطبته.

ورأى بعضهم في منامه امرأة لا تشبه نساء الدنيا، فقال لها: من أنت؟ قالت حوراء أمة الله، فقال لها: زوجيني نفسك، قالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني، قال وما مهرك؟ قالت: طول التهجد.

نام بعض المتهجدين ذات ليلة فرأى في منامه حوراء تنشد:

أتخطب مثلي وعني تنام ... ونوم المحبين عنا حرام

لأنا خلقنا لكل امرئ ... كثير الصلاة براه الصيام

وكان **بعض الصالحين** له ورد فنام عنه، فوقف عليه فتى في منامه فقال له بصوت محزون:". (١)

٣١٠. ١٢١-"وقد روينا ذلك في حديث الثوري عن أيمن بن وائل عن أبي الزبير عن جابر أن رسول اله صلى الله عليه وسلم كان يقول: بسم الله، وبالله، التحيات لله، والصلوات والطيبات لله عز وجل، فهذا هو الأفضل عندي لأنه هو الأحوط ولدخول روايات الجماعات فيه، ثم اختلفوا في مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم بالإشارة إليه في السلام، أو تركها، فالذي اختاره السلام على النبي صلى الله عليه وسلم إلى ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لأنه قد جاء في بعض الأخبار كالتفسير لما ذكرناه، قال: كنا نقول إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فلما قبض صلى الله عليه وسلم صرنا نقول: السلام على النبي، وفي كل الروايات قوله: وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فكذلك اختار إلا في رواية عمر، فإنه ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحدثني بعض العلماء عن **بعض الصالحين** قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت: يا رسول الله قد اختلف العلماء علينا في التشهد فيم نأخذ فقال: التشهد هو الذي رواه ابن أم عبد، ولا يدع أن يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس فيقول: أعوذ بك من عذاب جهنم، وعذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا، والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، قد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر به، والمسيح بنصب الميم

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ٥٠٢/٢

مع التخفيف لأنه قيل سمي كذلك معدول به من ماسح، أي يمسح الأرض مسحا، لأنه قيل: تطوى له الأرض، وبعض أهل اللغة يقول: عدل به عن ممسوح العين أي مطموسها، والتكبير والتسليم جزم والأذان جزم، قد قيل ذلك واستحب أن يكون المؤذن غير الإمام.

وقد روينا في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره أن يكون الإمام مؤذنا، وقد كان عمر رضي الله عنه إذا ذكر فضل الأذان يقول لولا الإمامة لأذنت.

وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم: الأذان إلى المؤذن والإقامة إلى الإمام؛ أي هو أملك بها، وللمؤذن أن ينتظر الإمام، وليس على الإمام والمأموم انتظار المؤذن إذا دخل الوقت، ولا على المؤذن انتظار أحد إذا انتظر الإمام ودخل الوقت، والصلاة في أول وقتها أفضل من انتظار الجماعة لها، وأفضل من قراءة طوال السور فيها، وقيل: قد كانوا إذا حضر اثنان في الصلاة لم ينتظروا الثالث، وإذا حضر أربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس، وقيل: انتظار المأموم مع شهود الإمام مكروه والنعي بالميت والإيذان به بدعة، وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الفجر وكانوا في سفر، وإنما تأخر لطهارة، فلم ينتظر، وقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها، قال: فأشفقنا من ذلك فقال: أحسنتم هكذا فافعلوا، وقد تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء وهم في الصلاة، فقام إلى جانبه، ليدخل في الصلاة مكبرا إذا قال المؤذن: قد قامت الصلاة، ويكون الناس قد قاموا إذا". (١)

٣١١. ١٢٢-"تذلل لمن إن تذللت له ... يرى ذاك للفضل لا للبله

وجانب صداقة من لا يزال ... على الأصدقاء يرى الفضل له

وأنشدنا لبعض الأدباء:

كم من صديق عرفته بصديق ... صار حظي من الصديق العتيق

ورفيق رأيته في طريق ... صار عندي محض الصديق الحقيقي

وروينا عن الحسن بن علي عليهما السلام في وصف الأخ كلاما رجزا جامعا مختصرا:

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت شمل نفسه ليجمعك

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٣٥٤/٢

ولا تصح مؤاخاة مبتدع في الله تعالى، ولا محبة فاسق يصحب على فسوقه، ولا محبة فقير أحب غنيا لأجل دنياه، ولا ما يناله من عاجل مهناه، وقد تصح المحبة بين الغني والفقي، وتوجد الأخوة إن لم يقم الغني بحقوق أخيه، إذا آثره أخوه بما يحب أن يؤثره به، فلم يفتضه، وقد تصح الأخوة بين العالم والجاهل، وبين الصالح والطالح لأجل التدين من أحدهما، والتقربة إلى الله عز وجل، ويكون من الأعلى منهما لنيات تكون له فيها لحسن خلقه، أو لجميل معاملته، أو لمعان محمودة تكون فيه، لأن لكل مؤمن سديدا من عمله يرجى له به، والمؤمن لا يهلك كله، ولا يذهب جملة واحدة، أو لإشفاقه عليه أو لتواضع العالم والصالح في نفسه، فيراه في كل حال فوقه، أو لأجل الستر عليه لئلا يلحقه النقص والشين من الغير، فهذه طرقات الإخوان، فيها حسن نيات، وينبغي على ذلك أن تعلمه ما جهل مما هو به أعلم، فيعينه بعلمه كما يعينه بماله، فإن فقر الجهل أشد من فقر المال، وإن الحاجة إلى العلم ليست بدون الحاجة إلى المال وكان الفضيل يقول: إنما سمي الصديق لتصدقه والرقيق لترفقه، فإن كنت أغنى منه فأرفقه بمالك، وإن كنت أعلم منه فأرفقه بعلمك، وينبغي أن ينصح له فيما بينه وبينه، ولا يوبخه بين الملأ ولايطلع على غيبه أحدا، فقد قيل: إن نصائح المؤمنين في آذانهم، وقال جعفر بن برقان: قال لي ميمون بن مهران: قل لي في وجهي ما أكره، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره، فإن كان أخوه الذي نصح له صادقا في حاله، أحبه على نصحه، فإن لم يحبه وكره ذلك منه دل على كذب الحال، قال الله سبحانه وتعالى في وصف الكاذبين: (ولكن لا تحبون الناصحين) الأعراف: ٧٩ وقد كان بعض الصالحين يقول: أحب الناس إلي من أهدى عيوبي، وقد كان عمر بن". (١)

٣١٢. ١٢٣-"وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مات له اثنان من الولد، فقد احتظر له بحظار من النار، وفي خبر آخر: من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله عز وجل الجنة، بفضل رحمته إياهم قيل: يا رسول الله، فاثنان قال: واثنان، وكان بعض الصالحين يعرض عليه التزويج فيأباه برهة من دهره قال: فانتبه من نومه ذات يوم فقال: زوجوني فسئل عن ذلك فقال: لعل الله يرزقني ولدا أو يقبضني، فيكون مقدمة لي في الآخرة، ثم حدث عن سبب ذلك فقال: رأيت في نومي كأن القيامة قد قامت، وكنت في جملة الخلائق في الموقف، وبي من العطش ما كاد أن يقطع عنقي، وكذلك

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٣٧٠/٢

الخلائق في شدة العطش من الحر والشمس والكرب قال: فبينما نحن كذلك، إذا الولدان يتخللن الجمع، عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد، ويتخللون الجمع ويجاوزون أكثر الناس قال: فمددت يدي إلى أحدهم فقلت: اسقني شربة فقد أجهدني العطش فقال: ليس لك فينا ولد إنما نسقي آباءنا فقلت: وما أنتم فقالوا: نحن من مات، من أطفال المسلمين.

وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير نسائكم الودود الولود، وروي أيضا: حصيرة في البيت خير من امرأة لا تلد، وروي أيضا: سوداء ولود خير من حسناء لا تلد، هذا كله لأجل هذا، وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من رغب عن سنتي فليس مني وإن من سنتي النكاح، ومن أحبني فليستن بسنتي ويقال: إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا المتأهلين وهم خمس وثلاثون، وقد ذكرنا آنفا أن يحيى عليه السلام قد تزوج، وأما عيسى عليه السلام فإنه سينكح إذا نزل من السماء ويولد له، وقد قيل إن فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد، وإن ركعتين من متأهل أفضل من سبعين ركعة من أعزب، وقال الله تعالى في وصف الرسل ومدحهم: (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) الرعد: ٣٨، فعد الأزواج والذرية من مدحهم وذكرها في وصفهم، وكذلك ألحق بهم أولياءه في المدح والفضل في قوله عز وجل: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) الفرقان: ٧٤، فسألوا الله عز وجل من فضله، وكل ما ذكرناه من فضل النكاح يشترك في فضل ذلك النساء، بل هو لهن أفضل وأثوب لسقوط المكاسب عنهن، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة بالتزوج وندبها". (١)

٣١٣. ١٢٤-"يمشون في الحلل المضاعف نسجها ... مشي الجمال إلى الجمال البزل

وأول الجمال: الاهتمام بالغسل. وعند البخاري: ((حق على المسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوما، يغسل فيه رأسه وجسمه)) .

هذا على أقل تقدير. وكان **بعض الصالحين** يغتسل كل يوم مرة كعثمان بن عفان فيما ورد عنه، ﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾ .

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٢/٤٠٣

ومنها خصال الفطرة: كإعفاء اللحية وقص الشارب، وتقليم الأظافر، وأخذ الشعر الزائد من الجسم، والسواك، والطيب، وتخليل الأسنان، وتنظيف الملابس، والاعتناء بالمظهر، فإن هذا مما يوسع الصدر ويفسح الخاطر. ومنها لبس البياض، ((البسوا البياض، وكفنوا فيه موتاكم)) .

رقاق النعال طيبا حجزاتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب

وقد عقد البخاري باب: لبس البياض: ((إن الملائكة تنزل بثياب بيض عليهم عمائم بيض)) .

ومنها ترتيب المواعيد في دفتر صغير، وتنظيم الوقت، فوقت للقراءة، ووقت للعبادة، ووقت للمطالعة، ووقت للراحة، ﴿لكل أجل كتاب﴾ ، ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ .

في مكتبة الكونجرس لوحة مكتوب عليها: الكون بني على النظام. وهذا صحيح، ففي الشرائع السماوية الدعوة إلى التنظيم والتنسيق والترتيب، وأخبر - سبحانه وتعالى - أن الكون ليس لهوا ولا عبثا، وأنه بقضاء وقدر، وأنه بترتيب وبحسبان: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ . ﴿لا الشمس ينبغي لها". (١)

٣١٤. ١٢٥-"ترون إلا خرقا تبلى أو لحما يأكله الدود غدا كان الإمام أحمد رضي الله عنه يقول: يا دار تخربين ويموت سكانك وفي الحديث: "عجبا لمن رأى الدنيا وسرعة تقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها" قال الحسن: إن الموت قد فضح الدنيا فلم يدع لذي لب بها فرحا وقال مطرف: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فالتمسوا نعيما لا موت فيه وقال يونس بن عبيد: ما ترك ذكر الموت لنا قرة عين في أهل ولا مال وقال يزيد الهاشمي: أمن أهل الجنة الموت فطاب لهم العيش وأمنوا الاسقام فهنيئا لهم في جوار الله طول المقام عيوب الدنيا بادية وهي تغيرها ومواعظها منادية لكن حبها يعمي ويصم فلا يسمع محبها نداءها ولا يرى كشفها للغير وإيذاءها.

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان في العالم من يسمع

كم واثق بالعمر أفنيته ... وجامع بددت ما يجمع

كم قد تبدل نعيمها بالضر والبؤس كم أصبح من هو واثق بملكها وأمسى وهو منها قنوط بؤوس قالت بعض بنات ملوك العرب الذين نكبوا: أصبحنا وما في الأرض أحد إلا وهو يحسدنا ويخشانا وأمسينا

(١) لا تحزن ص/٢٦٨

وما في العرب أحد إلا وهو يرحمنا ثم قالت:

وبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة ليس ننصف

فأف لدار لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنار تصرف

دخلت أم جعفر بن يحيى البرمكي على قوم في عيد أضحى تطلب جلد كبش تلبسه وقالت: هجم علي مثل هذا العيد وعلى رأسي أربعمائة وصيفة قائمة وأنا أزعم أن ابني جعفرا عاق لي.

كانت أخت أحمد بن طولون صاحب مصر كثيرة السرف في إنفاق المال حتى أنها زوجت بعض لعبها فأنفقت على وليمة عرسها مائة ألف دينار فما مضى إلا قليل حتى رؤيت في سوق من أسواق بغداد وهي تسأل الناس.

اجتاز بعض الصالحين بدار فيها فرح وقائلة تقول في غنائها:

ألا يا دار لا يدخلك حزن ... ولا يزري بصاحبك الزمان". (١)

٣١٥. ١٢٦-"الصوم عمر وأبو طلحة وعائشة وغيرهم من الصحابة وخلق كثير من السلف وممن صام الأشهر الحرم كلها ابن عمر والحسن البصري وغيرهما قال بعضهم: إنما هو غداء وعشاء فإن أخرت غداءك إلى عشائك أمسيت وقد كتبت في ديوان الصائمين "للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه" إذا وجد ثواب صيامه مدخورا سمع بعضهم مناديا ينادي على السحور في رمضان ياما خبأنا للصوم فانتبه لذلك وسرد الصوم وروي: أن الصائمين توضع لهم مائدة تحت العرش فيأكلون والناس في الحساب فيقول الناس ما بال هؤلاء يأكلون ونحن نحاسب؟ فيقال: كانوا يصومون وأنتم تفطرون وروي: أنهم يحكمون في ثمار الجنة والناس في الحساب روى ذلك ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع.

قال الله تعالى: ﴿والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ [الحاقة:٢٤] قال مجاهد وغيره: نزلت في الصوم: من ترك لله طعامه وشرابه وشهواته عوضه الله خيرا من ذلك طعاما وشرابا لا ينفذ وأزواجا لا تموت في التوراة: طوبى لمن جوع نفسه ليوم الشبع الأكبر طوبى لمن ظمأ نفسه اليوم ليوم الري الأكبر طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٢٩

يره طوبى لمن ترك طعاما ينفذ في دار لدار ﴿أكلها دائم وظلها﴾ [الرعد: ٣٥] .

من يرد ملك الجنان ... فليذر عنه التواني

وليقم في ظلمة الليـ ... ـل إلى نور القرآن

وليصل صوما بصوم ... إن هذا العيش فإني

إنما العيش جوار ... الله في دار الأمان

كان بعض الصالحين يكثر الصوم فرأى في منامه كأنه دخل الجنة فنودي من ورائه يا فلان تذكر أنك صمت لله يوما قط؟ قال: إي والله يوم ويوم ويوم فإذا صواني النار قد أخذته يمنة ويسرة كان بعض الصالحين قد صام حتى انحنى وانقطع صوته فمات فرأى بعض أصحابه في المنام فسئل عن حاله فقال:

قد كسي حلة البهاء وطا ... فت بالأباريق حوله الخدام

ثم حلى وقيل يا قارئي أرقه ... فلعمري لقد براك الصيام". (١)

٣١٦. ١٢٧-"صام بعض التابعين حتى أسود من طول صيامه وصام الأسود بن يزيد حتى اخضر جسمه واصفر فكان إذا عوتب في رفقه بجسده يقول: كرامة هذا الجسد أريد وصام بعضهم حتى وجد طعم دماغه في حلقه كان بعضهم يسرد الصوم فمرض وهو صائم فقالوا له: افطر فقال: ليس هذا وقت ترك وقيل لآخر منهم وهو مريض: افطر فقال: كيف وأنا أسير لا أدري ما يفعل بي مات عامر بن عبد الله بن الزبير وهو صائم ما أفطر ودخلوا على أبي بكر بن أبي مريم وهو في النزع وهو صائم فعرضوا عليه ماء ليفطر فقال: أغربت الشمس؟ قالوا: لا فأبى أن يفطر ثم أتوه بماء وقد اشتد نزعه فأومأ إليهم أغربت الشمس؟ قالوا: نعم فقطروا في فيه قطرة من ماء ثم مات واحتضر إبراهيم بن هانيء صاحب الإمام أحمد وهو صائم وطلب وسأل أغربت الشمس؟ فقالوا: لا وقالوا له: قد رخص لك في الفرض وأنت متطوع قال: أمهل ثم قال: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ [الصافات:٦١] ثم خرجت نفسه وما أفطر الدنيا كلها شهر صيام المتقين وعيد فطرهم يوم لقاء ربهم ومعظم نهار الصيام قد ذهب وعيد اللقاء قد اقترب.

وقد صمت عن لذات دهري كلها ... ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٣٧

ولما كان الصيام سرا بين العبد وبين ربه اجتهد المخلصون في إخفائه بكل طريق حتى لا يطلع عليه أحد قال **بعض الصالحين**: بلغنا عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال: إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته ويمسح شفتيه من دهنه حتى ينظر إليه الناظر فيظن أنه ليس بصائم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا أصبح أحدكم صائما فليترجل ـ يعني يسرح شعره ـ ويدهنه وإذا تصدق بصدقة عن يمينه فليخفها عن شماله وإذا صلى تطوعا فليصل داخل بيته وقال أبو التياح: أدركت أبي وشيخة الحي إذا صام أحدهم ادهن ولبس صالح ثيابه.

صام بعض السلف أربعين سنة لا يعلم به أحد كان له دكان فكان كل يوم يأخذ من بيته رغيفين ويخرج إلى دكانه فيتصدق بهما في طريقه فيظن أهله أنه يأكلهما في السوق ويظن أهل السوق أنه أكل في بيته قبل أن يجيء اشتهر **بعض الصالحين** بكثرة الصيام فكان يقوم يوم الجمعة في مسجد الجامع فيأخذ إبريق الماء فيضع بلبلته في فيه ويمتصها والناس ينظرون إليه ولا يدخل حلقه منه شيء لينفي عن نفسه ما اشتهر به من الصوم كم يستر الصادقون أحوالهم وريح الصدق.". (١)

٣١٧. ١٢٨-"لو أنك أبصرت أهل الهوى ... إذا غارت الأنجم الطلع

فهذا ينوح على ذنبه ... وهذا يصلي وذا يركع

من لم يشاركهم في هواهم ويذوق حلاوة نجواهم لم يدر ما الذي أبكاهم من لم يشاهد جمال يوسف لم يدر ما الذي آلم قلب يعقوب.

من لم يبت والحب حشو فؤاده ... لم يدر كيف تفتت الأكباد

كان أبو سليمان يقول: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وسط الليل للمحبين للخلوة بمناجاة حبيبهم والسحر للمذنبين للإستغفار من ذنوبهم فوسط الليل خاص لخلوة الخواص والسحر عام لرفع قصص الجميع وبروز التواقيع لأهلها بقضاء الحوائج فمن عجز عن مسابقة المحبين في ميدان مضمارهم فلا يعجز عن مشاركة المذنبين في استغفارهم واعتذارهم صحائف التائبين خدودهم ومدادهم دموعهم قال بعضهم: إذا بكى الخائفون فقد كاتبوا الله بدموعهم رسائل الأسحار تحمل ولا يدري بها الفلك وأجوبتها ترد إلى الأسرار ولا يعلم بها الملك.

صحائفنا إشارتنا ... وأكثر رسلنا الحرق

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٣٨

لأن الكتب قد تقرأ ... بغير الدمع لا تثق

لا تزال القصص تستعرض ويوقع بقضاء حوائج أهلها إلى أن يطلع الفجر ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له هل من داع فأجيب دعوته إلى أن ينفجر الفجر فلذلك كانوا يفضلون صلاة آخر الليل على أوله.

نحن الذين إذا أتانا سائل ... نوليه إحسانا وحسن تكرم

ونقول في الأسحار هل من تائب ... مستغفر لينال خير المغنم

الغنيمة تقسم على كل من حضر الوقعة فيعطي منها الرجالة والأجراء والغلمان مع الأمراء والأبطال والشجعان والفرسان فما يطلع فجر الأجر إلا وقد حاز القوم الغنيمة وفازوا بالفخر وحمدوا عند الصباح السرى وما عند أهل الغفلة والنوم خبر مما جرى.

كان **بعض الصالحين** يقوم الليل فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته يا أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون ألا تقومون فترحلون فإذا سمع الناس.". (١)

٣١٨. ١٢٩-"صوته وثبوا من فرشهم فيسمع من هنا باك ومن هنا داع ومن هنا نال ومن هنا متوضيء فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى.

يا نفس قومي فقد نام الورى ... إن تصنعي الخير فذو العرش يرى

وأنت يا عين دعي عنك الكرى ... عند الصباح يحمد القوم السرى

يا قوام الليل اشفعوا في النوام يا أحياء القلوب ترحموا على الأموات قيل لابن مسعود رضي الله عنه: ما نستطيع قيام الليل؟ قال: أقعدتكم ذنوبكم وقيل للحسن: قد أعجزنا قيام الليل؟ قال: قيدتكم خطاياكم وقال الفضيل بن عياض: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم كبلتك خطيئتك قال الحسن: إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل قال بعض السلف: أذنبت ذنبا فحرمت به قيام الليل ستة أشهر ما يؤهل الملوك للخلوة بهم إلا من أخلص في ودهم ومعاملتهم فأما من كان من أهل المخالفة فلا يؤهلونه في بعض الآثار: إن جبريل عليه السلام ينادي كل ليلة أقم فلانا وأنم فلانا قام **بعض الصالحين** في ليلة باردة وعليه ثياب رثة فضربه البرد فبكى فهتف به هاتف أقمناك وأنمناهم ثم تبكي علينا.

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٤٥

يا حسنهم والليل قد جنهم ... ونورهم يفوق نور الأنجم

ترنموا بالذكر في ليلهم ... فعيشهم قد طاب في الترنم

قلوبهم للذكر قد تفرغت ... دموعهم كلؤلؤ منظم

أسحارهم بهم لهم قد أشرقت ... وخلع الغفران خير القسم

الليل منهل يرده أهل الإرادة كلهم ويختلفون فيما يردون ويريدون ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ [البقرة: ٦٠] فالمحب يتنعم بمناجاة محبوبه والخائف يتضرع لطلب العفو ويبكي على ذنوبه والراجي يلح في سؤال مطلوبه والغافل المسكين أحسن الله عزاءه في حرمانه وفوات نصيبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل".

مرضت رابعة مرة فصارت تصلي وردها بالنهار فعوفيت وقد ألفت ذلك وانقطع عنها قيام الليل فرأت ذات ليلة في نومها كأنها أدخلت إلى روضة خضراء عظيمة وفتح لها فيها باب دار فسطع منها نور حتى كاد يخطف بصرها فخرج منها وصفاء كأن وجوههم اللؤلؤ بأيديهم مجامر فقالت لهم امرأة كانت مع.". (١)

٣١٩. ١٣٠-"مرفوعا: "من قال سبحان الله العظيم بني له برج في الجنة" وروي موقوفا.

وعن الحسن قال: الملائكة يعملون لبني آدم في الجنان يغرسون ويبنون فربما أمسكوا فيقال لهم: قد أمسكتم؟ فيقولون: حتى تأتينا النفقات وقال الحسن: فأتعبوهم بأبي أنتم وأمي على العمل وقال بعض السلف: بلغني أن دور الجنة تبنى بالذكر فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء فيقال لهم: فيقولون: حتى تأتينا نفقة.

أرض الجنة اليوم قيعان والأعمال الصالحة لها عمران بها تبنى القصور وتغرس أرض الجنان فإذا تكامل الغراس والبنيان انتقل إليه السكان رأى **بعض الصالحين** في منامه قائلا يقول له: قد أمرنا بالفراغ من بناء دارك واسمها دار السرور فأبشر وقد أمرنا بتنجيدها وتزيينها والفراغ منها إلى سبعة أيام فلما كان بعد سبعة أيام مات فرؤي في المنام فقال: أدخلت دار السرور فلا تسأل عما فيها لم ير مثل الكريم إذا حل به المطيع رأى بعضهم كأنه أدخل الجنة وعرض عليه منازله وأزواجه فلما أراد أن يخرج تعلق به أزواجه وقالوا: بالله حسن عملك فكلما حسنت عملك ازددنا نحن حسنا.

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٤٦

العاملون اليوم يسلفون رؤوس أموال الأعمال فيما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين إلى أجل يوم المزيد في سوق الجنة فإذا حل الأجل دخلوا السوق فحملوا منه ما يشاؤن بغير نقد ثمن على ما قد سلف من تعجيل رأس مال السلف لكن بغير مكيال ولا ميزان فيا من عزم أن يسلف اليوم إلى ذلك الموسم عجل بتقبيض رأس المال فإن تأخير التقبيض يفسد العقد.

فلله ذاك السوق الذي هو موعد الـ ... ـمزيد لوفد الحب لو كنت منهم

فما شئت منه خذ بلا ثمن له ... فقد أسلف التجار فيه وأسلموا

في الحديث: "إن الجنة تقول: يا رب ائتني بأهلي وبما وعدتني فقد كثر حريري واستبرقي وسندسي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأباريقي وخمري وعسلي ولبني فأتني بأهلي وبما وعدتني" وفي الحديث أيضا: "من سأل الله الجنة شفعت له الجنة إلى ربها وقالت: اللهم أدخله الجنة" وفي الحديث أيضا: "إن الجنة تفتح في كل سحر ويقال لها ازدادي طيبا لأهلك فتزداد طيبا فذلك البرد الذي يجده الناس في السحر" قلوب العارفين تستنشق أحيانا نسيم الجنة قال أنس بن النضر يوم أحد: واها لريح الجنة والله إني لأجد ريح الجنة من قبل أحد ثم تقدم فقاتل حتى قتل:". (١)

٣٢٠. ١٣١-"بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤم عليه فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا كان الشؤم في شيء ففيما بين اللحين. يعني اللسان. وقال: ما من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان وقال عدي بن حاتم: أيمن أمر بي وأشأمة بين لحييه يعني لسانه. وفي مسند أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حسن الملكة نماء وسوء الملكة شؤم والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء" فجعل سوء الملكة شؤما وفي حديث آخر: "لا يدخل الجنة سيء الملكة" وهو من يسيء إلى مماليكه ويظلمهم.

وفي الحديث: "إن الصدقة تدفع ميتة السوء" وروي "من حديث علي مرفوعا: " باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها" خرجه الطبراني وفي حديث آخر: "إن لكل يوم نحسا فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقة" فالصدقة تمنع وقوع البلاء بعد انعقاد أسبابه وكذلك الدعاء وفي الحديث: "إن البلاء والدعاء يلتقيان بين السماء والأرض فيعتلجان إلى يوم القيامة" خرجه البزار والحاكم وخرج في الترمذي من حديث سلمان: "لا يرد القضاء إلا بالدعاء" وقال ابن عباس: لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٥٩

يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر وعنه قال: الدعاء يدفع القدر وهو إذا دفع القدر فهو من القدر وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الأدوية والرقى هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: "هي من قدر الله تعالى" وكذلك قال عمر رضي الله عنه لما رجع من الطاعون فقال له أبو عبيدة: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: نفر من قدر الله إلى قدر الله فإن الله تعالى قدر المقادير ويقدر ما يدفع بعضها قبل وقوعه وكذلك الأذكار المشروعة تدفع البلاء.

وفي حديث عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: " من قال حين يصبح ويمسي: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يصبه بلاء" وفي المسند عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الشؤم سوء الخلق" وخرجه الخرائطي ولفظه: "اليمن حسن الخلق" وفي الجملة: فلا شؤم إلا المعاصي والذنوب فإنها تسخط الله عز وجل فإذا سخط على عبده شقي في الدنيا والآخرة كما إنه إذا رضي عن عبده سعد في الدنيا والآخرة.

قال بعض الصالحين وقد شكي بلاء وقع في الناس فقال: ما أرى ما أنتم فيه إلا بشؤم الذنوب وقال أبو حازم: كل ما يشغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشؤم وقد قيل:". (١)

٣٢١. ١٣٢-"اشتهر بعض الصالحين بكثرة الصيام فكان يجتهد في إظهار فطره للناس حتى كان يقوم يوم الجمعة والناس مجتمعون في مسجد الجامع فيأخذ إبريقا فيضع بلبلته في فيه ويمصه ولا يزدرد منه شيئا ويبقى ساعة كذلك ينظر الناس إليه فيظنون أنه يشرب الماء وما دخل إلى حلقه منه شيء كم ستر الصادقون أحوالهم وريح الصدق ينم علهيم ريح الصيام أطيب من ريح المسك تستنشقه قلوب المؤمنين وإن خفي وكلما طالت عليه المدة ازدادت قوة ريحه.

كم أكتم حبكم عن الأغيار ... والدمع يذيع في الهوى أسراري

كم أستركم هتكتموا أسراري ... من يخفي في الهوى لهيب النار

ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه رداءها علانية.

وهبني كتمت السرا وقلت غيره ... أتخفي على أهل القلوب السرائر

أبي ذاك أن السر في الوجه ناطق ... وإن بضمير القلب في العين ظاهر

ومنها: أنه أشق على النفوس: وأفضل الأعمال أشقها على النفوس وسبب ذلك أن النفوس تتأسى

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٧٦

بما تشاهد من أحوال أبناء الجنس فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم كثر أهل الطاعة لكثرة المقتدين بهم فسهلت الطاعات وإذا كثرت الغفلات وأهلها تأسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدون بهم فيها ولهذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم "للعامل منهم أجر خمسين منكم إنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون" وقال: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء" وفي رواية قيل: ومن الغرباء: قال: "الذين يصلحون إذا فسد الناس".

وفي صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العباد في الهرج كالهجرة إلي" وخرجه الإمام أحمد ولفظه: "العباد في الفتنة كالهجرة إلي" وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين فيكون حالهم شبيها بحال الجاهلية فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنا به متبعا لأوامره مجتنبا لنواهيه.

ومنها أن المفرد بالطاعة من أهل المعاصي والغفلة قد يدفع البلاء عن الناس كلهم فكأنه يحميهم ويدافع عنهم وفي حديث ابن عمر الذي رويناه في جزء ابن عرفة مرفوعا: "ذاكر الله في الغافلين كالذي يقاتل عن الفارين وذاكر الله في". (١)

٣٢٢. ١٣٣-"في الجنة فهذا قد تاجر مع الله وعامله والله تعالى ﴿لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ [الكهف: ٣٠] ولا يخيب معه من عامله بل يربح عليه أعظم الربح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنك لن تدع شيئا اتقاء الله إلا أتاك الله خيرا منه" خرجه الإمام أحمد فهذا الصائم يعطى في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء قال الله تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ [الحاقة:٢٤] قال مجاهد وغيره: نزلت في الصائمين قال يعقوب بن يوسف الحنفي: بلغنا أن الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وجفت بطونكم كونوا اليوم في نعيمكم وتعاطوا الكأس فيما بينكم: ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ [الحاقة:٢٤] وقال الحسن: تقول الحوراء لولي الله وهو متكيء معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إن نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين وأنت في ظمأها حرة من جهد العطش فباهى بك الملائكة وقال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/١٣٢

ولذته وطعامه وشرابه من أجلي رغبة فيما عندي اشهدوا إني قد غفرت له فغفر لك يومئذ وزوجنيك.
وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه غيرهم" وفي رواية: "فإذا دخلوا أغلق" وفي رواية: "من دخل منه شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا" وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في منامه الطويل قال: "ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيام رمضان فسقاه وأرواه" خرجه الطبراني وغيره وروى ابن أبي الدنيا بإسناد فيه ضعف عن أنس مرفوعا: "الصائمون ينفح من أفواههم ريح المسك ويوضع لهم مائدة تحت العرش يأكلون منها والناس في الحساب" وعن أنس موقوفا: "إن لله مائدة لم تر مثلها عين ولم تسمع أذن ولا خطر على قلب بشر لا يقعد عليها إلا الصائمون".
وعن بعض السلف قال: بلغنا أنه يوضع للصوام مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب فيقولون: يا رب نحن نحاسب وهم يأكلون فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتم وقاموا ونمتم رأى بعضهم بشر بن الحارث في المنام وبين يديه مائدة وهو يأكل ويقال له: كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب كان **بعض الصالحين** قد صام حتى انحنى وانقطع صوته فمات فرآه بعض أصحابه في المنام فسأله عن حاله فضحك وأنشد:". (١)

٣٢٣. ١٣٤-"قد كسي حلة البهاء وطافت ... بالأباريق حوله الخدام
ثم حلى وقيل يا قاريء ارقه ... فلعمري لقد براك الصيام
اجتاز **بعض الصالحين** بمناد ينادي على السحور في رمضان: يا ما خبأنا للصوام فتنبه بهذه الكلمة وأكثر من الصيام رأى بعض العارفين في منامه كأنه أدخل الجنة فسمع قائلا يقول له: هل تذكر أنك صمت لله يوما قط فقال: نعم قال فأخذتني صوانيء النار من الجنة من ترك لله في الدنيا طعاما وشرابا وشهوة مدة يسيرة عوضه الله عنده طعاما وشرابا لا ينفذ وأزواجا لا يمتن أبدا.
شهر رمضان فيه يزوج الصائمون في الحديث: " إن الجنة لتزخرف وتنجد من الحول إلى الحول لدخول رمضان فتقول الحور: يا رب اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجا تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا" وفي حديث آخر "أن الحور ينادين في شهر رمضان: هل من خاطب إلى الله فنزوجه" مهور الحور

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/١٥٨

العين: طول التهجد وهو حاصل في رمضان أكثر من غيره كان **بعض الصالحين** كثير التهجد والصيام فصلى ليلة في المسجد ودعا فغلبته عيناه فرأى في منامه جماعة علم أنهم ليسوا من الآدميين بأيديهم أطباق عليها أرغفة بياض الثلج فوق كل رغيف در كأمثال الرمان فقالوا: كل فقال إني أريد الصوم قالوا له يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل قال: فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لاحتمله فقالوا له: دعه نغرسه لك شجرا ينبت لك خيرا من هذا قال: أين؟ قالوا: في دار لا تخرب وثمر لا يتغير وملك لا ينقطع وثياب لا تبلى فيها رضوى وعينا وقرة أعين أزواج رضيات مرضيات راضيات لا يغرن ولا يغرن فعليك بالإنكماش فيما أنت فإنما هي غفوة حتى ترتحل فتنزل الدار فما مكث بعد هذه الرؤيا إلا جمعتين حتى توفي فرآه ليلة وفاته في المنام بعض أصحابه الذين حدثهم برؤياه وهو يقول: لا تعجب من شجر غرس لي في يوم حدثتك وقد حمل فقال له: ما حمل؟ قال: لا تسأل لا يقدر أحد على صفته لم ير مثل الكريم إذا حل به مطيع.

يا قوم ألا خاطب في هذا الشهر إلى الرحمن ألا راغب فيما أعده الله للطائعين في الجنان ألا طالب لما أخبر به من النعيم المقيم مع أنه ليس الخبر كالعيان.

من يرد ملك الجنان ... فليدع عنه التواني". (١)

٣٢٤. ١٣٥-"مشروط بالتحفظ مما نبغي التحفظ منه كما ورد ذلك في حديث خرجه ابن حبان في صحيحه وعامة صيام الناس لا يجتمع في صومه التحفظ كما ينبغي ولهذا نهى أن يقول الرجل: صمت رمضان كله أو قمته كله فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث والصيام والصدقة لهما مدخل في كفارات الإيمان ومحظورات الإحرام وكفارة الوطء في رمضان ولهذا كان الله تعالى قد خير المسلمين في ابتداء الأمر بين الصيام وإطعام المسكين ثم نسخ ذلك وبقي الإطعام لمن يعجز عن الصيام لكبره ومن أخر قضاء رمضان حتى أدركه رمضان آخر فإنه يقضيه ويضم إليه إطعام مسكين لكل يوم تقوية له عند أكثر العلماء كما أفتى به الصحابة وكذلك من أفطر لأجل غيره كالحامل والمرضع على قول طائفة من العلماء.

ومنها: أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله فإذا أعان الصائمين على التقوي على طعامهم وشرابهم كان

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/١٥٩

بمنزلة من ترك شهوة لله وآثر بها أو واسى منها ولهذا يشرع له تفطير الصوام معه إذا أفطر لأن الطعام يكون محبوبا له حينئذ فيواسي منه حتى يكون من أطعم الطعام على حبه ويكون في ذلك شكر لله على نعمة إباحة الطعام والشراب له ورده عليه بعد منعه إياه فإن هذه النعمة إنما عرف قدرها عند المنع منها وسئل بعض السلف: لم شرع الصيام؟ قال: ليذوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع وهذا من بعض حكم الصوم وفوائده وقد ذكرنا فيما تقدم حديث سلمان وفيه: "وهو شهر المواساة" فمن لم يقدر فيه على درجة الإيثار على نفسه فلا يعجز عن درجة أهل المواساة كان كثير من السلف يواسون من إفطارهم أو يؤثرون به ويطوون كان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه السائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة فيصبح صائما ولم يأكل شيئا.

واشتهى **بعض الصالحين** من السلف طعاما وكان صائما فوضع بين يديه عند فطوره فسمع سائلا يقول: من يقرض الملي الوفي الغني؟ فقال عبده المعدم من الحسنات فقام فأخذ الصحفة فخرج بها إليه وبات طاويا وجاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ثم طوى وأصبح صائما وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم تطوعا ويجلس يروحهم وهم يأكلون وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم سلام الله.". (١)

٣٢٥. ١٣٦-"عليه ومن هنا استحب للحاج أن يكون شعثا أغبر وفي حديث المباهاة يوم عرفة أن الله تعالى يقول لملائكته: "انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا ضاحين اشهدوا أني قد غفرت لهم" قال عمر يوما وهو بطريق مكة: تشعثون وتغبرون وتتفلون وتضحون لا تريدون بذلك شيئا من عرض الدنيا ما نعلم سفرا خيرا من هذا يعني الحج وعنه قال: إنما الحاج الشعث التفل وقال ابن عمر لرجل رآه: قد استظل في إحرامه أضح لمن أحرمت له أي أبرز للضحى وهو حر الشمس.

أتاك الوافدون إليك شعثا ... يسوقون المقلدة الصواف

فكم من قاصد للرب رغبا ... ورهبا بين منتعل وحاف

سبحان من جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمنا يترددون إليه ويرجعون عنه ولا يرون أنهم قضوا منه وطرا لما أضاف الله تعالى ذلك البيت إلى نفسه ونسبه إليه بقوله عز وجل لخليله: ﴿وطهر بيتي للطائفين﴾

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/١٦٨

[الحج: ٢٦] تعلقت قلوب المحبين ببيت محبوبهم فكلما ذكر لهم ذلك البيت الحرام حنوا وكلما تذكروا بعدهم عنه أنوا.

لا يذكر الرمل الأحن مغترب ... له بذي الرمل أوطار وأوطان

تهفو إلى البان من قلبي نوازعه ... وما بي البان بل من داره البان

رأى **بعض الصالحين** الحاج في وقت خروجهم فوقف يبكي ويقول: واضعفاه وينشد على أثر ذلك:

فقلت دعوني واتباعي ركابكم ... أكن طوع أيديكم كما يفعل العبد

ثم تنفس وقال: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت فكيف تكون حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت يحق لمن رأى الواصلين وهو منقطع أن يقلق ولمن شاهد السائرين إلى ديار الأحبة وهو قاعد أن يحزن".

يا سائق العيس ترفق واستمع ... مني وبلغ السلام عني

عرض بذكري عندهم لعلهم ... إن سمعوك سألوك عني

قل ذلك المحبوس عن قصدكم ... معذب القلب بكل فني

يقول أملت بأن أزوركم ... في جملة الوفد فخاب ظني

أقعدني الحرمان عن قصدكم ... ورمت أن أسعى فلم يدعني

ينبغي للمنقطعين طلب الدعاء من الواصلين لتحصل المشاركة كما روي عن.". (١)

٣٢٦. ١٣٧-"النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر لما أراد العمرة: "يا أخي أشركنا في دعائك" وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: "اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج" وفي الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول في الطواف: "اللهم اغفر لفلان بن فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من هذا؟ " قال: رجل حملني أن أدعو له بين الركن والمقام فقال: "قد غفر لصاحبك".

ألا قل لزوار دار الحبيب ... هنيئا لكم في الجنان الخلود

أفيضوا علينا من الماء فيضا ... فنحن عطاش وأنتم ورود

لئن سار القوم وقعدنا وقربوا وبعدنا فما يؤمننا أن نكون ممن كره الله أتباعهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٢٣٧

القاعدين.

لله در ركائب سارت بهم ... تطوي القفار الشاسعات على الدجا

رحلوا إلى البيت الحرام وقد شجا ... قلب المتيم منهمو ما قد شجا

نزلوا بباب لا يخيب نزيله ... وقلوبهم بين المخافة والرجا

على أن المتخلف لعذر شريك للسائر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك: "إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم خلفهم العذر".

يا سائرين إلى البيت العتيق لقد ... سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا

إنا أقمنا على عذر وقد رحلوا ... ومن أقام على عذر كمن راحا

وربما سبق بعض من سار بقلبه وهمته وعزمه بعض السائرين ببدنه رأى **بعض الصالحين** في منامه عشية عرفة بعرفة قائلا يقول له: ترى هذا الزحام بالموقف قال: نعم قال: ما حج منهم إلا رجل واحد تخلف عن الموقف فحج بهمته فوهب الله له أهل الموقف ما الشأن فيمن سار ببدنه إنما الشأن فيمن قعد بدنه وسار بقلبه حتى سبق الركب.

من لي بمثل سيرك المذلل ... تمشي رويدا وتجي في الأول

يا سائرين إلى دار الأحباب قفوا للمنقطعين تحملوا معكم رسائل المحصرين. خذوا نظرة مني فلاقوا بها الحمى".

يا سائرين إلى الحبيب ترفقوا ... فالقلب بين رحالكم خلفته

مالي سوى قلبي وفيك أذبته ... مالي سوى دمعي وفيك سكبته". (١)

٣٢٧. ١٣٨-"هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يتمنين الموت إلا من وثق بعمله" فالمطيع لله مستأنس بربه فهو يحب لقاء الله والله يحب لقاءه والعاصي مستوحش بينه وبين مولاه وحشة الذنوب فهو يكره لقاء ربه ولا بد له منه قال ذو النون: كل مطيع مستأنس وكل عاص مستوحش وفي هذا يقول بعضهم:

أمستوحش أنت مما جنيت ... فاحسن إذا شئت واستأنس

قال أبو بكر الصديق لعمر رضي الله عنهما في وصيته له عند الموت: أن حفظت وصيتي لم يكن

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٢٣٨

غائب أحب إليك من الموت ولا بد لك منه وإن ضيعتها لم يكن غائب أكره إليك من الموت ولن تعجزه قال أبو حازم: كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت العاصي يفر من الموت لكراهية لقاء الله وأين يفر من هو في قبضة من يطلبه.

أين المفر والإله الطالب ... والمجرم المغلوب ليس الغالب

سئل أبو حازم: كيف القدوم على الله؟ قال: أما المطيع فقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه وأما العاصي فكقدوم الآبق على سيده الغضبان.

رؤي بعض الصالحين في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيرا لم ير مثل الكريم إذا حل به مطيع الدنيا كلها شهر صيام المتقين وعيد فطرهم يوم لقاء ربهم كما قيل:

وقد صمت عن لذات دهري كلها ... ويوم لقائكم ذاك فطر صيامي

ومنها: تمني الموت على غير الوجوه المتقدمة فقد اختلف العلماء في كراهيته واستحبابه وقد رخص فيه جماعة من السلف وكرهه آخرون وحكى بعض أصحابنا عن أحمد في ذلك روايتين ولا يصح فإن أحمد إنما نص على كراهة تمني الموت لضرر الدنيا وعلى جواز تمنيه خشية الفتنة في الدين وربما أدخل بعضهم في هذا الإختلاف القسم الذي قبله وفي ذلك نظر واستدل من كرهه بعموم النهي عنه كما في حديث جابر الذي ذكرناه وفي معناه أحاديث أخر يأتي بعضها إن شاء الله تعالى وقد علل النهي عن تمني الموت في حديث جابر بعلتين:

إحداهما: أن هول المطلع شديد وهول المطلع: هو ما يكشف للميت عند حضور الموت من الأهوال التي عهد له بشيء منها في الدنيا من رؤية الملائكة". (١)

٣٢٨. ١٣٩-"ورؤية أعماله من خير أو شر وما يبشر به عند ذلك من الجنة والنار هذا مع ما يلقاه من شدة الموت وكربه وغصصه وفي الحديث الصحيح: "إذا حملت الجنازة وكانت صالحة قالت: قدموني قدموني وإن كانت غير ذلك قالت: يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق" قال الحسن: لو أعلم ابن آدم أن له في الموت راحة وفرحا لشق عليه أن يأتيه الموت لما يعلم من فظاعته وشدته وهوله فكيف وهو لا يعلم ما له في الموت نعيم دائم أو عذب مقيم. بكى النخعي عند احتضاره وقال: انتظر ملك الموت لا أدري يبشرني بالجنة أو النار فالمتمني للموت

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٢٩٧

كأنه يستعجل حلول البلاء وإنما أمرنا بسؤال العافية وسمع ابن عمر رجلا يتمنى الموت فقال: لا تتمنى الموت فإنك ميت ولكن سل الله العافية قال إبراهيم بن أدهم: إن للموت كأسا لا يقوى عليها إلا خائف وجل مطيع لله كان يتوقعها وقال أبو العتاهية:

ألا للموت كأس أي كأس ... وأنت لكأسه لا بد حاسي

إلى كم والممات إلى قريب ... تذكر بالممات وأنت ناسي

جزع الحسن بن علي رضي الله عنهما عند موته وقال: إني أريد أن أشرف على ما لم أشرف عليه قط وبكى الحسن البصري عند موته وقال: نفيسة ضعيفة وأمر مهول عظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون وكان حبيب العجمي عند موته يبكي ويقول: أريد أن أسافر سفرا ما سافرته قط وأسلك طريقا ما سلكته قط وأزور سيدي ومولاي وما رأيته قط وأشرف على أهوال ما شاهدتها قط فهذا كله من هول المطلع الذي قطع قلوب الخائفين حتى قال عمر عند موته: لو أن لي ما في الأرض لافتديت به من هول المطلع ومن هول المطلع ما يكشف للميت عند نزوله قبره من فينة القبر فإن الموتى يفتنون بالمسألة في قبورهم مثل أو قريبا من فتنة المسيح الدجال وما يكشف لهم في قبورهم عن منازلهم من الجنة والنار وما يلقون من ضمة القبر وضيقته وهوله وعذابه إن لم يعاف الله من ذلك.

رؤي بعض الصالحين في المنام بعد موته فسئل عن حاله فأنشد:

وليس يعلم ما في القبر داخله ... إلا الإله وساكن الأجداث

والعلة الثانية: أن المؤمن لا يزيد عمره إلا خيرا فمن سعادته أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة إليه والتوبة من ذنوبه السالفة والإجتهاد في العمل الصالح فإذا". (١)

٣٢٩. ١٤٠-"كالحمام قال أبو هريرة: نعم البيت الحمام يدخله المؤمن فيزيل به الدرن ويستعيذ بالله فيه من النار كان السلف يذكرون النار بدخول الحمام فيحدث لهم ذلك عبادة دخل ابن وهب الحمام فسمع تاليا يتلو: ﴿وإذ يتحاجون في النار﴾ [غافر: ٤٧] فغشي عليه.

وتزوج صلة بن أشيم فدخل الحمام ثم دخل على زوجته تلك الليلة فقام يصلي حتى أصبح وقال: دخلت بالأمس بيتا أذكرني النار ودخلت الليلة بيتا ذكرت به الجنة فلم يزل فكري فيهما حتى أصبحت كان بعض السلف إذا أصابه كرب الحمام يقول: يا بر يا رحيم من علينا وقنا عذاب السموم صب

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٢٩٨

بعض الصالحين على رأسه ماء من الحمام فوجده شديد الحر فبكى وقال: ذكرت قوله تعالى: ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ [الحج: ١٩] .

كل ما في الدنيا يدل على صانعه ويذكر به ويدل على صفاته فما فيها من نعيم وراحة يدل على كرم خالقه وفضله وإحسانه وجوده ولطفه وما فيها من نقمة وشدة وعذاب يدل على شدة بأسه وبطشه وقهره وانتقامه واختلاف أحوال الدنيا من حر وبرد وليل ونهار وغير ذلك يدل على انقضائها وزوالها قال الحسن: كانوا يعني الصحابة يقولون: الحمد لله الرفيق الذي لو جعل هذا الخلق خلقا دائما لا ينصرف لقال الشاك في الله: لو كان لهذا الخلق رب لحادثه وإن الله قد حادث بما ترون من الآيات أنه جاء بضوء طبق ما بين الخافقين وجعل فيها معاشا و ﴿سراجا وهاجا﴾ ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق وجاء بظلمة طبقت ما بين الخافقين وجعل فيها سكنا ونجوما وقمرا منيرا وإذا شاء بنى بناء جعل فيه المطر والرعد والبرق والصواعق ما شاء وإن شاء صرف ذلك الخلق وإذا شاء جاء ببرد يقرقف الناس وإذا شاء ذهب بذلك وجاء بحر يأخذ بأنفاس الناس ليعلم الناس أن لهذا الخلق ربا يحادثه بما ترون من الآيات كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة.

وقال خليفة العبدي: لو أن الله لم يعبد إلا عن رؤية ما عبده أحد ولكن المؤمنين تفكروا في مجيء هذا الليل إذا جاء فطبق كل شيء وملأ كل شيء ومحا سلطان النهار وتفكروا في مجيء هذا النهار إذا جاء فملأ كل شيء وطبق كل شيء ومحا سلطان الليل وتفكروا في ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾ وتفكروا في ﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ وتفكروا في مجيء الشتاء". (١)

٣٣٠. ١٤١-"ثم مات في اليوم الثالث كان رجل قد اعتزل وتعبد فرأى في منامه قائلا يقول له: يا فلان ربك يدعوك فتجهز واخرج إلى الحج ولست عائدا فخرج إلى الحج فمات في الطريق رأى بعض الصالحين في منامه قائلا ينشده:

تأهب للذي لا بد منه ... من الموت الموكل بالعباد

أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

خرج ابن ماجه من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب فقال في خطبته: "أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا" وفي سنده ضعف فأمر بالمبادرة

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٣١٩

قبل الموت وكل ساعة تمر على ابن آدم فإنه يمكن أن تكون ساعة موته بل كل نفس كما قيل:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ... وإن تمنعت بالحجاب والحرس

قال لقمان لابنه: يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة وقال بعض الحكماء: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الأمل.

إلى الله تب قبل انقضاء من العمر ... أخي ولا تأمن مفاجأة الأمر

ولا تستصمن عن دعائي فإنما ... دعوتك إشفاقا عليك من الوزر

فقد حذرتك الحادثات نزولها ... ونادتك إلا أن سمعك ذو وقر

تنوح وتبكي للأحبة إن مضوا ... ونفسك لا تبكي وأنت على الأثر

قال بعض السلف: أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين يشير إلى أن المؤمن لا ينبغي أن يصبح ويمسي إلا على توبة فإنه لا يدري متى يفاجئه الموت صباحا أو مساء فمن أصبح أو أمسى على غير توبة فهو على خطر لأنه يخشى أن يلقى الله غير تائب فيحشر في زمرة الظالمين قال الله تعالى: ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ [الحجرات: ١١] تأخير التوبة في حال الشباب قبيح وفي حال المشيب أقبح وأقبح.

نعى لك ظل الشباب مزهج ... ونادتك باسم سواك الخطوب

فكن مستعدا لداعي الفنا ... فكل الذي هو آت قريب

ألسنا نرى شهوات النفو ... س تفنى وتبقى علينا الذنوب

يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف يكن حال من لا يتوب". (١)

٣٣١. ١٤٢-"كان عمر يعس بالمدينة فسمع امرأة غاب عنها زوجها تقول:

تطاول هذا الليل واسود جانبه ... وأرقني أن لا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله لا شيء غيره ... لحرك من هذا السرير جوانبه

ولكن تقوى الله عن ذا تصدني ... وحفظا لبعلي أن تنال مراكبه

فقال لها عمر يرحمك الله ثم بعث إلى زوجها أمره أن يقدم عليها وأمر أن لا يغيب أحد عن امرأته اكثر من أربعة أشهر وعشرا الشيخ قد تركته الذنوب فلا حمد له على تركها كما قيل:

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٣٤٤

تارك الذنب فتاركته ... بالفعل والشهوة في القلب

فالحمد للذنب على تركه ... لا لك في تركك للذنب

أما تستحي منا لما أعرضت لذات الدنيا عنك فلم يبق لك فيها رغبة وصرت من سقط المتاع لا حاجة لأحد فيك جئت إلى بابنا فقلت: أنا تائب ومع هذا فكل من أوى إلينا آويناه ومن استجار بنا أجرناه ومن تاب إلينا أحببناه: أبشر فربما يكون الشيب شافعا لصاحبه من العقوبات مات شيخ كان مفرطا فرؤي في المنام فقيل له: ما فعل بك قال: قال لي لولا أنك شيخ لعذبتك وقف شيخ بعرفة والناس يضجون بالدعاء وهو ساكت ثم قبض على لحيته وقال: يا رب شيخ يرجو رحمتك.

لما أتونا والشيب شافعهم ... وقد توالى عليهم الخجل

قلنا لسود الصحائف انقلبي ... بيضا فإن الشيوخ قد قبلوا

كان بعض الصالحين يقول:

إن الملوك إذا شابت عبيدهم ... في رقهم عتقوهم عتق أبرار

وأنت يا خلقي أولى بذاكر ما ... قد شبت في الرق فأعتقني من النار

أيها العاصي ما يقطع من صلاحك الطمع ما نصبنا اليوم شرك المواعظ إلا لتقع إذا خرجت من المجلس وأنت عازم على التوبة قالت لك ملائكة الرحمة: مرحبا وسهلا فإن قال لك رفقاؤك في المعصية: هلم إلينا فقل لهم: كلا ذاك خمر الهوى الذي عهدتموه قد استحال خلا يا من سود كتابه بالسيئات قد آن لك بالتوبة أن تمحو يا سكران القلب بالشهوات أما آن لفؤادك أن يصحو". (١)

٣٣٢. ١٤٣-"إلى تعظيم نفوسهم البتة، بل إلى تعظيم الله وحده وإفراده بالعبودية والإلهية ومنهم من كان لا يريد الولاية إلا للاستعانة بها على الدعوة إلى الله وحده.

وكانت الرسل وأتباعهم يصبرون على الأذى في الدعوة إلى الله ويتحملون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقة وهم صابرون بل راضون بذلك، كما كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لأبيه في خلافته: إذا حرص على تنفيذ الحق وإقامة العدل يا أبت لوددت أني غلت بي وبك القدور في الله عز وجل، وقال بعض الصالحين (١) :. وددت أن جسمي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق كلهم أطاعوا الله عز وجل " ومعنى هذا أن صاحب هذا القول قد يكون لحظ نصح الخلق والشفقة

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٣٤٧

عليهم من عذاب الله بأذى نفسه، وقد يكون لحظ جلال الله وعظمته وما يستحقه من الإجلال والإكرام والطاعة والمحبة، فود أن الخلق كلهم قاموا بذلك وإن حصل له في نفسه غاية الضرر " (٢)
.

إن التزام أهل السنة بالعلم والعدل أورثهم هذه الخصلة الرفيعة، فمسلك أهل السنة قائم على العلم والعدل لا الجهل والظلم، حتى كان أهل السنة لكل طائفة من المبتدعة خير من بعضهم لبعض " بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض. وهذا مما يعترفون هم به، ويقولون أنتم تنصفونا ما لا ينصف بعضنا بعضا" (٣) .

لقد تلقي أهل السنة هذه الصفة الحميدة من صاحب الخلق العظيم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بالحق وأعظم الناس رحمة ورأفة، فمن أجل إظهار الحق بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق

---

(١) هو زهير بن عبد الرحمن البابي،وانظر حلية الأولياء ١٠/١٥٠ .

(٢) شرح حديث ((ما ذئبان جائعان)) ص١٩، وانظر جامع العلوم والحكم ٢/٢٥٥.

(٣) منهاج السنة النبوي في نقض كلام الشيعة والقدرية ٥/ ١٥٧.". (١)

٣٣٣. ١٤٤-"٨٠ - فصل في التكبر بالأسباب الدنيوية

وهي ضروب

أحدها التكبر بالأحساب الموجبة احتقار الناس واجتنابهم والافتخار عليهم مثل أن يقول أنا فلان بن فلان فمن أبوك ومثلك يقاوم مثلي أو يخاطبه وقد يقع ذلك **لبعض الصالحين** في بعض الأحايين في أوقات الغفلات ولكن لا يخرجهم ذلك إلى جميع ما ذكرناه

الثاني التكبر بالقوي وحسن الصور ويخرج إلى الافتخار بذلك على من هو دونه وإلى حقريته واجتنابه

الثالث التكبر بالأموال والأولاد وكثرة العشائر والأنصار يخرج إلى الافتخار والاحتقار لمن ليس كذلك".

---

(١) معالم في السلوك وتزكية النفوس ص/٥١

(١)

٣٣٤.   ١٤٥-"والرجوع إلى الله. نعوذ بالله من سوء الخاتمة. ولذلك كان السلف الصالح تكاد تنخلع قلوبهم في كل مرضة يمرضونها، لاحتمال أن تكون تلك المرضة إخراجا لهم من الدنيا قبل أن يتمكنوا من تدارك ما فات من الهفوات بالتوبة النصوح وللاستكثار من الباقيات الصالحات. ومرض مرة بعض الصالحين فدخل عليه أصحابه يعودونه فقالوا له: كيف تجدك؟ قال: موقرا بالذنوب، فقالوا: هل تشتهي شيئا؟ قال: نعم! أن يمن علي ربي بالتوبة عن كل ما يكره قبل موتي.

وقد قال العلماء: ما مثال المسوف بالتوبة إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة فقال: أو أخرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازدادت قوة لرسوخها وكلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقته إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف.

قال ابن القيم رحمه الله: إذا أراد الله بعبده خيرا فتح له أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته حتى يقول عدو الله: ياليتني تركته ولم أوقعه وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار، قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفا منه مشفقا وجلا باكيا نادما مستحيا من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب سبب دخول الجنة.

ويفعل الحسنة فلا يزال يمن بها على ربه ويتكبر بها ويرى نفسه شيئا". (٢)

٣٣٥.   ١٤٦-"الصبي الجاهل ويحذرها اللبيب العاقل كيف تقر عين من عرفها وما أبعد أن يفطم عنها من ألفها فتفكروا إخواني في أهل الصلاح والفساد وميزوا بين أهل الخسران وأهل الأرباح فيا سرعان عمر يفنيه المساء والصباح.

---

(١) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل ص/١٤٥

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان ١/٤٦

" شعر لبعض الصالحين في مدح رب العزة تبارك وتعالى "

يا فاطر الخلق البديع وكافلا ... رزق الجميع سحاب جودك هاطل

يا مسبغ البر الجزيل ومسبل السـ ... ـتر الجميل عميم طولك طائل

يا عالم السر الخفي ومنجز الـ ... وعد الوفي قضاء حكمك عادل

عظمت صفاتك يا عظيم فجل إن ... يحصي الثناء عليك فيها قائل

الذنب أنت له بمنك غافر ... ولتوبة العاصي بحلمك قابل

رب يربي العالمين ببره ... ونواله أبدا إليهم واصل

تعصيه وهو يسوق نحوك دائما ... ما لا تكون لبعضه تستاهل

متفضل أبدا وأنت لجوده ... بقبائح العصيان منك تقابل

وإذا دجى ليل الخطوب وأظلمت ... سبل الخلاص وخاب فيها الآمل

وآيست من وجه النجاة فما لها ... سبب ولا يدنو لها متناول

يأتيك من ألطافه الفرج الذي ... لم تحتسبه وأنت عنه غافل

يا موجد الأشياء من ألقى إلى ... أبواب غيرك فهو غر جاهل

ومن استراح بغير ذكرك أو رجا ... أحدا سواك فذاك ظل زائل

عمل أريد به سواك فإنه ... عمل وإن زعم المرائي باطل

وإذا رضيت فكل شيء هين ... وإذا حصلت فكل شيء حاصل

أنا عبد سوء آبق كل على ... مولاه أوزار الكبائر حامل

قد أثقلت ظهري الذنوب وسودت ... صحفي العيوب وستر غفوك شامل

ها قد أتيت وحسن ظني شافعي ... ووسائلي ندم ودمع سائل

فاغفر لعبدك ما مضى وارزقه تو ... فيقا لما ترضى ففضلك كامل". (١)

٣٣٦. ١٤٧-"(فصل)

وقال رحمه الله: فمن أطاع الله واتقاه في حياته تولاه الله عند وفاته على الإيمان وثبته بالقول الثابت في

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٢/٣١٤

القبر عند سؤال الملكين ودفع عنه عذاب القبر وآنس وحشته في تلك الوحدة والظلمة.
قال بعض السلف: إذا كان الله معك عند دخول القبر فلا بأس عليك ولا وحشة. ورؤي **بعض الصالحين** في النوم بعد موته فسئل عن حاله فقال: يؤنسني ربي عز وجل فمن كان الله سبحانه وتعالى أنيسه في ظلمات اللحود إذا فارق الدنيا وتخلي عنها. وفيه ذا يقول بعضهم:

فيا رب كن لي مؤنسا يوم وحشتي ... فإني بما أنزلته لمصدق
وما ضرني أني إلى الله صائر ... ومن هو من أهلي أبر وأشفق

وكذلك أهوال القيامة وأفزاعها وشدائدها إذا تولي الله عبده المطيع له في الدنيا أنجاه من ذلك كله.
قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ . قال: (من الكرب عند الموت ومن أفزاع يوم القيامة) .
وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة.
وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ . قال: يبشر في ذلك عند موته وفي قبره ويوم البعث فإنه لفي الجنة، وما ذهبت فرحة البشارة من قلبه.
وقال ثابت البناني في هذه الآية: بلغنا أن المؤمن يبعثه الله من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن فيؤمن الله خوفه ويقر عينه.". (١)

٣٣٧. ١٤٨-"والآخروية، وطريقاهما متنافيان. فمن صرف عنايته إلى أحدهما، اقتصرت بصيرته في الآخر على الأكثر. ولذلك ضرب الإمام علي رضي الله عنه ثلاثة أمثلة. فقال: " إن مثل الدنيا والآخرة ككفتي ميزان، وكالمشرق والمغرب، وكالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ". ولذلك نرى الأكياس في أمور الدنيا جهالا في أمور الآخرة، وبالعكس. ولذلك قال عليه السلام: " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ". وقال لمن نسب **بعض الصالحين** إلى البله: " أكثر أهل الجنة البله "، يعني في أمور الدنيا. ولذلك قال الحسن البصري: " أدركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٤/٤٦٦

مجانين، ولو رأوكم لقالوا شياطين ". ومهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين، فلا يبعدنك عن قبوله أنه لو كان حقيقيا لأدركه الأكياس من أرباب الدنيا ودقائق الصناعات الهندسية وغيرها، إذ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب، فكذلك أمر الدنيا والآخر. ولذلك قال تعالى: (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا". (١)

٣٣٨. ١٤٩-"لبعدهم ورفعتهم وصفاء لونهم وخلوص نورهم.

قال تعالى: (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية)

قال مجاهد وغيره: نزلت في الصائمين.

من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله يرجو عنده عوض ذلك في الجنة ... من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا مما تركه.

فكيف بمن قلصت شفاهه عطشا؟!

قال يعقوب بن يوسف الحنفي: بلغنا أن الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وغارت أعينكم، وجفت بطونكم، كونوا اليوم في نعيمكم، وتعاطوا الكأس فيما بينكم.

وقال الحسن: تقول الحوراء لولي الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إن الله نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين وأنت في ظمأ هاجرة من جهد العطش فباهى بك الملائكة وقال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي رغبة فيما عندي اشهدوا أني قد غفرت له فغفر لك يومئذ وزوجنيك.

*كان بعض الصالحين قد صام حتى انحنى وانقطع صوته فمات، فرآه بعض أصحابه الصالحين في المنام فسأله عن حاله فضحك وأنشد:

قد كسى حلة البهاء وطافت ... بالأباريق حوله الخدام

ثم حلى وقيل يا قارىء أرقه ... فلعمرك لقد براك الصيام

ياما خبأنا للصائمين:

أخي: من ترك لله في الدنيا طعاما وشرابا وشهوة مدة يسيرة عوضه الله عنده طعاما وشرابا لا ينفد

---

(١) ميزان العمل ص/٣٤٠

وأزواجا لا يمتن أبدا" (١) .

مهور الحور العين طول التهجد وكثرة الصيام.

---

(١) "لطائف المعارف" (١٧٧-١٧٨) .". (١)

٣٣٩. ١٥٠-""كان **بعض الصالحين** كثير التهجد والصيام فصلى ليلة في المسجد ودعا فغلبته عيناه فرأى في منامه جماعة علم أنهم ليسوا من الآدميين بأيديهم أطباق عليها أرغفة بياض الثلج فوق كل رغيف در كأمثال الرمان فقالوا: كل، فقال: إني أريد الصوم، قالوا له: يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل، قال: فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لاحتمله فقالوا له: دعه نغرسه لك شجرا ينبت لك خيرا من هذا، قال: أين؟ قالوا: في دار لا تخرب، وثمر لا يتغير، وملك لا ينقطع، وثياب لا تبلى، فيها رضوى، وعينا، وقرة أعين، أزواج رضيات، مرضيات راضيات لا يغرن ولا يغرن فعليك بالانكماش فيما أنت، فإنما هي غفوة حتى ترتحل فتنزل الدار فما مكث بعد هذه الرؤيا إلا جمعتين حتى توفي، فرآه ليلة وفاته في المنام بعض أصحابه الذين حدثهم برؤياه وهو يقول: لا تعجب من شجر غرس لي في يوم حدثتك، وقد حمل، فقال له: ما حمل؟ قال: لا تسأل لا يقدر أحد على صفته لم ير مثل الكريم إذا حل به مطيع" (١) .

يا قوم ألا خاطب في الصوم إلى الرحمن، ألا راغب فيما أعده الله للطائعين في الجنان، ألا طالب لما أخبر به من النعيم المقيم مع أنه ليس الخبر كالعيان.

من يرد ملك الجنان ... فيلدع عنه التواني

وليقم في ظلمة الليـ ... ـل إلى نور القرآن

وليصل صوما بصوم ... إن هذا العيش فاني

إنما العيش جوار الله في دار الأمان

* أخي أتطلب الحور العين ولا تصوم، وتنام!

أتطلب مثلي وعني تنام ... ونور المحبين عنا حرام

لأنا خلقنا لكل امرئ ... كثير الصلاة براه الصيام

---

(١) نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان ٤٧/١

(١) "لطائف المعارف" (ص ١٧٨) .". (١)

٣٤٠. ١٥١-"وكذلك من أفطر لأجل غيره كالحامل والمرضع على قول طائفة من العلماء.

* ومنها "أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله، فإذا أعان الصائمين على التقوي على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوة لله وآثر بها أو واسى منها ولهذا يشرع له تفطير الصوام معه إذا أفطر لأن الطعام يكون محبوبا له حينئذ فيواسي منه حتى يكون ممن أطعم الطعام على حبه، ويكون في ذلك شكر لله على نعمة إباحة الطعام والشراب له ورده عليه بعد منعه إياه فإن هذه النعمة إنما عرف قدرها عند المنع منها" (١) .

مواساة السلف:

كان كثير من السلف يواسون من إفطارهم أو يؤثرون به ويطوون:

*كان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه للسائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة فيصبح صائما ولم يأكل شيئا، وكان يتصدق بالسكر ويقول: "سمعت الله يقول: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) والله يعلم أني أحب السكر".

واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاما وكان صائما فوضع بين يديه عند فطوره فسمع سائلا يقول: من يقوض الملي الوفي الغني؟ فقال: عبده المعدم من الحسنات. فقام وأخذ الصحفة فخرج بها إليه وبات طاويا.

* وجاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ثم طوى وأصبح صائما.

* وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم تطوعا ويجلس يروحهم وهم يأكلون.

* وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم.

---

(١) نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان ٤٨/١

(١) "لطائف المعارف" (ص ١٧٧-١٧٨) .". (١)

٣٤١. ١٥٢-"ى وعنده سبع عظيم فقال ما هذا قال سألت الله أن يسلط علي كلبا من كلابه إذا غفلت عن ذكره حكاية: قال **بعض الصالحين** رأيت صيادا بالهند كلما صاد سمكة دفعها إلى ابنة له فترسلها في الماء وهو لا يعلم فلما فرغ جاء فلم يجد شيئا فسألها عن ذلك قالت سمعتك تقول عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفل عن ذكر الله فكرهت أن تأكل شيئا غفل عن ذكر الله وقيل أنها كانت السمكة تسبح في يدها فقالت البنت ما دفعت إلي سمكة إلا وسمعتها تقول سبحان الله فقطع الشبكة وتاب عن الصيد ... فائدة: قال علي رضي الله تعالى عنه أكل السمك يذيب البدن وفي النفوس الأفكار أكله يورث بلغما غليظا يضر بالبدن وأما المستخرج من البحر المالح فأكله ينفع من وجع الوركين والإكثار منه يورث البهق إلا إذا جعل عليه شيء من الزعتر والكراويا قال الغزالي رضي الله تعالى عنه أكثر خلق الله السمك فإن قيل قال الله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه فما الفرق بين الصيد والطعام الجواب: أن الصيد ما حصل بالشبكة مثلا والطعام ما قذفه البحر فإن قيل صيد البحر حلال لمن أحرم بحج أو عمرة بخلاف صيد البر فإنه حرام فما الفرق فالجواب: أن صيد البحر لا يقصد به التنزه بخلاف صيد البر والصيد عند الشافعي ما يحل أكله وسمى أبو حنيفة السبع صيدا فأوجب على المحرم ضمانه إذا قتله ... حكاية: قال إبراهيم الخواص رضي الله عنه خرجت أطلب الحلال فأخذت شبكة وألقيتها في البحر فأخذت سمكة ثم ثانية ثم ثالثة فهتف بي هاتف يا إبراهيم لم تجد معاشا إلا فيما يذكرنا فقطعت الشبكة وقال إبراهيم النخعي في قوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده يسبح له كل شيء حتى صرير الباب وقال غيره الآية عامة وهي مخصوصة بالناطق كقوله تعالى تدمر كل شيء وما دمرت ديار عاد كقوله تعالى في حق بلقيس وأوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سلمان وقيل الآية على عمومها فالناطق يسبح بالقال والصامت بالحال وذلك بمجرد يشهد لصانعه بالصنعة ورأيت في طبقات السبكي رضي الله عنه أن الأرجح عندنا أن التسبيح بلسان القال لأنه لا استحالة ويدل عليه كثير من المنقول قال تعالى إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ولا يلزم من تسبيحها بالقال أن نسمعها ورأيت في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة الراجح أنها تسبح ضيقة إلا أنه مستور عن الناس فلا ينكشف إلا بخرق العادة وقد

---

(١) نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان ١/٢٢٨

سمعت الصحابة رضي الله عنهم تسبيح الطعام وغيره بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حلما غفورا مناسبا لحال المخاطبين بالآية من ثلاثة أوجه: أحدها: أن الغالب على الناس الاشتغال عن تسبيح الله تعالى بخلاف المذكورات فاحتاج المشتغلون إلى الحلم والمغفرة، الثاني: أنهم لا يفقهون تسبيحا وقد يكون ذلك لتقصيرهم في التأمل والتفكير في أمرها فاحتاجوا إلى الحلم والمغفرة، الثالث: أن سماعهم تسبيحا قد يوقعهم في إمتنانها ويحملهم على التفريط في حقوقها فاحتاجوا إلى الحلم والمغفرة ولا شك أن من يستحضر في ذهنه تسبيح الموجودات أكرمها وعظمها من هذه الوجوه وإن كان الشارع أمره باحتقارها من وجه آخر ث". (١)

٣٤٢. ١٥٣-"ولا مؤنس لي ونار حامية ولا جلد لي وجنة أزلفت أي قربت ولا وصول لي وصراط ممتد ولا جواز لي وميزان علق ولا حسنة لي ورب غفور ولا حجة لي فقال له الحسن هنا وقتك قال حتى يجيء المفتاح قام الحسن موليا عنه فقال أتعرض عني وقد أقبل علي قد جاء بالمفتاح أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم مات فرآه الحسن تلك الليلة في الجنة فسأله عن حاله فقال أسكنني أعلى الجنة.. حكاية: قال النسفي مر بعض العباد على رجل يعبد بقرة فقال قل لا إله إلا الله فقال لا فقال العابد يا بقرة بحق لا إله إلا الله كوني جمرة نار بإذن الله تعالى فقال قلها وإلا تصير مثلها ... مسألة: لو أسلم كرها لم يصح إلا أن يكون حربيا أو مرتدا وأتى بالشهادتين بلغة أخرى وهو يقدر على العربية صح سلامه قال في شرح المذهب ولو قال أنت طالق إن كنت من أهل النار لم تطلق إن كانت مسلمة ولو قال أن كان الله يعذب الموحدين فأنت طالق طلقت عند الرافعي قال في الروضة في زوائده هذا إذا قصد تعذيب أحدهم فإن قصد تعذيب الكل ولم يقصد شيئا لم تطلق لأن التعذيب يختص ببعضهم ... لطيفة: دخل يهودي على بعض الصالحين وهو يبري قلما فقال له أسلم قال لا أسلم قال أسلم وإلا أقط رأس القلم قال فقطه فوقع رأس اليهودي عن جسمه حكاه في ورض الأفكار ... حكاية: قال في الكعاب المذكور قال مالك بن دينار وقفت يوم على صومعة راهب سمعته يقول يا من لاذ بحرمه الخائفون ورغب فما عنده الطالبون أسألك الخلاص من القصاص وأستغفرك من ذنوب ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها فناديته يا راهب كيف تركت الدنيا قال تركتها قبل

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١٢/١

أن تتركني قلت حدثني بقصتك قال كنت عل دين النصرانية فرأيت في منامي قائلا يقول ويحك إلى كم تعبد غير الله إن عيسى عبد من عباد الله فقلت له من أنت قال أنا شفيع المذنبين أنا الذي بشر بي عيسى وشهد بنبوتي موسى أنا في التوراة موصوف وفي الإنجيل معروف ثم مسح بيده على صدري وقال اللهم ألهم عبدك الرشاد ووفقه للسداد فانتبهت ولا شيء أحب إلي من الإسلام فأسلمت وسكنت في صومعتي هذه ويح كلمة رحم وريل كلمة عذاب ... لطيفة: رأيت في رحمة النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي قبر الشريف جبريل وميكائيل وإسرافيل قبل يوم القيامة فيقول إسرافيل يا حبيب الله قم بإذن الله فلا يجيبه فيقول ميكائيل يا نبي الله قم بإذن الله فهو أول من تنشق عنه الأرض ... حكاية: كان إبراهيم يبيع أصناما ينحتها أبوه وينادي من يشتري شيئا يضره ولا ينفعه فقالت امرأة يا إبراهيم أريد إلها أشتريه من أبيك فقال أنا أبيعك صنما ثلثه يسخن الماء وثلثه يطبخ الطعام وثلثه يخبز العجين فتفكرت المرأة في كلامه ثم قال أنا أدلك على إله من دعاه أجابه ومن استغاث به أغاثه فقالت كيف الوصول قال من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه وصل إليه فقالت المرأة لا اله إلا الله فسقط الصنم من يد إبراهيم على وجهه فقالت يا إبراهيم نعم الرب من أمل غيره خاب والتعب في غير طاعته ضائع ثم أخذت الصنم وكسرته ... حكاية: كان ببلاد الهند شيخ كبير يعبد صنما دهرا طويلا ثم حصل له أمر مهم فاستغاث به فلم يغثه فقال يا أيها الصنم ارحم ضعفي فقد عبدتك دهرا طويلا فلم يجبه فانقطع عن ذلك رجاؤه منه ونظر إليه". (١)

٣٤٣. ١٥٤-"لأن الهر الأعلى والوحشي حرام وفيها خلاف والأهلي أضعف خلقا فالولد يتبع أحد أصوله في التحريم والنجاسة وأشرف الأديان ومثال النجاسة إذا نكح كلب ثعلبة فأتت بولد نجس تغسل منه سبعا إحداهن بتراب ومثال أشرف الأديان تزوج مسلم بيهودية فالولد مسلم ... حكاية: لما رجع موسى من مناجاته وجد في طريقه رجلا يعبد فرعون فدعاه إلى الإسلام وقال ما حصل لك من عبادة فرعون فقال وأنت ما حصل لك من عبادة ربك فقال أنا أعبد طاعة وأنت تعبد فرعون طمعا في ماله قال صدقت يا موسى قال إن في دارك كنز إن أخبرتك به تؤمن بالله قال نعم فأخبرته به فقال لا إله إلا الله موسى رسول الله فبلغ فرعون ذلك فأخذه ورضعه في دهن على النار فأخرجه جبريل ثلاث مرات فقال الرجل يا موسى اسأل ربك أن يخلصني منهم فإن الموت على الإسلام خير

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٢١/١

من ذلك فأخذه فرعون ورضعه في الدهن على النار فقال جبريل يا موسى عظم الله أجرك في صاحبك قد فتحت الجنة لقدوم روحه ... حكاية: خرج **بعض الصالحين** في غزوة فضل عن الطريق فصعد جبلا فوجد قوما من النصارى وعندهم كرسي فسأل واحدا منهم فقال يخرج إلينا راهب في كل عام مرة فيعظنا فلبست مثل ثيابهم فلما صعد الراهب على الكرسي فقال أيها الناس لست لكم واعظ لأن فيكم رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال يا محمدي أقسمت عليك بحق دينك قم إلينا نراك فوثب قائما فقال إن سألتك عن شيء تجيبني قال نعم قال سمعت أن الله خلق في الجنة ثمارا فهل خلق في الدنيا مثلها قال نعم في الاسم واللون قال فليس في الجنة بيت إلا وفيه غصن من شجرة طوبى فهل لها نظير في الدنيا قال نعم إذا توسطت الشمس في السماء كذلك قال في الجنة أربعة أنهار مختلفة الطعم تخرج من أصل واحد فهل لذلك نظير في الدنيا قال نعم ماء الأذن مر وماء العين مالح وماء الأنف منتن وماء الفم طيب قال إن في الجنة سريرا طوله خمسمائة عام فإذا أراد الرجل أن يصعد عليه تطأطأ له فهل لذلك مثيل في الدنيا قال نعم قوله تعالى أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت تهوى برأسها إلى الأرض ثم تثب قائمة قال إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون فهل لذلك نظير في الدنيا قال نعم الجنين في بطن أمه كلما اشتهى شيئا أوقع الله تلك الشهوة على أمه فيبلغ الغذاء إليه وهو في هذه المدة لا يبول ولا يتغوط ثم قلت له أخبرني عن مفتاح الجنة فقال الراهب إنه سألني عن مفتاح الجنة وقد قرأت في الكتب أن مفتاحها لا اله إلا الله محمد رسول الله فأسلم وأسلم معه خلق كثير ... فائدة: قال النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني جبريل أن لا إله إلا الله أنيس المسلم عند موته في قبره وحين يخرج من قبره وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد يختم له بها إلا كانت زاده وقال السمرقندي إذا قال العبد لا إله إلا الله وقلبه عند الدنيا كتب له عشر حسنات وإن كان عند الآخرة فله سبعمائة حسنة وإن كان مع الله ملأت ما بين المشرق والمغرب حسنات ... مسئلة: لو قال الكافر لا يرحمني إلا الله أن لا اله إلا الرحمن أو لا إله إلا الباري أو لا باري إلا الله أو أبو القاسم أو أحمد رسول الله كانت". (١)

٣٤٤. ١٥٥-"له لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصير بذلك مؤمنا إلا أن يكون مشبها حتى يبرأ من التشبيه ويعتقد بأنه تعالى ليس كمثله شيء ... حكاية رأى موسى عليه السلام شيخا يعبد نارا

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٢٣/١

فقال أما آن لك أن ترجع عنها إلى عبادة الله فقال إن رجعت إليه يقبلني قال نعم فعرض عليه الإسلام ثم بكى حتى غشي عليه فحركه موسى فوجده ميتا فقال يا رب عامله كما أنت أهله فقال يا موسى أما علمت أن من صالحنا صالحناه ومن تقرب قربناه وقد أنزلته منازل الموحدين وجعلته في منازل المقربين ... حكاية: كان في زمان مالك بن دينار أخوان محدثان يعبدان النار فقال الأصغر للأكبر قد عبدناها مدة طويلة فننظر إن أحرقتنا تركناها وإلا فلازمناها فوضع كل منها يده فيها فأحرقته فذهبا إلى مالك بن دينار ليعلمهما الإسلام فغلبت الشقاوة على الأكبر فقال لا أعبد غيرها فلما أسلم الصغير ذهب إلى مكان خراب يعبد ربه فلما أصبح قالت له امرأته إذهب إلى السوق واطلب عملا نأكل منه فذهب إلى مكان وصلى فيه إلى الليل ثم رجع قالت امرأته هل عملت قال عملت شيئا عند الملك وقال أعطيك كلا فباتوا جياعا فلما كان في اليوم الثاني خرج للعبادة وقال يا رب أكرمتني بالإسلام فأسألك بحق هذا الدين وهذا اليوم يوم الجمعة أن ترفع عن قلبي هم نفقة عياله فلما رجع ليلا وجد عياله في فرح وعندهم طعام كثير فسألهم عن ذلك فقالت جاءنا وقت الظهر رجل معه طبق فيه ألف دينار وقال قولي لزوجك هذا أجرة عملك في يومين وإن زدت زدناك فذهبت بدينار إلى الصيرفي وكان نصرانيا فعرف أن الدينار من هدايا الآخرة فأسلم وأعطاني ألف درهم لما أخبرته بأمرك وأمر الرجل الذي جاءنا بالطبق فسجد زوجها شكرا لله ... وسى أما علمت أن من صالحنا صالحناه ومن تقرب قربناه وقد أنزلته منازل الموحدين وجعلته في منازل المقربين ... حكاية: كان في زمان مالك بن دينار أخوان محدثان يعبدان النار فقال الأصغر للأكبر قد عبدناها مدة طويلة فننظر إن أحرقتنا تركناها وإلا فلازمناها فوضع كل منها يده فيها فأحرقته فذهبا إلى مالك بن دينار ليعلمهما الإسلام فغلبت الشقاوة على الأكبر فقال لا أعبد غيرها فلما أسلم الصغير ذهب إلى مكان خراب يعبد ربه فلما أصبح قالت له امرأته إذهب إلى السوق واطلب عملا نأكل منه فذهب إلى مكان وصلى فيه إلى الليل ثم رجع قالت امرأته هل عملت قال عملت شيئا عند الملك وقال أعطيك كلا فباتوا جياعا فلما كان في اليوم الثاني خرج للعبادة وقال يا رب أكرمتني بالإسلام فأسألك بحق هذا الدين وهذا اليوم يوم الجمعة أن ترفع عن قلبي هم نفقة عياله فلما رجع ليلا وجد عياله في فرح وعندهم طعام كثير فسألهم عن ذلك فقالت جاءنا وقت الظهر رجل معه طبق فيه ألف دينار وقال قولي لزوجك هذا أجرة عملك في يومين وإن زدت زدناك فذهبت بدينار إلى الصيرفي وكان نصرانيا فعرف أن الدينار من هدايا الآخرة فأسلم وأعطاني ألف درهم لما أخبرته بأمرك وأمر الرجل الذي جاءنا

بالطبق فسجد زوجها شكرا لله ...

فائدتان: الأولى: قال في نزهة النفوس والأفكار من مضار النار أن إبليس خلق منها قال القرطبي أنه خلق من النار العزة فذلك قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين فالعزة أورثته التكبر عن السجود لآدم ومن منافعها في الشتاء تدفع البرد وتحسن الوجه والكي بها ينفع من الفالج وفي الرأس ينفع من الشقيقة كالنسيان البلغمي وسيأتي في الصدقة لأنه لا يحل منعها.. الثانية: قال **بعض الصالحين** على جبل عرفات الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة فلما كان العالم القابل أراد أن يقولها على عرفات فهتف بها هاتف مهلا يا عبد الله حتى تفرغ من ثوابها بالعام الماضي وقال بعض أولاد علي ابن أبي طالب كان إذا رأى من هو على غير دين الإسلام قال الحمد لله الذي فضلني عليك بالإسلام دينا وبالقرآن كتابا وبمحمد نبيا وبعلي إماما وبالمؤمنين إخوانا وبالكعبة قبلة وقال من قال ذلك لم يجمع الله بينه وبين النار أبدا في الحديث ما من مسلم قال إذا رأى يهوديا أو نصرانيا أشهد أن لا إله إلا الله واحدا أحدا فردا صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد كتب الله له بكل يهودي ونصراني حسنة ذكره الترمذي الحكيم ... حكاية: قرأ **بعض الصالحين** قوله تعالى وإن منكم إلا واردها فقال يهودي إن كان ما تقولون حقا فنحن وأنتم فيها سواء فقال نحن ننجو منها بالتقوى فقال اليهودي ونحن أيضا من المتقين فقرأ المسلم ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها الآية فقال أريد برهانا على صدق ما تقول فقال المسلم طرح ثيابي". (١)

٣٤٥. ١٥٦-"قال الضحاك كان نوح عليه السلام إذا قال بسم الله مجريها جرت السفينة وإذا قال بسم الله مرساها رست وكان مع نوح خرزتان مضيئتان واحدة مكان الشمس والأخرى سوداء كسواد الليل فكان يعرف بهما مواقيت الصلاة فإذا أمسوا غلب سواد هذه بياض هذه وإذا أصبحوا غلب بياض هذه سواد هذه وآخر من دخل السفينة الحمار وتعلق به إبليس قال القرطبي في تفسيره قال الرازي وهذا بعيد لأن إبليس جسم ناري وهوائي فكيف يفر من الغرق وأيضا لم ير فيه خبر صحيح ... فائدة: رأيت في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة قال النبي صلى الله عليه وسلم أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا السفن أن يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون بسم الله مجريها ومرساها إن ربي

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٢٤/١

لغفور رحيم ورأيت في بستان الواعظين لابن الجوزي عن الحسن البصري قال ما من عبد يموت إلا أدخل ملك في قبره دواة وقرطاسا وقلم فيقول اكتب عملك فيكتب عمله وإن كان غير كاتب فإن كان من أهل السعادة فأول ما يجري به القلم بسم الله الرحمن الرحيم بإذن الله تعالى فيأمن من عذاب القبر ... حكاية قال **بعض الصالحين** دخل علي أخي وهو سكران فضربته فرجع ورقع في ماء فغرق فلما دفنته رأيته في تلك الليلة في الجنة فقلت له تموت سكران وأنت في الجنة قال نعم لما خرجت من عندك رأيت ورقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فابتلعتها فلما دخل على منكر ونكير فقلت لهما تسألاني واسمه في بطني فنادى مناد صدق عبدي قد غفرت له ... حكاية كان بمكة رجل صائم

الدهر ولم يره أحد يأكل ولا يشرب غير أنه يخرج من جيبه ورقة عند إفطاره فينظر إليها فلما مات أخرجها الغاسل من جيبه فوجد فيها البسملة فتعجب من ذلك فهتف به هاتف لا تعجب من ذلك فإنا بالتسمية ربيناه وبالرحمانية غفرنا له وبالرحيمية وفقناه وقال ابن عطا في اسمه الرحمن عونه ونصره وفي اسمه الرحيم محبته ومودته ... فائدة: يكتب لبكاء الأطفال بسم الله الرحمن الرحيم هذا يوم لا ينطقون بسم الله الرحمن الرحيم وخشعت الأصوات للرحمن بسم الله الرحمن الرحيم اليوم نختم على أفواههم. دهر ولم يره أحد يأكل ولا يشرب غير أنه يخرج من جيبه ورقة عند إفطاره فينظر إليها فلما مات أخرجها الغاسل من جيبه فوجد فيها البسملة فتعجب من ذلك فهتف به هاتف لا تعجب من ذلك فإنا بالتسمية ربيناه وبالرحمانية غفرنا له وبالرحيمية وفقناه وقال ابن عطا في اسمه الرحمن عونه ونصره وفي اسمه الرحيم محبته ومودته ... فائدة: يكتب لبكاء الأطفال بسم الله الرحمن الرحيم هذا يوم لا ينطقون بسم الله الرحمن الرحيم وخشعت الأصوات للرحمن بسم الله الرحمن الرحيم اليوم نختم على أفواههم.

فوائد الأولى: خلى الله القلم من درة بيضاء طولها خمسائة عام ينبع منه النور المداد من قلم الدنيا ثم أمره أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها في سبعمائة عام فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي من قالها من أمة محمد مرة واحدة كتب الله له ثواب سبعمائة عام قاله النسفي وذكر أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ليلة المعراج قبة من درة بيضاء لها باب من ذهب وقفل من ذهب لو أن الجن والأنس جلسوا على تلك القبة لكانوا كطير على رأس جبل فأراد أن يرجع فقيل له لم لا تدخلها قال لأنها مقفولة فقيل مفتاحها معك وهو بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح فرأى فيها أربعة أنهار من ماء غير آسن أي غير متغير يخرج من ميم بسم الله ونهر من لبن لم يتغير طعمه يخرج من هاء الجلالة ونهر

من خمر لذة للشاربين يخرج من ميم الرحمن ونهر من عسل مصفى يخرج من ميم الرحيم فقال الله تعالى يا محمد من ذكرني من". (١)

٣٤٦. ١٥٧-"فاستحق الوزارة فكيف بمن شهد للخالق بالوحدانية فلا يستحق الكرامة.. الرابعة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لكل شيء قلب وقلب القرآن يس ومن قرأها كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر بركات ما قرأها جائع إلا شبع ولا ظمآن إلا روي ولا عار إلا كسي ولا عزب إلا تزوج ولا خائف إلا أمن ولا مسجون إلا خرج ولا مسافر إلا أعين على سفره ولا من ضلت له ضالة إلا وجدها ولا مريض إلا برئ ولا عند ميت إلا خفف الله عنه ... حكاية: قال الشافعي في روض الرياحين عن **بعض الصالحين** أنه دفن ميتا ببلاد اليمن فسمع في القبر ضربا فخرج كلب أسود فقال الضرب فيك أو في الميت قال وجدت عنده سورة يس فحالت بشي وبينه وعن الطبراني من داوم على قراءة يس مات شهيدا وسيأتي زيادة في المعراج إن شاء الله تعالى قال الترمذي من قرأ في ليلة الجمعة سورة الدخان اسنغفر له سبعون ملكا إلى الصباح.. الخامسة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك رواه ابن حبان والحاكم ورأيت فيها حكاية كالتي في يس وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها في قلب كل مؤمن رواه الحاكم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أني لأجد في كتاب الله سورة وهي ثلاثون آية من قرأها عند منامه كتب له ثلاثون حسنة ومحا عنه ثلاثون سيئة ويبعث الله له ملكا يبسط جناحيه عليه ويحفظه من السوء حتى يستيقظ قال النيسابوري في سورة البقرة أنها تقف على صراط عند قدوم قارئها تشفع له.. السادسة عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ألا يستطع أحدكم أن يقرأ كل يوم ألف آية قالوا ومن يستطيع ذلك قال أما يستطيع ألهاكم التكاثر رواه الحاكم.. السابعة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه هل تزوجت قال لا يا نبي الله ما عندي ما أتزوج به قال أليس معك قل هو الله أحد قال بلى قال ثلث القرآن قال أليس معك إذا جاء نصر الله قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال تزوج قالها مرتين وفي رواية ابن عباس إذا زلزلت الأرض تعمل نصف القرآن رواه الترمذي.. الثامنة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١/ ٣٠

النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فسألته ماذا يا رسول الله قال الجنة فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره ثم فرقت أي خفت أن يفوتني الغداة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر له ذنوب سنة وفي حديث آخر ينادي مناد يوم القيامة ألا ليقم مادح الرحمن فلا يقوم إلا من كان في الدنيا يكثر قراءة قل هو الله أحد وعن ابن عباس من قرأها مائتي مرة في أربع ركعات كل ركعة بخمسين غفر له ذنوب مائة عام خمسون مقدمة وخمسون متأخرة ورأيت في كتاب بدر الفلاح عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين بعد العشاء يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة". (١)

٣٤٧. ١٥٨-"حسنة وسيأتي من رواية الطبراني أيضا وقوله تعالى لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى وهي تعمل ثلث القرآن لأن ثلثه أحكام وثلثه الآخر وعد ووعيد والثالث أسماء وصفات وذلك مجموع فيها قال ابن عباس من قرأها ثلاث مرات بنى الله له مائة قصر في الجنة وعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن وكتب له من الحسنات بعدد من آمن وأشرك ... حكاية كان **بعض الصالحين** يزور القبور فأدركه النوم ذات ليلة فرأى الأموات على قبورهم فسألهم هل قامت القيامة قالوا لا ولكن مر علينا ثابت البناني منذ عشرين سنة فقرأ قل هو الله أحد ثلاثين مرة وجعل ثوابها لنا فنحن نتقاسمها من ذلك اليوم فما استوفينا بعد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشر مرة ثم وهب ثوابها للأموات

أعطى من الأجر بعدد الأموات ... الطائف.. الأولى عن أبي سعيد الجزار أول كلمة دعا الله عباده إليها قل هو الله فتم المراد للخواص ثم زاد بيانا للأولياء يقوله أحد ثم زاد بيانا لخواص المؤمنين لقوله الله الصمد ثم زاد بيانا بقوله للخلق لم يلد إلى آخرها وقال ابن عطاء بقوله قل هو الله أحد ظهر لك منه الإسلام ولم يكن له كفوا أحد ظهر لك منه اليقين.. الثانية قال أبو علي الدقاق وجدنا أنواع الشرك على ثمانية أنواع على كل الكثرة والعلا والنقص والتغلب والعلة والمعلول والأشكال والأضداد فنفى الكثرة والعدد بقوله الله أحد نفى التنقص والتغلب بقوله الله الصمد ونفى العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد ونفى الأشكال والأضداد بقوله ولم يكن له كفوا أحد أي لم يكن له أحد مماثلا ففيه

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٤٢/١

تقديم وتأخير وهو تقدم خبر كان الذي هو كفوا على اسمها وهو أحد ... فوائد الأولى عن عبد الله بن حبيب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لي قل فلم أقل شيئا ثم قال قل قل قلت فما أقول قال قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاثا حين تصبح وحين تمسي تكفيك من كل شيء قال الترمذي حديث صحيح.. الثانية عن عقبة بن عامر رضي الله عنه بينما أنا سير مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وقال يا عقبة تعوذ بهما ولن تقرأ سورة أحب إلى الله ولا أبلغ عنده من أن تقرأ سورة قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فإن استطعت أن لا تفوتك في صلاتك فافعل ويقال أنهما المقشقشتان تبرئان من النفاق وقال الأصمعي يقال المقشقشتان سورة الإخلاص وقل يا أيها الكافرون.. الثالثة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ليس في القرآن سوره أشد غيظا لإبليس من قل يا أيها الكافرون فإنها براءة من الشرك وتوحيد وقال رجل يا نبي الله أوصني قال اقرأ عند منامك قل يا أيها الكافرون فإنها براءة من الشرك وسبب نزولها قول الكافرون يا محمد أعبد آلهتنا عاما ونعبد إلهك عاما والتكرار فيها للتأكد ... حكاية قال أحمد بن حنبل رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب بماذا يتقرب إليك المتقربون قال بكلامي يا أحمد قلت بفهم وغير فهم قال بفهم وغير فهم". (١)

٣٤٨. ١٥٩-"فبكت الملائكة فقال الله تعالى قل له يلقي التراب من فمه فقد غفرت له وأذنت بالبكاء ولكن لا يشكون إلى غيري وقال بعض العارفين الصبر له باب مفتوح إلى الثناء والثناء له باب مفتوح إلى العطاء والعطاء له باب مفتوح إلى الجزاء والجزاء له باب مفتوح إلى البقاء والبقاء له باب مفتوح إلى اللقاء وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ومن نظر إلى الله فقد رضي الله عنه ... حكاية قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه رأيت رب العزة في المنام فقال قل اللهم أرضني برضائك وصبرني على بلائك وأوزعني أي ألهمني شكر نعمائك وخرج يوما إلى الحج ماشيا فرآه رجل على ناقته فقال له إلى أين يا إبراهيم قال أريد الحج قال أين الراحلة فإن الطريق بعيد قال لي مراكب كثيرة ولكن لا تراها قال ما هي قال إذا نزلت مصيبة ركبت مركب الصبر وإذا نزلت نعمة ركبت مركب الشكر وإذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء وإذا دعتني نفسي إلى شيء علمت أن ما في من الأجل أقل مما مضى فقال سر بإذن الله فأنت الراكب وأنا الماشي وقال الفضيل رضي الله عنه الرضا عن الله درجة

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٤٤/١

المقربين إلى الله ليس بينها وبين الله إلا روح وريحان وقال قتادة الروح الرحمة وقرا يعقوب من العشرة فروح بضم الراء أي يخرج روح المؤمن في الريحان والباقون في فروح بفتح الراء أي الراحة قيل هو الريحان الذي يشم وقال ابن عباس كل ريحان في القرآن فهو الرزق قال بعضهم من حسن الرضا بقضاء الله أن لا يقول هذا يوم حار في معرض الشكاية وقول أيوب مسنى الضر فيه إظهار الافتقار لن عدم المبالاة بالبلاء مقاومة للمقدور ... فائدة عن بعض الصالحين أنه حبسه بعض الخلفاء وأقسم أن يضرب عنقه فقال له رجل في النوم اكتب ورقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم من العبد إلى الرب الجليل أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فبحق محمد وآل محمد اكشف همي وحزني وفرج عني واطرح الورقة في اليم ... مسألة الرضا بقضاء الله واجب وبغض المعصية واجب ولا شك أنها بقضاء الله فكراهتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل إلى الجمع بين الرضا والكراهية في شيء واحد فالجواب يتضح بمثال ذكره الإمام الغزالي رضي الله عنه في الأحياء فهو أن يكون لك عدوان أحدهما عدو للآخر فيموت أحدهما فتكره موته لأنه ساع في هلاك عدوك الآخر وترضاه لأنه عدوك فكذلك المعصية لها وجهان وجه إلى الله لكونها بقضائه فترضى بها من هذا الوجه تسلما لقضائه ورجه إلى العبد لكونها من كسبه وسببا لبعده عن ربه فهذا الوجه تكره المعصية.

فصل في الأدب

قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال الإمام علي رضي الله عنه أي أدبوهم وعلموهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم رواه ابن ماجه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأن يؤدب أحدكم ابنه خير له من أن يتصدق بصاع طعام فجعل تأديب الابن أعلى من الصدقة حكاه ابن أبي جمرة في شرح البخاري ... فائدة قال الرازي في قوله تعالى وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني الآية أسئلة: الأولى: أأنت استفهام وهو على الله لا يجوز لأنه علام الغيوب جوابه أن الاستفهام بمعنى الإنكار.. الثاني: أنه سبحانه يعلم أن عيسى". (١)

٣٤٩. ١٦٠-"اعتمد على كرمي وغيره اعتمد على عمله ... حكاية عن بعض الصالحين قال دخل عظم في رجلي فتألمت منه ألما شديدا فجلست تحت شجرة وتضرعت إلى الله بأسمائه الحسنى فغلبني

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٧٩/١

النوم فرأيت حية تمص رجلي وتمح القيح والدم وأخرجت العظم فاستيقظت فرأيت الدم والقيح والعظم على الأرض قال الأمام الرازي رضي الله عنه وللدعاء بأسماء الله الحسنى شروط أحسنها أن يكون مستحضرا عز الربوبية وذل العبودية وأن يعرف معاني تلك الأسماء وها أنا أذكر بعض ما يحتاج إليه ذلك.. الله معناه الجامع لصفات الألوهية المتصف بأوصاف الربوبية وهو الاسم الأعظم.. الرحمن الرحيم تقدم الفرق بينهما في الفاتحة في فضل البسملة.. القدوس معناه المنزه عن كل معنى يدركه حسن أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم قال الغزالي رضي الله عنه ولست أقول منزه عن العيوب لأن ذلك يرقب من ترك الأدب فليس من الأدب أن يقال ملك البلد ليس بحق.. السلام معناه الذي سلمت فاته وأفعاله سلمت من الشر والسلام من العباد من سلم قلبه من الحقد والغش.. المؤمن معناه من التجأ إليه صار آمنا من كل شر والمؤمن من الناس من هو في أمان.. المهيمن معناه العالم بخلقه وأرزاقهم وآجالهم وهو من أسماء الله في الكتب القديمة.. الخالق البارئ المصور قال الغزالي رضي الله عنه قد يظن أن هذه الثلاثة بمعنى واحد وليس كذلك ثم قال البناء مثلا يحتاج إلى الأخشاب حتى يبنى له قدر الخشب ثم بعد ذلك يحتاج إلى من ينقش ظاهر البناء ويزين صورته وحاصل كلامه أن الصنعة لا تقوم بواحد كما ذكر في الإحياء أن الرغيف لا يوضع على المائدة إلا بثلثمائة وستين صانعا والله تعالى غني في صنعه عن غيره فإن احتاجت الصنعة إلى موجد فهو خالقها وإن احتاجت إلى مخترع يخترعها ويصورها فهو مصورها وخالقها وإن احتاجت إلى زينة فهو مصورها في أحسن زينة وأتم حالة.. القابض الباسط معناه يقبض القلوب بالخوف ويبسطها بالرجاء كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه لما قال يقول الله تعالى يا آدم أخرج بعث النار فيقول كم فيقول من ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فانقبضت قلوبهم فلما رأى ذلك منهم بسطها بقوله صلى الله عليه وسلم إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وقيل يقبض الرزق عن الفقراء ويبسطه على الأغنياء وقيل يقبض الأرواح عن الأشباح.. الخافض لأهل الشقاوة.. الرافع لأهل السعادة والخافض الرافع من العباد الذي يخفض الباطل وأهله ويرفع الحق وأهله.. اللطيف معناه العالم بدقائق المصالح وموصلها إلى أهلها بالرزق واللطف ومن العباد من يعلم الطريق إلى الله تعالى بغير عنف.. الغفور بمعنى الغفار لكنه أبلغ من الغفور ... لطيفة: رأيت في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة من أسماء الله تعالى غفار وغافر وغفور وسمى العبد بثلاثة أسماء ظالم لنفسه وظلوم كفار وظلام وهو المسرف على نفسه فكأنه سبحانه وتعالى يقول أنا للظالم غافر وللمظلوم كفور ولظلام كفار وقيل معنى غافر مزيل للذنب

من الصحيفة وغفور منسي للملائكة ذلك الذنب وغفار منسي للمذنب ذنبه وقيل غافر في الدنيا وغفور في القبر وغفار في القيامة.. الشكور معناه يجازي بيسر الطاعة كثير الدرجات..". (١)

٣٥٠. ١٦١-"القثاء فكلوا من أسفله.. الرابعة: إذا شربت المعوقة ثلاثين حبة من حب اللوف سهل الولادة أيضا ... لطيفة: قال في نزهة النفوس والأفكار اللوف يقال له خبز القرود ورقه يشبه ورق القلقاس مع أصله نافعان للجراحات الرديئة فإن ذلك علوها وينقيها تنقية قوية وأكلها ينفع من الأخلاط الرديئة ومن وجع الكبد والطحال وبذره إذا أكله من به سرطان شفاه الله تعالى وإذا شربت الحامل من بذره نحو ثلاثين حبة بخل ممزوج بماء سقط حملها وأما القلقاس ويسمى آذان الفيل من منافعه أن أكله يزيد في الباه ويسمن البدن ويقوي المعدة إذا طبخ في ماء حتى ينضج ويدق ويضمد به البرص ثلاثين يوما متوالية قلعه بإذن الله تعالى.. الخامسة إذا تحملت المرأة بشيء من السداب أو شربت بزره نصف درهم أو شربت من لبن المرأة وتبخرت بحافر حمار فإن هذا يسهل الولادة بإذن الله تعالى فإن استمرت في الطلق أربعة أيام فاعلم أن الولد قد مات فبادر إلى سقيها بماء السداب فإن ولدت واستمرت الرقيقة فداوها بالعطاس بأن تدخل في أنفها شيئا يكثر عطاسها.. السادسة: دخل مسلمة بن عبد الملك بن مروان بلدة من بلاد الكفر فحصل له صداع فألبسه أهل البلد طاقية فشفي في الحال فنظر إلى الطاقية فوجد فيها ورقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من ربكم ورحمة بسم الله الرحمن الرحيم الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا بسم الله الرحمن الرحيم كهعيص بسم الله الرحمن الرحيم حمعسق بسم الله الرحمن الرحيم وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قيل خص الساكن بالذكر لأنه أكثر من المتحرك وقيل ما سكن أي ما خلق فهو أعم واستحسنه القرطبي فقال المسلمون لأهل البلد من أين لكم هذه الآيات وإنما نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا وجدناها منقوشة على حجر كنيسة قبل أن يبعث نبيكم بسبعمائة عام.. السابعة: قال **بعض الصالحين** أصابني وجع شديد في رأسي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فوضع يده على رأسي وقال بسم الله ربي الله حسبي الله توكلت على الله اعتصمت بالله فوضت أمري إلى الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ثم قال استكثروا

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٨٦/١

من هذه الكلمات فإن فيها شفاء من كل داء وفرجا من كل كرب ونصرا على الأعداء.. الثامنة: كان بخراسان رجل عاين يجلس يوما مع جماعة فمر قطار جمال فقال العاين أي جمل تريدان أكله فأشاروا إلى جمل فنظر إليه فوقع في الحال فقال صاحبه بسم الله عظيم الشأن شديد البرهان ما شاء الله كان حبس حابس من حجر يابس وشهاب قابس اللهم إني رددت عين العاين عليه وفي كبده وكليتيه وأحب الخلق إليه لحم رقيق وعظم دقيق فيما يتعلق فارجع البصر هل ترى من فطهر أي شقوق ثم رجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا أي ذليلا وهو حسير أي منقطع ما شاء الله كان ولا قوة إلا بالله

فوثب الحمل قائما بإذن الله وبذرت عين العاين ... مسئلة: لو قتله بالعين فلا شيء عليه إن اعترف بذلك لأنه لا يفضي إلى القتل غالبا.. التاسعة: إذا علق مخلاب الهدهد على صغير دفع عنه ضر العين وإن حمل". (١)

٣٥١. ١٦٢-"ورأيت في صحيح البخاري عن عمرو بن ميمون قال رأيت قردا زنى بقردة فرجمهما القرود فرجمتهما معهم قال الإمام النووي أن عمرو بن ميمون أدرك جماعة من الصحابة وحج مائة حجة مات سنة خمس وسبعين ورأيت البرماوي في شرح البخاري أن قردا نام وجعل تحت رأسه قردة فجاء قرد آخر فأشار إليها فانسلت منه وجاءت إليه فزنى بها ثم جاءت تريد النوم معه فاستيقظ فشمها فعرف أنها زنت فصاح فاجتمعت القرود إليه فرجموها ... مسئلتان.. الأولى: ولو مكنت امرأة من نفسها قردا فعليها التعزير كرجل وطئ بهيمة إن شهد عليه أربعة بذلك أو أقر ثم إن كانت الدابة مأكولة وجب ذبحها وعليه التفاوت ما بين قيمتها مذبوحة وسليمة مثاله كانت تساوي مائة فلما ذبحت صارت تساوي خمسين مثلا فيلزمه خمسون وأكلها حلال.. الثانية: بيعه صحيح وحكى القرطبي في سورة الأنعام وجها في مذهب الشافعي أنه يحل أكله ولم أره فهو غريب منكر قال ابن عبد السلام ولا أعلم بين علماء المسلمين خل إذا في أن القرد لا يؤكل ... فائدة: رأيت في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه قيل أنه رأى شخصا خرج من حائط فكتب بسم الله الرحمن الرحيم ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة الآية فتحول يوسف عليه السلام إلى الحائط الآخر وإذا بالقلم يكتب وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين فتحول إلى الحائط الآخر له إذا بالقلم يكتب يعلم خائنة الأعين فتحول إلى

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٩٣/١

الحائط الآخر فكتب كل نفس بما كسبت رهينة فنظر إلى الأرض فكتب إنني معكما أسمع وأرى فنظر إلى سقف البيت فرأى جبريل في صورة يعقوب عاضا على إصبعه فوقع يوسف مغشيا عليه من الحياء وقيل رأى الجب الذي كان فيه فقيل له يا يوسف أنسيت هذا وقيل رأى حوراء من الجنة فتعجب من حسنها فقال لمن أنت فقالت لمن لا يزني قال الرازي قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه هذه الآية من المهمات التي يجب البحث عن تحقيقها فيوسف عليه السلام بما يليق به من دفعها ومنعها عنه وهمت بما يليق بها من التوصل إلى مقصودها وقال غيره همت به أن يصل إليها في الحرام وهم بها أن يصل إليها بالحلال والبرهان هو هربه منها وفيه فائدتان: الأولى: قد القميص من دبر الثانية: لو دفعها عنه لتعلقت به وقدت قميصه من قبل وربما قتلته ثم قال وأجود ما يمكن من التأويل أن يقال اشتهت من اشتهاها لأن المرأة الجميلة إذا تزينت للشاب مال طبعه إليها فتارة تقوى داعية الطبيعة والشهوة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة والفرق بين السوء والفحشاء أن السوء مقدمات الزنا كالقبلة واللمس والفحشاء نفس الفعل وقيل السوء فعله بجهالة في صغره والفحشاء في كبره فيوسف عليه السلام معصوم في صغره وكبره وقد شهد الله أنه من عباده المخلصين الذين استثناهم إبليس فيما حكى الله عنه إلا عبادتك منهم المخلصين فمن ظن في هذا الكريم ابن الكريم
بما لا يليق بمنصب النبي فقد خالف الله وحالف إبليس ... حكاية: قال **بعض الصالحين** رأيت حدادا يأخذ الحديد من النار بيده فلا يضره فسألته عن ذلك فقال كان بجواري امرأة جميلة فتعلق بها قلبي ولم أتمكن منها لورعها فحصل في بعض السنين قحط فقالت المرأة طعمني شيئا لله فقلت حتى تمكنيني من نفسك فقالت لا سبيل لي إلى المعصية فلما كان اليوم الثاني قالت أطعمني شيئا لله فقلت لها كالأول فامتنعت فلما كان اليوم الثالث قالت أطعمني شيئا لله فقد أضربني الجوع فقلت لها مثل ذلك فدخلت إلى منزلي فجعلت الطعام بين يديها فبكت وقالت تطعمني لله فقلت لا فخرجت فلما كان اليوم الرابع قالت أطعمني شيئا لله". (١)

٣٥٢. ١٦٣-"أحب إلى من مائتي ركعة تطوعا قال يا رسول الله ترك لقمة من حرام أحب إليك أم ألف ركعة قال ترك لقمة من حرام أحب إلي من ألفي ركعة تطوعا قال يا رسول الله ترك الغيبة أحب إليك أم ألف ركعة قال ترك الغيبة أحب إلي من عشرة آلاف ركعة قال يا رسول قضاء حاجة الأرملة

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١٠٢/١

أحب إليك أم عشرة آلاف ركعة قال قضاء حاجة الأرملة أحب إلى من ثلاثين ألف ركعة تطوعا قال يا رسول الله الجلوس مع العيال أفضل أم الجلوس في المسجد قال جلوس ساعة مع العيال أحب إلي من الإعتكاف في مسجدي هذا قال يا رسول الله النفقة على العيال أحب إليك أم النفقة في سبيل الله قال درهم تنفقه على العيال أحب إلي من دينار تنفقه في سبيل الله قال يا رسول الله بر الوالدين أحب إليك

أم عبادة ألف عام قال يا أنس جاء الحق وزهق الباطل أي هلك إن الباطل كان زهوقا بر الوالدين أحب إلي وإلى الله من عبادة ألف عام قال أبو ذر يا رسول الله أوصني قال أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله فقلت يا رسول الله زدني قال عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء قلت يا رسول الله زدني قال إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه قلت يا رسول الله زدني قال قل الحق وإن كان مرا قلت يا رسول الله زدني قال لا تخف في الله لومة لائم قلت يا رسول الله زدني قال عليك بطول الصمت فإنه مطرد للشيطان وعون لك على أمر دينك قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي قال بعضهم الرهبانية السياحة في الأرض وكان في الزمن الأول إذا قوي الخوف على أحدهم ساح في الأرض ولذا سمي عيسى عليه السلام مسيحا لسياحته في الأرض وقيل أنه ما مسح ذا عاهة إلا شفاه الله وأما المجال فهو مسيح لأنه يمسح الأرض كلها إلا مكة والمدينة فلا يدخلها سمي دجالا لأن الدجل هو التمويه والتغطية يقال رجل دجل وامرأة دجلة إذا موها ودجل الحق أي غطاه بالباطل قلت يا رسول الله زدني قال أحبب المساكين وجالسهم وسيأتي بيانهم في باب الزكاة إن شاء الله تعالى قلت يا رسول الله زدني قال انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن تزدري نعمة الله عليك قلت يا رسول الله زدني قال ليردك عن الناس ما تعلمه في نفسك وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك رواه ابن حبان في صحيحه وقال الحاكم صحيح الإسناد.. الثانية: قال عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن في المسجد فقال إني رأيت البارحة رجلا من أمتي جاءه ملك الموت لقبض روحه فجاءه بر والديه فرده عنه ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من بين أيديهم ورأيت رجلا من أمتي والنبيون حلقا حلقا كلما دنى من حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة وأخذ بيده وأقعده إلى جاني ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له

الأبواب وأدخلته الجنة.. الثالثة: أن عبد الرحمن بن سمرة راوي الحديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة عشر حديثا وأبوه صحابي أيضا روى مائة وثلاثين حديث ... لطيفة: قال **بعض الصالحين** كنت نائما عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته قد خرج من قبره ومعه صاحباه فدعا بقرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الله كتبت ما أنت أعلم به مني أن أمتي قد قرءوا كتابك وذكروا اسمك وزاروا قبري رجاء أن تغفر لهم اللهم اغفر لهم فطارت الصحيفة فبينما نحن كذلك وإذا بصحيفة أخرى قد أقبلت فيها بسم الله الرحمن الرحيم من العزيز الحكيم إلى محمد عبدي ورسولي كتبت إلى مما أنا أعلم به منك إن أمتك قد قرءوا كتابي وذكروا اسمي وزاروا قبرك رجاء أن أغفر لهم قد غفرت لهم. عبادة ألف عام قال يا أنس جاء الحق وزهق الباطل أي هلك إن الباطل كان زهوقا بر الوالدين أحب إلي وإلى الله من عبادة ألف عام قال أبو ذر يا رسول الله أوصني قال أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله فقلت يا رسول الله زدني قال عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء قلت يا رسول الله زدني قال إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه قلت يا رسول الله زدني قال قل الحق وإن كان مرا قلت يا رسول الله زدني قال لا تخف في الله لومة لائم قلت يا رسول الله زدني قال عليك بطول الصمت فإنه مطرد للشيطان وعون لك على أمر دينك قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي قال بعضهم الرهبانية السياحة في الأرض وكان في الزمن الأول إذا قوي الخوف على أحدهم ساح في الأرض ولذا سمي عيسى عليه السلام مسيحا لسياحته في الأرض وقيل أنه ما مسح ذا عاهة إلا شفاه الله وأما المجال فهو مسيح لأنه يمسح الأرض كلها إلا مكة والمدينة فلا يدخلها سمي دجالا لأن الدجل هو التمويه والتغطية يقال رجل دجل وامرأة دجلة إذا موها ودجل الحق أي غطاه بالباطل قلت يا رسول الله زدني قال أحبب المساكين وجالسهم وسيأتي بيانهم في باب الزكاة إن شاء الله تعالى قلت يا رسول الله زدني قال انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن تزدري نعمة الله عليك قلت يا رسول الله زدني قال ليردك عن الناس ما تعلمه في نفسك وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك رواه ابن حبان في صحيحه وقال الحاكم صحيح الإسناد.. الثانية: قال عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن في المسجد فقال إني رأيت البارحة رجلا من أمتي جاءه ملك الموت لقبض روحه فجاءه بر والديه فرده عنه ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من بين أيديهم ورأيت رجلا من أمتي والنبيون

حلقا حلقا كلما دنى من حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة وأخذ بيده وأقعده إلى جاني ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة.. الثالثة: أن عبد الرحمن بن سمرة راوي الحديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة عشر". (١)

٣٥٣. ١٦٤-"حديثا وأبوه صحابي أيضا روى مائة وثلاثين حديث ... لطيفة: قال **بعض الصالحين** كنت نائما عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته قد خرج من قبره ومعه صاحباه فدعا بقرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الله كتبت ما أنت أعلم به مني أن أمتي قد قرءوا كتابك وذكروا اسمك وزاروا قبري رجاء أن تغفر لهم اللهم اغفر لهم فطارت الصحيفة فبينما نحن كذلك وإذا بصحيفة أخرى قد أقبلت فيها بسم الله الرحمن الرحيم من العزيز الحكيم إلى محمد عبدي ورسولي كتبت إلى مما أنا أعلم به منك إن أمتك قد قرءوا كتابي وذكروا اسمي وزاروا قبرك رجاء أن أغفر لهم قد غفرت لهم.

؟

باب فضل الصلوات ليلا ونهارا ومتعلقاتها

قال الله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال أنس رضى الله عنه كان رجل يصلى الخمس مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش إلا ارتكبه فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال إن صلاته تنهاه يوما فلم يلبث أن تاب وحسن حاله فقال ألم قل لكم إن صلاته تنهاه يوما ذكره الثعلبي ... مسألة: فرضت الصلاة بمكة ليلة المعراج قاله في الروضة وأجاب في الفتاوى بأنها فرضت قبل الإسراء والصواب الأول قال في شرح المهذب من أراد الاستكثار من الصلوات أو الصوم فالصلوات أفضل وصوم يوم أفضل من صلاة ركعتين ... لطيفة: قال نجم الدين النسفي في تفسيره قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله أنت أحسن من يوسف أم هو أحسن منك فقال هو أحسن مني خلقا وأنا أحسن منه خلقا أي بضم الخاء فنزل جبريل وقال يا محمد أخبرني الكريم أن نورك ونور يوسف اقترنا في صلب آدم فصار الحسن والجمال ليوسف والصلوات المكتوبة والزكاة

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١/١٠٤

المفروضة والسيادة والسعادة والزهد والقناعة والرفعة والشفاء لك يا محمد ... حكاية: رأيت في الترهة للنيسابوري أن رجلا راود امرأة عن نفسها فأخبرت زوجها بذلك فقال قولي له صل خلف زوجي أربعين صباحا حتى أطيعك فما تريد فقالت له ففعل ثم دعته إلى نفسها فقال إني تبت إلى الله عز وجل فأخبرت زوجها فقال صدق الله العظيم في قوله: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.. لطيفة: قال العلائي في تفسيره سورة العنكبوت الصلاة عرش الموحدين فإنه يجتمع فيها ألوان العبادات كما أن الغرس يجتمع فيه ألوان الطعامات فإذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى عبدي مع ضعفك أتيت بألوان العبادة قياما وركوعا وسجودا وقراءة وتهليلا وتحميدا وتكبيرا وسلاما فأنا مع جلالي لا يحصل مني أن أمنعك جنة فيها ألوان النعيم أوجبت لك الجنة ونعيمها كما عبدتني بأنواع العبادة وأكرمك برؤيتي كما عرفتني بالوحدانية فإني لطيف أقبل عذرك وأقبل منك الخير برحمتي فإني أجد من أعذبه غيرك من الكفار وأنت لا تجد إلها غيري يغفر سيئاتك عبدي لك بكل ركعة قصر في الجنة وحوراء وبكل سجدة نظرة إلى وجهي وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة مرضاة الرب وحب الملائكة وسنة الأنبياء ونور المعرفة وأصل الإيمان وإجابة الدعاء وقبول الأعمال وبركة في الرزق وسلاح". (١)

٣٥٤. ١٦٥-"بمن يصلي بين المغرب والعشاء وفي الأحياء إذا صلى العبد ركعتين عجبت منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف ملك لأن الراكعين منهم لا يسجدون إلى يوم القيامة والساجدين لا يرفعون والقائمين لا يركعون إلى يوم القيامة وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم أسكنه الله حظيرة القدس قلت فإن صلى أربعا كمن حج حجة بعد حجة قلت فإن صلى ستا قال يغفر الله له ذنوب خمسين سنة ... فائدة: ذكر في عوارف المعارف أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال هي الصلاة بين العشاءين وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر رواه الطبراني وقال صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له غراسا لو طافه أهل الدنيا

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١٠٥/١

لوسعهم ... حكاية: قال عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه كنت في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة فرأينا رجلا يعبد صنما فقلنا له ما هذا إله يعبد وعندنا من يصنع مثله قال فأنتم من تعبدون قلنا إلها في السماء عرشه وفي الأرض بطشه قال من أخبركم به قلنا أرسل إلينا رسولا فأخبرنا به قال فما فعل الرسول قلنا قبضه الملك إليه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا ترك عندنا كتاب الملك قال فائتوني به فأتيناه بالمصحف وقرأنا عليه سورة الرحمن فلم يزل يبكي حتى ختمنا السورة وقال ما ينبغي لصاحب هذا الكلام أن يعصي فأسلم وحسن إسلامه وعلمناه شرائع الإسلام فلما كان الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا فقال يا قوم هذا الإله الذي دللتموني عليه أينام قلنا هو حي قيوم لا ينام قال بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فلما خرجنا من البحر ودخلنا عبادان أردنا أن نعطيه دراهم فسأل لا إله إلا الله دللتموني على طريق ولم تسلكوها أنا كنت أعبد غيره فلا يضيعني فكيف يضيعني وأنا الآن أعرفه فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل أنه في النزع فدخلت عليه وقلت هل من حاجة قال قضى حوائجي الذي أخرجني من الجزيرة فنمت عنده فرأيت جارية في قبة روضة خضراء وهي تقول الله عجلوا به فقد طال شوقي إليه فاستيقظت وقد مات فدفنته فرأيته في المنام في تلك القبة وهو يقرأ قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ... حكاية: كان بعض الصالحين يقوم الليل فنام ليلة فقيل له قم فصل أما علمت مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل وهم خزنتها ... فائدة: في الترغيب والترهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعمل بمائة ألف صلاة وصلاة بأرض الرباط بألفي ألف صلاة وأكثر من ذلك كله ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا ما عند الله وعن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة الآية في التطوع بعد العشاء يقول الله تعالى يوم القيامة يا ملائكتي إن لعبدي عندي عهدا وأنا أولى بوفاء العهد أدخلوه الجنة فنعم الأمين رب العزة قال في الأحياء". (١)

٣٥٥. ١٦٦-"السيف فأرسل إليه غنما ضعافا فنزل جبريل وقال يا محمد إن الله تعالى قد نزع لباس الإيمان من قلبه وألبسه لباس الكفر فذلك قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله الآية حكاه الرازي عن غير ثعلبة ثم أنه جاء بالصدقة فلم يقبلها النبي صلى الله عليه وسلم منه

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١/١٢٢

فإن قيل كيف جاز للنبي صلى الله عليه وسلم أن لا يقبلها وقد أمره تعالى بأخذها قال خذ من أموالهم صدقة قال الرازي لا يبعد أن الله تعالى منعه من قبولها لئلا يمتنع غيره من أدائها ويحتمل أنه أتى بها على وجه الرياء ... موعظة: قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جاءه يوم القيامة شجاع من نار فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وذكر في الحديث الإبل والبقر والغنم إذا لم يؤد زكاتها تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما مر أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقال صلى الله عليه وسلم ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة. وقال عليه السلام الزكاة قنطرة الإسلام رواه الطبراني ... لطيفة: الكافر يحرم دمه وماله بأخذ الجزية منه كذلك المؤمن يحرم لحمه ودمه على النار في الآخرة إذا أخرج الزكاة بطيب نفس.
نزع لباس الإيمان من قلبه وألبسه لباس الكفر فذلك قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله الآية حكاه الرازي عن غير ثعلبة ثم أنه جاء بالصدقة فلم يقبلها النبي صلى الله عليه وسلم منه فإن
قيل كيف جاز للنبي صلى الله عليه وسلم أن لا يقبلها وقد أمره تعالى بأخذها قال خذ من أموالهم صدقة قال الرازي لا يبعد أن الله تعالى منعه من قبولها لئلا يمتنع غيره من أدائها ويحتمل أنه أتى بها على وجه الرياء ... موعظة: قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جاءه يوم القيامة شجاع من نار فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وذكر في الحديث الإبل والبقر والغنم إذا لم يؤد زكاتها تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما مر أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقال صلى الله عليه وسلم ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة. وقال عليه السلام الزكاة قنطرة الإسلام رواه الطبراني ... لطيفة: الكافر يحرم دمه وماله بأخذ الجزية منه كذلك المؤمن يحرم لحمه ودمه على النار في الآخرة إذا أخرج الزكاة بطيب نفس.

فصل في زكاة الأعضاء وهي كفها عن المحرمات

قال الله تعالى إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا قال الغزالي ضرر الكلام الذي يقع في الأذن أشد من ضرر الطعام الذي في البطن فإن الإنسان يتغوطه والكلام قد يبقى جميع العمر والمستمع شريك المتكلم وفي الحديث من سمع حديث قوم وهم يكرهون صب في أذنيه الآنك وهو بالمد الرصاص المذاب وقال صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله وعين بكت من خشية الله وعين كفت عن محارم الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل

للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال ... حكاية: قال **بعض الصالحين** رأيت رجلا في الطواف وهو يقول اللهم إني أعوذ بك من سهم غائر فسألته عن ذلك فقال كنت طائفا فنظرت بعيني الواحدة إلى غلام حسن الوجه فأصابني سهم من الهواء فأخرجته من عيني فرأيت عليه مكتوبا نظرت إلى الحرام بعينك الواحدة للعبرة فرميناك بسهم الأدب ولو نظرت بعين الهوة لرميناك بسهم القطيعة على قلبك حتى ينكر معرفتنا والغائر هو الذي لا يعلم راميه ... مسئلة: يحرم النظر إلى الأمرد الحسن بشهوة وغيرها ويحرم على الرجل أن ينظر إلى أمه أو أخته أو عمته مثلا بشهوة حتى إلى جاريته قبل الاستبراء وهو حيضة كاملة أو شهران لم تحض إلا أن تكون مسبية فيحل نظره إليها ووطؤها حتى تستبرئ والله أعلم ... لطيفة: يوسف عليه السلام لما حفظ عينيه سلم من البلاء وزليخا مدت عينيها فوقعت في البلاء وآدم نظر إلى الشجرة فهبط من الجنة وقابيل لما نظر إلى أخت هابيل وقع في العذاب وإبراهيم لما نظر إلى ولده إسماعيل أمر بذبحه فلذلك قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ... لطيفة: دخل رجل الجامع وفيه الإمامان الشافعي وأحمد فقال الشافعي". (١)

٣٥٦. ١٦٧-"بين عيدين وهما يوما سرور للمؤمن، ولا سرور للمؤمن أكثر من غفران ذنوبه ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كفارة سنة واحدة لأنه لموسى عليه السلام وكرامة النبي صلى الله عليه وسلم تتضاعف على غيره قال الروياني ليس لنا عبادة تكفر ما بعدها غير صوم يوم عرفة قال الزركشي في قواعده وليس كما قال ففي الحديث الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما وزيادة ثلاثة أيام وزكاة الفطر طهرة للصائم ويجوز تقديمها من أول رمضان وإن تأخرت كانت رافعة وإن تقدمت كانت دافعة أي تدفع عن الصائم الوقوع في الإثم ويقع السؤال عن هذا التكفير هل هو ممن عليه ذنب أم هو عام فيقال إن كان عليه ذنوب فيكفرها وإلا فيعطى من الثواب بقدر ما يكفر ذلك القدر لو كان عليه ذنب وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة قصورا من در وياقوت وزبرجد وذهب وفضة قلت يا رسول الله لمن هي قال لمن صام يوم عرفة يا عائشة من أصبح صائما يوم عرفة فتح الله عليه ثلاثين بابا من الخير وأغلق عنه ثلاثين بابا من الشر فإذا أفطر وشرب الماء استغفر له كل عرق في جسمه وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت نعم اليوم يوم عرفة يوم خير وبركة

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١٤٢/١

ويوم رحمة ومغفرة فمن صامه جعل الله له نصيبا في ثواب من حضر الموقف وباعده الله عن النار سبعين خريفا وعن الفضل بن العباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ لسانه وبصره يوم عرفة غفر له إلى يوم عرفة وقال عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبقى أحد يوم عرفة في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا غفر له قال رجل لأهل عرفة يا رسول الله أم للناس عامة قال بل للناس عامة ... حكاية: قال ابن جارود خرجت أنا وصاحب لي في طلب العلم فمررنا عشية عرفة على مدينة قوم لوط فقلت لصاحبي ندخل هذه المدينة ونشكر الله على ما عافانا مما ابتلاهم به فبينما نحن نطوف اذ رأيت رجلا كوسجا أغبر الوجه فقلنا له من أنت فتغافل عنا فقلنا له لعلك إبليس قال نعم قلنا له من أين أقبلت قال هذا وجهي من عرفات كنت أشفيت صدري من قوم أذنبوا منذ خمسين سنة فنزلت الرحمة عليهم في هذا اليوم فجعلت التراب على رأسي أنظر هؤلاء المعذبين حتى يسكن غضبي ... لطيفة: الكوسج من قل شعر وجهه وانحصر عن عارضية وقال في الروضة الكوسج عند أبي حنيفة من عدد أسنانه ثمانية وعشرون وهي مذكورة في باب الأمانة ... حكاية: قال العباس بن مرداس رضي الله عنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة لأمته فأجيب بأني قد كفرت لهم ما خلا الظالم فإني آخذ للمظلوم حقه فقال أي رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجبه عشية عرفة فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما عن ذلك فقال إن عدو الله إبليس لما علم أن الله تعالى قد استجاب دعادي وغفر لأمتي أخذ التراب وجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكني ما رأيت من جزعه ... حكاية: قال ابن عباس رضي الله عنهما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة وله أربعة وعشرون ألف جناح مكللة بالدر والياقوت منسوجة بألوان الجواهر، وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك اذهب إلى الطائف فإن فيها ألفا وخمسمائة صنم تعبد من دون الله، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى التوحيد فأعرضوا وأرسلوا له جارية فقالت من أنت فقال محمد رسول الله فسألته عن مسائل فأجابها فقالت إكشف عن ظهرك فلما رأت خاتم النبوة قبلته وأسلمت فلما رجعت إلى أبيها وأخبرته بإسلامها أخذ أوتادا من حديد محمية على النار وعذبها فقالت هذا لمن يطلب الفردوس قليل فلما ماتت طرحوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكفنها وصلى عليها ثم قال والذي نفسي بيده ما ماتت حتى رأت منزلها في الجنة ثم جاء جبريل وقال يا محمد إن القوم قد اجتمعوا على قتلك بكلاب ضارية فلما أقبل

النبي صلى الله عليه وسلم أرسلوا الكلاب وقالوا عليكم بمحمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بحق يوم عرفة اصرف عني هذه الكلاب فخضعت له فقال عليك بأصحابك فوثبت الكلاب عليهم فرموها بالأحجار فوقع حجر في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فنزل خمسة من الملائكة وقال كل منهم إن ربك يأمرني أن أطيعك فما تريد فبكى وقال إن الله تعالى أرسلني رحمة ولم يبعثني عذابا ثم قال اللهم بحق آدم وإبراهيم وعيسى ورمضان ويوم عرفة ارزقهم الإيمان قال ابن عباس فوالله لقد صلينا الظهر والقوم أجمعون خلف النبي صلى الله عليه وسلم.. حكاية: قال **بعض الصالحين** رأيت رجلا بمكة يقول اللهم بحق صائمي عرفة لا تحرمني ثواب عرفة فقلت له في ذلك فقال كان والدي يدعو بهذا الدعاء فلما مات رايته في المنام فقلت له في ذلك فقال كان والدي يدعو بهذا الدعاء فلما مات رأيته في المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بهذا الدعاء ولما وضعت في قبري جاءني نور فقيل لي هذا ثواب عرفة قد أكرمناك به ... لوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجبه عشية عرفة فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما عن ذلك فقال إن عدو الله إبليس لما علم أن الله تعالى قد استجاب دعادي وغفر لأمتي أخذ التراب وجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكني ما رأيت من جزعه ... حكاية: قال ابن عباس رضي الله عنهما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة وله أربعة وعشرون ألف جناح مكللة بالدر والياقوت منسوجة بألوان الجواهر، وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك اذهب إلى الطائف فإن فيها ألفا وخمسمائة صنم تعبد من". (١)

٣٥٧. ١٦٨-"دون الله، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى التوحيد فأعرضوا وأرسلوا له جارية فقالت من أنت فقال محمد رسول الله فسألته عن مسائل فأجابها فقالت إكشف عن ظهرك فلما رأت خاتم النبوة قبلته وأسلمت فلما رجعت إلى أبيها وأخبرته بإسلامها أخذ أوتادا من حديد محمية على النار وعذبها فقالت هذا لمن يطلب الفردوس قليل فلما ماتت طرحوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكفنها وصلى عليها ثم قال والذي نفسي بيده ما ماتت حتى رأت منزلها في الجنة ثم جاء جبريل وقال يا محمد إن القوم قد اجتمعوا على قتلك بكلاب ضارية فلما أقبل النبي صلى الله عليه وسلم أرسلوا الكلاب وقالوا عليكم بمحمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بحق يوم عرفة اصرف

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١/١٧٢

عني هذه الكلاب فخضعت له فقال عليك بأصحابك فوثبت الكلاب عليهم فرموها بالأحجار فوقع حجر في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فنزل خمسة من الملائكة وقال كل منهم إن ربك يأمرني أن أطيعك فما تريد فبكى وقال إن الله تعالى أرسلني رحمة ولم يبعثني عذابا ثم قال اللهم بحق آدم وإبراهيم وعيسى ورمضان ويوم عرفة ارزقهم الإيمان قال ابن عباس فوالله لقد صلينا الظهر والقوم أجمعون خلف النبي صلى الله عليه وسلم.. حكاية: قال بعض الصالحين رأيت رجلا بمكة يقول اللهم بحق صائمي عرفة لا تحرمني ثواب عرفة فقلت له في ذلك فقال كان والدي يدعو بهذا الدعاء فلما مات رايته في المنام فقلت له في ذلك فقال كان والدي يدعو بهذا الدعاء فلما مات رأيته في المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بهذا الدعاء ولما وضعت في قبري جاءني نور فقيل لي هذا ثواب عرفة قد أكرمناك به ...

فائدة: أكرم الله هذه الأمة بصيام عرفة وأكرم فيه أربعة من الأنبياء أكرم آدم بالتوبة وموسى بالتكليم ومحمد بالحج وإكمال الدين وإبراهيم بفداء الذبيح وهو إسماعيل كما تقدم في باب المحبة قال النيسابوري في تفسيره هربت هاجر من سيدتها سارة فقال لها ملك إلى أين قالت أهرب من سيدتي قال ارجعي واخضعي لها فإن الله تعالى يكثر ذريتك وستحبلين وتلدين ولدا إسمه إسماعيل يكون عين الناس فلما أمر إبراهيم بذبحه في المنام لأن منام الأنبياء وحي وقيل أن الله تعالى أمر جبريل بذلك فقال يا رب بيني وبينه صداقة وهو شيخ كبير وما بشرته إلا بخير فلا أبشره بهذا فحوله الله تعالى في المنام ليلة عرفة فلما أصبح ذبح مائة من الغنم فجاءت نار فأكلتها فظن أنه في فقيل له ليلة الأضحى خليل الرحمن قرب ولدك إسماعيل فلما أصبح قال لأمه إغسلي رأسه وادهنيه ففعلت فلما خرج جاء الشيطان وقال يا هاجر إن إبراهيم يريد ذبح إسماعيل قالت ولم قال زعم أن الله تعالى أمره فقالت سلمنا الأمر لله فلحق إسماعيل وقال له كما قال لأمه فرد عليه كما ردت عليه أمه ثم قال يا إبراهيم تريد ذبح ولدك قال نعم قال جاءك شيطان في المنام فقال إليك عني يا عدو الله فلما وصل إلى الجبل قال يا بني إني أريد أن أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ولكن إذا أضجعتني فشد وثاقي لئلا يصيبك من دمي وكن على البلاء صابرا وادفع قميصي إلى أمي ليكون لها تذكرة وأقرئها السلام مني وإن سألتك عني فقل تركته عند من هو خير منك ومني فقال إبراهيم يا رب إرحم ضعفي وكبر سني فإن لم ترحمني فارحم هذا الولد الصبي الصغير الذي لا ذنب له وكان عمره سبع سنين وقيل ثلاثة عشر

فضجت الملائكة". (١)

٣٥٨. ١٦٩-"على الكعبة والأصنام تعبد من دون الله فبكت الكعبة وقالت يا رب هذا نبي من أنبيائك وقومه من أوليائك مروا علي ولم يطوفوا بي فأوحى الله تعالى إليها لأملانك وجوها سجدا وأبعث نبيا في آخر الزمان هو أحب الأنبياء إلي وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدون وأفرض على عبادي فريضة يحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهرك من الأوثان ثم أمر الله سليمان أن ينزل بمكة ويقرب قربانا ففعل وذبح حول الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة ثم مر على طيبة فقال هذه دار هجرة نبي آخر الزمان طوبى لمن آمن به وصدقه ... فوائد.. الأولى: عن جعفر الصادق رضي الله عنه أن رجلا سأل والده عن ابتداء البيت فقال أن الله تعالى قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها فغضب عليهم فطافوا بالعرش سبعة أيام يسترضون ربهم فرضي عنهم وقال ابنوا لي بيتا في الأرض يتعوذ به من سخطت عليه من بني آدم فأرضى عنه فبنوا هذا البيت وقال مجاهد أن الله تعالى خلق موضع البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفي عام وأن قواعده في الأرض السابعة.. الثانية: بكة إسم المسجد ومكة بالميم اسم لكل البلد وقال القشيري سميت بكة لازدحام الناس في الطواف ولأنهم يبذلون الأموال والأرواح في التوجه إليها.. الثالثة: قال في مجمع الأحباب من كمال الحج أنه لا يجب في العمر إلا مرة واحدة ومن كماله أنه يشبه غيره من العبادات فالإحرام به كالإحرام بالصلاة وأذكار الطواف والوقوف كأذكار الصلاة والسعي والطواف كالركوع والإقامة في ورمي الجمرات كالجهاد والوقوف بعرفة والمشعر الحرام وهو جبل صغير في آخر المزدلفة كالإعتكاف، والنفقة فيه كالزكاة فمن حج فكأنما أتي بهذه العبادة وقال النبي صلى الله عليه وسلم " الحجاج والعمار وفد الله تعالى يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا الدرهم ألف ألف " رواه البيهقي في رواية الطبراني أيضا النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف وعنه صلى الله عليه وسلم إذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله فإن مات قبل أن يقضي نسكه وقع أجره على الله وإن بقي حتى يقضي نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل أربعين ألف ألف فيما سواه أخرجه الحافظ زكي الدين وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ومن

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١/١٧٣

استغفر له الحاج رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم حكاية ذكر النسفي رحمه الله تعالى أن بعض الصالحين حج فلما انصرف من عرفات ذكر أنه نسي هيمانه فرجع إلى عرفات فوجد فيه قردة وخنازير ففزع منهم فقيل له لا تخف إنما نحن ذنوب الحجاج تركونا وانصرفوا طاهرين فأخذ ماله وانصرف متعجبا وقال صلى الله عليه وسلم وهو على عرفات أيها الناس أتاني جبريل آنفا فأقرأني ربي السلام وقال أن الله غفر لأهل الموقف ولأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله هذا لنا خاصة قال لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة فقال عمر كثر خير الله وطاب ... فائدة: قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يقف عشية عرفة بالموقف ويستقبل القبلة بوجهه ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو". (١)

٣٥٩. ١٧٠-"على كل شيء قدير مائة مرة ثم يقرأ قل هو الله أحد مائة مرة ثم يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم مائة مرة إلا قال الله تعالى يا ملائكتي ما جزاء عبدي سبحني وهللني وكبرني وعظمني وأثنى علي وصلى على نبي يا ملائكتي إني قد غفرت له وشفعته في نفسه ولو سألني عبدي لشفعته في أهل الموقف رواه البيهقي وقال صلى الله عليه وسلم من صلى تحت الميزاب ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ومن صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وأعطي من الحسنات بعدد من صلى خلفه وأمنه الله يوم الفزع الأكبر ... حكاية: قال الجنيد رحمه الله تعالى رأيت رجلا يستقي من ماء زمزم فسقطت ركوته فقال وعزتك لأن لم تسقني لأغضبن فطلع الماء إلى أعلى البئر فشرب فلما انصرف قلت له كيف كنت تغضب قال على نفسي فأمنعها الماء سنة وقال بعض الصالحين رأيت رجلا يستقي من زمزم فقلت اسقني فأسقاني فإذا هو عسل ثم في

اليوم الثاني رأيته يستقي فقلت له اسقني فأسقاني لبنا ثم في اليوم الثالث رأيته يستقي فقلت له اسقني فأسقاني ماء فقلت له من أنت قال سفيان الثوري قال صلى الله عليه وسلم في ماء زمزم أنه طعام طعم وشفاء وسقم وقوله صلى الله عليه وسلم طعم هو بضم الطاء وسكون العين أي يشبع من شربه وكان ابن عباس إذا شربه يقول اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا من كل علة ... فوائد.. الأولى: يقال في الحج يا رب أتيتك من مشقة بعيدة مؤملا معروفك فأنلني معروفا من معروفك تغنني

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١/١٨٣

به عن معروف من سواك يا معروفا بالمعروف.. الثانية: ذكر الحسن البصري رضي الله عنه أن حول الكعبة ثلثمائة نبي منهم بين الحجر الأسود والركن اليماني سبعون نبيا ماتوا من القملى والجوع وقبر اسماعيل وأمه تحت الميزاب.. الثالثة: قال وهب رضي الله عنه مكتوب في التوراة أن الله تعالى يبعث إلى الكعبة سبعين ألف ملك بسلاسل من ذهب يقودونها إلى المحشر فينادي ملك بالكعبة يا كعبة الله سيري فتقول حتى أعطى سؤالي فيقول سلي فتقول يا رب شفعني في جيراني الذين دفنوا حولي من المؤمنين فيقال لها قد أعطيتك سؤلك ثم يقال يا كعبة الله سيري فتقول حتى أعطى سؤلي فيقال سلي فتقول يا رب عبادك المذنبون الذين جاءوني من كل فج عميق أسألك أن تؤمنهم من الفزع الأكبر فينادي ألا من زار الكعبة فليعزل فيجمعهم الله تعالى حول الكعبة بيض الوجوه ثم يقال يا كعبة الله سيري فتقول لبيك اللهم ثم يجرونها إلى المحشر فأول من يحشر محمد صلى الله عليه وسلم فتقول يا محمد اشتغل بمن لم يزرني وأما من زارني فهو في شفاعتي وقال في كتاب شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الكعبة تستأذن ربها في زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فيأذن لها فتقول يا نبي الله لا تهتم بثلاثة فإني أشفع لهم من طاف بي ومن خرج ولم يبلغني ومن اشتهى الوصول إلي ولم يجد سبيلا.. الرابعة: لما أمر الله إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة أرسل الله إليه جبريل فأخبره بقدر موضعها وقيل أرسل الله إليه سحابة فأظلته فبنى على قدرها وقيل أرسل الله ريحا فكشف له عن أساسها فلما فرغ قال الله تعالى وأذن في الناس بالحج فمنك النداء ومني البلاغ يأتوك". (١)

٣٦٠. ١٧١-"قال بعض الصالحين رأيت رجلا في الطواف يقول يا سيدي ما فعلت بالمحرم فسألته عن ذلك فقال كنا عشرة نجاهد في سبيل الله فأخذنا العلو فأمر كبيرهم بضرب رقابنا فنظرت في الهواء فرأيت عشرة من الحور العين فكلما ضرب عنق واحد نزلت جارية ومعها منديل من الجنة فتأخذ روحه وتصعد بها إلى السماء فلما انتهى إلى السياف تقربت مني جارية فحصل في شفاعة فتركوني فصعدت وهي تقول يا محروم يا محروم ... حكاية: لما حاصر النبي صلى الله عليه وسلم خيبر جاءه عبد أسود فقال يا رسول الله اعرض علي الإسلام فأسلم ثم قال يا رسول الله إني أرعى غنما ليهودي فما أصنع فقال اضرب في وجوهها التراب فسترجع إلى صاحبها فرمى في وجوهها التراب وقال ارجعي إلى صاحبك فرجعت إليه كأن سائقا يسوقها ثم قاتل مع المسلمين حتى قتل فأتوا به إلى النبي صلى الله

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١/١٨٤

عليه وسلم فأعرض عنه فقيل له يا رسول الله ولم أعرضت عنه قال إن معه زوجته من الحور العين تنفض التراب عن وجهه وتقول ترب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك ... لطيفة: رأيت في كتاب العرائس للثعلبي رحمه الله تعالى أن رجلا كان يلعن إبليس كل يوم ألف مرة ثم نام يوما في ظل حائط فأيقظه رجل وقال إن الحائط يريد أن ينقض فما تم كلامه حتى وقع الحائط فقال من أنت فقال إبليس فقال كيف تفعل هذا معي وأنا ألعنك في كل يوم ألف مرة فقال حتى لا تكون شهيدا..
فائدة: الشهداء تسع من مات تحت هدم والغريب والمقتول دون ماله والمبطون والمطعون والغريق والحريق وذوات الطلق والمقتول في سبيل الله خصوصا إذا غزا في البحر قال النبي صلى الله عليه وسلم غزوة في البحر خير من عشرة غزوات في البر رواه البيهقي والمقتول ظلما شهيدا أيضا كماشطة بنت فرعون قال ابن عباس سقط المشط من ماشطة بنت

فرعون فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون ألك إله غير أبي فقالت إلهي وإله أبيك وإله السموات والأرض إله واحد فأخبرت فرعون بذلك فطلبها وسألها عن ذلك فقالت نعم فعذبها بالأوتاد ثم ذبح بنتها الكبيرة وهم بذبح الصغيرة فانزعجت الأم فقالت يا أماه وهي ممن تكلم في المهد لا تجزعي فإن الله تعالى بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فإنك تصيرين إليه فلما رأت آسية ذلك عاتبت فرعون فقال لعل الجنون الذي أصابها أصابك فقالت ما بي جنون ولكن إلهي وإلهك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له فمزق ثيابها وضربها ضربا شديدا ثم أرسل إلى أبيها وقال إن الجنون الذي بالماشطة قد أصاب آسية فقالت أشهد أن ربي وربكم ورب السموات والأرض واحد قال أبوها يا آسية قد زوجك إله العالمين وأنت أجمل النساء قالت أعوذ بالله من ذلك إن كان قولكما حقا فليتوجني تاجا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فعاقبها فرعون بالأوتاد ففتح الله لها بابا إلى الجنة ليهون عليها العذاب فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة وقد تقدم في باب المحبة قال ابن عباس لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم مرت به رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة قال ريح ماشطة بنت فرعون قال مؤلفه هاتان السعيدتان رضي الله عنهما ومثلهما من قتله الكفار أسيرا ليسوا من شهداء الدنيا الذين لا يغسلون ولا يصلي عليهم فإن عمر وعثمان قتلا ظلما وغسلا وصلى عليهما فهؤلاء شهداء الآخرة دون الدنيا قلت هذا مذهب الشافعي وأما مذهب أبي حنيفة الماشطة وامرأة فرعون وعمر وعثمان وكل من يقتل ظلما بمحدد وعلم قاتله يكون شهيد الدنيا والآخرة فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ومثلهم المطعون والمبطون وكذلك الحامل إذا ماتت بعد اجتماع

حملها كما أفتى به النووي وأما شهيد الدنيا والآخرة الذي لا يغسل ولا يصلى عليه وله ثواب خاص في الآخرة فهو الذي مات في قتال الكفار وبسبب القتال فإن عاد إليه سهمه أو وقع عن فرسه أو في بئر أو جاءه سهم من مسلم أو كافر أو وجد بعد انكشاف الحرب قتيلا ولم يعلم سبب موته وإن لم ير عليه أثر الدم ... حكاية: ذكر النسفي رحمه الله تعالى أن رجلا كان مجاهد في سبيل الله فإن فرغ من القتال نفض ثيابه وجمع غبارها حتى جمع غبارا في بعض أيام ثم جعله لبنة وأوصى أن تكون تحت رأسه في قبره ففعلوا ذلك فرآه بعض أصحابه في منامه فسأله عن حالة فقال كفر لي ببركة اللبنة ... حكاية: خرج جماعة من المسلمين للجهاد فأخذهم العدو فأمرهم ملك كافر بدخولهم في دينه فأبوا فقتلهم إلا واحدا رغب فيه ثم أمره أيضا بالدخول في دينه وله من الأموال كذا وكذا فأبى فأدخله بيته ووضع عنده جارية جميلة فلم يلتفت إليها وقرأ سورة الفتح إلى قوله تعالى محمد رسول الله فبكت الجارية وأسلمت وقالت اخرج بنا إلى بلادكم فخرجا ليلا فلما طلع الفجر سمعا صهيل الخيل فقالت له الجارية قد جاء الطلب في أثرنا فارجع إليهم لعلهم أصحابك فرجع فإذا هم أصحابه الذين قتلوا فقالوا نحن أصحابك الشهداء عند الله وستلحق بنا بعد أربعين وقيل أن الله تعالى رزقه منها أولادا وقاتلوا في سبيل الله تعالى وكان ذلك في أيام عمر رضي الله عنه وقال النسفي أنها كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ... فائدة: قال عمرو بن العاص رضي الله عنه إذا قتل العبد في سبيل الله ذهبت روحه مع الملائكة إلى دار الشهداء في قباب من حرير في رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الموت يسبت في أنهار الجنة فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه أي يذبحه فيأكلون لحمه ويجدون في كل رج طيبة ويظل الثور في فناء الجنة يرتع فإذا أصبح وكزه الحوت بذنبه فيذكيه فيأكلون لحمه ويجدون فيه كل رائحة طيبة وذكر العلائي أن أرواح الشهداء تركع وتسجد تحت العرش إلى يوم القيامة ويشاركهم في ذلك أرواح المؤمنين إذا ناموا على وضوء قال في شرح المهذب سمي الشهيد شهيدا لأن الله تعالى ورسوله شهدوا له بالجنة وقيل لأن ملائكة الرحمة يشهدون روحه فيقبضونها وقيل لأن روحه تشهد دار السلام وروح غيره لا تشهدها إلى يوم القيامة. فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون ألك إله غير أبي فقالت إلهي وإله أبيك وإله السموات والأرض إله واحد فأخبرت فرعون بذلك فطلبها وسألها عن ذلك فقالت نعم فعذبها بالأوتاد ثم ذبح بنتها الكبيرة وهم بذبح الصغيرة فانزعجت الأم فقالت يا أماه وهي ممن تكلم في المهد لا تجزعي فإن الله تعالى بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فإنك تصيرين إليه فلما رأت آسية ذلك عاتبت فرعون فقال لعل الجنون الذي أصابها أصابك فقالت ما بي جنون

ولكن إلهي وإلهك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له فمزق ثيابها وضربها ضربا شديدا ثم أرسل إلى أبيها وقال إن الجنون الذي بالماشطة قد أصاب آسية فقالت أشهد أن ربي وربكم ورب السموات والأرض واحد قال أبوها يا آسية قد زوجك إله العالمين وأنت أجمل النساء قالت أعوذ بالله من ذلك إن كان قولكما حقا فليتوجني تاجا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فعاقبها فرعون بالأوتاد ففتح الله لها بابا إلى الجنة ليهون عليها العذاب فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة وقد تقدم في باب المحبة قال ابن عباس لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم مرت به رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة قال ريح ماشطة بنت فرعون قال مؤلفه هاتان السعيدتان رضي الله عنهما ومثلهما من قتله الكفار أسيرا ليسوا من شهداء الدنيا الذين لا يغسلون ولا يصلي". (١)

٣٦١. ١٧٢-"أن يقف موقف التهم الثاني: أظهر الله تعالى شرفه حيث أبح له ما طريقة الغزو للقهر وهو الغنائم وحرم الله عليه ما طريقة الذل والإنكسار وهو
الصدقة الثالث: أنه كان صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والمتصدق إنما يتصدق على سبيل الترحم فلو أحلت له الصدقة لكان مرحوما للخلق لا رحما بهم وكانوا له رحمة ولا يكون الرابع لو أحلت له الصدقة لكان المعطى له خيرا منه لأنه صلى الله عليه وسلم قال اليد العليا خير من اليد السفلى الخامس: عرضت عليه كنوز الأرض فلم يقبلها من ربه فكيف يقبل القليل من غيره فإن قيل كيف قال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة ولاشك أن الصدقة بدرهم من عشرة تصير تسعة فالجواب أن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع بيد السائل فيربيها كما يربي أحدكم فلوه فهنا في الحقيقة زيادة لا نقصان والفلو بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو وهو المهر كما صرح به في رواية أخرى حيث قال صلى الله عليه وسلم كما يربي أحدكم مهره أو فصيله قال في الترغيب والترهيب الفصيل ولد الناقة فإن قيل كيف قال صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من البلاء ونحن نرى من يتصدق ثم يبتلى فالجواب من وجهين الأول أنها تدفع البلاء حال الصدقة الثاني تدفع بلاء العقوبة لا بلاء المثوبة ... فائدة: الصدقة أربعة أحرف صاد تصون صاحبها من مكاره الدنيا والآخرة ودال تدله على طريق النجاة وقاف تقربه إلى ربه عز وجل وهاء تهديه إلى الأعمال الصالحات ... حكاية: قال **بعض الصالحين** رأيت حية فقالت أجرني أجارك الله فقال من أنت قالت أنا من أهل التوحيد فدفع

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١٩٣/١

لها فاه فدخلت جوفه فإذا برجل معه سيف فسأله عنها فلم يجدها فرجع الرجل حيث جاء فقالت الحية للرجل إن شئت ضربتك في كبدك أو غيره قال ولم قالت لأنك عملت المعروف مع غير أهله فقال لها أمهليني حتى احفر لي قبرا فنزل عليه ملك فأطعمه شيئا فنزلت الحية قطعا فقال من أنت قال أنا المعروف الذي فعلته مع الحية قال عيسى عليه السلام استكثروا من شيء لا تأكله النار قيل ما هو قال المعروف في الحديث أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف رواه الطبراني في الأوسط قيل معناه أنهم يكونون في الآخرة أهلا معروف الله كما كانوا في الدنيا أصحاب المعروف لأجل الله وقيل وصفهم بذلك لأنهم تكرموا بأموالهم في الدنيا والآخرة بحسناتهم للمذنبين من هذه الأمة قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة يأتي الله بقوم من أمتي فيدخلهم الجنة بغير حساب ويأتي الله بقوم فيحاسبهم فيقول الله تعالى يا عبادي من نبيكم فيقولون محمد صلى الله عليه وسلم فيقول هل زيد في سيئاتكم فيقولون لا فيقول هل نقص من حسناتكم شيء فيقولون لا فيقول يا عبادي على من كان اتكالكم فيقولون على حسن ظننا بك فيأمر الله رضوان بإخراج الذين أدخلهم بغير حساب فيدعوهم فيقول هؤلاء إخوانكم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد زادت سيئاتهم فهبوا لهم من حسناتكم فيبون لهم فيدخلون الجنة فلذلك قال أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة في الحديث أن السد يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف ...". (١)

٣٦٢. ١٧٣-"فإذا بغار في جبل فأتاه فإذا فيه أسد عظيم فوضع رأسه على رأسه وقال يا إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله إليه مأواك في مستقر رحمي ولأزوجنك مائة حوراء يوم القيامة ولآمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم ... حكاية: قال بعض الصالحين رأيت في المنام رجلا يطلب غزالة وخلفه أسد فقتله قبل لمن يلحق الغزالة وهكذا إلى تمام المائة وكلما قتل الأسد واحدا وقفت الغزالة عند رأسه فتعجب من ذلك فقال الأسد لا تعجب أنا ملك الموت والغزالة هي الدنيا وهؤلاء طلابها أقتلهم واحدا بعد واحد فإن قيل كيف أمطر الله على أيوب جرادا من ذهب قيل جعله الله عوضا من الدود فالجراد نعمة للطائع وعقوبة للعاصي لأنه مخلوق من الذنوب وذلك أن المريض تلقى ذنوبه في البحر فيخلق الله منها التمساح فإذا

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٧/٢

مات صار دودا ثم جرادا بإذن الله تعالى ... موعظة: ذكر العلائي في سورة النحل أن إبليس يعرض الدنيا على من يريدها كل يوم فيقول من يشتري شيئا يضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره فيقول عشاقها وأصحابها نحن فيقول إنها معيوبة فيقولون لا بأس فيقول ثمنها ليس بالدرهم ولا بالدينار ولكن بنصيبكم من الجنة فإن اشتريتها بأربعة أشياء بلعنة الله وغضبه وسخطه وعذابة وبعت الجنة بها فيقولون نعم فيبيعهم إياها على ذلك ثم يقول بئست التجارة ورأيت في سفينة الأبرار أن الله تعالى خلق الدارين ونصب لهما دلالين فدلال الجنة محمد صلى الله عليه وسلم وبائعها المولى وثمنها التوحيد وبذل المال والنفس ودلال الدنيا إبليس ومشتريها الراغبون وثمنها ترك الدنيا وقال بعض الحكماء الدنيا ميراث المغرورين ومسكن البطالين وسوق الراغبين وميدان الفاسقين ومراح الكافرين وسجن المؤمنين ومزبلة المتين زاد مؤلفه ومزرعة للعالمين ... لطيفة: لما مر سليمان بوادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وإنما قالت ذلك خوفا على قلوبهم أن تميل إلى الدنيا فلما سلم عليها سليمان قالت وعليك السلام أيها الفاني المشتغل بملكك فأنت تظن يا سليمان أن ذلك أمرا ونهيا فأنا نملة ضعيفة لي أربعون ألف مقدم تحت يد كل مقدم أربعون صنفا من النمل كل صنف من المشرق والمغرب فقال كيف تلبسون السواد قالت لأن الدنيا دار مصيبة ولباس أهل المصائب السواد قال فما هذا الحز الذي في وسطك قالت هذه منطقة الخدمة للعبودية قال فما بالكم تبعدون عن الخلق قالت لأنهم في غفلة فالبعد عنهم أولى قال فما بالكم عراة قالت هكذا ولدنا إلى الدنيا وهكذا نخرج منها قال فكم تأكلين قالت حبة أو حبتين قال ولم قالت لأنا على سفر والمسافر كلما خف حمله خف ظهره قال اطلبي مني حاجة قالت أنت عاجز والطلب منك غير جائز قال لابد من الطلب قالت زد في رزقي وفي عمري قال اطلبي شيئا يكون في يدي قالت إن الله يقضي حوائج المحتاجين قال ما اسمك قالت منذرة أنذر أصحابي من الدنيا الساحرة وأرغبهم في الآخرة وفي رواية اسمها طاحية وفي رواية أخرى حرمن ثم قالت يا سليمان ما أفخر ما أوتيت في ملكك قال الخاتم لأنه من الجنة قالت تعلم معناه يعني الذي أعطيناك من". (١)

٣٦٣. ١٧٤-"خرج مالك بن دينار بعد صلاة العشاء لحاجة فرأى الثلج نازلا من السماء يمينا وشمالا فتفكر في تطاير الصحف إلى طلوع الفجر ونسي حاجته قالت عائشة رضي الله عنها هل

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١٣/٢

تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا الأول عند تطاير الصحف والثاني عند الميزان والثالث عند الصراط قال أنس بن مالك رضي الله عنه سألتك يا رسول الله أن تشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل ذلك غدا إن شاء الله تعالى قلت فأين أطلبك قال عند الصراط قلت فإن لم ألقك قال عند الميزان قلت فإن لم ألقك قال عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاثة قال بعض العلماء الصحيح أن الحوض يرده الناس قبل الميزان ومال إليه القرطبي ... مسألة: لو قال أنت طالق كالثلج أو كالنار وقع الطلاق في الحال نقله الرافعي في آخر الباب الأول من أبواب الطلاق كما قال أبو حنيفة ... لطيفة: الثلج في المنام رزق لمن أكله في وقته وإن كان كثيرا فهو عذاب لأنه آية من الآيات التي أرسلها الله على بني إسرائيل ومن وقع عليه ثلج أصابه هم ... لطيفة: رأيت في عظة الألباب أن **بعض الصالحين** في بغداد رأى صبيا على باب مكتب يبكي فسأله عن ذلك فقال كتب لي المعلم في اللوح سطرا أبكاني فقلت ما هو قال بسم الله الرحمن الرحيم ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون تهديد بعد تهديد وتخويف بعد تخويف يخوف الله به عباده فقال له أخر بكاءك إلى غد فإنه يكتب لك أبلغ من هذا قال وما يكتب قال قوله تعالى لترون الجحيم إلى آخرها فاضطرب الصبي فسقط ميتا فوثب إليه المعلم وقال أنت قتلته فأخبر أهله فرفعوه إلى الخليفة فقص عليه القصة فقال دعوه فقد أسرع الصبي الصالح إلى منازل السعداء ... حكاية: رأيت في كتاب نرجس القلوب كان في الزمن الأول عبد تمادى في طغيانه وزاد في عصيانه فتداركه الله بلطفه فقال لزوجته هل من شفيع يشفع لي قالت لا قال أتوب إلى الله قالت لا تذكره فقد أفسدت المعاملة بينك وبينه فخرج إلى الصحراء وقال يا سماء اشفعي لي ويا أرض اشفعي لي فما زال كذلك حتى وقع مغشيا

عليه فبعث الله إليه ملكا فأجلسه ومسح وجهه وقال أبشر فقد قبل الله توبتك فقال من كان شفيعي إليه قال خوفك ... حكاية: خرج عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ومعه أصحابه إلى السفر فوضعوا سفرة ليأكلوا فمر عليهم راع فدعاه ابن ابن عمر ليأكل فقال إني صائم قال في مثل هذا الحر وأنت ترعى الغنم قال أبادر أيامي الخالية قال فهل لك أن تبيعنا من غنمك قال إنها لمولاي قال فما يقول لك مولاك إن قلت أكلها الذئب فولى الراعي وهو يقول فأين الله فأين الله فما زال ابن عمر يقول قال الراعي أين الله أين الله حتى قدم المدينة فسأل عن الغلام فاشتراه وأعتقه واشترى الغنم ووهبها له وقال أعتقتك كلمتك في الدنيا وأرجو أن تعتقك في الآخرة لطيفة: النخلة إذا نبتت في الأرض الباردة

كانت سريعة التلف وثمرها رديء كذلك القلب إذا كان باردا من خشية الله كان عمله قليلا ويخاف عليه عند الموت من زوال الإيمان والعياذ بالله تعالى ... موعظة: قال سفيان الثوري رضي الله عنه قال الله تعالى لجبريل ادن فدنا ثم قال ادن فدنا فقال تعالى ألم أكرمك ألم أرسلك قال بلى ولكن وعزتك لا آمن مكرك قال كذلك كن ورأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول إلهي إلهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي فإن الفراق بعد الوصال شديد والهجران بعد القرب أليم ... حكاية: قال ابن عباس رضي الله عنهما قدم وفد من العرب على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم شاب فقال الشاب للشيوخ انطلقوا وآمنوا بمحمد وأنا أحفظ رحالكم ففعلوا ثم جاء الشاب وتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال أستجير بك من النار فقال دعه يا غلام فقال والذي بعثه بالحق لا أقتله حتى يجيرني من النار فنزل جبريل وقال أخبره أن الله قد أجاره منها ... موعظة: في قصة بلعام بن باعوراء وبرصيصا عبرة لأولي الألباب فالأول عبد الله أربعمائة عام ثم مكر الله به فحول وجهه إلى عبادة الشمس وقد تقدم في فصل الفاتحة أنه لم يشكر الله يوما من الأيام بزيادة والثاني عبد الله مائة عام وكان مجاب الدعوة فأرسل له ملك زمانه ابنته له ليدعو لها فقال إبليس اتركها عندك الليل فلما كان من الليل وسوس له حتى واقعها فقال اقتلها وإلا فضحتك بين الناس فقتلها فأخبر إبليس الملك بذلك فأمر بصلبه فجاء إبليس وقال من فعل هذا بك قال أنت من يخلصك قال أنت قال فاسجد لي فسجد له بالإشارة فمات كافرا والعياذ بالله تعالى ... فائدة: قال الترمذي الحكيم رأيت رب العزة فقلت يا رب أخاف من زوال الإيمان قال قل بين سنة الفجر والفريضة يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا محيي الموتى برحمتك يا أرحم الراحمين. فبعث الله إليه ملكا فأجلسه ومسح وجهه وقال أبشر فقد قبل الله توبتك فقال من كان شفيعي إليه قال خوفك ... حكاية: خرج عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ومعه أصحابه إلى السفر فوضعوا سفرة ليأكلوا فمر عليهم راع فدعاه ابن ابن عمر ليأكل فقال إني صائم قال في مثل هذا الحر وأنت ترعى الغنم قال أبادر أيامي الخالية قال فهل لك أن تبيعنا من غنمك قال إنها لمولاي قال فما يقول لك مولاك إن قلت أكلها الذئب فولى الراعي وهو يقول فأين الله فأين الله فما زال ابن عمر يقول قال الراعي أين الله أين الله حتى قدم المدينة فسأل عن الغلام فاشتراه وأعتقه واشترى الغنم ووهبها له وقال أعتقتك كلمتك في الدنيا وأرجو أن تعتقك في الآخرة لطيفة: النخلة إذا نبتت في الأرض الباردة كانت سريعة التلف وثمرها رديء كذلك القلب إذا كان باردا من خشية الله كان عمله قليلا ويخاف عليه

عند الموت من زوال الإيمان والعياذ بالله تعالى ... موعظة: قال سفيان الثوري رضي الله عنه قال الله تعالى لجبريل ادن فدنا ثم قال ادن فدنا فقال تعالى ألم أكرمك ألم أرسلك قال بلى ولكن وعزتك لا آمن مكرك قال كذلك". (١)

٣٦٤. ١٧٥-".. حكاية: قال **بعض الصالحين** كنت أقطع الطريق فرأيت على الدجلة نخلتين إحداهما رطبة عليها رطب والأخرى يابسة ورأيت طيرا يأخذ الرطب ويضعه في رأس اليابسة فصعدت إليها فرأيت حية عمياء والطير يأخذ الرطب ويضعه في فمها فقلت يا رب هذه حية أمر النبي بقتلها أقمت لها طيرا يأخذ الرطب ويأتي إليها برزقها وأنا أشهد لك بالوحدانية ثم أقمتني في قطع الطريق فهتف بي هاتف يقول بابي مفتوح للقاصدين فكسرت سيفي وقلت التوبة التوبة فقال الهاتف قد قبلناك وكنت قد انفردت على أصحابي فسمعوني أقول التوبة التوبة فلما جئتهم سألوا عن ذلك قلت كنت مطرودا فوقع الصلح فقالوا ونحن نصالح معك أيضا فنزعنا ثيابنا وخرجنا نريد مكة فدخلنا قرية وإذا بعجوز تقول أفيكم فلان الكردي فقلت هو أنا فأخرجت ثيابا وقالت هذه ثياب ولدي أردت أن أتصدق بها فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال أعطي هذه الثياب لفلان الكردي فأخذها وقسمتها بين أصحابي وفي الخبر إذا تاب العبد توقد توبته بين السماء والأرض سبعين قنديلا وينادي المنادي ألا وإن العبد قد اصطلح مع ربه ... لطيفة: مر **بعض الصالحين** على راع يرعى غنما والذئاب معها فقال متى اصطلح الذئب مع الغنم قال لما اصطلح الراعي مع الله ... فائدة: رأيت في تفسير النيسابوري عن عائشة رضي الله عنها قالت لما أراد الله أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء فصلى ركعتين وقال اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤالي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته لي ورضني بما قسمت لي فأوحى الله إليه يا آدم غفرت لك ذنبك ولن يأتيني أحد من ذريتك يدعو بمثل ما دعوتني إلا غفرت له ذنوبه وكشفت غمومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها قال النيسابوري وهذا يقتضي أن التوبة بعد الهبوط والصحيح أنها قبله فلذلك أعاد الأمر بالهبوط مرة ثانية بقوله تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا لأن آدم وحواء لما أكلا من الشجرة قال لهما اهبطوا بعضكم لبعض عدو فلما تابا وقع في أنفسهما أن الهبوط ارتفع

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٣٥/٢

بالتوبة فأمرهما بالهبوط ثانيا ليعلما أن حكمه باق وتحقيقا للوعد بقوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة ... لطيفة: وجدت المعصية من المؤمن لأن روحه وجدت بالمجاورة من ريح الكافر في صلب آدم والكافر يفعل الحسنة لأن روحه وجدت ريح المؤمن أيضا فإذا كان يوم القيامة بسط الله بساط الحكمة ويضع عليه أعمال العباد فتهب ريح فيطير كل جنس إلى جنسه فتطير معصية المؤمن إلى معصية الكافر وتطير حسنة الكافر إلى حسنات المؤمن ويرث كل من المؤمن والكافر
منزل الآخر في الدار التي أعدها الله له وذلك لأن كل منهما له منزل في الجنة ومنزل في النار فإذا مات المؤمن ورث منزله في الجنة ومنزل الكافر أيضا فيصير له منزلان إذا مات الكافر ورث منزل المؤمن في النار ومنزله فيصير له منزلان ذكره النسفي رحمه الله ... مسألة: اختلف العلماء في حد الكبيرة على أقوال كثيرة جمعها أبو طالب المكي فقال أربع في القلب وهي الإصرار على المعصية والشرك بالله واليأس من رحمة الله والأمن من مكر الله وثلاثة في البطن وهي شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا واثنان في الفرج الزنا واللواط واثنان في اليد السرقة والقتل وواحدة في الرجلين وهي الفرار من الزحف وواحدة في البدن وهي عقوق الوالدين وأربع في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصنات والسحر واليمين الغموس وهي التي يتعمد فيها الكذب سميت بذلك لأنه تغمس صاحبها في الإثم ونار جهنم ولا كفارة لها عند أبي حنيفة وأحمد وقال الشافعي يكفرها الصوم وهي ثلاثة أيام ولو في كل شهر يوم ولا يجوز قطع صومها بخلاف الإثنين والخميس وإذا كان عاجزا عن أحد الثلاث عتق رقبة مؤمنة بلا عيب يخل بالعمل والكسب أو كسوة عشرة مساكين بما يسمى كسوة وإطعامهم بالسوية وهو الأحق كل مسكين مد الطعام وهو ثلاثة أواق بالدمشقي من غالب قوت بلده ... موعظة: أمر نوح عليه الصلاة والسلام أن لا يقرب الذكر الأنثى في السفينة فخالفه الكلب فأخبرته الهرة فطلبه فحلف ثم عاد مرة أخرى فسألت الهرة ربها أن يمسك عليه حتى يراه نوح فاستمر ذلك فيه عقوبة له إلى يوم القيامة قال القرطبي في تفسيره أن العنز امتنعت من الدخول إلى السفينة فمسكها جبريل بذنبها فإستمر ذنبها موفقا من سوء المخالفة ... فائدة: قال كعب الأحبار لولا هؤلاء الكلمات لجعلتني اليهود حمارا يعني من سحرهم وهي هذه أعوذ بوجهه العظيم الذي ليس شيء أعظم منه وبكلماته التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ ونقل العلائي عن ابن عباس رضي الله عنهما من قرأ عند النوم قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله الآية لا يضره كيد ساحر ولا تكتب على مسحور إلا دفع الله عنه السحر

وقال البرماوي في شرح البخاري ومما ينفع الرجل إذا حبس عن أهله أي منع الجماع أن يأخذ سبع ورقات سدر أخضر ويدقها بين حجرين ويخلط بماء ويقرأ عليه آية الكرسي وكل سورة أولها قل ويلحس منه ثلاث لحسات ثم يغتسل بالباقي فإنه أنجح له والله أعلم في صحيح مسلم من مشى إلى عراف وصدقه لم تقبل صلاته أربعين يوما في غيره إذا دخل منكر ونكير على ميت مشى إلى كاهن يقول أحدهما لصاحبه أرى منه ريح الكاهن فينفخ عليه نفخة فيشتعل بها نارا ... حكاية: يقال كان في زمن موسى عليه السلام رجل لا يستقيم على توبة فأوحى الله إلى موسى قل له لا تفسد توبتك فإن رجعت إلى معصيتك عاقبتك ولا أقبل توبتك فبلغه الرسالة فصبر أياما ثم رجع إلى المعصية فأوحى الله إلى موسى قل له أني غضبت عليه فبلغه الرسالة فخرج إلى الصحراء. وقال يا إلهي ما هذه الرسالة التي أرسلتها إلي مع موسى أنفذت خزائن عفوك أم ضرتك معصيتي أو بخلت على عبادك وأي ذنب أعظم من عفوك حتى تقول لا أغفر لك فكيف لا تغفر لي والكرم من صفاتك فإذا أيست عبادك من رحمتك فمن يرجون وإن طردتهم فمن يقصمون اللهم إن كانت رحمتك نفدت ولابد من عذابي فاجعل علي ذنوب عبادك فإني فديتهم بنفسي فأوحى الله إلى موسى قل له لو كانت ذنوبك مطبقة بين السماء والأرض لغفرتها لك كما عرفتني بكمال العفو والرحمة ... حكاية: كان ببغداد رجل مسرف على نفسه وله أم صالحة وكان كلما عمل معصية كتبها في ديوان فبينما هو ذات ليلة وإذا بالباب يطرق فخرج فوجد امرأة جميلة فقال ما حاجتك قالت عندي أيتام ما أكلوا طعاما منذ ثلاثة أيام فقال ادخلي فعرفت منه الفساد فقالت معاذ الله فجنبها كرها عنها فقالت يا كاشف كل شدة اعصمني منه ثم قالت اسمع ما أقول، فقالت: شعر: منزل الآخر في الدار التي أعدها الله له وذلك لأن كل منهما له منزل في الجنة ومنزل في النار فإذا مات المؤمن ورث منزله في الجنة ومنزل الكافر أيضا فيصير له منزلان إذا مات الكافر ورث منزل المؤمن في النار ومنزله فيصير له منزلان ذكره النسفي رحمه الله ... مسألة: اختلف العلماء في حد الكبيرة على أقوال كثيرة جمعها أبو طالب المكي فقال أربع في القلب وهي الإصرار على المعصية والشرك بالله واليأس من رحمة الله والأمن من مكر الله وثلاثة في البطن وهي شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا واثنان في الفرج الزنا". (١)

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٣٧/٢

٣٦٥. ١٧٦-"وصدق أنس وصدق محمد وصدق جبريل أنا قلت ذلك فطيبني وألبسني سبعين حلة وجعل على رأسي تاجا

ومشى بين يدي الولدان المخلدون إلى الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله تعالى فإن حسن الظن بالله تعالى ثمن الجنة وقال ابن مسعود والله الذي لا إله إلا الله لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه ظنه حكاه القرطبي في التذكرة ورأيت في شرح البخاري لابن أبي جمرة أن **بعض الصالحين** كان خطيبا فلما مات قيل له ما فعل بك الملكان في قبرك قال لما سألاني ارتج علي الجواب بساعة وإذا بشاب حسن الوجه قد دخل علي وعلمني الجواب فقلت له من أنت قال أنا عملك قلت ما أبطأك عني قال كنت تأخذ أجر الخطابة من السلطان فقلت ما أكلت منها شيئا بل كنت أفرقها فقال لو أكلتها ما جئتك وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حرم الجنة على جسد غذي بحرام وقال ابن عباس لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام ... فائدة: قال رجل يا نبي الله أدبرت الدنيا عني وقلت ذات يدي فقال أين أنت من صلاة الملائكة وتسبح الخلائق وبها يرزقون أن تقول ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الغداة مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله تأتيك الدنيا راكدة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه ... موعظة: قال الحسن البصري مكتوب على وجه الأرض من أحب الدنيا أبغضه الله ومن أبغضها أحبه الله قال ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا ثلاثة أقسام قسم المؤمنين يتزودون به إلى الآخرة وقسم يتزين به المنافقون وقسم يتمتع به الكافرون قال الحناطي الزهد ثلاثة أحرف الزاي ترك الزينة والهاء ترك الهوى والمال ترك الدنيا ... حكاية: خرج علي بن أبي طالب للصلاة فوجد شيخا يمشي أمامه فمشى خلفه ولم يتقدم عليه إكراما لشيبته واحتراما له فلما ركع النبي صلى الله عليه وسلم وضع جبريل عليه السلام جناحه على ظهره فكلما أراد أن يرفع منعه جبريل حتى أدركه علي لكنه حديث موضوع وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى ينظر إلى وجه الشيخ صباحا ومساء ويقول كبر سنك ودق عظمك ورق جلدك واقترب أجلك فاستح مني فإني أستح منك وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من جزع من الشيب إبراهيم عليه السلام فقال يا رب ما هذه الشوهة التي شوهت بخليلك فأوحى الله إليه هذا سربلا الوقار ونور الإسلام وعزتي وجلالي ما ألبسته أحدا من خلقي يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي إلا استحييت منه يوم القيامة أن انصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا أو أعذبه بالنار فقال

يا رب زدني وقارا فأصبح وأمه ولحيته مثل الثغامة البيضاء قال الإمام النووي في شرح المهذب الثغامة بفتح الثاء المثلثة وتخفيف الغين المعجمة نبات له زهر أبيض قال الحناطي لما ولدت سارة اسحق وهي ابنة مائة وعشرين سنة فقال قومه أما تنظرون فإن الشيخين قد وجدا غلاما لقيطا فاتخذاه ولدا لا يولد لمثلهما فألقى الله تعالى شبه إبراهيم على اسحق عليهما السلام ثم ميز الله إبراهيم بالشيب وذلك أن كفا طلع من السماء وبين إصبعيه شعرة بيضاء فجعلت تدنو من إبراهيم حتى ألقاها على رأسه عليه السلام وقال ابن عباس إذا طلبت من أحد حاجة فلا تطلبها ليلا ولا من ورائه فإن الحياء في العينين وقال بعض العلماء يجب أن يكون الحاكم شيخ عالم بمصالح الرعية لأن نظر الشيخ أتم من نظر الشاب قال بعض الفضلاء: شعر: بين يدي الولدان المخلدون إلى الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله تعالى فإن حسن الظن بالله تعالى ثمن الجنة وقال ابن مسعود والله والله الذي لا إله إلا الله لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه ظنه حكاه القرطبي في التذكرة ورأيت في شرح البخاري لابن أبي جمرة أن بعض الصالحين كان خطيبا فلما مات قيل له ما فعل بك الملكان في قبرك قال لما سألاني ارتج علي الجواب بساعة وإذا بشاب حسن الوجه قد دخل علي وعلمني الجواب فقلت له من أنت قال أنا عملك قلت ما أبطأك عني قال كنت تأخذ أجر الخطابة من السلطان فقلت ما أكلت منها شيئا بل كنت أفرقها فقال لو أكلتها ما جئتك وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حرم الجنة على جسد غذي بحرام وقال ابن عباس لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام ... فائدة: قال رجل يا نبي الله أدبرت الدنيا عني وقلت ذات يدي فقال أين أنت من صلاة الملائكة وتسبح الخلائق وبها يرزقون أن تقول ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الغداة مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله تأتيك الدنيا راكدة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه ... موعظة: قال الحسن البصري مكتوب على وجه الأرض من أحب الدنيا أبغضه الله ومن أبغضها أحبه الله قال ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا ثلاثة أقسام قسم المؤمنين يتزودون به إلى الآخرة وقسم يتزين به المنافقون وقسم يتمتع به الكافرون قال الحناطي الزهد ثلاثة أحرف الزاي ترك الزينة والهاء ترك الهوى والمال ترك الدنيا ... حكاية: خرج علي بن أبي طالب للصلاة فوجد شيخا يمشي أمامه فمشى خلفه ولم يتقدم عليه إكراما لشيبته واحتراما له فلما ركع النبي صلى الله عليه وسلم وضع جبريل عليه السلام جناحه على ظهره فكلما أراد أن يرفع منعه جبريل حتى أدركه علي لكنه حديث موضوع وعن أنس عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال إن الله تعالى ينظر إلى وجه الشيخ صباحا ومساء ويقول كبر سنك ودق عظمك ورق جلدك واقترب أجلك فاستح مني فإني أستح منك وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من جزع من الشيب إبراهيم عليه السلام فقال يا رب ما هذه الشوهة التي شوهت بخليلك فأوحى الله إليه هذا سربلا الوقار ونور الإسلام وعزتي وجلالي ما ألبسته أحدا من خلقي يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي إلا استحييت منه يوم القيامة أن انصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا أو أعذبه بالنار فقال يا رب زدني وقارا فأصبح وأمه ولحيته مثل الثغامة البيضاء قال الإمام النووي في شرح المهذب الثغامة بفتح الثاء المثلثة وتخفيف الغين المعجمة نبات له زهر أبيض قال الحناطي لما ولدت سارة اسحق وهي ابنة مائة وعشرين سنة فقال قومه أما تنظرون فإن الشيخين قد وجدا غلاما لقيطا فاتخذاه ولدا لا يولد لمثلهما فألقى الله تعالى شبه إبراهيم على اسحق عليهما السلام ثم ميز الله إبراهيم بالشيب وذلك أن كفا طلع من السماء وبين إصبعيه شعرة بيضاء فجعلت تدنو من إبراهيم حتى ألقاها على رأسه عليه السلام وقال ابن عباس إذا طلبت من أحد حاجة". (١)

٣٦٦. ١٧٧-"لو كانت لك واحدة من هذه العشرة لدخلت الجنة معي كالسبابة والوسطى ثم يصعد الملك حتى ينتهى إلى العرش فيقول بن فلان ابن فلان يصلى على محمد مرة واحدة فيقول الله تعالى بلغه عني عشرا وقل له كانت لك واحدة من هذه العشرة لما مستك النار أبدا ثم يقول عظموا صلاة عبد على نبي واجعلوها في عليين ثم يخلق الله من كل صلاة بكل حرف ملكا له ثلثمائة وستون رأسا في كل رأس ثلثمائة وستون وجها في كل وجه ثلثمائة وستون فما في كل فم ثلثمائة وستون لسانا يسبح الله تعالى ويكتب ثواب ذلك لمن صلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا سألتم الله حاجة فابدأوا بالصلاة علي فإن الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي أحدهما ويرد الأخرى وعن البراء بن عازب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كل دعاء محجوب عن السماء حتى يصلي على محمد وعن العباس ابن عبد المطلب قال أحدقت النظر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عم هل من حاجة قلت نعم لما أرضعتك حليمة وأنت ابن أربعين يوما رأيتك تخاطب القمر ويخاطبك بلغة لم أفهمها قال يا عم قرصني القماط في جانبي الأيمن فأردت أن أبكي فقال لي القمر لا تبك فلو قطر من دموعك قطرة على الأرضين قلب الله الخضراء على الغبراء فصعق العباس

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٥٨/٢

فقال أزيدك يا عم قال نعم قال قرصني القماط في جانبي الأيسر فأردت أن أبكي فقال لي القمر لا تبك يا حبيب الله فإن وقع من دموعك قطرة على الأرض لم تنشق الأرض عن خضرة إلى يوم القيامة فسكت شفقة على أمتي فصعق العباس وقال أكنت تعلم ذلك وأنت ابن أربعين يوما فقال يا عم والذي نفسي بيده لقد كنت أسمع صرير القلم على اللوح المحفوظ وأنا في ظلمة الأحشاء أفأزيدك يا عم قال نعم قال والذي نفسي بيده إن الله بعث مائة ألف في وأربعة وعشرين ألف نبي ما فيهم نبي علم أنه نبي حتى بلغ

أشده وهو أربعين سنة إلا عيسى فإنه لما نزل من جوف أمه وقال إني عبد الله قد آتاني الكتاب وابن أخيك أفأزيدك يا عم قال نعم قال لما ولدت ليلة الإثنين خلق الله سبعة جبال في السموات السبع وملأها من الملائكة ما لا يحصيهم إلا الله تعالى يسبحون الله ويقدسونه إلى يوم القيامة ويجعل ثواب تسبيحهم وتقديسهم لعبد ذكرت بين يديه فصلى فأزعج أعضاء العباس بالصلاة على النبي ذكره في شوارد الملح وهو موضوع قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة وجهر بها شهد له كل حجر ومدر ورطب ويابس وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله وكل بقبري ملكين فلا أذكر عند عبد فلا يصلى علي إلا قال الملكان لا غفر الله لك ويقول الله وملائكته آمين ولا أذكر عند عبد فيصلي علي إلا قال الملكان غفر الله لك ويقول الملائكة آمين وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بأبخل الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من ذكرت عنده فلم يصل علي فلذلك أبخل الناس ورأيت في الشفاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن البخيل كل البخل من ذكرت عنده فلم يصل علي وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على محمد إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لم يروا من الثواب كمن صلى علي وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي فقد أخطأ طريق الجنة قال في الرسالة القشيرية أوحى الله تعالى إلى موسى إني جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامي وعشرة آلاف لسان حتى أجبتني وأحب ما تكون إلي إذا أكثرت الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم في غيرها أوحى الله تعالى إلى موسى أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بشرك إلى عينك وأن لا ينالك عطش يوم القيامة قال فأكثر من الصلاة على محمد ورأيت في الملاذ والإعتصام بالصلاة على محمد والسلام أن موسى عليه السلام ضرب بعصاه البحر عشر مرات فلم ينفلق فأوحى الله يا موسى صل على محمد فصل على محمد وضربه فانفلق بإذن الله ورأيت في تفسير القرطبي في سورة الأحزاب

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد يسلم علي إذا أنا مت إلا جاءني سلامه مع جبريل فيقول يا محمد هذا فلان ابن فلان يقرأ عليك السلام فأقول وعليه السلام ورحمة الله وبركاته وقال في سورة الرعد قال عثمان يا رسول الله كم ملك مع العبد قال ملك عن يمينك وملك عن شمالك وملك بين يديك وملك خلفك وملك على ناصيتك فإذا تواضع رفعه الله وإذا تكبر وضعه وإذا تجبر على الله قصمه وملكان على شفتيك لا يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد وملك على فمك لا يدع الحية تدخل في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك مع كل آدمي وتقدم في باب الزهد زيادة قال جبريل يا محمد إن الله تعالى لما خلقني مكثت عشرة آلاف سنة لا أثيم ما اسمى ثم ناداني يا جبريل فعرفت إسمي جبريل فقلت لبيك اللهم لبيك فقال قدسني فقدسته عشرة آلاف سنة ثم قال مجدني فمجدته عشرة آلاف سنة ثم قال احمدني فحمدته عشرة آلاف سنة ثم كشف لي عن ساق العرش فرأيت سطرا مكتوبا ففهمني إياه فإذا هو لا إله إلا الله محمد رسول الله قلت يا رب من محمد رسول الله فقال يا جبريل لولا محمد ما خلقتك بل لولاه ما خلقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا يا جبريل صل على محمد فصليت عليه عشرة آلاف سنة ... حكاية: قال بعض الصالحين خرجت أيام الربيع فقلت اللهم صل على محمد عدد أوراق الأشجار وصل على محمد عدد الأزهار والثمار وصل على محمد عدد قطر البحار وصل على محمد عدد رمل القفار وصل على محمد عدد ما في البر والبحار فهتف بي هاتف أتعبت الحفظة في كتابة ثواب ما قلت إلى آخر الدهر والأعمار واستوجبت من الكريم الغفار جنات عدن فنعم عقبى الدار. أشده وهو أربعين سنة إلا عيسى فإنه لما نزل من جوف أمه وقال إني عبد الله قد آتاني الكتاب وابن أخيك أفأزيدك يا عم قال نعم قال لما ولدت ليلة الإثنين خلق الله سبعة جبال في السموات السبع وملأها من الملائكة ما لا يحصيهم إلا الله تعالى يسبحون الله ويقدسونه إلى يوم القيامة ويجعل ثواب تسبيحهم وتقديسهم لعبد ذكرت بين يديه فصلى فأزعج أعضاء العباس بالصلاة على النبي ذكره في شوارد الملح وهو موضوع قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة وجهر بها شهد له كل حجر ومدر ورطب ويابس وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله وكل بقبري ملكين فلا أذكر عند عبد فلا يصلى علي إلا قال الملكان لا غفر الله لك ويقول الله وملائكته آمين ولا أذكر عند عبد فيصلي علي إلا قال الملكان غفر الله لك ويقول الملائكة آمين وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بأبخل الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من ذكرت عنده فلم يصل علي فلذلك أبخل الناس ورأيت في الشفاء عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال إن البخيل كل البخل من ذكرت عنده فلم يصل علي وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على محمد إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لم يروا من الثواب كمن صلى علي وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي فقد أخطأ طريق الجنة قال في الرسالة القشيرية أوحى الله تعالى إلى موسى". (١)

٣٦٧. ١٧٨-"إني جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامي وعشرة آلاف لسان حتى أجبتني وأحب ما تكون إلي إذا أكثرت الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم في غيرها أوحى الله تعالى إلى موسى أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بشرك إلى عينك وأن لا ينالك عطش يوم القيامة قال فأكثر من الصلاة على محمد ورأيت في الملاذ والإعتصام بالصلاة على محمد والسلام أن موسى عليه السلام ضرب بعصاه البحر عشر مرات فلم ينفلق فأوحى الله يا موسى صل على محمد فصل على محمد وضربه فانفلق بإذن الله ورأيت في تفسير القرطبي في سورة الأحزاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد يسلم علي إذا أنا مت إلا جاءني سلامه مع جبريل فيقول يا محمد هذا فلان ابن فلان يقرأ عليك السلام فأقول وعليه السلام ورحمة الله وبركاته وقال في سورة الرعد قال عثمان يا رسول الله كم ملك مع العبد قال ملك عن يمينك وملك عن شمالك وملك بين يديك وملك خلفك وملك على ناصيتك فإذا تواضع رفعه الله وإذا تكبر وضعه وإذا تجبر على الله قصمه وملكان على شفتيك لا يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد وملك على فمك لا يدع الحية تدخل في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك مع كل آدمي وتقدم في باب الزهد زيادة قال جبريل يا محمد إن الله تعالى لما خلقني مكثت عشرة آلاف سنة لا أثيم ما اسمى ثم ناداني يا جبريل فعرفت إسمي جبريل فقلت لبيك اللهم لبيك فقال قدسني فقدسته عشرة آلاف سنة ثم قال مجدني فمجدته عشرة آلاف سنة ثم قال احمدني فحمدته عشرة آلاف سنة ثم كشف لي عن ساق العرش فرأيت سطرا مكتوبا ففهمني إياه فإذا هو لا إله إلا الله محمد رسول الله قلت يا رب من محمد رسول الله فقال يا جبريل لولا محمد ما خلقتك بل لولاه ما خلقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا يا جبريل صل على محمد فصليت عليه عشرة آلاف سنة ... حكاية: قال **بعض الصالحين** خرجت أيام الربيع فقلت اللهم صل على محمد عدد أوراق الأشجار وصل على

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٨٤/٢

محمد عدد الأزهار والثمار وصل على محمد عدد قطر البحار وصل على محمد عدد رمل القفار وصل على محمد عدد ما في البر والبحار فهتف بي هاتف أتعبت الحفظة في كتابة ثواب ما قلت إلى آخر الدهر والأعمار واستوجبت من الكريم الغفار جنات عدن فنعم عقبى الدار.
فوائد.. الأولى: قال فقاتل خلق الله تعالى ملكا تحت العرش على رأسه فؤابة قد أحاطت بالعرش ما من شعرة إلا عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا صلى العبد على النبي صلى الله عليه وسلم لم تبق شعرة إلا استغفرت له ... الثانية: حصل **لبعض الصالحين** حصر بول فرأى في منامه الشيخ العارف شهاب الدين بن رسلان فشكا إليه ذلك فقال أين أنت من الترياق المجرب قل اللهم صل وسلم على روح سيدنا محمد في الأرواح وصل وسلم على قلب سيدنا محمد في القلوب وصل وسلم على جسد سيدنا محمد في الأجساد وصل وسلم على قبر سيدنا محمد في القبور فلما استيقظ أكثر من ذكرها فعافاه الله تعالى وقد تقدم في باب الدعاء أن الفجل مع الحليب ينفع من حصر البول وتقدم في باب الكرم أن ورقه ينفع من هذه العلة.. الثالثة: قال بعض العارفين كنت في مركب فعصفت علينا الريح فأشرفنا على الغرق". (١)

٣٦٨. ١٧٩-"زهدت في الشعرات وآثرت عليها الدنيا وأما أخوك فإنه أخذها فهو يصلي علي إذ رآها فجعله الله سعيدا في الدنيا والآخرة فاستيقظ وجاء إلى أخيه وصار من جملة عياله وما كان إسم محمد في بيت إلا جعل الله في هذا البيت بركة ومن كانت زوجته حاملا ونوى أن يسمي محمدا رزقه الله ذكرا وقالت حلية بنت عبد الجليل يا رسول الله إني امرأة لا يعيش لي ولد فقال اجعلي لله عليك أن تسميه محمدا ففعلت وعاش ولدها وغنم وقال صلى الله عليه وسلم إذا سميتم محمد فأكرموه وأوسعوا له في المجالس ولا تقبحوا له وجها وعنه صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مشورة وفيهم رجل اسمه محمد ولم يدخلوه في مشورتهم إلا لم يبارك لهم ... حكاية: قال **بعض الصالحين** كان لي جار مسرف على نفسه وكنت آمره بالتوبة فلا يفعل فلما مات رأيته في الجنة فقلت له بم نلت هذه المنزلة قال حضرت محدثا فسمعته يقول من رفع صوته بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت له الجنة فرفعت صوتي بالصلاة عليه ورفع القوم أصواتهم فغفر الله لنا أجمعين ورأيت في المورد العذب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ضج بالصلاة في الدنيا ضجت الملائكة بالصلاة

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٨٥/٢

عليه في السموات العلى ورأيت في الأذكار الإمام النووي رضي الله عنه يستحب رفع الصوت بالصلاة على محمد نص عليه الخطيب البغدادي وغيره وقال الشبلي مات رجل من جيراني فرأيته في المنام فسألته عن حاله انعقد لساني عند سؤال الملكين فقلت في نفسي ألست مت مسلما فبينما أنا كذلك وإذا بشخص قد دخل علي وعلمني الجواب فقلت له من أنت قال أنا ملك خلقت من كثرة صلاتك على محمد ... فائدة: قال أبو الدرداء رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة رواه الطبراني وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما إلى الصحراء فوجد أعرابيا قد صاد ظبية فقالت يا نبي الله اسأله أن يخلي سبيلي حتى أرضع أولادي وأعود إليه وإن لم أعد إليه أكن شرا ممن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأرسلها الأعرابي فجاءت إلى أولادها وقصت عليهم الخبر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمنها فقالوا لبنك علينا حرام حتى توفي ضمانة رسول الله فجاءت حتى أدخلت رأسها في السلسلة فأطلقها الصياد وأسلم قال بعضهم كنت يوما عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وإذا بظبية قد أقبلت ودخلت حتى صارت أمام القبر وأشارت برأسها كأنها تسلم عليه ثم رجعت على عجزها ولم تول ظهرها القبر الشريف ولا شك أن هذه الظبية من نسل تلك الظبية وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا من الصلاة علي يوم السبت فإن اليهود تكثر من سبي فيه فمن صلى علي فيه مائة مرة فقد أعتق نفسه من النار وحلت له الشفاعة فيشفع يوم القيامة في من أحب وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام على من يسلم عليه وسئل الإمام البلقيني عن سجود النبي صلى الله عليه وسلم تحت العرش هل يكون بطهارة فقال نعم يكون بطهارة الغسل لأنه حي في قبره لم تبطل طهارته صلى الله عليه وسلم وقدر السجود كجمعة من جمع الدنيا نص عليه الإمام أحمد في مسنده ... فائدة: قال الدميري في شرح المنهاج أن بعضهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله علمني أحب الصلاة إليك قال قل اللهم صل على محمد الذي ملأت عينيه من جمالك وقلبه من جلالك ولسانه من لذيذ خطابك فأصبح فرحا مسرورا مؤيدا منصورا وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار الحامية والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب لأن العتق يقابل بالعتق من النار والسلام على النبي يقابلان بالصلاة والسلام من الله. ي إذ رآها فجعله الله سعيدا في الدنيا والآخرة فاستيقظ وجاء إلى أخيه وصار من جملة عياله وما كان إسم محمد

في بيت إلا جعل الله في هذا البيت بركة ومن كانت زوجته حاملا ونوى أن يسمي محمدا رزقه الله ذكرا وقالت حلية بنت عبد الجليل يا رسول الله إني امرأة لا يعيش لي ولد فقال اجعلي لله عليك أن تسميه محمدا ففعلت وعاش ولدها وغنم وقال صلى الله عليه وسلم إذا سميتم محمد فأكرموه وأوسعوا له في المجالس ولا تقبحوا له وجها وعنه صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مشورة وفيهم رجل اسمه محمد ولم يدخلوه في مشورتهم إلا لم يبارك لهم ... حكاية: قال **بعض الصالحين** كان لي جار مسرف على نفسه وكنت آمره بالتوبة فلا يفعل فلما مات رأيته في الجنة فقلت له بم نلت هذه المنزلة قال حضرت محدثا فسمعته يقول من رفع صوته بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت له الجنة فرفعت صوتي بالصلاة عليه ورفع القوم أصواتهم فغفر الله لنا أجمعين ورأيت في المورد العذب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ضج بالصلاة في الدنيا ضجت الملائكة بالصلاة عليه في السموات العلى ورأيت في الأذكار الإمام النووي رضي الله عنه يستحب رفع الصوت بالصلاة على محمد نص عليه الخطيب البغدادي وغيره وقال الشبلي مات رجل من جيراني فرأيته في المنام فسألته عن حاله انعقد لساني عند سؤال الملكين فقلت في نفسي ألست مت مسلما فبينما أنا كذلك وإذا بشخص قد دخل علي وعلمني الجواب فقلت له من أنت قال أنا ملك خلقت من كثرة صلاتك على محمد ... فائدة: قال أبو الدرداء رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة رواه الطبراني وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما إلى الصحراء فوجد أعرابيا قد صاد ظبية فقالت يا نبي الله اسأله أن يخلي سبيلي حتى أرضع أولادي وأعود إليه وإن لم أعد إليه أكن شرا ممن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأرسلها الأعرابي فجاءت إلى أولادها وقصت عليهم الخبر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمنها فقالوا لبنك علينا حرام حتى توفي ضمانة رسول الله فجاءت حتى أدخلت رأسها في السلسلة فأطلقها الصياد وأسلم قال بعضهم كنت يوما عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وإذا بظبية قد أقبلت ودخلت حتى صارت أمام القبر وأشارت برأسها كأنها تسلم عليه ثم رجعت على عجزها ولم تول ظهرها القبر الشريف ولا شك أن هذه الظبية من نسل تلك الظبية وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا من الصلاة علي يوم السبت فإن اليهود تكثر من سبي فيه فمن صلى علي فيه مائة مرة فقد أعتق نفسه من النار وحلت له الشفاعة فيشفع يوم القيامة في من أحب وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام

على من يسلم عليه وسئل الإمام البلقيني عن سجود النبي صلى الله عليه وسلم تحت العرش هل يكون بطهارة فقال نعم يكون بطهارة الغسل لأنه حي في قبره لم تبطل طهارته". (١)

٣٦٩. ١٨٠-"ويقطع الحكة عن أبدان المشايخ بالعسل وينفع من النزلة ورجع العين واللبن من أفضل الأدوية للأخلاط السوداوية ينفع من الوسواس ومن مشربه لا يأكل شيئا ثقيلا بعده ولا ينام سريعا بل يصبر قليلا ومن منافع الزبد البقري أنه يسهل طلوع الأسنان للصغير إذا دلك موضعها به أو شحم الدجاج ومن شرب من حليب البقر حين حلبه ثلاثة أيام متوالية قلع الصفار من الوجه ولبن البقر يخصب البدن ويطلق البطن وعن الن! بي صلى الله عليه وسلم قال تداوو بألبان البقر في حديث آخر عليكم بألبان البقر فإنها شفاء والإكتحال بالسمن والزيت يقلع الجرب من العين والأجفان مسألة: لبن المأكول والآدمي طاهر ويجوز بيع رطل حليب من بقري برطلين من حليب الماعز بشرط الحلول والتقابض في المجلس لأن لبن البقر أو الضأن أو الماعز جنسان ولو با ع رطل حليب معز برطلين من حليب الضأن لم يجز لأنهما جنس واحد كما لا يجوز بيع لبن البقر بلبن الجاموس متفاضلا لأنهما جنس واحد وقال ابن عباس في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل أي من حقد وإذا كان يوم القيامة ينصب كراسي من ياقوت أحمر فيجلس أبو بكر على كرسي وعمر على كرسي وعثمان على كرسي وعلي على كرسي ثم يأمر الله الكراسي فتطير بهم إلى تحت العرش فتسبل عليهم خيمة من ياقوتة بيضاء ثم يأتى بأربع كاسات فأبو بكر يسقي عمر وعمر يسقي عثمان وعثمان يسق عليا وعلي يسقي أبا بكر ثم يأمر الله جهنم أن تتمحص بأمواجها فتقذف الروافض على ساحلها فيكشف الله عن أبصارهم فينظرون إلى منازل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هؤلاء الذين أسعدهم الله في رواية فيقولون هؤلاء الذين سعد الناس بمتابعتهم وشقينا نحن بمخالفتهم ثم يردون إلى جهنم بحسرة ونمامة قال في الزهر الفاتح من أحب أبا بكر وعمر وعثمان فهو يحب عليا فهو مع من يدخل الجنة مع الخلفاء الثلاثة ومن كان محبا لعلي وحده مبغضا للثلاثة فليس له حظ في الجنة ... حكاية: قال أنس صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أين أبو بكر فقال ها أنا يا رسول الله فقال أدن مني فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال بأعلى صوته معاشر المسلمين هذا أبو بكر الصديق شيخ المهاجرين والأنصار هذا صاحبي وصديقي صدقني حين كذبني

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٨٧/٢

الناس وآواني حين طردني الناس وآنسني حين أوحشني الناس هذا الذي أمرني الله أن اتخذه والدا في الدنيا وخليلا في الآخرة وواساني بنفسه وماله

واشترى لي بلالا من ماله فعلى مبغضه لعنة الله والله منه بريء وأنا منه بريء فمن أحب أن يتبرأ من الله ومني فليتبرأ من أبي بكر الصديق وليبلغ الشاهد الغائب ثم قال أين عمر بن الخطاب فوثب قائما وقال ها أنا يا رسول الله قال أدن مني فدنا مه فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال بأعلى صوته معاشر المسلمين هذا عمر ابن الخطاب هذا شيخ المهاجرين والأنصار هذا الذي أنزل الله الحق على قلبه ولسانه هذا الذي يقول الحق وإن كان مرا فعلى مبغضه لعنة الله، والله منه بريء وأنا منه بريء ثم قال أين عثمان بن عفان فقال ها أنا يا رسول الله قال أدن مني فدنا منه فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال معاشر المسلمين هذا عثمان شيخ المهاجرين والأنصار وهذا الذي استحيت منه ملائكة السماء هذا الذي أمرني الله أن اتخذه مسندا وختنا على إبنتي ولو كان عندي ثالثة لزوجته أياها فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم قال أين علي بن أبي طالب فقال ها أنا يا رسول الله قال أدن مني فدنا منه فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال بأعلى صوته معاشر المسلمين هذا علي بن أبي طالب شيخ المهاجرين والأنصار وهذا أخي وابن عمي وختنى هذا لحمي ودمي هذا مفرج الكروب عني هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين والله منه بريء وأنا منه بريء فمن أراد أن يتبرأ من الله ومني فليتبرأ من علي بن أبي طالب ... حكاية: قال قتادة سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن عرش رب العزة قال أنس سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن عرش رب العزة فقال سألت جبريل عن عرش رب العزة فقال جبريل سألت عن عرش رب العزة فقال ميكائيل سألت إسرافيل عن عرش رب العزة فقال إسرافيل سألت الرفيع عن عرش رب العزة فقال الرفيع سألت الروح عن عرش رب العزة فقال إن العرش ثلثمائة ألف قائمة وستين ألف قائمة كل قائمة من قوائمة قدر طباق الدنيا ستين ألف مرة وتحت كل قائمة ستون ألف أمة مثل الثقلين الجن والإنس ستين ألف مرة لا يعلمون أن الله خلق آدم ولا النبيين قد ألهمهم الله تعالى أن يستغفروا لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومحبيهم رضي الله عنهم أجمعين وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه معاشر الناس ألا أدلكم على جنات عدن ونعيم لا يزول قالوا نعم يا رسول الله قال عليكم بحب الأربعة شهداء الله في أرضه وأركان جنته أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فإن حبهم كفارة لذنوبكم فمن أحبهم أحبه الله وأحبته الملائكة وقال أنس رضي الله عنه قال

النبي صلى الله عليه وسلم أربعة لا يجتمع حبهم في قلب منافق ولا يحبهم إلا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ... حكاية: قال **بعض الصالحين** كان لي جار كثير المعاصي فانتقلت من جواره فلما مات جاءني رجل في الليل طويل القامة فخفت من طوله فقال إذهب معي إلى قبر فلان فذهبت ففتحه فرأيته على سرير في روضة خضراء فقلت له بم نلت هذه الكرامة قال كنت أقول عقب كل صلاة اللهم إرض عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وارحمني بحبهم. ترى لي بلالا من ماله فعلى مبغضه لعنة الله والله منه بريء وأنا منه بريء فمن أحب أن يتبرأ من الله ومني فليتبرأ من أبي بكر الصديق وليبلغ الشاهد الغائب ثم قال أين عمر بن الخطاب فوثب قائما وقال ها أنا يا رسول الله قال أدن مني فدنا مه فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال بأعلى صوته معاشر المسلمين هذا عمر ابن الخطاب هذا شيخ المهاجرين والأنصار هذا الذي أنزل الله الحق على قلبه ولسانه هذا الذي يقول الحق وإن كان مرا فعلى مبغضه لعنة الله، والله منه بريء وأنا منه بريء ثم قال أين عثمان بن عفان فقال ها أنا يا رسول الله قال أدن مني فدنا منه فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال معاشر المسلمين هذا عثمان شيخ المهاجرين والأنصار وهذا الذي استحيت منه ملائكة السماء". (١)

٣٧٠. ١٨١-"هذا الذي أمرني الله أن اتخذه مسندا وختنا على إبنتي ولو كان عندي ثالثة لزوجته أياها فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم قال أين علي بن أبي طالب فقال ها أنا يا رسول الله قال أدن مني فدنا منه فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال بأعلى صوته معاشر المسلمين هذا علي بن أبي طالب شيخ المهاجرين والأنصار وهذا أخي وابن عمي وختنى هذا لحمي ودمي هذا مفرج الكروب عني هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين والله منه بريء وأنا منه بريء فمن أراد أن يتبرأ من الله ومني فليتبرأ من علي بن أبي طالب ... حكاية: قال قتادة سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن عرش رب العزة قال أنس سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن عرش رب العزة فقال سألت جبريل عن عرش رب العزة فقال جبريل سألت عن عرش رب العزة فقال ميكائيل سألت إسرافيل عن عرش رب العزة فقال إسرافيل سألت الرفيع عن عرش رب العزة فقال الرفيع سألت الروح عن عرش رب العزة فقال إن العرش ثلثمائة ألف قائمة وستين ألف قائمة كل قائمة من قوائمة قدر طباق الدنيا ستين ألف مرة وتحت كل قائمة ستون ألف أمة مثل

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١٦٦/٢

الثقلين الجن والإنس ستين ألف مرة لا يعلمون أن الله خلق آدم ولا النبيين قد ألهمهم الله تعالى أن يستغفروا لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومحبيهم رضي الله عنهم أجمعين وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه معاشر الناس ألا أدلكم على جنات عدن ونعيم لا يزول قالوا نعم يا رسول الله قال عليكم بحب الأربعة شهداء الله في أرضه وأركان جنته أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فإن حبهم كفارة لذنوبكم فمن أحبهم أحبه الله وأحبته الملائكة وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم أربعة لا يجتمع حبهم في قلب منافق ولا يحبهم إلا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ... حكاية: قال **بعض الصالحين** كان لي جار كثير المعاصي فانتقلت من جواره فلما مات جاءني رجل في الليل طويل القامة فخفت من طوله فقال إذهب معي إلى قبر فلان فذهبت ففتحه فرأيته على سرير في روضة خضراء فقلت له بم نلت هذه الكرامة قال كنت أقول عقب كل صلاة اللهم إرض عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وارحمني بحبهم.

باب مناقب العشرة رضي الله عنهم
قالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم أبوك في الجنة ورفيقه إبراهيم عليه السلام وعمر في الجنة ورفيقه نوح وعثمان في الجنة ورفيقه أنا وعلي في الجنة ورفيقه يحي بن زكريا وطلحة ورفيقه داود عليه السلام والزبير في الجنة ورفيقه اسماعيل وسعد بن أبي وقاص في الجنة ورفيقه سليمان وسعيد بن زيد في الجنة ورفيقه موسى وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ورفيقه عيسى وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة ورفيقه إدريس ثم قال يا عائشة أنا سيد المرسلين وأبوك أفضل الصديقين وأنت أم المؤمنين وعنه صلى الله عليه وسلم قال عشرة من قريش في الجنة وذكر هؤلاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أرأف أمتي بأمتي أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم علي ولكل نبي حواري وحواري طلحة والزبير وحيثما كان". (١)

٣٧١. ١٨٢-"وقام فأعطاه السائل، فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة، فيصبح صائما ولم يأكل شيئا.

واشتهى **بعض الصالحين** طعاما، وكان صائما فوضع بين يديه وهو صائم، فسمع قائلا يقول: من

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١٦٧/٢

يقرض المليء الوفي؟ فقال: عبده المعدم من الحسنات، وأخذ الصحفة فخرج بها إليه وبات طاويا.
وجاء سائل إلى الإمام أحمد: فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره، ثم طوى وأصبح صائما. وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم، ويجلس يروحهم، وهم يأكلون.
وله فوائد أخر. قال الشافعي رحمه الله: أحب للرجل الزيادة بالجود في رمضان، اقتداء برسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير، منهم، بالصوم والصلاة عن مكاسبهم.
ودل الحديث أيضا: على دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له منه. وفيه دليل على استحباب الإكثار، من تلاوة القرآن، في شهر رمضان.
وفي حديث فاطمة: أنه أخبرها: «أن جبرائيل كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه في عام وفاته مرتين» ، وفي حديث ابن عباس: «أن المدارسة بينه وبين جبرائيل: كانت ليلا» .". (١)

٣٧٢. ١٨٣-"من ذلك.
(٢) كان **بعض الصالحين** يحفر لنفسه قبرا وكلما رأى الدنيا استدرجته دخله ورقد فيه قليلا ليذكر نفسه بمصيرها فتعود لنشاطها، فإن لم تحفر قبرا فاذهب إلى القبور وانزل القبر لدفن ميت، أو تجول بين القبور في وقت خال.
(٣) ضع قطعة لحم في زيت يغلي وانظر إليها متأملا معتبرا، أو ضع قطرة ماء على حديد محمى، وأرقبها وهي تتلظى حتى تجف ولا تبقى، كل هذا معين لك على الخوف من النار الكبرى.
(٤) الأمراض التي تصيب أهل الفواحش، هل يأمن فاعل الفاحشة ألا يصيبه شيء منها فيصير حديث الناس أنه أصيب بمرض كذا بسبب الفواحش؟

[برنامج للمساعدة لمن يعاني من آلام الشهوة]

وكما وعدت الشباب الذي يعاني من آلام الشهوة عن برنامج للمساعدة أقول:". (٢)

---

(١) وظائف رمضان ص/٣٧
(٢) ولا تقربوا الفواحش ٢/١٥٤

٣٧٣. ١٨٤-"إن كنت ساقية يوما على كرم ... كأس المدام فأسقيها بني قطن
ثم إنه تحرك فضرط. فقالت: وأسقي هذه بني قطن أيضا؟ فخجل وقال: إذهبي فأنت طالق.

طلقها فتزوجت رجلا دميما

وطلق عطية بن أشجع محجوبة بنت عبد الله، امرأته فزوجت رجلا دميما فقال في ذلك:

لعمري أبي سلمى، ولست بشامت ... بسلمى، فقد أمست بها النعل زلت.

وليس لمغفور لسلمى ذنوبها ... وإن هي صامت كل يوم وصلت،

ولو ركبت ما حرم الله لم يكن ... بأعظم عند الله مما استحلت؟

الكاذبة الفاجرة الضارطة

كانت **لبعض الصالحين** امرأة تبغضه، فكان إذا نهاها عن أمر دعت الله أن يريحها منه، وأن يعجل طلاقها، فأضجرته يوما فطلقها، فسجدت لله شكرا، فقال الرجل: اللهم إنها وضعت إليك فما كاذبا، ووجها وقاحا، ورفعت أستا مجاهرة بالفحشاء فاجرة. فوثب سنور في البيت فأفزعها، فضرطت، فقال: الحمد لله الذي سهل فرقتك وعجل فضيحتك.". (١)

٣٧٤. ١٨٥-"والأولياء المخلصين؛ وعلى هذا فورق السلف الطاهر، والصحابة العلية، وهم القدوة والعمدة، وإليهم ينتهى في كل حال، وعليهم يعتمد في كل أمر ذي بال.

فمن ذا يزري على هذا المذهب إذا خرج القول فيه معضودا بالحجة، ممدودا بالمعذرة، معقودا بالنصفة، وكان فيه برد الغليل، وشفاء الصدر، وتخفيف الكاهل من ثقل الغيظ على أجمل وجه وأسهل طرق، مع مسامحة ظاهرة، وتغافل عريض؟

وقيل **لبعض الصالحين**: أي شيء ألذ؟ قال: ركوب هوى وافق حقتا، وإدراك شهوة لا تثلم دينا، وقضاء وطر لا يتحيف مروة، وبلوغ مراد لا يسير قالة قبيحة؛ والمذهب الأول مذهب الزهاد والمتأبدين، وأصحاب الورع والمتعبدين.

ونحن قد بينا الأصل في هذا الباب، فليس بنا حاجة إلى التكثير؛ وكيف يلزمنا حكم من يتعجرف في

---

(١) أخبار النساء ص/٨١

قوله ويختار على رأيه، ويعترض بجوره.

ونحن قد اقتدينا بالله رب العالمين، وجرينا على عادة الأنبياء". (١)

٣٧٥. ١٨٦-"غداوت الربيع وقالت: تنسموا هذه الأرواح، واستنشقوا هذا النسيم، وتفهموا هذا النعيم، فإنه يشد من منتكم.

ويقال في الوصف: كأنه محراك نار، وكأنه الجأم «١» صدى.

وإذا وصفوه بالقصر قالوا: كأنه عقدة رشا، وأبنة عصا. وإذا كان ضعيفا قالوا:

كأنه قطعة زبد، والمولدون يقولون: كأنه أسكرجة.

قال بعض السلف في دعائه: اللهم لا أحيط بنعمك علي فأعدها، ولا أبلغ كنه واحدة منها فأحدها.

دعا عطاء السندي فقال: أعوذ بك من عذابك الواقع، الذي ليس له دافع، وأسألك من خيرك الواسع، الذي ليس له مانع.

ودعا بعض السلف: اللهم إن قلبي وناصيتي بيدك لم تملكني منهما شيئا، وإذ فعلت ذلك فكن أنت وليهما، فاهدنا سواء السبيل.

ودعا بعض الصالحين: اللهم ما كان لي من خير فإنك قضيته ويسرته وهديته، فلا حمد لي عليه، وما كان مني من سوء فإنك وعظت وزجرت ونهيت فلا عذر لي فيه ولا حجة.

ودعا آخر: اللهم إني أعوذ بك من سلطان جائر، ونديم فاجر، وصديق غادر، وغريم ماكر، وقريب مناكر، وشريك خائن، وحليف مائن، وولد جاف، وخادم هاف، وحاسد ملافظ، وجار ملاحظ، ورفيق كسلان، وخليل وسنان، و ... «٢»

ضعيف، ومركوب قطوف، وزوجة مبذرة، ودار ضيقة.

قال المدائني: قال بعض السلف لابنه: اشحذ طبعك بالعيون والفقر وإن قلت، فإن الشجرة لا يشينها قلة الحمل إذا كان ثمرها نافعا، وأكلها ناجعا.

وقيل للأوزاعي: ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه.

قال مجاهد في قول الله تعالى: ضيف إبراهيم المكرمين

[الذاريات: ٢٤] قال:

---

(١) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين ص/٦٩

قيامه عليهم بنفسه.

وقال عمر بن عبد العزيز: ليس من المروءة أن تستخدم الضيف.

وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يقال أربع للشريف لا ينبغي أن يأنف منهن وإن كان أميرا: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وخدمته للعالم يتعلم منه، وإن سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم.". (١)

٣٧٦. ١٨٧-"مقبولا، وكما قصدنا بالهزل الذي أفردنا فيه جزءا جماما للنفس قصدنا بهذا الجزء الذي عطفنا عليه إصلاحا للنفس وتهذيبا للخلق، واقتداء بمن سبق إلى الخير واتباعا لمن قصد النصح، وشرف الإنسان موقوف على أن يكون فاتحا لباب من أبواب الخير على نفسه وعلى غيره، فإن لم يكن ذلك فلا أقل من أن يكون مقتفيا لأثر من كان فاتحا قبله، ومن تقاعس عن هذين الأمرين فهو الخاسر الذي جهل قيمة نفسه، وضل عن غاية حياته، وحرم التوفيق في إصابة رشده، والله المستعان.

قال ابن مسعود: لو عرفت البهائم ما عرفتم ما أكلتم سمينا.

وقال أبو هريرة: اللهم إني أسألك قلبا قارا، ورزقا دارا، وعملا سارا.

وقال بعض السلف: اللهم إني أسألك قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وبدنا صابرا.

وقال صالح بن مسمار: لا أدري أنعمته علي فيما بسط لي أفضل، أم نعمته فيما زوى عني، لأنه فيما بسط لي أحياني، وفيما زوى عني حماني، نظر لي بما يزيد على نظري لنفسي، وآتاني من عنده أكثر مما عندي.

وقال الله عز وجل- لموسى- عليه السلام: حببني إلى عبادي. قال: وكيف أحببك؟ قال: ذكرهم آلائي ونعمائي.

وقال شداد بن حكيم لبعض الواعظين: أي شيء تقول إذا جلست على المنبر؟

قال: أذكرهم آلاء الله ليشكروا، وأذكرهم جفاءهم ليتوبوا، وأخبرهم عن إبليس وأعوانه حتى يحذروا.

وقال بعض الصالحين: مثل الدنيا ونعيمها كخابية فيها سم وعلى رأسها عسل، فمن رغب في العسل سقي من السم، ومثل شدة الدنيا كمثل خابية مملوءة من العسل وعلى رأسها قطرات من سم، فمن صبر على أكلها بلغ إلى العسل.

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ص/٢٠٢

جاء رجل إلى حاتم الزاهد بنميمة، فقال: يا هذا أبطأت عني وجئت بثلاث جنايات، بغضت إلي الحبيب، وشغلت قلبي الفارغ، وأعلقت نفسك التهمة، وأنت آمن.

وكان خالد بن صفوان يقول: قبول قول النمام شر من النميمة، لأن النميمة دلالة، والقبول إجازة، وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز.

وقال ابن السماك الواعظ: يدرك النمام بنميمته ما لا يدرك الساحر بسحره.

وقال معمر: ما نزلت بعبد نازلة فكان مفزعه إلى الله إلا فرج الله عنه.

وقال عمر: ما أسأل الله الرزق وقد فرغ منه، ولكن أسئله أن يبارك لي فيه.

وقال مالك بن دينار: الجلوس مع الكلب خير من الجلوس مع رفيق سوء.

وقال أبو هريرة: تهادوا عباد الله يتجدد في قلوبكم الود، وتذهب السخيمة.". (١)

٣٧٧. ١٨٨-"«من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه لفح النار يوم القيامة» «١» .

وروي: من وقي شر لقلقه وقبقبه وذبذبه «٢» فقد وقي شرة الشباب.

وقيل لابن المبارك: إنك لتحفظ نفسك من الغيبة. قال: لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدي، لأنهما أحق بحسناتي.

وقال **بعض الصالحين**: لو أن رجلا تعشى بألوان الطعام وقد أصاب من النساء في الليل، ورجلا آخر رأى رؤيا على مثال ما أصاب الأول في اليقظة، فإذا مضيا صار الحالم والآخر سواء.

وقال شقيق: من أبصر ثواب الشدة لم يتمن الخروج منها.

وقال شقيق لأصحابه: أيما أحب إليكم، أن يكون لكم شيء على المليء، أو يكون شيء للمليء عليكم؟ فقالوا: بل نحب أن يكون لنا على المليء. فقال: إذا كنتم في الشدة يكون لكم على الله، وإذا كنتم في النعمة يكون لله عليكم.

وقال بعض السلف: شتان ما بين عملين: عمل تذهب لذته وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤونته ويبقى ذخره.

وقال الرقاشي في مواعظه: خذوا الذهب من الحجر، واللؤلؤ من المزبلة.

وقال يحيى بن معاذ: العلم قبل العمل، والعقل قائد الخير، والهوى مركب المعاصي، والمال داء المتكبر.".

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ص/٢٤١

(١)

٣٧٨. ١٨٩-"وقال: من تعلم علم أبي حنيفة فقد تعرض للسلطان، ومن تعلم النحو والعربية دله بين الصبيان، ومن علم علم الزهاد بلغ إلى العرش.

وقال بعض الصالحين: إن العلماء يسقون الناس، فبعضهم من الغدران والحياض، وبعضهم من العيون والقلب، وبعضهم من البحار الواسعة.

وقال حاتم: لا تنظر إلى من قال، ولكن انظر إلى ما قال.

وقال مالك بن دينار: إني لا أقدر أن أعمل بجميع ما أقول.

وقال وهيب بن الورد: مثل عالم السوء كمثل الحجر يقع في الساقية فلا هو يشرب الماء، ولا يخلي عن الماء فيذهب إلى الشجرة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأنا من غير الدجال أخوف عليكم. قيل: ومن هو؟ قال: الأئمة المضلون.

وقال الثوري: نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر، وفتنة القائد الجاهل.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سيكون في أمتي علماء فساق، وقراء جهال» .

وقال الثوري: العلم طبيب الدين، والمال داؤه، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره.

وقال عيسى بن مريم: ما ينفع الأعمى ضوء الشمس وهو لا يبصرها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس حسرة يوم القيامة عالم علم الناس ونجوا به، وارتهن هو بسوء عمله» .

وقال أحمد بن حرب: إن منازل الدنيا لا تقطع بالكلام، فكيف يقطع طريق الآخرة بالكلام.

وقال أبو مسلم الخولاني: العلماء ثلاثة: رجل عاش بعلمه وعاش به الناس، ورجل عاش بعلمه ولم يعش به الناس، ورجل عاش بعلمه الناس وهلك هو.

وشاور رجل محمد بن أسلم فقال: إني أريد أن أزوج بنتي، فبمن أزوج؟ قال: لا تزوجها عالما مفتونا، ولا كاسبا كاذبا، ولا عابدا شاكا.

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ص/٢٤٣

قيل: نصح إبليس فقال: إياك والكبر، فإني تكبرت فلعنت، وإياك والحرص فإن أباك حرص على أكل الشجرة فأخرج من الجنة، وإياك والحسد فإن أحد بني آدم قتل أخاه بالحسد.

ومر حاتم بقوم يكتبون العلم فنظر إليهم وقال: إن لم يكن معكم ثلاثة أشياء لن تفلحوا. قالوا: وما هي؟ قال: هم أمس، واغتمام اليوم، وخوف الغد.

وقال ابن عمر: كان في بني إسرائيل ثلاثة خرجوا في وجه، فأخذهم المطر". (١)

٣٧٩. ١٩٠-"فدخلوا كهفا، فوقع حجر عظيم على باب الكهف، وبقوا في الظلمة وقالوا: لا ينجينا إلا ما عملناه في الرخاء. فقال أحدهم: إني كنت راعيا فأرحت وحلبت، وكان لي أبوان وأولاد وامرأة فسقيت أولا الوالدين ثم الأولاد، فجئت يوما فوجدت أبوي قد ناما فلم أوقظهما لحرمتهما ولم أسق الأولاد وبقيت قائما إلى الصبح، فإن كنت يا رب قبلت هذا مني فاجعل لنا فرجا. فتحرك الحجر ودخل عليهم الضوء.

وقال الثاني: إني كنت صاحب ضياع، فجاءني رجل بعد ما متع النهار، وكان لي أجراء يحصدون الزرع، فاستأجرته، فلما تم عملهم أعطيتهم أجورهم، فلما بلغت إلى ذلك الرجل أعطيته وافيا كما أعطيت غيره، فغضبوا وقالوا: تعطيه مثل ما أعطيتنا.

فأخذت تلك الأجرة واشتريت بها عجولا ونمى حتى كثر البقر، فجاء صاحب الأجر يطلب فقلت: هذه البقر كلها لك، فسلمتها إليه، فإن كنت يا رب قبلت مني هذا الوفاء ففرج عنا. فتحرك الحجر ودخل منه ضوء كثير.

وقال الثالث: كانت لي بنت عم فراودتها، فأبت، حتى أعطيتها مائة دينار فلما أردت ما أردت اضطربت وارتعدت. فقلت لها: ما لك؟ فقالت: إني أخاف الله.

فتركتها ورجعت عنها، إلهي فإن كنت قبلت ذلك مني ففرج عنا. فتحرك الحجر وسقط عن باب الكهف وخرجوا منه يمشون.

وقال حاتم: لو أدخلت السوق شياه كثيرة لما اشترى أحد المهزول، بل يقصد السمين للذبح.

وقال يحيى بن معاذ: في القلب عيون يهيج منها الخير والشر.

وقال بعض الصالحين في دعائه: اللهم إن أحدنا لا يشاء حتى تشاء، فاجعل مشيئتك لي أن تشاء

(١) الإمتاع والمؤانسة ص/٢٤٤

ما يقربني إليك، اللهم إنك قدرت حركات العبد، فلا يتحرك شيء إلا بإذنك، فاجعل حركاتي في هواك.

وقال قاسم بن محمد: لأن يعيش الرجل جاهلا خير له من أن يقول ما لا يعلم.

وقال الشعبي: لم يكن مجلس أحب إلي من هذا المجلس، ولأن أبعد اليوم عن بساطه أحب إلي من أن أحبس فيه.

وقال حاتم: إذا رأيت من أخيك عيبا فإن كتمته عليه فقد خنته، وإن قلته لغيره فقد اغتبته، وإن واجهته به فقد أوحشته، قيل له: كيف أصنع؟ قال: تكني عنه، وتعرض به، وتجعله في جملة الحديث.

وقال: إذا رأيت من أخيك زلة فاطلب لها سبعين وجها من العلل، فإن لم تجد فلم نفسك.". (١)

٣٨٠. ١٩١-"وفرق كلمتكم. الخدمة: الحلقة المستديرة، ومنه قيل للخلاخيل: خدام، قال الشاعر "من المتقارب":

وتبدي لذاك العذارى الخداما١

وسئلت عائشة٢ رضي الله عنها: هل كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يفضل بعض الأيام على بعض؟ قالت: كانت عمله ديمة؛ أي: دائما.

ولما قتل عثمان٣ -رضي الله عنه- قال أبو موسى٤: هذه حيصة من حيصات الفتن، بقيت المثقلة الرداح٥.

وقال الحجاج٦ يوما في حديث ذكره الشعبي: دلوني على رجل سمين الأمانة.

ولما عقدت الخوارج٧ الرياسة لعبد الله بن وهب الراسبي٨ أرادوه على الكلام فقال: لا خير في الرأي الفطير والكلام القضيب، فلما فرغوا من البيعة له قال: دعوا الرأي يغب؛ فإن غبوبه يكشف لكم عن فصة٩.

وقال بعض الصالحين في ذمة الدنيا: "دار غرست فيها الأحزان، وسكنها الشيطان، وذمها الرحمن،

---

١ الإبداء عن الخدام مثل في صعوبة الأمر وشدة الخطب، وأصله في الروع والهزيمة وتشمير النساء عن سوقهن وإبداء خلاخلهن عند ذلك.

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ص/٢٤٥

٢ بنت الصديق وزوج الرسول وأم المؤمنين "٩ق. هـ-٥٨هـ".

٣ الخليفة الإسلامي الثالث، قتل سنة ٣٥هـ.

٤ الأشعري الصحابي من الولاة وأحد الحكمين في فتنة علي ومعاوية، كان أحسن الصحابة صوتا وحدث عن رسول الله، مات بالكوفة عام ٤٤هـ.

٥ الحيصة: الجلبة والضوضاء، وحيصة من حيصات الفتن: أي روغة منها عدلت إلينا، الرداح: الثقيلة العجيزة والضخمة الوركين، أراد: الفتنة الهائلة الثقيلة.

٦ قائد داهية وبليغ مصقع ولي العراق واشتهر بالقسوة وكان خطيبا مؤثرا، توفي عام ٩٥هـ.

٧ فرقة خرجت على علي بعد التحكيم، وكفروا عليا ومعاوية، وناضلوا بحد السيوف عن آرائهم طول دولة بني أمية.

٨ أزدي ومن أئمة البياضية، أدرك النبي وخرج على علي وقتل في موقعة النهروان عام ٣٨هـ.

٩ راجع: الرواية في البيان والتبيين ١٤٩/ ١، ٢٦، ٩٣/ ٢. والفطير: العجين الذي لم يختمر. والقضيب: الناقة التي لم تمهر الرياضة أو التي لم ترض، يريد: الكلام المرتجل عن غيره خبرة، والغبوب تدل مادتها على المكث والانتظار، فالغب في سقي الإبل يوم ويوم، وغب كل شيء عاقبته. فص الأمر: مفصله الذي يفصل منه كما يحز العظم من المفصل.". (١)

٣٨١. ١٩٢-"وباع أبو العيناء دابة، كان عبيد الله بن١ يحيى حمله عليها من ابن لعبيد الله، فدافعه بثمنه، ثم لقيه، فقال: ايش٢ خبرك يا أبا العيناء؟ فقال: بخير، يا من أبوه يحمل وهو يرجل. وقال ذو الرياستين٣: احذورا اجتماع المضار وافتراق المسار٤. وكتب عبد الصمد٥ بن على إلى مروان٦، وقد ذكر له أمر الحرم: الحق لنا في دمك، وعلينا في حرمك٧.

وقال عبيد٨ الله بن عبد الحميد في تعزية: ما أشبه الباقي الذي ينتظر الفناء بالماضي الذي قد أتى عليه الفناء. وقلت لبعض فقهائنا وأنا عليل وقد سألني عائد لي بحضرته كيف أنت: أتراني ان قلت في عافية كاذبا؟ فقال لي: لا، قال **بعض الصالحين**: إن أعلك الله من جسمك فقد أصحك من ذنوبك. وكتب يحيى بن خالد٩ إلى الرشيد: يا أمير المؤمنين، إن كان الذنب لي خاصا فلا تعمن بالعقوبة؛ فإن الله يقول: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ١٠. ولبعضهم: الكريم واسع المغفرة إذا ضاقت المعذرة١١.

---

(١) البديع في البديع لابن المعتز ص/٧٩

وقال ابو تمام "من الطويل":

---

١ وزر للمتوكل والمعتمد، وتوفي سنة ٢٦٢هـ، وله ألف ابن قتيبة "أدب الكاتب".

٢ أي: أي شيء.

٣ الفضل بن سهل قتل ٢٠٢هـ، وتقدمت ترجمته.

٤ جمع مضرة ومسرة، والمضرة خلاف المنفعة، والمسرة السرور.

٥ عباسي هاشمي عم المنصور، وتولى ولاية كثير من البلاد، ومات سنة ١٨٥هـ عن ٨١ عاما.

٦ هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، قتل سنة ١٣٢.

٧ جمع حرمة، وحرمة الرجل: حرمه وأهله.

٨ أبو عبيد الله محمد بن عبد الحميد الطائي الطوسي القائد، شاعر أديب وإخوته شعراء أدباء "٢٧ معجم الشعراء".

٩ مضت ترجمته.

١٠ سورة فاطر، آية: ١٨.

١١ عذره في فعله عذرا، والاسم المعذرة.". (١)

٣٨٢. ١٩٣-"فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

وأنشدني الفقيه أبو السمح رحمه الله:

أصدف بسمعك عن صدى متسمعل ... وأبرأ بوهمك عن ردى متبرهم

ما در هم فتى وصرأ دينه ... إلا لدينار يصر ودرهم

وقال **بعض الصالحين**: إنما سمى الدينار ديناراإن لأنه دين ونار: أي تصل به إليهما وإنما سمي الدرهم درهما لأنه يدر الهم. وهذا يشبه قول بعض المفسرين: إنما سمي إبراهيم لأنه شفى الكفار من مرض الكفر. ومعنى اسم محمد عليه وآله السلام لأنه محا الكفر أي أزاله. ومد الإيمان: أي بسطه. ويقول العرب: مح رسم الدار أي عفا واندرس. وشعر أبي الفتح البستي أكثره من هذا الباب، وقد تبعه الناس في ذلك، فقال شاعرنا أحمد بن يعقوب:

---

(١) البديع في البديع لابن المعتز ص/١٣١

وأهيف الخصر مثل الليل طرته ... وصدغه خزري الجنس أولاني

أوليت وصلا فأولاني قطيعته ... بئس الجزاء بما أوليت أو لاني

ولغيره:

ومعان قتل النفوس معان ... قد رمى قدر ما أصاب جناني

ناظراه فيما جنى ناظراه ... أودعاني أمت بما أودعاني

أو صلاني إلى المنى أو صلاني ... بالأماني التي تبيد الأماني". (١)

٣٨٣. ١٩٤-"بهذا الحديث.

قال عكرمة الأعرابي: بنى أعرابي على أهله ولم يولم، فأجتمع الحي بفنائه وصاحوا: الرجز

أولم ولو بيربوع

أو بقراد مجدوع

قتلتنا من الجوع

فاحتال لهم وأطعمهم.

رأى بعض الصالحين ابنا له قد أطال السجود فقال: يا بني أرفع رأسك فإنك صبي، فقال: يا أبت كم من زرع أصابته الآفة من قبل أن يدرك؛ كان يونس يعجب من هذا الكلام.

قيل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة حين صفح: فعلوا بك وفعلوا، فقال: إني سميت محمدا لأحمد.

استعرض الحسن بن وهب غلاما فقال له: اكشف عن ساقيك وذراعيك وكذا وكذا، والغلام يخجل من ذلك، فقال نجاح الكاتب للغلام: لا تخف، إنك أنت الأعلى.". (٢)

٣٨٤. ١٩٥-"٧٥ - قال المنصور لشريك: أني لك هذا العلم؟ قال: لم أرغب عن قليل أستفيده، ولم أبخل بكثير أفيده.

٧٦ - وقال أعرابي: سيد القوم أشقاهم.

---

(١) البديع في نقد الشعر ص/٣٤

(٢) البصائر والذخائر ٢/٧٩

٧٧ - وقال آخر: أعطاك الله ولا سلبك، وكلاك ولا وكلك، ومنحك ولا امتحنك.
٧٨ - قال بعض الصالحين: من أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي، ومن أذنب وهو يبكي دخل الجنة وهو يضحك.
٧٩ - نظر فيلسوف إلى امرأة قد خنقت على شجرة فقال: ليت كل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة.
٨٠ - وقال الثوري لما شاء الله المنجم: أنت تغدو بطالع، وأنا أغدو بالاستخارة، وأنت تخاف زحل، أنا أخاف ذنبي، وأنت ترجو المشتري، وأنا أرجو الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.
٨١ - وقال أبو حازم وقد نظر إلى فواكه منضدة في السوق: يا مقطوعة ممنوعة.". (١)

٣٨٥. ١٩٦-"إني أعوذ بك من صباح إلى النار، اللهم إنك تعلم أني لم أعن غادرا على غدر، ولقد عشت على خلال ثلاث: الضعة أحب إلي من الرفعة، والفقر أحب إلي من الغنى، ومن حمدني أو لامني في الحق سيان.
وقال بعض الصالحين: مررت براهب في صومعته وهو يبكي ويقول: أمر قد عرفته فقصرت في طلبه، وحدت عن سبيله فأبكاني يوم مضى وبقيت حسرته، ونقص له أجلي، ولم ينته إليه أملي.
قال الأحنف: من حق الصديق أن يحتمل له ثلاث: ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة.
قال الأصمعي، سمعت أعرابيا يقول: العاقل حقيق أن يسخي نفسه عن الدنيا علمه بأنه لا ينال أحد مها شيئا إلا قل انتفاعه به، وكثر عناؤه فيه، واشتدت ندبته عند فراقه، وعظمت تبعته بعد وفاته.
قال هرم بن حيان: صاحب الكلام إلى إحدى منزلتين، إن قصر فيه حصر، وإن أغرق فيه أثم.". (٢)

٣٨٦. ١٩٧-"قال بلال بن سعد: من سبقك بالود فقد استرقك بالشكر.
قال النبي صلى الله عليه: " الرغبة في الدنيا تطيل الهم والحزن، والزهد فيها راحة القلب والبدن ".
قال بعض الصالحين: لو رأيت يسير ما بقي من أجلك، لزهدت في طول ما ترجو من أملك، ولملت إلى الزيادة في عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، فإنما تلقى غدا ندمك، وقد زلت قدمك،

---
(١) البصائر والذخائر ٥/٣٠
(٢) البصائر والذخائر ٥/١٠١

وأسلمك أهلك وحشمك، وتبرأ منك القريب، وانصرف عنك الحبيب، فلا أنت إلى الدنيا عائد، ولا في عملك زائد، فاعمل يا مغرور ليوم القيامة، قبل حلول الحسرة والندامة.

وقال بعض السلف: من هوان الدنيا على الله جل جلاله أن لا يعصى إلا فيها، ولا ينال ما عنده إلا بتركها.

وقال فيلسوف: إذا أدركت الدنيا الهارب منها جرحته، وإذا أدركها الطالب لها قتلته.

سئل الزهري عن الزهد فقال: والله ما هو من خشونة المطعم". (١)

٣٨٧. ١٩٨-"قيل: لم صار الأحدب أخبث الناس؟ قال: لأنه قرب فؤاده من دماغه، وقربت كبده من دماغه، فلما تقارب الأعضاء كان أخبث الناس.

قال بعض الصالحين: كنا نستعين على حفظ العلم بحسن العمل.

قال بعض الأطباء: اعلم أنك تأكل ما تستمري، وما لا تستمريه فهو يأكلك.

نظر أعرابي إلى رجلا يغسل يده فقال: أنقها فإنها ريحانة وجهك.

وقيل: أقلل طعامك، تحمد منامك.

وقال أعرابي: مما يزيد في طيب الطعام مؤاكلة الكريم الودود.

وأنشد لإسماعيل بن صالح بن علي الهاشمي: السريع

يا من رماني الدهر من فقده ... بفرقة قد شتتت شملي

ذكرت أيام اجتماع الهوى ... وقرة للعين بالوصل

ونحن في غرة دهر لنا ... نطالب الأيام بالذحل

فكدت أقضي من قضاء الهوى ... علي بعد العز بالذل". (٢)

٣٨٨. ١٩٩-"علي: لا فقر أشد من الجهل، ولا وحشة أشد من العجب.

[٦٢]- قال الحسن بن علي سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الحق «١» طمأنينة والكذب ريبة، ولن تجد فقد شيء تركته لله تعالى.

---

(١) البصائر والذخائر ٨/٣٣

(٢) البصائر والذخائر ٨/٦١

[٦٣]- وقال صلى الله عليه وسلم: من أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي.

[٦٤]- قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس التميمي وذووهما، فقالوا: يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء لأرواح جبابهم- يعنون أبا ذر وسليمان وفقراء المسلمين، وكان عليهم الجباب الصوف لم يكن لهم غيرها- جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى: واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا، واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه

حتى بلغ نارا أحاط بهم سرادقها

(الكهف: ٢٧- ٢٩) يتهددهم بالنار، فقام نبي «٢» الله صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد

---

[٦٢] الحديث في البخاري (بيوع: ٣) ، والترمذي (قيامة: ٦٠) ، ومسند أحمد ٣: ١٥٣، والمقاصد الحسنة: ٢١٤، (وقد أخرجه أيضا أبو يعلى والطيالسي والدارمي والنسائي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد) ، والجامع الصغير ٢: ١٥، وكشف الخفا ١: ٤٨٩، واللباب:

١١٢، وانظر مجموعة ورام ١: ٥٢، ونثر الدر ١: ١٦١، وربيع الأبرار: ٢٢٧ ب، والتمثيل والمحاضرة: ٢٨، وأدب الدنيا والدين: ٣١٥.

[٦٣] الجامع الصغير ٢: ١٦٢، أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس، وهو ضعيف؛ ومجموعة ورام ١: ١٨، ١: ١١٢ (وفي الثانية نسبه لابن عباس) وفي الحلية ٢: ٢٢٩ لبكر المزني: من يأت الخطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكي؛ وورد بصورة أطول في البصائر ٢: ٢٤ (لبعض الصالحين)

.

[٦٤] انظر حلية الأولياء ١: ٣٤٤، ٣٤٥.". (١)

٣٨٩. ٢٠٠-"٥٢- ما جاء في الشر وراءه الخير

من ذلك قوله تعالى: فإن مع العسر يسرا

---

(١) التذكرة الحمدونية ٥٦/١

(الشرح: ٥) . وقوله سبحانه: فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا

(النساء: ١٩) .

وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم

(البقرة: ٢١٦) .

وقيل لبعض الصالحين وقد أجهد نفسه في العبادة: أتعبت نفسك قال:

راحتها طلبت.

وقال يزيد بن محمد المهلبي: [من الرجز]

رب زمان ذله أرفق بك ... لا عار إن ضامك دهر أو ملك

وقال آخر: [من الطويل]

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ... ولا يكرم النفس الذي لا يهينها

«٥٩٨» - ومن أمثال العرب: «لا يضر الحوار ما وطئته أمه» .

«٥٩٩» - ومن أمثالهم: «لم يذهب من مالك ما وعظك» ، يقول: إذا ذهب من مالك شيء فحذرك أن يحل بك مثله، فتأديبه إياك عوض من ذهابه.

«٦٠٠» - ومن أمثالهم: «الغمرات ثم ينجلين» .

«٦٠١» - «عند الصباح يحمد القوم السرى» ، المثلان للأغلب العجلي.". (١)

٣٩٠. ٢٠١-"وإنما وضعت هذه الألفاظ ليستعملها أهل اللغة، ولو كان الرأي ألا يلفظ بها ما كان لأول كونها معنى، ولكان في التحريم والصون للغة العرب أن ترفع هذه الأسماء والألفاظ منها.

وقد أصاب كل الصواب من قال: «لكل مقام مقال» .

ولو كان ممن يتصوف ويتقشف، علم قول امرأة رفاعة القرظي تجبهه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير محتشمة: إني تزوجت عبد الرحمن بن الزبير، وإنما معه مثل هدبة الثوب، وكنت عند رفاعة فطلقني- ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزيد على التبسم حتى قضت كلامها- فقال: «تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي من عسيلته ويذوق من عسيلتك» .

ورواه ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها- لعلم أنه على سبيل

---

(١) التذكرة الحمدونية ١٢٤/٧

التصنع والرياء.

ولو سمعوا حديث ابن حازم حين زعم أنه يقيم ذكره ويصعد السلم وامرأته متعلقة بذكره حتى يصعد.

وحديث ابن أخي أبي الزناد إذ يقول لعمه: أنخر عند الجماع؟ قال:

يا بني إذا خلوت فاصنع ما أحببت. قال: يا عم، أتنخر أنت؟ قال: يا بني، لو رأيت عمك يجامع لظننت أنه لا يؤمن بالله العظيم! وهذان من ألفاظ المجان.

وروى عن **بعض الصالحين** من التابعين رحمه الله، أنه كان يقول في دعائه: اللهم قو ذكري على نكاح ما أحللت لي.

ونحن لم نقصد في ذكرنا هذه الأخبار الرد على من أنكر هذه الأمور، ولكنا لما ذكرنا اختصام الشتاء والصيف، واحتجاج أحدهما على صاحبه، واحتجاج صاحب المعز والضأن بمثل ذلك، أحببنا أن نذكر ما جرى بين". (١)

٣٩١. ٢٠٢-"فلما رأى صديقي اقتفائي آثار الكتاب، باستهانتي للحساد عند اعتلاقي حبائلك أعزك الله، أنشأ متمثلا بقول نصر بن سيار:

إني نشأت وحسادي ذوو عدد ... يا ذا المعارج لا تنقص لهم أحدا

إن يحسدوني على ما قد بنيت لهم ... فمثل حسن بلائي جر لي الحسدا

وليس العجب أن يكثروا وأنا أنعق بمحاسنك، وأهتف بشكرك، ولكن العجب كيف لا تتفتت أكبادهم كمدا.

وكان بعضهم يقول: اللهم كثر حساد ولدي؛ فإنهم لا يكثرون إلا بكثرة النعمة.

فإن كان والدي سبق منه هذا الدعاء، فإن الإجابة كانت مخبوءة إلى زمان عزك؛ فقد رأينا تباشيرها، وبدت لنا عند عنايتك غايتها.

وكان **بعض الصالحين** يقول: اللهم اجعل ولدي محسودين، ولا تجعلهم مرحومين؛ فإن يوم المحسود يوم عزة، ويوم الحاسد يوم ذلة.

ويقال: إنه لما مات الحجاج سمعوا جارية خلف جنازته وهي تقول:

اليوم يرحمنا من كان يحسدنا ... واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

---

(١) الرسائل الأدبية ص/١٦٥

ويقال: إن زياد ابن أبيه قال لحرقة ابنة النعمان: أخبريني بحالكم.
قالت: إن شئت أجملت وإن شئت فسرت. فقال لها: أجملي، فقالت: «بتنا نحسد، وأصبحنا نرحم» . فخطبها زياد وكانت في دير لها فكشفت عن رأسها، فإذا رأس محلوق، فقالت: أرأس عروس كما ترى يا زياد؟ وأعطاها دنانير فأخذتها وقالت: جزتك يد افتقرت بعد غنى، ولا جزتك يد استغنت بعد فقر! ولا نعلم الحسد جاء فيه شيء أكثر من حديث روى عن النبي صلى الله". (١)

٣٩٢. ٢٠٣-"وأكلت هند كبد حمزة، فمنهم آكلة الأكباد، ومنهم كهف النفاق، ومنهم من نقر بين ثنيتي الحسين بالقضيب، ومنهم القاتل يوم الحرة عون بن عبد الله ابن جعفر، ويوم الطف أبا بكر بن عبد الله بن جعفر، وقتل يوم الحرة أيضا من بني هاشم: الفضل بن عباد بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب، والعباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، وعبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب.
قال أبو عثمان: وقالت هاشم لأمية: قد علم الناس ما صنعتم بنا من القتل والتشريد لا لذنب أتيناه إليكم، ضربتم علي بن عبد الله بن عباس بالسياط مرتين على أن تزوج بنت عمه الجعفرية التي كانت عند عبد الملك وعلى أن تحلتموه قتل سليط، وسممتم أبا هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، ونبشتم زيدا وصلبتموه وألقيتم رأسه في عرصة الدار توطأ بالأقدام، وينقر دماغه الدجاج حتى قال القائل:
إطردوا الديك عن ذؤابة زيد ... طالما كان لا تطأه الدجاج
وقال شاعركم أيضا:
صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ... ولم نر مهديا على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة ... وعثمان خير من علي وأطيب
فروى أن **بعض الصالحين** من أهل البيت قال: اللهم إن كان كاذبا فسلط عليه كلبا من كلابك. فخرج يوما بسفر له فعرض له الأسد فافترسه. وقتلتم الامام جعفر الصادق، وقتلتم يحي بن زيد وسميتم قاتله ثائر مروان وناصر الدين. هذا الى ما صنع سليمان بن حبيب بن المهلب عن أمركم وقولكم بعبد الله أبي جعفر المنصور قبل الخلافة، وما صنع مروان بابراهيم الإمام أدخل رأسه في جراب نورة حتى

---

(١) الرسائل الأدبية ص/٣٩٠

مات. فإن أنشدتم:

أفاض المدامع قتلى كدى ... وقتلى بكثوة لم ترمس". (١)

٣٩٣. ٢٠٤-"حبائلك أعزك الله، أنشأ متمثلا بقول نصر بن سيار:

إني نشأت وحسادي ذوو عدد ... ياذا المعارج لا تنقض لهم أحدا

إن يحسدوني على ما قد بنيت لهم ... فمثل حسن بلائي جر لي الحسدا

وليس العجب أن يكثروا وأنا أنعق بمحاسنك، وأهتف بشكرك، ولكن العجب كيف لا تتفتت أكبادهم كمدا.

وكان بعضهم يقول: اللهم كثر حساد ولدي؛ فإنهم لا يكثرون إلا بكثرة النعمة.

فإن كان والدي سبق منه هذا الدعاء، فإن الإجابة كانت مخبوءة إلى زمان عزك؛ فقد رأينا تباشيرها، وبدت لنا عند عنايتك غايتها.

وكان **بعض الصالحين** يقول: اللهم اجعل ولدي محسودين، ولا تجعلهم مرحومين؛ فإن يوم المحسود يوم عزة، ويوم الحاسد يوم ذلة.". (٢)

٣٩٤. ٢٠٥-"ومولاه يزيد بن أبي مسلم، فأعادوا على البيت بالهدم، وعلى حرم المدينة بالغزو، فهدموا الكعبة، واستباحوا الحرمة، وحولوا قبلة واسط، وأخروا صلاة الجمعة إلى مغيربان الشمس. فإن قال رجل لأحد منهم: اتق الله فقد أخرت الصلاة عن وقتها، قتله على هذا القول جهارا غير ختل، وعلانية غير سر. ولا يعلم القتل على ذلك إلا أقبح من إنكاره، فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر بأعظم منه؟ وقد كان **بعض الصالحين** ربما وعظ بعض الجبابرة، وخوفه العواقب، وأراه أن في الناس بقية ينهون عن الفساد في الأرض، حتى قام عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف، فزجرا عن ذلك وعاقبا عليه، وقتلا فيه، فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه.

فاحسب أن تحويل القبلة كان غلطا، وهدم البيت كان تأويلا، واحسب ما رووا من كل وجه أنهم

---

(١) الرسائل السياسية ص/٤٢٢

(٢) الرسائل للجاحظ ٣٧١/١

كانوا يزعمون أن خليفة المرء في أهله أرفع عنده". (١)

٣٩٥. ٢٠٦-"وهذان من ألفاظ المجان.

وروي عن بعض الصالحين من التابعين رحمه الله، أنه كان يقول في دعائه: اللهم قو ذكري على نكاح ما أحللت لي.

ونحن لم نقصد في ذكرنا هذه الأخبار الرد على من أنكر هذهذ الأمور، ولكنا لما ذكرنا اختصام الشتاء والصيف، واحتجاج أحدهما على صاحبه، واحتجاج صاحب المعز والضأن بمثل ذلك، أحببنا أن نذكر ما جرى بين اللاطة والزناة، وذكرنا ما نقل حمال الآثار ورو ته الرواة، من الأشعار والأمثال، وإن كان في بعض البطالات، فأردنا أن نقدم الحجة لمذهبنا في صدر كتابنا هذا.

ونعوذ بالله أن نقول ما يوتغ ويردي، وإليه نرغب في التأييد والعصمة، ونسأله السلامة في الدين والدنيا برحمته.

قال (صاحب الغلمان) : إن من فضل الغلام على الجارية أن الجارية إذا وصفت بكمال الحسن قيل: كأنها غلام، ووصيفة غلامية.

قال الشاعر يصف جارية:

لها قد الغلام وعارضاه ... وتفتير المبتلة اللعوب". (٢)

٣٩٦. ٢٠٧-"إذا ضاق بك الصدر ففكر في ألم نشرح

وأما الخبر في: ألم نشرح لك صدرك، فإن أبا بكر بن شجاع، المقرئ البغدادي، الذي كان يخلفني على العيار في دار الضرب بسوق الأهواز، في سنة ست وأربعين وثلاث مائة، وكان خازن المسجد الجامع بها، وكان شيخا محدثا ثقة نبيلا، من أمناء القاضي الأحنف، وهو محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن أبي الشوارب، حدثنا بإسناد له ذكره، لم أحفظه، ولا المتن بلفظه، وبعد عن يدي إخراجه من الأصل، وقد تحريت مقاربة اللفظ بجهدي، ولعله يزيد أو ينقص: أن بعض الصالحين، ألح عليه الغم، وضيق الصدر، وتعذر الأمور، حتى كاد يقنط، فكان يوما يمشي، وهو يقول:

---

(١) الرسائل للجاحظ ١٦/٢

(٢) الرسائل للجاحظ ٩٥/٢

أرى الموت لمن أمسى ... على الذل له أصلح

فهتف به هاتف، يسمع صوته، ولا يرى شخصه، أو أري في النوم، أنا الشاك، كأن قائلا يقول:

ألا يأيها المرء ... الذي الهم به برح

إذا ضاق بك الأمر ... ففكر في ألم نشرح". (١)

٣٩٧. ٢٠٨-"لأودعتها نبذا من ذلك، لكني آثرت أن لا أعدل بها عما افتتحتها به، واستخدمتها له، مقتصرا على استغناء سيدنا القاضي، أدام الله تأييده، عن ذلك، بمرشد حفظه، ووفور فضله، ومأثور نباهته ونبله، والله يبلغه ويبلغنا فيه نهاية الآمال، ولا يخليه، في طول البقاء، من مواد السعادة والإقبال، إن شاء الله تعالى، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حسن الظن بالله أقرب إلى الفرج

قال: بعض الصالحين: استعمل في كل بلية تطرقك حسن الظن بالله عز وجل، في كشفها، فإن ذلك أقرب بك إلي الفرج.

الصبر على قدر البلاء

وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: أفضل عمل الممتحنين، انتظار الفرج من الله عز وجل، والصبر على قدر البلاء.

وعنه: الصبر كفيل بالنجاح، والمتوكل لا يخيب ظنه.". (٢)

٣٩٨. ٢٠٩-"باب

ليزيد بن الصقيل، وكان يسرق الإبل ثم تاب

قال أبو العباس: قال يزيد بن الصقيل العقيلي-وكان يسرق الإبل، ثم تاب، وقتل في سبيل الله:

فقد تاب مما تعلمون يزيد ... ألا قل لأرباب المخائض: أهملوا

وإن امرأ ينجو من النار بعد ما ... تزود من أعمالها لسعيد

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي ١٠٧/١

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي ١٥٤/١

وفي هذا الشعر[1]:

إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت ... حميمك فاعلم أنها ستعود

قوله"ألا قل لأرباب المخائض"، فإن الناقة إذا لقحت قيل لها خلفة، وللجميع مخاض، وهذا جمع على غير واحده، إنما هو بمنزلة امرأة ونساء، ثم جمع الجمع فقال: مخائض، كقولك في رسالة: رسائل، وكما تقول في قوم أقوام، فتجمع الاسم الذي هو للجمع، وكذلك أعراب وأعاريب، وأنعام وأناعيم.

وقوله: " أهملوا": أي اسرحوا إبلكم، والهمل ما كان غير محظور، وهو السدى، ويروى في مثل قوله:

إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت ... حميمك فاعلم أنها ستعود

عن **بعض الصالحين**[2] أنه كان يقول إذا مات له جار أو حميم: أولى لي! كدت والله أكون السواد المخترم[3].

---

١ س: "وفي هذا الشعر يقول".

٢ حاشية الأصل: "هو محمد بن الحنفية"، وهو من زيادات ر.

٣ يقال: اخترقن المنية، أى أخذتته من بين أصحابه.". (١)

٣٩٩. ٢١٠-"وقال رجل لرجل من قريش: إني والله ما أمل الحديث، قال: أيمل العتيق[1].

وقال المهلب بن أبي صفرة: العيش كله في الجليس الممتع.

وقال معاوية: الدنيا بحذافيرها الخفض والدعة.

وقال يزيد بن المهلب: ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله، قيل له: ولم أيها الأمير؟ قال: أكره عادة العجز.

ويروى عن **بعض الصالحين** أنه قال: لو أنزل الله كتابا أنه معذب رجلا واحدا لخفت أن أكونه، أو أنه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه، أو أنه معذبي[2] لا محالة ما ازددت إلا اجتهادا لئلا أرجع على نفسي بلائمة.

---

١ ر، س:"إنما يمل العتيق"، والعتيق: القديم.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/٨٨

٢ ر:"ولو علمت أنه معذبى"."، (١)

٤٠٠. ٢١١-"وقال الله عز وجل: ﴿فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ ١.

وقال رجل لمعاوية: والله لقد بايعتك وأنا كاره، فقال معاوية: قد جعل الله في الكره خيرا كثيرا.

وقوله:

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

نظيره قول كثير:

أقول لها يا عز كل مصيبة ... إذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وكان عبد الملك بن مروان يقول: لو كان قال هذا البيت في صفة الحرب لكان أشعر الناس.

وحكي عن بعض الصالحين أن ابنا له مات فلم ير به جزع، فقيل له في ذلك، فقال: هذا أمر كنا نتوقعه، فلما وقع لم ننكره.

---

١ سورة النساء ١٩."، (٢)

٤٠١. ٢١٢-"وقوله: وما تفغر بمنطقها فما. يقول: لم تفتح. يقال: فغرفاه. إذا فتحه١.

وقوله:

ولا عربيا شاقه صوت أعجما

يقول: لم أفهم ما قالت، ولكني استحسنت صوتها واستحزنته، فحننت له.

ويروى أن بعض الصالحين كان يسمع الفارسية تنوح ولا يدري ما تقول. فيبكيه ذلك ويرققه. ويذكر به غي ما قصدت له.

قال أبو العباس: وحدثت أن بعض المحدثين٢ سمع غناء بخراسان بالفارسية فلم يدر ما هو. غير أنه شوقه لشجاه وحسنه. فقال في ذلك:

حمدتك ليلة شرفت وطابت ... أقام سهادها ومضى كراها

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/١٩٠

(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/٢٥٦

سمعت بها غناء كان أولى ... بأن يقتاد نفسي من غناها

الغناء، الأول: المدود من الصوت. والذي ذكره بعد في القافية: من المال مقصور:

ومسمعه يحار السمع فيها ... ولا تصممه لا يصمم صداها٣

مرت أوتارها فشفت وشاقت ... فلو يسطيع حاسدها فداها

ولم أفهم معانيها ولكن ... ورت كبدي فلم أجهل شجاها

فكنت كأنني أعمى معنى ... بحب الغانيات وما يراها

[وقال عبد بني الحسحاس:

وراهن ربي مثل ما قد ورينني ... وأحمى على أكبادهن المكاويا] ٤

---

١ زيادات ر: "حكى ثعلب: "فغر فاه" و"فغر نفسه". وكذلك شجى فاه. وشجى نفسه".

٢ هو أبو تمام.

٣ قال المرصفي: يدعو لها بطول العمر. والعرب تقول: أصم الله صداه. تريد أهلكه. وإذا مات قالت: صم صداه. والصدى: ما تسمعه عقيب صياحك راجع إليك من جبل أو مكان مرتفع.

٤ ما بين العلامتين من زيادات ر.". (١)

٤٠٢. ٢١٣-"ومن كلام بعض الأعلام

الويل لمن أفسد آخرته بصلاح دنياه، ففارق ما عمر غير راجع إليه، وقدم على ما خرب غير منتقل عنه، قال أويس القرني رضي الله عنه: أحكم كلمة قالها الحكماء قولهم: صانع وجها واحدا، يكفيك الوجوه كلها وجد في بعض الكتب السماوية: إذا أحب العالم الدنيا نزعت لذة مناجاتي من قلبه.

الأيام خمسة

يوم مفقود، ويوم مشهود، ويوم مورود، ويوم موعود، ويوم ممدود، فالمفقود أمسك قد فاتك مع ما فرطت فيه، والمشهود يومك الذي أنت فيه فتزود فيه من الطاعات؛ والمورود هو غدك لا تدري هل هو من أيامك أم لا؟ والموعود هو آخر أيامك من أيام الدنيا فاجعله نصب عينيك؛ واليوم الممدود هو آخرتك وهو يوم لا انقضاء له فاهتم له غاية اهتمامك، فإنه إما نعيم دائم أو عذاب مخلد.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٣/٩٤

ومن كلام بعض الأعلام إن الله نصب شيئين، أحدهما أمر؛ والآخر ناهي، الأول يأمر بالشر وهي النفس، " إن النفس لأمارة بالسوء "؛ والآخر ينهى عن الشر وهو الصلاة " إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " فكما أمرتك النفس بالمعاصي والشهوات فاستعن عليها بالصلاة، روي أن بعض الأنبياء ناجى ربه فقال: يا رب كيف الطريق إليك فأوحى الله إليه أترك نفسك وتعال إلي، في المثل حدث المرأة حديثين، فإن لم تفهم فأربع، يمكن أن يكون فأربع بمعنى أربع مرات، ويمكن أن يكون أمرا بمعنى كف واسكت، ويمكن أن يكون بمعنى اضربها بالمربعة يعني العصا.

قيل **لبعض الصالحين** إلى كم تبقى عزبا ولا تتزوج؟

فقال: مشقة العزوبة أسهل من مشقة الكد في مصالح العيال.

قال بعض الملوك لوزيره يوما ما أحسن الملك لو كان دائما؟ فقال الوزير: لو كان دائما ما وصل إليك.

قال بعض الملوك لبعض العلماء وقد حضر العالم الوفاة: أوص لعيالك إلي فقال: العالم: أستحيي من الله أن أوصي بعبد الله إلى غير الله.

قيل لبعض الصوفة

مالك إذا تكلمت بكى ... كل من يسمعك ولا يبكي

من كلام واعظ البلد أحد؟ فقال: ليست نائحة الثكلى كالمستأجرة". (١)

٤٠٣. ٢١٤-"وكان طاوس يقول: دعاء المريض مستجاب، أما سمعت قوله تعالى: أمن يجيب المضطر إذا دعاه

«١» والمريض مضطر جدا.

وفي خبر آخر: حمى ليلة كفارة سنة «٢» .

وقال بعض العلماء: رب مرض يكون تمحيصا لا تنغيصا، وتذكيرا لا تمكيرا، وأدبا لا غضبا.

وقال ابن المعتز: قلت لبعض فقهائنا، وأنا عليل وقد سألني عابد بحضرته عن حالي فقال لي: كيف أنت؟ فقلت: أتراني إن قلت في عادية كنت كاذبا، فقال: لا، قد قال **بعض الصالحين**: إذا أعلك الله في جسدك فقد أصحك من ذنوبك.

باب ذم المرض

---

(١) الكشكول ١/ ١٢٤

كان يقال: الصحة تشبه الشباب، والمرض يشبه الهرم «٣» .

وقيل: لا رفيق أرفق من الصحة، ولا عدو أعدى من المرض «٤» .

وقال آخر: شيئان لا يعرفان إلا بعد ذهابهما: الصحة والشباب.

وقال بزرجمهر: إن كان شيء فوق الموت فهو المرض، وإن كان شيء مثله فهو الفقر، وإن كان شيء فوق الحياة فهو الصحة". (١)

٤٠٤. ٢١٥-"بسم الله الرحمن الرحيم*

والحمد لله وحده.

[دعاء إبراهيم]

انظر إلى قول الله عز وجل: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا)

[١] ، ضيق إبراهيم، واشترط الرزق للمؤمنين، فوسع الله عز وجل، المولى الكريم، وقال: (ومن كفر) *

فسبحان من هو كما قال **بعض الصالحين**: «أنا في جراية من إذا غضب رزق» ، وقد فسر قوله عز وجل: (خير الرازقين) *

[٢] على هذا النحو.

قال الوزير الكامل أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين المغربي [٣] رضي الله عنه، فيما رأيته بخطه: «رأيت في سورة الحديد شيئا كأنه موعظة لي ولأشباهي، قوله الله عز وجل: (ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم

---

[١] البقرة ١٢٦.

[٢] المؤمنون ٧٢، سبأ ٣٩، الجمعة ١١.

[٣] الحسين بن علي المغربي: الوزير المغربي الحسين بن علي بن الحسين، أبو القاسم، وزير، من الدهاة الأدباء، ولد بمصر، وقتل الحاكم الفاطمي أباه فهرب إلى الشام، ثم رحل إلى بغداد، واستوزره مشرف

---

(١) اللطائف والظرائف ص/٢٦٧

الدولة البويهي ببغداد، له من الكتب: (اختيار شعر أبي تمام) ، و (اختيار شعر البحتري) ، و (اختيار شعر المتنبي والطعن عليه) ، و (أدب الخواص) ، و (الإيناس) ، وغيرها، توفي سنة ٤١٨ هـ- ودفن بالكوفة.

(لسان الميزان ٣٠١/٢، وفيات الأعيان ١٥٥/١، شذرات الذهب ٢١٠/٣، أعتاب الكتاب ص ٢٦، الوزير المغربي- إحسان عباس ط- دار الشروق، عمان ١٩٨٨) .". [(١)]

٤٠٥. ٢١٦-"كل شيء أربعة أمثاله، والفرار يوم الزحف، ومن أقاويل أهل الحجاز: استماع الملاهي، والجمع بين الصلاتين من غير عذر، والمتعة بالنساء، والدرهم بالدرهمين، والدينار بالدينارين يدا بيد، وإتيان النساء في أدبارهن، أخرجه ابن عساكر.

في تاريخ الصلاح الصفدي

حكى ابن صاحب الصلاة عن **بعض الصالحين** أنه رأى أبا بكر محمد بن محمد اليعمري الأبذي في النوم بعد موته، فقال له: كيف حالك وما لقيت من ربك فأنشده بيتين لم يسمعا قبل، وهما [١] : [البسيط]

من سره العيش في الدنيا بخلقة من ... يصور الخلق في الأرحام كيف يشا [٢]

فليحزن اليوم حزنا تحت سطوته ... معللا يمتطي جمر الغضا فرشا [٣]

قال القاضي أبو القاسم محمد بن محمد بن نوح الغافقي قاضي بلنسية [٤] مات سنة أربع عشرة وست مائة [٥] : [السريع]

لا تغبطن كل موفور الغنى ... مشتمل ملابس العظمه

يلمز لا يستن إلا بما ... يحويه من أكياسه المفعمه [٦]

فالله قد أخبر عن مثله ... قال في آياته المحكمه [٧]

يحسب أن ماله أخلده ... كلا لينبذن في الحطمه [٨]

نظم الصاحب تاج الدين حنا يوما [٩] : [الطويل]

توافي الجمال الفائزي وإنه ... لخير صديق كان في زمن العسر

وأمر السراج الوراق باجازته فقال: [الطويل]

---

(١) المجموع اللفيف ص/٢٧

فيا رب عامله بألطافك التي ... يكون بها في الفائزين لدى الحشر

---

[١] الصفدي: الوافي بالوفيات ١/٢١٤ تحقيق هلموت ريتر، ط فسبادن ١٩٩٢.

[٢] العيث: الفساد.

[٣] في الوافي: حزنا قبل سطوته مغللا.

[٤] بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس، متصلة بحوزة كورة تدمير وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي برية بحرية. (ياقوت: بلنسية) .

[٥] الوافي بالوفيات ١/٢١٦.

[٦] يستن: يمضي على وجهه. (اللسان: سنن) .

[٧] في النسخ والوافي: أخبر عن أمثاله، ولا يستقيم بها الوزن، ولعل الصواب ما أثبتناه.

[٨] سورة الهمزة ٤. في ط: أن خالدا أخلده.

[٩] الوافي ١/٢٢٠.". (١)

٤٠٦. ٢١٧-"يديل بأنياب حداد كأنها ... إذا قلص الأشداق عنها خناجر

فائدة: إذا أقبلت على واد مسبع، فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الأسد، وسبب ذلك على ما قيل: إن بختنصر رأى في نومه أن هلاكه يكون على يد مولود، فجعل يأمر بقتل الأطفال، فخافت أم دانيال عليه، فجاءت إلى بئر، فألقته فيه، فأرسل الله له أسدا يحرسه، وقيل: إن بختنصر توهم ذلك في دانيال، فضرى له أسدين وجعلهما في الجب وألقاه عليهما، فلم يؤذياه، وصار يبصبصان حوله، ويلحسانه، فأقام ما شاء الله تعالى أن يقيم، ثم اشتهى الطعام والشراب، فأوحى الله تعالى إلى أرمياء بالشأم أن إذهب إلى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا.

قال أرمياء: فسرت إلى ذلك الموضع، فلما وقفت على رأس الجب ناديته، فعرفني فقال: من أرسلك إلي؟ قلت:

أرسلني الله إليك بطعام وشراب، فقال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي لا يخيب من قصده، والحمد لله الذي من وثق به لا يكله إلى غيره، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا

---

(١) المحاضرات والمحاورات ص/١٢٦

وبالصبر نجاة وغفرانا، والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا. قال: ثم صعد به أرمياء من الجب، وأقام عنده مدة، ثم فارقه ورجع.

وحكي أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام مر بقبر دانيال عليه الصلاة والسلام، فسمع منه صوتا يقول:

سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت. قال بعض الصالحين: من قال هذه الكلمات استغفر له كل شيء.

وحكي أن إبراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقة، فخرج عليهم الأسد، فقال لهم: قولوا أللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا ألله يا ألله يا ألله.

قال: فولى الأسد هاربا.

وقيل: لما حمل نوح عليه الصلاة والسلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه: كيف نطمئن ومعنا الأسد؟ فسلط الله عليه الحمى، وهي أول حمى نزلت في الأرض، ثم شكوا إليه العذرة، فأمر الله تعالى الخنزير، فعطس فخرج منه الفأر، فلما كثر زاد ضرره، فشكوا ذلك لنوح عليه الصلاة والسلام، فأمر الله سبحانه وتعالى الأسد، فعطس، فخرج منه الهر، فحجب الفأر عنهم، ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير.

خواصه: فمن خواصه أن صوته يقتل التماسيح، وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع، ومرارة الذكر منه تحل المعقود، ولحمه ينفع من الفالج، وإذا وضعت قطعة من جلده في صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة، وإذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره، وهو من الحيوان الذي يعيش ألف سنة على ما ذكر «١» ، وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه.

(الإبل)

قيل: ما خلق الله شيئا من الدواب خيرا من الإبل. إن حملت أثقلت، وإن سارت أبعدت، وإن حلبت أروت، وإن نحرت أشبعت. وفي الحديث: «الإبل عز لأهلها والغنم بركة، والخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» ، وهي من الحيوان العجيب، وإن كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس، وقد أطاعها الله للآدمي وغيره حتى قيل: إن قطارا كان ببعض حبله دهن، فمرت فأرة، فجذبته، فسار

معها القطار بواسطة جذبها له، وهي مراكب البر، ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى:
وعليها وعلى الفلك تحملون ٢٢
«٢»
. ولما كانت مراكب البر والبر فيه ما ماؤه قليل، وما ماؤه كثير جعل الله تعالى لها صبرا على العطش حتى قيل: إنه يرتع ظمؤها إلى عشر. وفي الحديث: «لا تسبوا الإبل فإنها من نفس الله تعالى أي مما يوسع به على الناس» . حكاه ابن سيده.
والذي يعرف: لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن.
قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان: ليس لشيء من الطحول مثل ما للجمل عند هيجانه، فإنه يسوء خلقه، فيظهر زبده، ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل، ويقل أكله، ويخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من أي شيء هي من أجزائه، وهو من الأحرار حتى قيل: إنه لا ينزو لا على أمه ولا على أخته حتى قيل:
إن بعض العرب ستر ناقته بثوب ثم أرسل عليها ولدها، فلما عرف ذلك عمد إلى إحليله، فأكله، ثم حقد على صاحبه حتى قتله، وليس له مرارة، ولذلك كثر صبره.
وقيل: يوجد على كبده شيء رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة في العين كحلا، وفي معدته قوة حتى أنها تهضم الشوك وتستطيبه، ويحل أكله بالنص والاجماع، وأما". (١)

٤٠٧. ٢١٨-"فقال: كن كزكريا إذ نادى ربه نداء خفيا، وينبغي للداعي أن لا يتكلف وأن يأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم. يقول: أللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» .
وقيل: ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق. وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات، فما دونها، كما في آخر سورة البقرة. وعن سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فقد أجاب الله دعاء شر الخلق إبليس، إذ قال:
«رب انظرني إلى يوم يبعثون» وعن النبي صلى الله عليه وسلم: إذا سأل أحدكم مسألة فتعرف الاجابة،

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٣٤٧

فليقل: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ومن أبطأ عليه من ذلك شيء فليقل: الحمد لله على كل حال. وعن سلمة بن الأكوع قال: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا قال:

«سبحان ربي الأعلى الوهاب» . وعن أبي سليمان الداراني: من أراد أن يسأل الله حاجة، فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الإجابة، ولا يقنط من رحمة الله لأنه يدعو كريما.

وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة، وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الأذان والإقامة، وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين إلى أن يسلم من الصلاة، وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش في الجهاد في سبيل الله تعالى، وفي الثلث الأخير من الليل لما جاء في الحديث: «إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئا إلا أعطاه» . وفي حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء، وما بين الظهر والعصر في يوم الأربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض. هذا كله جاءت به الآثار. قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفتح ثلاثة أيام: يوم الاثنين ويوم الثلاثاء، واستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين، فعرفت السرور في وجهه، قال جابر: ما نزل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة فادعو فيها فأعرف الإجابة.

وفي بعض الكتب المنزلة: يا عبدي إذا سألت فاسألني فإني غني وإذا طلبت النصرة فاطلبها مني فإني قوي، وإذا أفشيت سرك فافشه إلي فإني وفي وإذا أقرضت فأقرضني فإني ملي، وإذا دعوت فادعني فإني حفي» . وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» . وقال وهب بن منبه بلغني أن موسى مر برجل قائم يبكي ويتضرع طويلا، فقال موسى: يا رب أما تستجيب لعبدك؟ فأوحى الله تعالى إليه: «يا موسى لو أنه بكي حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له» . قال: يا رب لم ذلك؟ قال: لأن في بطنه الحرام. ومر إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه وقالوا: يا أبا إسحاق ما لنا ندعوا فلا يستجاب لنا؟ قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: الأول أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، الثاني زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته، الثالث: قرأتم القرآن ولم تعملوا به،

الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها، الخامس قلت إن الشيطان عدوكم ووافقتموه، السادس: قلتم إن الجنة حق فلم تعملوا لها، السابع قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها، الثامن: قلتم إن الموت حق فلم تستعدوا له، التاسع: انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم، العاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

وكان يحيى بن معاذ يقول: من أقر لله باساءته جاد الله عليه بمغفرته، ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله إلى جنته، ومن أخلص لله في دعوته من الله عليه بإجابته.

وقال علي رضي الله تعالى عنه: ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء. وعن أنس رضي الله تعالى عنه (يرفعه) : «لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد» .

الفصل الثاني في الأدعية وما جاء فيها

كان من دعاء شريح رحمه الله تعالى: اللهم إني أسألك الجنة بلا عمل عملته، وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته.

ودعت أعرابية عند البيت فقالت: إلهي لك أذل وعليك أدل.

وكان من دعاء **بعض الصالحين** اللهم إن كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها إليك وهو الإشراك وإن كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها إليك وهو شهادة أن لا إله إلا أنت وإن رسلك جاءت بالحق من عندك.

ومن دعاء سلام بن مطيع: «اللهم إن كنت بلغت أحدا". (١)

٤٠٨. ٢١٩-"من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية» . وقيل لفتح الموصلي: ادع الله لنا، فقال: اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك. وكان من دعاء بعض السلف: اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي فإن لم تقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى الناس فنضيع. وقال الحسن:

من دخل المقابر، فقال: اللهم رب الأرواح الفانية والأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني، كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٤٨١

وحكي عن معروف القاضي أن الحجيج كانوا يجتهدونه في الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن أن يدعو، فخشع قلبه وبكى فقال بلغته: اللهم إنك تعلم أني لا أحسن شيئا من الدعاء، فاسألك ما يطلبون منك بما دعوا، فرأى بعض الصالحين في منامه أن الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركماني لما نظر إلى نفسه بالفقر والفاقة.

وقال الأصمعي: حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت، وهي: اللهم إن ذنوبي وإن كثرت وجلت عن الصفة فإنها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني.

وركب إبراهيم بن أدهم في سفينة، فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك، وكان إبراهيم نائما في كساء، فاستوى جالسا وقال: أريتنا قدرتك فأرنا عفوك، فذهب الريح وسكن البحر.

وقال الثوري: كان من دعاء السلف، اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها. وكان بعض الأعراب إذا أوى إلى فراشه قال: اللهم إني أكفر بكل ما كفر به محمد وأؤمن بكل ما آمن به، ثم يضع رأسه.

وسمعت بدوية تقول في دعائها: يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم، فزجرها رجل، فقالت: دعني أصف ربي وأمجد إلهي بما تستحسنه العرب.

وقال الزمخشري في كتابه «ربيع الأبرار» : سمعت أنا من يدعو من العرب عند الركن اليماني: يا أبا المكارم يا أبيض الوجه، وهذا ونحوه منهم إنما يقصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة، لأنه لا فرق عندهم بين الكريم وأبي المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والأبيض الوجه.

وقيل لأعرابي: أتحسن أن تدعو ربك؟ قال: نعم.

قال: اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك.

وذكر لعبد السلام بن مطيع أن الرجل تصيبه البلوى، فيدعو فتبطيء عنه الإجابة، فقال: بلغني أن الله تعالى يقول: كيف أحرمه من شيء به أرحمه. وقال طاوس:

بينما أنا في الحجر ذات ليلة إذ دخل على علي بن الحسين، فقلت: رجل صالح من أهل بيت الخير لأسمعن دعاءه، فسمعته يقول: عبدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك، فما دعوت بهما في كرب إلا فرج عني.

ودعا أعرابي فقال: اللهم إنا نبات نعمتك. وقال ابن المسيب: سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم

إني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا، فدعوت به، فما وجدت إلا خيرا. ودعت أعرابية بالموقف، فقالت:

أسألك سترك الذي لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح.

وقيل: اتقوا مجانيق الضعفاء أي دعواتهم، ودعا أعرابي فقال: اللهم أمح ما في قلبي من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة. وصلى رجل إلى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام، فجذب ثوبه وقال: أما لك إلى ربك حاجة؟. وقال سفيان الثوري: سمعت أعرابيا يقول: اللهم إن كان رزقي في السماء، فأنزله، وإن كان في الأرض فأخرجه، وإن كان بعيدا فقربه، وإن كان قريبا فيسره، وإن كان قليلا فكثره، وإن كان كثيرا فبارك لي فيه.

وقال أبو نواس:

أحببت من شعر بشار وكلمته ... بيتا لهجت به من شعر بشار «١»

يا رحمة الله حلي في منازلنا ... وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعني بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل بها، ونعني بها هنا رحمة الله التي وسعت كل شيء.

وسمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة: يا من لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه إلحاح الملحين، أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك، فقال علي: والذي". (١)

٤٠٩. ٢٢٠-"برأسها تنتظر وتترقب. وقال آخر وهو الفزاري:

ترى كل ذيال إذا الشمس عارضت ... سما بين عرسيه سمو المخايل

يعني الضب، ويروي أن الضب قال لصاحبه:

أهدموا بيتك لا أبالك ... وزعموا أنك لا أخالك

وأنا أمشي الحيكى حوالك

يقال فلان يحيك في مشيته إذا تبختر فيها، يقول: كيف زعموا أنه لا أخالك وأنا أخوك وأمشي التبختر حواليك. وقال آخر:

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٤٨٢

وأنت لو ذقت الكشى بالأكبا ... لم تركت الضب يعدو بالواد

الكشية شحم بطنه، يقول: لو عرفت طعمها مع الأكباد لصدت الضب ولم تتركه، والمكن بيض الضب، يقال ضبة مكون، وروي عن **بعض الصالحين** أنه قال: ضبة مكون أحب إلي من دجاجة سمينة. وقال أبو الهندي:

ومكن الضباب طعام العريب ... ولا تشتهيه نفوس العجم

وقال آخر وهو جران العود:

قريت الضب من حبي كشاها ... وأي لوية إلا كشاها". (١)

٤١٠. ٢٢١-"ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم" وكان يقول: "شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة"١ وعلا عمر -رضي الله عنه- ولده عبد الله بن عمر بالدرة٢ إذ دخل عليه فرآه يجمع في طعامه بين الثريد والشواء، وكان **بعض الصالحين** يعد الجمع بين الخبز والملح شهوة فيتجنبها، وكان بعضهم يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم يأكله قائلا كسرة وملح حتى يتهيأ في الآخرة الشواء، ومنهم من لم يأتدم في حياته لا بالجوذاب٣ والكباب ولا بالخل والزيت.

فهل كان واحد من هؤلاء بطرا بنعمة الله أو محرما ما حلل الله؟ لا فما كل من أبغض حلالا حرمه ولا كل من أحب حراما حلله فقد اعتقد صاحب أبي حنيفة بحل النبيذ، فلما أريد عليه قال: لو قطعت إربا إربا ما حرمته، ولو قطعت إربا إربا ما شربته، وعلم النبي -صلى الله عليه وسلم- بحل الطلاق ثم قال: "أبغض الحلال إلى الله الطلاق" بل لو تبينت لعلمت أن قاعدة التحريم والتحليل في الشرائع الدينية مصادرة النفوس في ميولها

---

١ مخ الحنطة: خالصها.

٢ الدرة: السوط يضرب به، وكان في يد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- درة لا تكاد تفارق يده.

٣ الجوذاب: طعام يتخذ من سكر ورز ولحم.". (٢)

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني ٢/٦٥٠

(٢) النظرات ٢/٣٠٩

٤١١. ٢٢٢-"أبو فراس يذكرها بشارا وضمن شعره بيتا له جرى فيه مجرى المثل لحسنه وسلامته

(أحببت من شعر بشار لحبكم ... بيتا لهجت به من شعر بشار)

(يا رحمة الله حلى في منازلنا ... وجاورينا فدتك النفس من جار)

٢ - (ستر الله) في مناجاة **بعض الصالحين** يا رب غرني سترك المرخى على فعصيتك لجهلى فالآن من عذابك من يستنقذني وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني

وفي الدعوات المأثورة اللهم استرنا بسترك الجميل وأظلنا بظلك الظليل

وقرىء مكتوب على ستر من ستور الموصل هذا ستر حسن وستر الله أحسن فأما قول الشاعر

(رمتنى وستر الله بيني وبينها ... ونحن بأكناف الحجاز رميم)

فقد اختلفت أقوال أصحاب المعانى فيه فمن قائل إنه أراد به الإسلام وقائل إنه أراد به الشيب وثالث قال إنه أراد به الكعبة

ولما أراد الحسن البصرى الحج قال له ثابت البنانى يا أبا سعيد بلغنى أنك تريد الحج فأحببت أن نصطحب فقال ويحك دعنا نتعايش بستر الله إنى أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه". (١)

٤١٢. ٢٢٣-"فاحذر أيها الأمير أن تشقى بطلب الفاني، وترك الباقي، فتكون من النادمين، واعلم أن حكيما قال:

أين الملوك التي عن حظها غفلت ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

نعوذ بالله من الحور بعد الكور١، ومن الضلالة بعد الهدى، لقد حدثت أيها الأمير عن **بعض الصالحين** أنه كان يقول: "كفى بالمرء خيانة أن يكون للخونة أمينا، وعلى أعمالهم معينا".

"الحسن البصري لابن الجوزي ص٥١".

---

١ الحور: النقصان، والكور: الزيادة، وهو حديث شريف: "نعوذ بالله من الحور بعد الكور" أي من النقصان بعد الزيادة؛ وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها: وأصله من كور العمامة وهو لفها

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص/٣٢

وجمعها.". (١)

٤١٣.	٢٢٤-"الصلاة إنما هي من متاع البيت» .

فرع

: إذا كان للإنسان هرة تأخذ الطيور، وتقلب القدور، فأفلتت وأتلفت، فهل على صاحبها ضمان ما أتلفت؟ وجهان، أصحهما: نعم. سواء أتلفت ليلا أو نهارا، لأن مثل هذه الهرة ينبغي أن تربط ويكف شرها. وكذا الحكم في كل حيوان يولع بالتعدي، أما إذا لم يعهد منها ذلك، فالأصح لا ضمان،، لأن العادة جرت بحفظ الطعام عنها، لا بربطها. وأطلق إمام الحرمين في ضمان ما تتلفه الهرة أربعة أوجه: أحدها يضمن، والثاني لا، والثالث يضمن ليلا لا نهارا، والرابع عكسه: لأن الأشياء تحفظ عنها ليلا. وإذا أخذت الهرة حمامة أو غيرها وهي حية، جاز فتل أذنها وضرب فمها، لترسلها فإذا قصدت الحمام فأهلكت بالدفع، فلا ضمان. فإذا كانت الهرة ضارية بالإفساد فقتلها إنسان في حال إفسادها دفعا جاز ولا ضمان عليه، كقتل الصائل دفعا، وينبغي تقييد ذلك، بما إذا لم تكن حاملا لأن في قتل الحامل قتل أولادها، ولم يتحقق منهم جناية.

وأما قتلها في غير حالة الإفساد، ففيه وجهان: أصحهما عدم الجواز ويضمنها. وقال القاضي حسين: يجوز قتلها ولا ضمان عليه فيها، وتلحق بالفواسق الخمس فيجوز قتلها، ولا يختص بحال ظهور الشر، وسؤرها طاهر لطهارة عينها، ولا يكره، فلو تنجس فمها ثم ولغت في ماء قليل، فثلاثة أوجه: الأصح أنها إن غابت واحتمل ولوغها في ماء يطهر فمها، ثم ولغت لم تنجسه، والثاني تنجسه مطلقا، والثالث عكسه وغير الماء من المائعات كالماء.

الأمثال

: قالوا: «أبر من هرة» «١» أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم قال الشاعر:

أما ترى الدهر وهذا الورى ... كهرة تأكل أولادها

وقالوا: «فلان لا يعرف هر من بر» «٢» قال ابن سيده: يعني لا يعرف الهر من الفار. وقال الزمخشري: لا يعرف من يكرهه ممن يبره، وما أحسن قول «٣» أحمد بن فارس صاحب المجمل في اللغة، وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة:

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ٤٩٤/٢

إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا ... عسى يوما يكون لها انفراج

نديمي هرتي وأنيس نفسي ... دفاتر لي ومعشوقي السراج

قال شيخنا اليافعي رحمه الله تعالى: أخبرني **بعض الصالحين** من أهل اليمن، أن هرة كانت تأتي الشيخ العارف الأهدل بالدال المهملة، فيطعمها من عشائه، وكان اسمها لؤلؤة، فضربها خادم الشيخ ذات ليلة فماتت، فرمى بها الخادم في خرابة، لئلا يعلم الشيخ بذلك، فلما جاء الشيخ سكت عنه ليلتين أو ثلاثا، ثم قال: أين لؤلؤة؟ فقال: ما أدري، فقال الشيخ: ما تدري، ثم ناداها". (١)

٤١٤. ٢٢٥-"والمخشاة: مصدر ميمي بمعنى الخشية وهي الخوف. والوجيب: السقوط والخفقان والاضطراب.

وقوله: ولا خير فيمن لا يوطن نفسه قال المبرد: نظيره قول كثير:

(أقول لها يا عز كل مصيبة ... إذا وطنت يوما لها النفس ذلت)

وكان عبد الملك بن مروان يقول: لو كان هذا البيت في صفة الحرب لكان أشعر الناس.

وحكي عن **بعض الصالحين** أن ابنا له مات فلم ير به جزع فقيل له في ذلك فقال: هذا أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره.

وقوله: إذا لم تعد الشيء أي: إذا لم تتعده وتتجاوزه. ويريب من أراب الشيء إذا أوقع في ريبة وشبهة.

وأنشد بعده

(الشاهد الخامس والخمسون بعد الثمانمائة)

أم الحليس لعجوز شهربه". (٢)

٤١٥. ٢٢٦-"يتكلم أحد بعيب امرأته؟ فلما طلقها قيل له: ما كان عيبها؟ قال هي امرأة غيري، مالي ومالها؟.

١٣٧- عن **بعض الصالحين** أنه سمع غيبة من امرأة فصاح: الحريق! فازدحم الناس على بابه فلم يروا شيئا، فقالوا له، فقال: وقع الحريق في وفيها وفي أهلي، وما ملكت يدي حين اغتابت.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ٢/٥٢٥

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ١٠/٣٢٢

١٣٨- كان بعض الصلحاء يضع في كمه الفانيذ «١» ، فإذا رأى أحد يغتاب، يذكر أحدا بسوء لقمه الفانيذة، وقال: هذا أحلى مما تكلمت به فاتركه.

١٣٩- بلغ الحسن البصري أن فلانا قد اغتابك، فأهدى إليه طبقا من رطب. فأتاه الرجل وقال: أغتبتك، فأهديت إلي؟ فقال: الحسن: قد أهديت إلى حسناتك فأردت أن أكافئك.

١٤٠- عن النبي صلى الله عليه وسلم: ليلة أسري بي إلى السماء رأيت قوما يأكلون الجيف، فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس.

١٤١- فضيل: لكل شيء ديباج «٢» ، وديباج القراء ترك الغيبة.

١٤٢- مر عمرو بن العاص على بغل ميت، فقال لأصحابه: والله لئن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحكم أخيه.

١٤٣- النبي صلى الله عليه وسلم: من اغتيب غيبة غفر الله نصف ذنوبه.

١٤٤- أبو هريرة: لئن أقوم إلى كوز «٣» ماء فأشربه في رمضان أحب إلي من أن أغتاب مسلما.".
(١)

٤١٦. ٢٢٧-"٩٩- سمع عمر رضي الله عنه رجلا يقول اللهم اجعلني من الأقلين، فقال: ما أردت بهذا؟ قال قوله تعالى: وما آمن معه إلا قليل
«١» ، وقوله: وقليل من عبادي الشكور
«٢» ، فقال: عليكم من الدعاء بما يعرف.

١٠٠- سأل أعرابي على باب دار، فقال له صبي: بورك فيك، فقال: قبح هذا الفم، لقد تعلم الشر صغيرا.

١٠١- سعيد بن المسيب: مر بي صلة بن أشيم فقلت له ادع الله لي، فقال: رغبك الله فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعول في الدين إلا عليه.

١٠٢- شكا رجل إلى الحسن رجلا يظلمه فقال: إذا صليت الركعتين بعد المغرب وسلمت، فاسجد وقل: يا شديد القوى، يا شديد المحال، يا عزيز، أذللت بعزتك جميع من خلقت، صل على محمد وآله، واكفني مؤونة فلان بما شئت. فلم يرع إلا بالواعية «٣» في الليل، فسأل عنها، فقيل مات فلان

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٣٣٦/٢

فجأة.

١٠٣- قال موسى عليه السلام: يا رب إنك لتعطيني أكثر من أملي، قال: إنك تكثر قول ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

١٠٤- بعض الصالحين كان يقول قبل الصلاة: يا محسن قد جاءك المسيء، وقد أمرت المحسن أن يتجاوز عن المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك.

١٠٥- أعرابي كان يدعو في صلاته: اللهم ارزقني عمل الخائفين، وخوف العاملين، حتى أنعم بترك النعيم، طمعا بما وعدت، وخوفا مما أوعدت.". (١)

٤١٧. ٢٢٨-"١٧٦- أعوذ بالله من كل ما يؤدي إلى موارط نقمته، ويحجب عن موارد نعمته.

١٧٧- قيل لبعض المجان: كيف أنت في دينك؟ قال: أخرقه بالمعاصي، وأرقعه بالاستغفار.

١٧٨- عن بعض أهل البيت: نعوذ بالله من بيات غفلة، وصباح ندامة.

١٧٩- الخضر «١» عليه السلام: اللهم إني أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت واستغفرك لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك، واستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك، واستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها على معصيتك، واستغفرك، يا عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، من كل ذنب أو معصية ارتكبتها في ضياء النهار وسواد الليل، في ملاء أو خلاء، أو سر أو علانية، يا حليم. قال الأوزاعي: من دعا بها غفر الله له ولو كانت ذنوبه عدد ورق الشجر، ورمل عالج «٢» ، وقطر السماء.

١٨٠- بعض الصالحين: اللهم إني استغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك، ونالته يدي بفضل نعمتك، وانبسطت إليه بسعة رزقك، واحتجبت فيه عن الناس بسترك، واتكلت فيه على أناتك وحلمك، وعولت فيه على كرم عفوك.". (٢)

٤١٨. ٢٢٩-"لنفسك أو لتكونن معيشتك فيه ضنكا.

١٨١- حاتم الأصم: ما من صباح إلا ويقول الشيطان لي: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٣٦٥/٢

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٣٧٧/٢

له: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر.

١٨٢- الصاحب في تعزية عن بنت: لئن كانت الأيام قد فجعتك من المتوفاة بمن يوحش الخدور، فقد تجافت لك من ذكورة الولد عمن يؤنس الصدور.

١٨٣- معاذ بن جناب اليربوعي، وعاش مائة وأربعين سنة:

للموت ما يغذى وللموت قصرنا ... ولا بد من موت وإن نفس العمر

فمن كان مغرورا بطول حياته ... فإني كفيل أن سيصرعه الدهر

وليس بباق إن سألت ابن مالك ... على الدهر إلا من له الدهر والأمر

١٨٤- قال مسلم بن عبد الملك: ما وعظني إلا عمران بن حطان في قوله:

أفي كل عام مرضة ثم نقهة ... وتنعي ولا تنعى فكم ذا إلى متى

فقال له معاوية الصوفي: أما أنا فقد سمعته أمات الموت وما أماته شاعر قبله، حيث يقول:

لا يعجز الموت شيء دون خالقه ... والموت فإن إذا ما جاءه الأجل

وكل شيء أمام الموت متضع ... للموت والموت فيما بعده جلل

١٨٥- الأمير نصر بن أحمد عند وفاة أخيه أبي الأشعث:

يعزي المعزي ثم يمضي لشأنه ... ويبقى المعزى في أحر من الجمر

ويسلو المعزي عن قليل كغيره ... ويبقى المعزى عنه في وحشة القبر

١٨٦- كان **بعض الصالحين** إذا مات له حميم يقول: كدت والله أكون السواد المختوم.". (١)

٤١٩. ٢٣٠-"قائم فيكم، وألسنة الآيات تناديكم، لم تمح سطورها، ولا احتجب نورها، وأنتم بقايا من فتحها عن عدد قليل، وظفر فيها كل خطب جليل، فوالله لو تمحض الإيمان ورضى الرحمن، ما ظهر التثليث في هذه الجزيرة على التوحيد، ولا عدم الإسلام فيها عادة التأييد. لكن شمل الداء وصم النداء، وعميت الأبصار، فكيف الاهتداء والباب مفتوح، والفضل ممنوح. فتعالوا نستغفر الله جميعا، فهو الغفور الرحيم، ونستقيل مقيل العثار، فهو الرؤوف الحليم، ونصرف الوجوه إلى الاعتراف بما قدمت أيدينا، فقبول المعاذير من شأن الكريم. سدت الأبواب، وضعفت الأسباب، وانقطعت الآمال إلا منك يا فتاح يا وهاب: " يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم. يا أيها

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ١٥٤/٥

الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وليجدوا فيكم غلظة، واعلموا أن الله مع المتقين، ولا تهنوا ولا تحزنوا، وأنتم الأعلون، إن كنتم مؤمنين. يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ". أعدوا الخيل وارتبطوها، وروضوا النفوس على الشهادة وغبطوها، فمن خاف الموت، رضى بالدنية، ولا بد على كل حال من المنية، والحياة مع الذل ليست من شيم النفوس السنية. واقتنوا السلاح والعدة، وتعرفوا إلى الله في الرخاء يعرفكم في الشدة، واستشعروا القوة بالله على أعداء الله وأعدائكم، واستميتوا من دون أبنائكم، فكونوا كالبنيان المرصوص، لحملات هذا العدو النازل بفنائكم، وحوطوا بالتعويل على الله وحدة بلادكم، واشتروا من الله جل جلاله أولادكم. ذكروا أن امرأة احتمل السبع ولدها، وشكت **لبعض الصالحين**، فأشار عليها بالصدقة، فتصدقت برغيف، وأطلق السبع ولدها، وسمعت النداء يا هذه لقمة بلقمة،، وإنا لما استودعناه لحافظون. واهجروا الشهوات، واستدركوا البقية من الفوات، وافضلوا لمساكنكم من الأقوات، واخشعوا لما أنزل". (١)

٤٢٠. ٢٣١-"وقال الأصمعي: قيل **لبعض الصالحين**: كيف حالك؛ فال: كيف حال من يفنى ببقائه، ويسقم بسلامته، ويؤتى من مأمنه وقال محمود الوراق:

يحب الفتى طول البقاء كأنه ... على ثقة أن البقاء بقاء

إذا ما طوى يوما طوى اليوم بعضه ... ويطويه- إن جن المساء- مساء

زيادته في الجسم نقص حياته ... وأني على نقص الحياة نماء «١»

جديدان لا يبقى الجميع عليهما ... ولا لهما بعد الجميع بقاء

وقال المتنبي:

زيادة شيب وهي نقص زيادتي ... وقوة عشق وهي من قوتى ضعف

وبيت محمود الأخير كقول البحترى:

أناة أيها الفلك المدار ... أنهب ما تصرف أم جبار «٢»

ستفنى مثل ما تفنى وتبلى ... كما تبلى فيدرك منك ثار

تناب النائبات إذا تناهت ... ويدمر في تصرفه الدمار

وما أهل المنازل غير ركب ... مطاياهم رواح وابتكار

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ٥٤/٢

ويقول فيها:

لنا في الدهر آمال طوال ... نرجيها وأعمار قصار

أما وأبى بنى حار بن كعب ... لقد طرد الزمان بهم فساروا

أصاب الدهر دولة آل وهب ... ونال الليل منهم والنهار

أعارهم رداء العز حتى ... تقاضاهم فردوا ما استعاروا

وقد كانوا وأوجههم بدور ... لمبصرها وأيديهم بحار «٣»

أخذ قوله: «ستفنى مثل ما تفنى» أبو القاسم بن هانىء فقال:

تفنى النجوم الزهر طالعة ... والنيران الشمس والقمر". (١)

٤٢١. ٢٣٢-"الغداة فترك آية وفي القوم أبي بن كعب فقال يا رسول الله أنسخت آية كذا أم نسيتها؟ فضحك ثم قال بل نسيتها. وقول النبي صلى الله عليه وسلم من سره النساء في الأجل والسعة في الرزق فليصل رحمه ع هو مثل قوله في حديث آخر رواه البخاري قال أخبرنا إبراهيم ابن المنذر أخبرني محمد بن معن حدثني أبي عن سعيد ابن أبي سعيد عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه. وروى سفيان عن عبد الله بن يحيى عن عبد الله ابن أبي الجعد عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه. ورواه القاسم بن يحيى عن سليمان بن أرقم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن ثوبان وزاد " ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ". وقال ابن الأعرابي تذاكروا صلة الرحم وأعرابي حاضر فقال منسأة للعمر مرضاة للرب محبة في الأهل. وروى ابن أبي مليكة عن أبي سعيد الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: البر والصلة وحسن الجوار عمارة للدنيا وزيادة في الأعمار. وقد ورد في بعض الحديث: أن الله يكتب لابن آدم أجلين إن وصل رحمه عمر إلى أطول وإن لم يصل عمر إلى أقصرهما. وروى المدائني

عن **بعض الصالحين** أنه قال ما أشاء أن أصيب رزقا إلا أصبته قال وكيف ذلك؟ قال أصل رحمي قال القتبي إن اعترض معترض على حديث النبي صلى الله عليه وسلم بقول الله عز وجل " فإذا جاء أجلهم

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢٧٠/١

فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " قيل له إن أهل النظر يذهبون في زيادة العمر إلى معنيين أحدهما السعة والزيادة في الرزق واحتجوا بأنه قد قيل الفقر هو الموت الأكبر، وجاء في بعض الحديث أن الله عز وجل أعلم موسى عليه السلام أنه يميت عدوه ثم رآه بعد يسد الخوص، فقال يا رب وعدتني أن تميته فقال قد فعلت قد أفقرته، وقالوا للمفلس ميت الأحياء قال الشاعر: ن **بعض الصالحين** أنه قال ما أشاء أن أصيب رزقا إلا أصبته قال وكيف ذلك؟ قال أصل رحمي قال القتبي إن اعترض معترض على حديث النبي صلى الله عليه وسلم بقول الله عز وجل " فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " قيل له إن أهل النظر يذهبون في زيادة العمر إلى معنيين أحدهما السعة والزيادة في الرزق واحتجوا بأنه قد". (١)

٤٢٢. ٢٣٣-"وسواسه، السياسة بالنفاق نجاسة، وبالغباء تياسه، وبالغدر تعاسة، ... وبالجور خساسة، وبالظلم شراسة، اجتنبها أهل الكياسة، ومات في حبها أهل الرياسة، بذلوا في حبها الدين والحماسة، وما حصلوا إلى على التعاسة، تقاتلوا عليها حسدا ونفاسه، وقديما قتل البرامكه لأجلها بحجة عباسة، فأصبحوا بعد الموت خبرا في كراسة، فكم من شجاع أذهبت بأسه، وأسقطت حواسه، وجعلته من أهل الخساسة، وأهلها يسمونهم ساسه، وقد قال **بعض الصالحين**: سعيد النورسي بالسياسة نسي، ولينين وإستالين قتلوا بالسياسة الملايين، فكتبوا في تاريخ الملاعين، هولاكو الغازي، وهتلر النازي، قتلوا باسم السياسة الإنسانية، فأصبحوا في الخانة المنسية.

الكرب أكرم عشرة ... وهو النهاية في الخساسة

من معشر طلبوا الرئاسة ... قبل تحقيق الرئاسة (١)

خساسة السياسة

السياسة الخسيسة تفسد النفوس، وتقطع الرؤس، وتضيع الفلوس، وتحمل الناس على اليمين الغموس، فمالك في ديار السياسة تجوس، فالعاقل من هرب من ساس يسوس، لان وجهها منحوس، ورأسها منكوس، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة، والله جل وعلا يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ (٢) ، ولله در القائل:

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ٧/١

(١) – مقامات القرني ص (٣٢٠) .

(٢) – سورة القصص (٨٣) .". (١)

٤٢٣. ٢٣٤–"وقيل: من أراد أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليثق بالله تعالى، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه، ومن أحب بقاء جميع ذلك فليشكر الله تعالى دائما. (١)
وقد جاء في محكم الذكر الحكيم: ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ (٢) .

شكر الخالق واجب

إن من أنفع القربات، وأهم الواجبات؛ شكر الخالق على نعمه، فإن من غفل عن ذلك، وتجاهل نعم الله عليه فإنه يكون مقترفا لأشد أنواع الجحود، فشكر النعمة مما تألفه النفوس، فالناس ينكرون على الشخص الذي لا يسدي الشكر لمن أحسن إليه، ويسمونه بالجحود والكفران، فكيف بالله الذي أسدى من النعم ما لا تحصى، وخلق الإنسان أفضل النعم، وفي محكم التنزيل: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (٣) ، وفي سورة يس يذكرنا بالنعم العزيز الحكيم حيث يقول: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون* وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون* ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾ (٤) .

وفي نعمة إجراء الأنهار، وتسخير البحار، والاستمتاع بالنعم الغزار؛ من الفضل ما لا يحصيه إلا العزيز الغفار، وفي سورة الجاثية: ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (٥) آية واضحة تدل على عظم نعمة التسخير.

وفي اختلاف الليل والنهار من النعم الكبيرة، والخيرات الوفيرة؛ ما يدعو إلى الشكر والثناء على القوي القدير، وفي سورة القصص آيات واعتبار، تدل على نعم العزيز الجبار، قال تعالى: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٣٦١/١

إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (٦) .
فأحسن كل حسن نعمة مشكورة، وحق الله في العسر الرضى والصبر، وفي اليسر البر والشكر، وقال **بعض الصالحين**: إني لأصاب بالمصيبة فأشكر الله عليها أربع مرار: شكرا إذ لم تكن أعظم مما هي، وشكرا إذ رزقني الصبر عليها، وشكرا لما أرجوه من زوالها، وشكرا إذ لم تكن في ديني، وقال أبو الفرج الببغاء (٧) :

---

(١) – أنس المسجون وراحة المحزون تأليف صفي الدين أبي الفتح عيسى بن البحتري الحلبي، تحقيق محمد أديب الجاور، ص٣٥. الناشر: دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
(٢) – سورة الزمر الآية (٦٦) .
(٣) – سورة النحل الآية (٧٨) .
(٤) – سورة يس الآيات (٣٣–٣٥) .
(٥) – الآية (١٢) .
(٦) – سورة القصص الآيات (٧١–٧٣) .
(٧) – لقب بالببغاء لفصاحته وقيل: بل للتغة في لسانه، انظر: يتيمة الدهر للثعالبي ج١ص٢٠٠، ووفية الأعيان لابن خلكان ج٣ص١٩٩.". (١)

٤٢٤. ٢٣٥–"ويصرف عنه نقمته وعذابه، فإنه حري بالإنسان المؤمن أن يسأل الله أن يجعله من الشاكرين لنعمائه، وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) (١) .
والشكر يكون بالجنان: القلب واللسان والأركان، فهو أخص من الحمد من جهة وأعم من جهة أخرى، لأنه يكون بالقول والفعل والنية، فبينهما عموم وخصوص.
وقد كان من أدعية النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (تم نورك فهديت فلك الحمد، عظم حلمك فعفوت فلك الحمد، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد، ربنا وجهك أكرم الوجوه، وجاهك أعظم

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٣٨١/١

الجاه، وعطيتك أفضل العطية وأهنؤها، تطاع ربنا فتشكر، وتعصى ربنا فتغفر، وتجيب المضطر، وتكشف الضر، وتشفي السقيم وتغفر الذنب، وتقبل التوبة، ولا يجزئ بآلائك أحد، ولا يبلغ مدحتك قول قائل) (٢) ، وفي الذكر الحكيم: ﴿وسنجزي الشاكرين﴾ (٣) .

وجاء في أدعية **بعض الصالحين**: (كم من نعمة أنعمتها علي قل لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قل لك عندها صبري، فيا من قل شكري عند نعمه فلم يحرمني، ويا من قل صبري عند بلائه فلم يخذلني، ويا من رآني على المعاصي والذنوب العظام فلم يهتك ستري، ويا ذا المعروف

---

(١) - أخرجه أبو داود في سننه باب في الاستغفار حديث (١٥٢٢) .

(٢) - أخرجه الإمام الحافظ أبو يعلى محمد بن الحسن الفراء الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨هـ. في مسنده حديث (٤٤٥) .

(٣) - سورة آل عمران الآية (١٤٥) .". (١)

٤٢٥. ٢٣٦-"وقال أبو الدرداء: لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين منصت واع أو متكلم عالم. (١)

، ولقد أحسن من قال:

إن كان يعجبك السكوت فإنه ... قد كان يعجب قبلك الأخيارا

ولئن ندمت على سكوتك مرة ... فلقد ندمت على الكلام مرارا

وفي الامثال السائرة: عي الصمت أحسن من عي المنطق، العي-بالكسر المصدر-،والعي-بالفتح- الفاعل، يعني عي مع صمت خير من عي مع منطق، وهذا كما يقال السكوت ستر ممدود على العي، وفدام (٢) على الفدامة.

قال الشاعر:

خل جنبيك لرام ... وامض عنه بسلام

مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام

عش من الناس إن اسطع ... ت سلاما بسلام (٣)

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٣٨٩/١

وقديما قيل: عثرة القدم اسلم من عثرة اللسان، وليس من العدل سرعة العذل، أي لا تعجل فيما تقول أو فيما تأتي قبل ان تعرف العذر لأنك ربما وقعت في الخطأ.

وقد قال بعض الصالحين: "الزم الصمت يكسبك صفو المحبة، ويأمنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفك مؤنة الاعتذار"، وقيل: "الصمت آية الفضل، وثمرة العقل، وزين العلم، وعون الحلم؛ فالزمه تلزمك السلامة"،

---

(١) – روضة العقلاء ص٣٧.

(٢) – الفدام– بوزن سحاب او كتاب– المصفاة تجعل على فم الابريق ليصفى ما فيه.

(٣) – وردت هذه الابيات في مجمع الامثال للميداني ج (٢) ص (٢٥) غير منسوبة الى قائل بعينه، غير انها وردت هذه الابيات منسوبة الى ابي نواس في ديوانه والله اعلم.". (١)

٤٢٦. ٢٣٧–"الحضرمي عبر إلى أهل دارين «١» البحر بهذه الكلمات: يا حليم يا حكيم يا علي يا عظيم.

حدثني محمد بن عبيد قال: حدثنا يزيد بن هارون عن هشام الدستوائي «٢» عن حماد عن إبراهيم عن عبد الله في الرجل إذا أراد الحاجة صلى ركعتين ثم قال: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتملك ولا أملك، وتعلم ولا أعلم، إن كان هذا الأمر الذي أريده– وتسميه– خيرا لي في ديني وخيرا لي في معيشتي وخيرا لي فيما أبتغي فيه الخيرة فيسره لي وبارك لي فيه، وإن كان شرا لي في ديني وشرا في معيشتي وشرا لي فيما أبتغي فيه الخير فاصرفه عني ويسر لي الخير حيث كان ثم رضني به.

ومن دعاء بعض الصالحين: اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك، ونالته يدي بفضل نعمتك، وانبسطت إليه بسعة رزقك، واحتجبت فيه عن الناس بسترك، واتكلت فيه على أناتك وحلمك، وعولت فيه على كريم عفوك.

الأوزاعي قال: من قال: «اللهم إني أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت فيه، وأستغفرك لما وعدتك

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ١/٤٩٦

من نفسي وأخلفتك، وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت". (١)

٤٢٧. ٢٣٨-"الطريق على من لم تكن أنيسه!.

أبو الحسن قال: كان عروة بن الزبير يقول في مناجاته بعد أن قطعت رجله ومات ابنه: كانوا أربعة، يعني بنيه، فأخذت واحدا وأبقيت ثلاثة، وكن أربعا يعني يديه ورجليه، فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثا، ليمنك «١» لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت.

وفي حديث بني إسرائيل أن يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام: دلني على أعبد أهل الأرض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه، وذهب ببصره، فسمعه يقول: متعتني ما شئت، وسلبتني حين شئت، وأبقيت لي فيك الأمل يا بار يا وصول.

ومن دعاء **بعض الصالحين**: اللهم اقطع حوائجي من الدنيا بالشوق إلى لقائك، واجعل قرة عيني في عبادتك، وارزقني غم خوف الوعيد، وشوق رجاء الموعود، أللهم إنك تعلم ما يصلحني في دنياي وآخرتي فكن بي خفيا «٢» .

باب البكاء

حدثني أبو مسعود الدارمي قال: حدثني جدي عن أنس بن مالك قال:

جاء فتى من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن أمي تكثر البكاء وأخاف على بصرها أن يذهب؛ فلو أتيتها فوعظتها! فذهب معه فدخل فقال لها في ذلك؛ فقالت: يا رسول الله، أرأيت إن ذهب بصري في الدنيا ثم صرت إلى الجنة، أيبدلني الله خيرا منه؟ قال: «نعم» قالت: فإن ذهب بصري في الدنيا". (٢)

٤٢٨. ٢٣٩-"وقال **بعض الصالحين** الهوى مركب ذميم يسير بك في مضلات الفتن ومرتع وخيم يقعدك في مواطن المحن ويعلقك في حبائل الأحن ويقال من كان لعنان هواه أملك كان لطرق الرشاد أسلك ويقال بغلبة سلطان العقل على الهوى ينال السودد وقال شاعر

---

(١) عيون الأخبار ٢/٣١٢

(٢) عيون الأخبار ٢/٣١٦

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى ... طرق الرشاد إذا اتبعت هواكا

آخر

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى كل ما فيه عليك مقال

ويقال عبد الهوى أذل من عبد الرق وقالوا أعقل الناس من عصى مراده ولم يعط الهوى قياده شاعر

إن الردى تبع الهوى ... ومن الهوى حلو ومر

اقنع بعيشك ترضه ... واملك هواك وأنت حر

وقال علي بن الحسين المغربي

ما للمطيع هواه ... من الملام ملاذ

فاختر لنفسك إما ... عرض وإما التذاذ

وقال حكيم لولده اعص هواك وأطع من شئت قال بعضهم

إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى ... فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

وقد أشمت الأعداء حقا بنفسه ... وقد وجدت فيه مقالا عواذله". (١)

٤٢٩. ٢٤٠-"حث من يحسد فاضلا أن يفعل فعله

رأى الحسن قوما يتهافتون على جنازة **بعض الصالحين**، فقال: مالكم تتهافتون على ما لا يجدي عليكم؟ ها هي الاسطوانة التي كان يلزم إلزموها تكونوا مثله. قال أسجع:

يريد الملوك مدى جعفر ... ولا يصنعون كما يصنع

وقال ابن المعتز:

يا طالبا للملك كن مثله ... تستوجب الملك وإلا فلا

وأنشد أبو العيناء:

إذا أعجبتك خلال امرىء ... فكنه يكن منك ما يعجبك «١»

الموصوف بأنه نال السماء رفعة

قال تميم بن مقبل:

نالوا السماء فأمسكوا بعنانها ... حتى إذا كانوا هناك استمسكوا «٢»

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١١٨

قال صاحب البصرة:

ملكنا السماء بأحسابنا ... ولولا السماء ملكنا السما

أخذه من قول النابغة الجعدي:

بلغنا السماء نجدة وتكرما ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وأنشد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إلى أين؟ فقال: إلى الجنة فقال صلى الله عليه وسلم: لافض فوك، وقال الفرزدق:

فلو أن السماء دنت لمجد ... ومكرمة، دنت لهم السماء

النازل ذروة الشرف

قال شاعر:

سما فوق صعب لا تنال مراتبه

وقال حسان:

سموت إلى العليا بغير مشقة ... فنلت ذراها لا دنيئا ولا وغلا «٣»

قال ابن الرومي:

تدلوا على هام المعالي إذا ارتقى ... إليها أناس غيرهم بالسلالم «٤»". (١)

٤٣٠. ٢٤١-"تفضيل رجل على آخر في الفضل

في المثل: ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان، وفتى ولا كمالك. في كل شجرة نار واستمجد المرخ «١» والعفار «٢» .

قال حسان بن ثابت للحارث بن أبي الشمر:

أبيت اللعن إن النعمان بن الحارث يساميك وو الله إن قفاك أحسن من وجهه، وشمالك خير من يمينه، وإن عدتك أحضر من عدة وغدك أوسع من يومه، وكرسيك أرفع من سريره وأمك أشرف من أبيه.

من يغبط أو يحسد فاضلا أن يفعل مثله

رأى الحسن رضي الله عنه قوما يتزاحمون على جنازة **بعض الصالحين** فقال:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١/٣٦٠

مالكم تتهافتون عليه افعلوا فعله تكونوا مثله.
قال أبو العميثل:
يا من يؤمل أن تكون خصاله ... كخصال عبد الله أنصت واسمع
فلأنصحنك في المروءة والذي ... حج الحجيج إليه فأقبل أودع
اصدق وعف وبر وانصر واحتمل ... واحلم وكف ودار واصبر واشجع
أخذ ذلك من قول عروة بن الزبير:
يا أيها المتمني أن يكون فتى ... مثل ابن زيد لقد خلى لك السبلا
أعدد نظائر أخلاق عددن له ... هل سب من أحد أو سب أو بخلا «٣»
وأنشد أبو العيناء في معناه:
إذا أعجبتك خلال امرىء ... فكنه يكن منك ما يعجبك «٤»
فليس على الجود والمكرمات ... إذا جئتها حاجب يحجبك
الحكم بين نذلين
سئل أبو العيناء عن رجلين فقال: هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما، وتفاخر رجلان في الكرم وتراضيا بأبي العيناء فحكماه فقال: أنتما كما قال الشاعر:
حمارا عبادي إذا قيل نبنا ... بشرهما يوما يقول كلاهما
وفي المثل كثير ويرعو، وكل عير خير. وقيل زندان في وعاء وقيل زندان في رقعة.". (١)

٤٣١. ٢٤٢-"وقال دعبل:
لا يقبلون الشكر ما لم ينعموا ... نعما يكون لها الثناء تبيعا
وقيل: من رضي بالثناء قبل الاستحقاق تبين ضعف عقله.
الحث على الشكر بقدر الاستحقاق
قال أمير المؤمنين رضي الله عنه الثناء من غير الاستحقاق ملق «١» والتقصير عن الاستحقاق عي وحسد. وقال رجل لابن الأعرابي: إن نصيبا يقول إنما تمدح الرجال على قد ثوابها، فقال: إن العرب تقول: على قدر ريحكم تمطرون.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٣٨٠/١

شكر من هم بإحسان وإن لم يفعله

من لم يشكر على حسن النية على إسداء العطية، وكتب الصاحب: إن شكرت فاشكر النية لا العطية، قال شاعر:

لأشكرنك معروفا هممت به ... إن اهتمامك بالمعروف معروف

ولا أذمك إن لم يمضه قدر ... فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

ثقل الحمد وتفضيله على الرفد

قال محمود:

فما بلغت أيدي المنيلين بسطة ... من الطول إلا بسطة الشكر أطول

ولا رجحت في الوزن يوما صنيعة ... على المرء إلا منة الشكر أثقل

وقال آخر:

تبهج لي بعرف تشتريه ... بشكرك أنه بالشكر غال

وقال أبو تمام:

والحمد شهد لا ترى مشتاره ... يجنيه إلا من نقيع الحنظل «٢»

غل لحامله ويحسبه الذي ... لم يوه عاتقه خفيف المحمل «٣»

ومن باب ثقل الشكر ما روى عن **بعض الصالحين**، وقد قيل له: مالك لا تطلب الدنيا، فقال: من خاف السؤال عن الشكر طابت نفسه عن المال.

المستغني عن رفد من استغنى عن الشكر

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

لئن طبت نفسا عن ثنائي إنني ... لأطيب نفسا عن نداك على عسري". (١)

٤٣٢. ٢٤٣-"قال رجل لأمير المؤمنين: صف لي الدنيا، قال: ما أصف في دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عذاب، من أمن فيها سقم ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن.

وقال **بعض الصالحين**: الدنيا دار غرست فيها الأحزان وذمها الرحمن، وسلط عليها الشيطان يصل به

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١/٤٤٩

الإنسان.

وسئل آخر عنها فقال: من نالها مات عنها ومن لم ينلها مات حسرة عليها.

وقال سفيان: الدنيا دار التواء لا الثواء من عرفها لم يفرح فيها برخاء، ولم يحزن بشقاء. وسمع حكيم رجلا يقول لآخر: لا أراك الله مكروها، فقال: دعوت عليه بالموت.

من عاش لا بد له من مكروه. وقال شاعر:

في كل دار ترحة وبلية ... وهموم دارك إن شكرت أقلها «١»

وقيل للنظام وفي يده قدح دواء: ما حالك؟ فقال:

أصبحت في دار بليات ... أدفع آفات بآفات

وقال أبو علي كاتب بكر:

أف من الدنيا وأسبابها ... فإنها للحزن مخلوقه

همومها ما تنقضي ساعة ... عن ملك فيها ولا سوقه «٢»

وقال:

أمر الزمان لنا طعمه ... فما إن ترى ساعة عذبه

وقال:

مضى قبلنا قوم رجوا أن يقوموا ... بلا تعب عيشا فلم يتقوما

وقال المنصور:

كن موسرا إن شئت أو معسرا ... لا بد في الدنيا من الغم

وكلما زادك من نعمة ... زاد الذي زادك في الهم

قلة السرور وكثرة الغموم

روي عن الأمام الشافعي رضي الله عنه، قوله:

محن الزمان كثيرة لا تنقضي ... وسرورها يأتيك كالأعياد «٣»

وقال:". (١)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/٣٩٨

٤٣٣. ٢٤٤-"وقال عمر بن عبيد الله لرجل: عظني، فقال: قد قطعت عامة سفرك فإن استطعت أن لا تضل في آخره فافعل. وقال المؤلف وأنا أقول: قد ضللت عامة سفري فإن لم يهدني الله فويل لي. ختم الله لي بخير ولمن كتب، وقرأ. وقال مصعب بن الزبير: إدفع سطوة الله بسرعة النزوع وحسن الرجوع ويوشك أن المنايا تسبق الوصايا.

الحث على الاستغفار واختلاط سيء الأفعال بالحسن

قال صلى الله عليه وسلم: ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم خمسين مرة. وقال بعضهم: حق على المؤمن أن يقتدي بأبويه في قولهما: ربنا ظلمنا أنفسنا

«١» الآية، وبما قال نوح عليه السلام:

وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين. وقوله تعالى: خلطوا عملا صالحا

«٢» الآية.

وقال أمير المؤمنين: العجب لمن يقنط ومعه النجاة الإستغفار. وقيل: لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الإستغفار. وقال عمر رضي الله عنه: لم أر أشد طلبا وأسرع دركا من حسنة حديثة لذنب قديم. وقيل لرجل ألا تأتي إلى الحسن لتسمع منه؟ فقال: أنا مشغول بذنب أستغفر منه وبنعمة أشكر عليها فمتى أتفرغ لإتيانه. وسئل بعض المجان كيف أنت في دينك؟ قال: أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالإستغفار. وقال بزرجمهر: أيها السلاطين لا بد لكم من المعاصي الكبار فافعلوا بإزائها طاعات عظيمة، أيها الأوساط يمكنكم الطاعات العظيمة كالمصالح التي لا يقدر عليها إلا السلطان فلا تركبوا المعاصي الكبيرة.

النهي عن الإستغفار ما لم يصاحبه الفعل

سمع مطرف رجلا يقول: أستغفر الله وأتوب إليه فأخذ بذراعيه وقال: لعلك لا تفعل ومن وعد فقد أوجب. وقال أبو عبد الرحمن سمعني راهب أقول أستغفر الله فقال يا فتى سرعة اللسان بالإستغفار توبة الكذابين ويدل على ما قاله صلى الله عليه وسلم: المستغفر باللسان المصر على الذنب كالسمتهزئ بربه. وقيل: الإستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين، وقال الربيع بن خيثم:

لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا جديدا إذا لم يفعل، ولكن ليقل: اللهم تب علي واغفر لي، فقيل لم. فقال: انته عما ينهاك عنه فإنه يغفر لك.

تحذير من دنا أجله وساء عمله

اجتمع فيلسوف الروم وحكيم الهند وبزرجمهر عند كسرى فتذاكروا في شر الأشياء. فقال الرومي: الهم يقترن به العدم وقال الهندي: سقم البدن ودوام الحزن. وقال بزرجمهر: دنو أجل وسوء عمل، فحكم له. ودعا **بعض الصالحين**، فقال: اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي وقال آخر: أعوذ بالله من وقوع المنية ولما أبلغ الأمنية، وقال ابن أبي البغل:

أستغفر الله من عمر أضعت به ... حظي من الذكر في قال وفي قيل". (١)

٤٣٤. ٢٤٥-"في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فأنشد:

حاسبونا فدققوا ... ثم منوا فأعتقوا

وسمع أعرابي ابن عباس يقرأ قول الله تعالى: وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها

«١» . قال: والله ما أنقذنا منها وهو يريد أن يلقينا فيها، فقال ابن عباس: خذوه من غير فقيه. ولقي يحيي عيسى عليهما السلام فعبس هذا وتبسم هذا، فقال: هذا لهذا مالك عابس كأنك قانط، وقال: هذا لهذا مالك ضاحك كأنك آمن، فأوحى الله تعالى إليهما: أن أحبكما إلي أحسنكما ظنا بي. وقيل لرجل: كم تكون تاركا للتوبة؟ فقال:

رأيت الله تعالى وصف قوما فقال: وآخرون اعترفوا بذنوبهم إلي عسى الله أن يتوب عليهم، وعسى من الله واجب. فقيل له: قد قال الله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرة

«٢» الآية وقال عمر بن عبد العزيز لعمر بن علقمة: أخاف عليك النار، فقال: لكني لا أخافها قال لم، قال لأن الله تعالى يقول: لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى

«٣» ، وأنا صدقت وأقبلت.

وقال أبو نواس:

يا كثير الذنب عف ... والله من ذنبك أكبر

وقال بعضهم: يا رب حجتي حاجتي ووسيلتي فاقتي.

الحث على الجمع بين الرجاء والخوف

قال الله تعالى في صفة المؤمنين: ويرجون رحمته ويخافون عذابه

«٤» وقال أمير المؤمنين: خف الله خوفا ترى أنك لو أتيت بحسنات أهل الأرض لم تقبل منك، وأرجه

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/٤١٩

رجاء ترى أنك لو أتيت بسيئات أهل الأرض غفرها لك. وقيل: أرج إذا خفت وخف إذا رجوت، وكن كالمرأة الحامل ليس رجاؤها أن تلد ولدا ذكرا بأكثر من خوفها أن تلد أنثى.

وقال **بعض الصالحين**: لو أنزل الله كتابا إني معذب رجلا واحدا لخفت أن أكون، أو أنه راحم رجلا واحدا رجوت أن أكونه ولو أنزل الله أنه معذبي ما ازددت إلا اجتهادا لئلا أعود على نفسي بلائمة.

وقال رجل لابنه: خف الله خوفا لا يمنعك من الرجا، وأرجه رجاء لا يمنعك من الخوف، فالمؤمن له قلبان يرجوه أحدهما ويخافه الآخر، وقال:

أنا بين الرجاء والخوف منه ... واقف بين وعده والوعيد

وقال أبو نواس:

لا تحظر العفو أن كنت أمرءا حرجا ... فإن حظركه بالدين إزراء". (١)

٤٣٥. ٢٤٦-"فقال: لا يغرنكم الإملاء فإن الإملاء من الإستدراج، والله تعالى يقول: سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين

«١» . وكتب أيضا إلى عامل له لا تغتر بتأخير العقوبة من الله فإنما يعجل خائف الفوت.

عتب طالب الرخص

قال الأصمعي: من التمس الرخص من الإخوان عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة تاه وازداد سقما واحتمل وزرا. وقيل: إذا رأيت الزاهد يتروح إلى طلب الرخص فاعلم أنه قد بدا له في الزهد.

تفضيل المذنب الخائف على الورع المعجب

الورع الوقوف مع الشرع. وقال بعضهم: الورع ترك ما حاك في صدرك. وقال **بعض الصالحين**: ضحك العبد وهو مشفق من ذنبه خير من بكائه وهو مدل بربه.

وقال أبو سليمان الداراني: ما عمل داوود عملا خيرا من خطيئته ما زال خائفا منها حتى لحق بربه، وقال مطرف: لأن أبيت نائما وأصبح نادما خير من أن أبيت قائما وأصبح معجبا. وقال القاسم بن محمد الصوفي: إذا كان الرجل لجوجا معجبا برأيه مماريا فقد استكمل الخسارة.

وقال رجل ليحيي بن معاذ: متى أتهم قلبي؟ قال إذا فارقه الخوف. وقال الخلدي:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/٤٢٢

سألت الجنيد عن الظرف، فقال: أن تعمل لله ولا ترى أنك عملت.

وقال عاجلة في قوله تعالى: يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة

«٢» يخاف أن لا يقبل منهم. وقال الحسين الحلاج: من نظر إلى العمل حجب عمن عمل له ومن نظر إلى من عمل له حجب عن رؤية العمل.

التوقي من الصغائر

قال علي كرم الله تعالى وجهه: إياكم ومحقرات الذنوب فإن الصغير منها يدعو إلى الكبير. وقيل: من العود إلى العود ثقلت ظهور الحطابين ومن الهفوة إلى الهفوة كثرت ذنوب الخطائين. وقال بعض الأسديين:

ألا من لنفس بالذنوب رهينة ... قليل على مس العذاب اصطبارها

كفى سقما بالمرء يا أم عاصم ... ركوب المعاصي عامدا واحتقارها

وسقط من يد **بعض الصالحين** دينار فوجده في الحال، فلم يأخذه، وقال لعله غير ديناري. وكان عمر أتي بالعشاء فأطفأ السراج، وقال: لا آكل على سراج العامة.". (١)

٤٣٦. ٢٤٧-"المتبين فيه مخافة الله تعالى

قيل: ما رؤي النبي صلى الله عليه وسلم ضاحكا بعد نزول قوله تعالى: أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون

«١» . وقال رجل ليونس بن عبيد: صف لي الحسن. قال: إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حبيبه، وإذا جلس فكأنما أمر بضرب عنقه وإذا ذكرت النار فكأنما خلقت له.

ووصف ابن عباس أبا بكر رضي الله عنهم فقال: كان كالطائر الحذر له في كل وجه جسد، وكان يعمل لكل يوم بما فيه وكان محمد بن المنكدر لا يرى إلا كئيبا، فقيل له في ذلك، فقال: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

«٢» . وقال الفضيل من علامة الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الأمل. وكان يقول: حقيق على من كان الموت موعده والقيامة مورده والوقوف والحساب مشهده أن يطول حزنه وبكاؤه. قال مالك بن دينار في التوراة إن الرجل إذا استكمل النفاق ملك عينيه.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/٤٢٤

المستكبر ذنب نفسه والمتذمم لفعله

قال **بعض الصالحين**: كم لي من ذنب لو عرف به الصديق لمقتني ولو عرف به العدو لهتكني وقال مطرف: ما نزل بلاء فاستعظمته إلا ذكرت ذنوبي فأستصغره. قيل لحكيم كيف أصبحت؟ قال: آكل رزق ربي مطيعا عدوه. وقيل لحسان بن سنان كيف أصبحت؟ قال:

أصبحت قريبا أجلي بعيدا أملي سيئا عملي. وقال أبو العتاهية:

يظن الناس بي خيرا وإني ... لشر الناس إن لم تعف عني

وقال أبو محمد الخازن:

بنعمة الله وفي داره ... عصيته جهلا وسوء اختيار

إن لم يغثني عفوه عاجلا ... فإنني والله في النار جار

الممتنع من تناول المشتهيات والمباحات

عاد مالك بن دينار جارا له فقال له: أتشتهي شيئا فقال: نفسي تنازعني منذ أربعين سنة رغيفا أبيض ولبنا في زجاج فأتاه بهما فجعل ينظر إليهما ويقول: دافعت شهوتي عمري حتى لم يبق إلا مثل ظمأ الحمار، ومات بشهوته.

الحث على عبادة الله تعالى لا طلبا لثوابه ولا مخافة من عقابه

قال النباجي: لو لم يكن لله ثواب يرجى ولا عقاب يخشى لكان أهلا أن لا يعصى ويذكر فلا ينسى بلا رغبة في ثواب ولا رهبة من عقاب لكن لحبه وهو أعلى الدرجات، أما". (١)

٤٣٧. ٢٤٨-"وأطيع فما نفع وقال الحسن من لم يكن كلامه حكما فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن فكره اعتبارا فهو لهو ومن لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء، وقال جعفر بن محمد كفاك بالنصرة من الله أن ترى عدوك يعصي الله فيك. وقال الحسن بن علي: المؤمن أخذ من الله تعالى أدبا حسنا اذا وسع عليه وسع وإذا أمسك عليه أمسك وقال إذا أردتم أن تعلموا من أين مال الرجل فانظروا فيم ينفقه فان الخبيث ينفق في السرف، وقال مسعر ما نصحت انسانا الا وجدته يفتش عن عيوبي، وقال مطرف عقول الناس على قدر زمانهم وقال الشعبي عيادة النوكى أشد على المريض من وجعه، **بعض الصالحين** قال لمريض إن الله ذكرك فاذكره فلما بريء قال ان الله

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/٤٢٥

أطلقك فاشكره وقال شريح إني أصاب بالمصيبة فأحمد الله تعالى أربع مرات، أحمد اذ لم تكن أعظم منها وأحمد إذ رزقني الصبر عليها وأحمد إذ وفقني لاسترجاع ما أرجو فيه من الثواب وأحمد إذ لم يجعلها في ديني، سأل بعض العلماء عن القدر فقال شيء اختصمت فيه الظنون وغلافيه المحققون فالواجب علينا أن نرد ما أشكل علينا من حكمه إلى ما سبق في علمه، عجبت من ثلاثة رجال رجل يريد تناول رزقه بتدبيره وهو يرى تناقض تدبيره ورجل شغله هم غده عن غنيمة يومه وهو في شك من خبر غده ومن". (١)

٤٣٨. ٢٤٩-"والشرب المصرد. ومسها بالجواد والجوع ونحها عن الهجود والهجوع وعرضها لكل مضجع مقض. وحدثها بكل مفجع ممض. واستفزز بها في الأحايين بمثل ما يؤثر عن **بعض الصالحين**. من إيلامها بلذع الجمرة ووخز الإبرة. وغسلها بالطهور البارد في حد السبره. وتدويرها في المقابر والخراب وتعفير وجهها بالتراب. فلا تفتر في خلال ذلك أن تعرض عليها ما وعد الله الأتقياء. وما أوعد به الأشقياء وأن تكرر على مسامعها السور التي تروع وتردع والآيات". (٢)

٤٣٩. ٢٥٠-"تدري كم أنفقت؟ فقال له المهدي: لو كان المنصور حيا ما احتمل هذا الكلام منك، فقال سفيان: لو كان المنصور حيا ثم أخبرك بما لقي ما تقاربك مجلسك. نظر بعضهم إلى رجل يفحش فقال له: يا هذا إنك إنما تملي على حافظيك كتابا إلى ربك، فانظر ما تقول. قيل لبعضهم: ولي فلان ولاية، فلو أتيته! فقال: والله ما فرحت له فأهنيه، ولا ساءته فأعزيه. قال إبراهيم النخعي: كم بينكم وبين أقوام أقبلت الدنيا عليهم فهربوا منها، وأدبرت عنكم فتبعتموها؟ . قال أبو حازم: إذا تتابعت عليك نعم ربك وأنت تعصيه فاحذره. وقال له سليمان بن عبد الملك: عظني، قال: عظم ربك أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك. قال مطرف: لأن يسألني ربي ألا فعلت؟ أحب إلي من أن يسألني لم فعلت؟ . قيل لحكيم: صف الدنيا وأوجز، قال: ضحكة مستعبر. قال آخر **لبعض الصالحين** بالبصرة: أنا خارج إلى بغداد فهل لك من حاجة؟ قال: ما أحب أن أبسط أملي حتى تذهب إلى بغداد وتجيء. قيل للعتابي: إن فلانا بعيد الهمة، قال: إذن لا يقنع بدون الجنة. وقيل له: إن فلانا

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم ص/٣٨٣

(٢) مقامات الزمخشري ص/١٢٥

بعيد الهمة عالم، قال إذن لا يفرح بالدنيا.". (١)

٤٤٠. ٢٥١-"قيل لميمون بن مهران: إن رقية امرأة هشام ماتت فأعتقت كل مملوك لها، فقال ميمون: يعصون الله مرتين: يتجملون به وهو في أيديهم بغير حق. فإذا صار لغيرهم أسرفوا فيه. عزى رجل الرشيد فقال: آجرك الله في الباقي، ومتعك بالفاني: فقال: ويحك، ما تقول؟ وظن أنه غلط، فقال: ألم تسمع الله يقول: " ما عندكم ينفد وما عند الله باق " فسري عنه. دخل عمر بن ذر على ابنه وهو يجود بنفسه فقال: يا بني إنه ما علينا من موتك غضاضة، ولا بنا إلى أحد سوى الله حاجة، فلما قضى نحبه، وصلى عليه، وواراه، وقف على قبره فقال: يا ذر، إنه قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك؛ لأنا لا ندري ما قلت وما قيل لك، اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه مما افترضت عليه من حقي، فهب لي ما قصر فيه من حقك، واجعل ثوابي عليه له، وزدني من فضلك إني إليك من الراغبين. قال بعض الصالحين: لو أنزل الله عز وجل كتابا أنه معذب رجلا واحدا لخفت أن أكونه، وأنه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه، وأنه معذبي لا محالة ما ازددت إلا اجتهادا. لئلا أرجع على نفسي بلائمة. وقال مطرف بن عبد الله لابنه: " يا عبد الله، العلم أفضل من العمل، والحسنة بين السيئتين كقول الحق بين فعل المقصر والغالي ". ومن كلامه: " خير الأمور أوساطها، وشر السير الحقحقة، وشر القراءة الهذرمة ". وكان ابن السماك يقول: إذا فعلت الحسنة فافرح بها واستقللها؛ فإنك إذا استقللتها زدت عليها، وإذا فرحت بها عدت إليها. ويروى عن أويس القرني أنه قال: " حقوق الله لم تدع عند مسلم درهما ".". (٢)

٤٤١. ٢٥٢-"١٤ بحث في معرفة السارق

حكي لي عن بعض الصالحين، في إخراج السرق، قال:

تأخذ قدحا فيه ماء، وتأخذ خاتما، فتشده فيه بشعرة، وتدليه في القدح، وتكتب خمس رقاع، فيها أسماء المتهمين بالسرقة، وتكتب: السارق، في القدح، وتضع رقعة، تكتب فيها اسم من تتهمه، على حرف القدح، وتقرأ عليه: وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة، وظنوا أنه واقع بهم، خذوا ما آتيناكم بقوة،

(١) نثر الدر في المحاضرات ٦٠/٧

(٢) نثر الدر في المحاضرات ٦٧/٧

واذكروا ما فيه، لعلكم تتقون

. «١»

فإذا ضرب الخاتم القدح، نظرت في الرقعة «٢» ، فإن السارق، هو صاحب الاسم، وإن لم يضرب القدح، فتضع أخرى، فإن السارق هو، إذا ضرب.". (١)

٤٤٢. ٢٥٣-"ومنه: شكا **بعض الصالحين** إلى الخليفة ضرر الأتراك، فقال: أنتم تعتقدون أن هذا من قضاء الله وقدره، فكيف أرده فقال: إن صاحب القضاء قال: " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض " فردهم عنهم.

القدر والطلب كالعدلين على ظهر الدابة كل واحد منهما معين لصاحبه، فالقدر بالطلب، والطلب بالقدر.

قيل لعارف: إن كنت متوكلا فألق نفسك من هذا الحائط فلن يصيبك إلا ما كتب الله لك، فقال: إنما خلق الله الخلق ليجربه، لا ليجربوه.

الجوهري: كف الله النار عن يد موسى لئلا تقول النار: طبعي، واحترق لسانه لئلا يقول الكريم: مكاني، وقال غيره: لو لم يقل لنار إبراهيم " سلاما " لهلك من برد النار.

قيل للجنيد: أنطلب الرزق قال: إن علمتم أين هو فاطلبوه، قيل: فنسأل الله قال: إن خشيتم أن ينساكم فذكروه، قيل: فنلزم البيوت قال: التجربة منك شك، قيل: فما الحيلة قال: ترك الحيلة.

يقول: ليكن تصرفك بإذنه، لا بشهوتك، فقد قيل: ترك الطلب يضعف الهمة، ويذل النفس، ويورث سوء الظن.

الطرطوشي: القدر والطلب كأعمى ومقعد في قرية، يحمل الأعمى المقعد، ويدل المقعد الأعمى.

قال رجل لبشر: إني أريد السفر إلى الشام، وليس عندي زاد، فقال: أخرج لما قصدت إليه، فإنه إن لم يعطك ما ليس لك، لم يمنعك ما لك.

الناس في هذا الباب ثلاثة: فرقة عاملت الله عز وجل على مقتدر شمول قدرته للشر والخير، وأعرضوا عن الأسباب، فأدركوا التوكل، وفاتهم الأدب، وهم بعض الصوفية، وقد قيل: اجعل أدبك دقيقا،

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٢٨/٣

وعلمك ملحا، وهذا". (١)

٤٤٣. ٢٥٤-"احتمل السبع ولدها وشكت إلى **بعض الصالحين**، فأشار عليها بالصدقة، فتصدقت برغيف، فأطلق السبع ولدها، وسمعت النداء: يا هذه لقمة بلقمة، وإنا لما استودعناه لحافظون.

واهجروا الشهوات، واستدركوا البقية من بعد الفوات، وأفضلوا لمساكينكم من الأقوات، واخشعوا لما أنزل الله تعالى من الآيات، وخذوا نفوسكم بالصبر على الأزمات، والمواساة في المهمات، وأيقظوا جفونكم من السنات، واعلموا أنكم رضعاء ثدي كلمة التوحيد، وجيران البلد الغريب والدين الوحيد، وحزب التمحيص، ونفر المرام العويص، فتفقدوا معاملاتكم مع الله تعالى، ومهما رأيتم الصدق غالبا، والقلب للمولى الكريم مراقبا، وشهاب اليقين ثاقبا، فثقوا بعناية الله التي لا يغلبكم معها غالب، ولا ينالكم لأجلها عدو مطالب، فإنكم في الستر الكثيف، وكنف (١) الخبير اللطيف، ومهما رأيتم الخواطر متبددة، والظنون في الله مترددة، والجهات التي تخاف وترجى متعددة، والغفلة عن الله ملامسها متجددة، وعادة دواعي الخذلان دائمة، وأسواق الشهوات قائمة، فاعلموا أن الله تعالى منفذ فيكم وعده ووعيده في الأمم الغافلين، وأنكم قد ظلمتم أنفسكم ولا عدوان إلا على الظالمين، والتوبة ترد الشادر (٢) إلى الله تعالى والله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وهو القائل " إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين " هود: ١١٤.

وما أقرب صلاح الأحوال مع الله تعالى إذا صحت العزائم، وتوالت على حزب الشيطان الهزائم، وخملت الدنيا لاغريبة في العيون، وصدقت فيها عند الله الظنون " يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور " فاطر: ٥ وثوبوا سراعا إلى طهارة الثوب، وإزالة

---

(١) ق: وعظة.

(٢) ق: السارح.". (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس ٢٩٩/٥

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس ٣٨٨/٧

٤٤٤. الذئب والغنم.

قال: وكيف ذلك؟

قلت: حكي عن **بعض الصالحين** أنه فكر ذات ليلة فقال في نفسه: يا رب! من زوجتي في الجنة؟ فأري في منامه ثلاث ليال أنها جارية سوداء في أرض كذا، فجاء تلك الأرض فسأل عن الجارية، فقال له رجل: ما هذا؟ تسأل عن جارية سوداء مجنونة كانت لي فأعتقتها؟ قال: وماذا رأيتم من جنونها؟ قال: كانت تصوم النهار فإذا أعطيناها فطورها تصدقت به، وكانت لا تهدأ الليل ولا تنام فضجرنا منها.". (١)

---

(١) وحي القلم ٢/٣١١